الاسترائيجيّة وكاريخيّة وكاريخها في العكالم

تأليف: ج.ل. ليندل هارت ترجَهَنة: المين ثم الأيولجيك



الأستراتيجيَّية وتَاريخهَا فِي العَسَالِم

ب. ه. ليُدل هَارت

الأسيراتيكية وتاريخها في العضالم

تقديم: آكرَمَعِتْق ديري

تَرْمَة، الْهَيْثُمُ الْأَيْوَلِيثُ

دَارُالطَّلِيعَة للطِّبَاعة وَالنشْرُر بَارُالطِّلِيعَة للطِّبِيروت

Twitter: @sarmed74 Sarmed - المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي المعالم المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي Telegram: https://t.me/Tihama_books

جقوق الطبع مجفوظة لدار الطليعة

بسيروت ـ صب ١١١٨١٣

الطبعة الأولى شباط (فبراير) ١٩٦٧ الطبعة الثانية شباط (فبراير) ١٩٧٨ الطبعة الثالثة نيسان (إبريل) ١٩٧٩ الطبعة الرابعة تموز (يوليو) ٢٠٠٠٠

مقدمة المعرب

يحتل العالم العربي مركزا استراتيجيا ممتازا يعرفه ويشعر بأهميته كل من درس التاريخ القديم والحديث . وتشكل قواه البشرية والاقتصادية قيدوة استراتيجية لا يستهان بها في السياسة العالمية، سواء اكان ذلك في زمن السلم ام كان في زمن الحرب بنوعيها الباردة والساخنة . وتتمثل هذه الفوة وتبلغ ذروتها في وحدة العرب جميعا من الخليج الى المحبط ، لان هذه الوحدة قادرة على خلق قوة فكرية وبشرية واقتصادية عارمة متكاملة تفرض وجودها على الصعيد العالمي في سبيل السلم والتقدم ورفاهية الشعوب .

ولقد جهل بعض زعماء ورؤساء العرب هذه الحقيقة الواقعة او تجاهلوها ، فلم يروا نور الشمس الساطعة ، فتقوقعوا داخل حدودهم المصطنعة التي رسمها لهم المستعمرون ، وابتعدوا عن ركب العروبة السائر نحو الوحدة ، المتطلع العلياء والقوة ، بينما عرف القادة المخلصون في الجمهورية العربية المتحدة وعلى راسهم الرئيس جمال عبد الناصر ، كما عرف الزعماء المخلصون في العالم العربي هذه الحقيقة بكل خفاياها ، فانطلقوا وهم على مستوى المعرفة والرسالة يحادبون الاستعمار والقواعد والاحلاف العسكرية في كل مكان ، ويدعون الى الوحسدة العربية الكبرى والى استخدام القوى البترولية العربية في الصرع ضد كل انواع الاستعمار ، وتحققت وحدة مصر وسورية ، وظهرت الاهمية الاستراتيجية الهذه الوحدة وخطرها على الاستعمار من الهجوم المسعور الذي شنه المستعمرون وأعوانهم عليها منذ ايامها الاولى ، ومن تهليلهم وفرحهم وتأييدهم للحركسة وأعوانهم عليها منذ ايامها الاولى ، ومن تهليلهم وفرحهم وتأييدهم للحركسة الانفصالية في اي جزء من اجزاء الوطن ، سواء اكان ذلك في سورية ام كان في العراق ام السودان ، ثم تحركت القوات العربية رغم تكبة الانفصال وانطلقت من العراق ام السودان ، ثم تحركت القوات العربية رغم تكبة الانفصال وانطلقت من

مصر بحرا وجوا لتدعم ثورة اليمن وتحمي حدود الجزائر وتؤيد نضال الشعب في الجنوب المحتل وفي كل منطقة ثائرة تطالب بحريتها الكاملة .

ولقد دللت كل هذه التحركات على الأبعاد الاستراتيجية للمعركة التسسى يخوضها العرب اليوم ضد الاستعمار والصهيونية وعملائهما الظاهرين والمستترين، ولقد رايت في غمرة هذه الاحداث ان أترجم لقراء العربية من عسكريين ومدنيين هذا الكتاب عن تاريخ الاستراتيجية ، لعله يكشف عن جزء من تاريخ هذا الفن الهام ، ويلقي الاضواء التي تساعد على فهم بعض أوجه السياسة العربية المعاصرة عامة ، وسياسة الرئيس جمال عبد الناصر الخارجية خاصة ، تلك السياسة التي لا يستطيع فهم مداها وإدراك نتائجها البعيدة الهامة وسير أغوارها العميقة الا من درس بعمق ودقة أسرار الاستراتيجية والاستراتيجية العليا .

وانني لأشكر السيد اكرم عزة ديري الذي وجهني وشجعني على ترجمة هذا المرجع التاريخي الهام ، ثم تفضل بعد ذلك وراجع الترجمة ، ووضع للكتساب مقدمة تسد النقص الذي وقع فيه مؤلف الكتاب عندما لم يتعرض لشرح الإمثلة الاسترائيجية الرائعة التي قدمها العرب في تاريخهم المجيد ، وعندما اسقط من كتابه اسماء ابطال العرب الخالدين فجاءت هذه المقدمة درسا بليغا استمده السيد اكرم عزة ديري من تاريخنا العريق ، ومن خبرته التكتيكية العملية التي تشبع بها في ميدان القتال عندما كان ضابطا في حرب فلسطين ، ومن معلوماتسه الاستراتيجية ، واطلاعاته العامة الواسعة التي اكتسبها خلال عمله كرئيس لشعبة العمليات في هيئة اركان حرب الجيش الاول اثناء عهد الوحدة ، ثم عمله كوزير العمليات في هيئة اركان حرب الجيش الاول اثناء عهد الوحدة ، ثم عمله كوزير العمرب كي يبحثوا في تاريخنا ويجمع والوقائع الهامة تكتيكيسا واستراتيجيا حتى يخرجوا للعالم بصورة صادقة لوجهمن اوجه حضارتنا الخالدة. انني اقدم هذا الكتاب الى كل قائد وزعيم حر ، والى الجيل الجديد مسن قادة المستقبل ، علهم يجدون فيه نافذة تطل على تاريخ الاستراتيجية ، والله ولي التوفيق .

الهيثم الأيوبي

تقــديم

هذا الكتاب الذي يقدمه اليوم معربا للقراء العرب السيد الهيئم الأيوبي ، وتهم معلوماته بصورة خاصة العسكريين والسياسيين ، وبصورة عامة المثقفين في البلاد العربية هو من أهم الكتب التي الفها الخبير العسكري المشهور ليدل هارت. ويتضمن الكتاب في مجموعه تحليلا المعارك الحاسمة في التاريخ ابتداء مسن الحروب اليونانية الى الحرب العالمية ونتائجها ، وذلك على الصعيدين العسكري والسياسي . ولا يكتفي بسرد الوقائع وشرح المعارك بل يتعدى ذلك الى استنتاج الدروس المستفادة من هذه المعارك في حقل الاستراتيجية والاستراتيجية العليا، وكتابه مكمل لعديد من المؤلفات التي كتبها سابقا واكد فيها أهمية الاستراتيجية عبر المباشرة أو ما يسمى باستراتيجية الهجوم غير المباشر ، وهي بالتأكيد أفضل استراتيجية لانتزاع النصر الحاسم .

يبدأ هذا الكتاب بتحليل الحروب اليونانية ويشرح معادك هانيبال قالسد قرطاجنة وكيف غزا ايطاليا (٢١٨ ق.م) عبر قمم الالب . لقد اختار هانيبال طريقا صعبا وعرا طويلا ؛ وهو يقود جيشا من الفيلة ، وكان من المنتظر ان يختار طريقا سهلا وقصيرا الا أنه باتباعه المسلك الوعر ، الصعب ، المليء بالحواجز استطاع ان يحقق لجيشه ولحركته ميزات حركة برية غير مباشرة . ومسن المعروف ان العسكريين يختارون دائما المعلوم لا المجهول الا أن هانيبال كان يختار دائمسال الطرق غير المألوفة في حركاته ، وفي قتاله ، مما كان يسمح له بمغاجأة خصمه ولحقيق البتصار حاسم في معركة استراتيجية غير مباشرة . فأمن المفاجأة .

وفي ايطاليا نفسها اختار هانيبال طريقا عبر المستنقعات وابتعد عن الطرق البرية العادية المألوقة التي يعرفها العدو معرفة جيدة ، وبهذا السلوك غير المنتظر

جر خصمه الى ارض انتقاها بنفسه فانتصر على خصمه القنصل الرومانسي فلامينوس نيبوس وقتله في موقعة ترازيمان (٢١٧ ق.م) . وتعتبر حركته ضد فلامينوس من ابرع المناورات على مؤخرات العدو . ثم ينتقل المؤلسف الى سرد الصراع بين رجلين استراتيجيين ، هما هانيبال وقابيوس ماكسيموس ، وهسو صراع بين استراتيجيتين في الهجوم غير المباشر ، اذ كان هانيبال يناور خصمه ويأتيه من حيث لا يتوقع ، وفابيوس يتمهل هانيبال ويماطله ويعرقل تقلمه دون ان يلاقيه .

ومن خلال هذا العرض الشيق والتحليل الرائع يتبين ان هناك نوعين مسن الهجوم الاستراتيجي غير المباشر: نوع مادي يستهدف القوات المعادية ونسوع معنوي يوجه الى مركز تفكير هذه القوات وجهازها العصبي .

والطريقة الاولى هي الطريقة التي طبقها الاسكندر المقدوني في معارك.....ه المتعددة ، اذ كان يشير التوتر النفسي في صغوف العدو دون ان يحاول إفناءه ، مما يدفع قياداته الى اتخاذ قرارات يستطيع استغلالها لصالحه ، ثم يستعرض المؤلف الحروب البيزنطية ، ويركز بشكل خاص على بيليزير الذي هزم الفرس في معركة داراس ، وكانت اول هزيمة للفرس امام البيزنطيين ، لقد انتصر بيليزير لانه استغل النقطة الضعيفة الواقعة بين قلب الفرس وجناحهم ، وذلك عندما تقدمت الخيالة الفارسية على الجناح الايمن للبيزنطيين وبقي قلب القوات الفارسية ثابتا ، فاستغل بليزير نقطة الضعف هذه وقام بهجوم معاكس على نقطة التمفصل الضعيفة في هذا الترتيب الهجومي ويعتبر هذا العمل اليوم من أحسدت تعاليم فن الحرب ،

واني أذكر كيف استخدمت اسرائيل هذا التكتيك في هجومها على «ترشيحا» ضد جيش الانقاذ اثناء مهاجمة الجليل في عام ١٩٤٨ بعد هجومها على الجيش المصري وحصار الفالوجة ، وكنت آتئذ قائدا للسرية الثانية في فوج إجناديان الذي كان يدافع عن ترشيحا ومعليا وقرية ينوح ، فقد هوجمت سريتي مسسن مجنبتها وفي اتجاه الحدود الفاصلة بين سريتي والسرايا المجاورة ، وكان ذلك في ليلة ٢٧ ــ ١٩٤٨/١٠٢٨ بعد قصف هائل بالمدفعية وقنابل الطائرات ، وليس هذا مجال بحث هذه المعركة من الناحية العسكرية وتحليلها لان قيادة الهجور الصهيوني ارتكبت اخطاء كثيرة مكنتنا من معرفة غرض هذه الحركة غير المباشرة ، فاتخذنا كل الاحتياطات لمجابهتها ، وتمكتا من ايقاف الهجوم وإيقاعه في عسدة فاتخذنا كل الاحتياطات لمجابهتها ، وتمكتا من ايقاف الهجوم وإيقاعه في عسدة كمائن ليلية ، الا ان المهم من هذه الحادثة هو اننا ادركنا في ذلك الوقت هدف منطقة الجليل من ذلك القطاع ، إلا انه تمكن من القيام بحركة غير مباشرة ضد الفوج المدافع عن الجش والصفصاف مقابل صفد فحقق هدفه الاستراتيجي في تهديد منطقة الجليل بأكملها .

والواقع ان الهجوم على الجليل كان يشكل في حد ذاته هجوما استراتيجيا

غير مباشر محور جهده الرئيسي كان يتجه من صفد باتجاه سعسع هذه القريسة التي تشكل مفترق طرق حيوي ، ونقطة استراتيجية حساسة تصب فيها كل الطرق والمحاور الآتية من الحدود اللبنانية ومن داخـــل الارض الفلسطينية ، وباحتلال هذه القرية تصبح كل قوى الانقاذ داخل فلسطين محاصرة ومحرومة من طريق المواصلات الرئيسي الآتي من الرامة الى سحماتا _ سعسع _ بنت جبيل (في لبنان) .

كما أن أسرائيل بالأضافة إلى تصميمها الاستراتيجي استخدمت مدرعاتها في المنطقة على محور صفد ـ ميرون ، في منطقة مليئة بالالفام ويصعب فيها استخدام المدرعات فجاءتنا من منطقة غير متوقعة .

نعود الى بيليزير الذي استمر في ابتكار مبادىء هامة في فن الحرب ، فغي احدى المعارك ضد الفرس انسحب الفرس امامه الا انه لم يتابع الانقضاض على عدوه ولم يحطم قواته ، وفي هذا العمل العسكري الرائع ابرز بيليزير مبدا استراتيجيا هاما وهو المبدأ التالي : «لماذا نصر بعناد على متابعة عدو منسحب ؟» «ان اغلاق السبل امام عدو منسحب قد يؤدي الى اعطائه شجاعة اليائس لانقاذ حياته » .

وفي قرطاجة قام بيليزير بهجوم إثارة و«تمثيل انسحاب» الا انه لم يفلح في جذب العدو الى مطاردته عبر النهر طبقا للخطة التي وضعها . فقرر الافادة من حدر خصمه ، فدفع الى الضفة المقابلة للنهر بقوات اكبر وقام بهجوم مشاغلة على قلب القوى المعادية ، فجذب انتباه الغاندال وقام بعد ذلك بالهجوم على طيول جبهتهم . فانهارت مقاومة الفاندال فجأة وانسحبوا والتجاوا الى معسكراتهم وتفرق جيش جيليمير بعد انسحابه .

ومن خلال التحليل المستمر لهذه المعارك الحاسمة يتبين أن الهجوم غيير المباشر يتمثل في الامور التالية :

- ١ احتلال موضع يهدد مجنبة الخصم ماديا ويؤثر عليه معنويا .
 - ٢ اجتياز الحصون والالتفاف حولها وعدم الاشتباك معها .
- ٣ الاعتماد على المعطيات النفسية اكثر من الاعتماد على العوامل الادارية .
- ٤ عند مهاجمة العدو وخلق ثفرة في نقطة تمفصل حساسة في ترتيب...
 الهجومي او الدفاعي بغية تغتيته وتجزئة قواه وعزلها عن بعضها .

ويعترف ليدل هارت بأن بقاء الامبراطورية البيزنطية وصمودها عدة قرون مدين لهذه المبادىء التي طبقتها جيوشها ...

ثم ينتقل المؤلف الى حروب القرون الوسطى مبتدئا بدوغيبكلان الذي كسان يقاتل وفق المبدأ التالي «لا هجوم بدون مفاجأة» . ثم ينقيتم معارك هنري الخامس ويعزو سبب نجاحها الى تعلق هنري الخامس بمبادىء الاستراتيجية العليا . وفي الواقع لم تزدهر الاستراتيجية في هذه القرون في الغرب ، بعكس الشرق الذي قدم أمثلة رائمة للاستراتيجية ، ويضرب لذلك مثلا على حركات جنكيزخان وقادته التي تميزت بسعة المناورة والمفاجأة والهجوم غير المباشر الاستراتيجي والتكتيكي.

وفي القرن السابع عشر لم تكن المعارك حاسمة الا ان اهمها كانت المعركة النهائية بين غوستاف أدولف وفالنشتاين ، وقد تم الحصول فيها على النصر بصورة غير مباشرة .

وعندما ينتقل المؤلف الى كرومويل تظهر من خلال التحليل استراتيجيته في الهجوم غير المباشر وقتاله على مؤخرات العدو وقلب ميزان القوى لصالحه رغم قلة امكانياته . وقد استطاع كرومويل الانتصار على خصمه ليسلي مستفسلا الظروف الجوية السيئة في ليل ممطر ، رياحه هادرة مخيفة ، مستفلا هجوما غير مباشر تكتيكي ، قدمر جيشا اكبر من جيشه . أن القتال على مؤخرات العدو ومهاجمة خطوط مواصلاته ومراكز قياداته ونقاط تموينه ببعض نتائج حاسمسة للمعركة . كما أن القتال الليلي واستغلال الظروف الجوية السيئة يطبع المعركة بطابع المغاجأة .

ثم يتحدث المؤلف عن معركة تورين ، وهي معركة حاسمة فريدة في القرن السبابع عشر ، تم فيها تدمير العدو تدميرا كاملا خلافا لكل معادك هذا القرن الانه اعتمد فيها على استراتيجية الهجوم غير المباشر وعلى الحسباب الدقيق للعملية ، وكان هدف المهاجم تدمير خصمه معنويا ونفسيا وفكريا واداريا قبل ان يبسدا المعركة .

ثم ينتقل المؤلف الى تحليل المعارك الحاسمة في القرن الثامن عشر ، السى معارك مارلبورو وفريدريك الثاني ، ويركز بصورة خاصة على حركة مارلبورو عند انتقاله من الموز الى الدانوب بوحدته الانكليزية لضرب البافاريين ، فحرك الانتقال واسعة بعيدة عن قاعدته الانكليزية ، كما انها كانت بعدة أرتال تهدد عدة اهداف في آن واحد في كل مرحلة من مراحلها ، مما منع العدو من اكتشاف هدفه الحقيقي .

وفي شرحه لمعارك فريدريك تبرز اهمية محافظة كل قيادة على قيمتها المعنوية وأهمية هذه القيمة بالنسبة للقيم المادية . لقد كان فريدريك يعيش وسط جيشه ويحاول دائما ملاءمة وسائطه مع هدفه العسكري . وكان يتمتع بموضع متوسط بين اعدائه ، ويتمتع بجيش متفوق «تكتيكيا» الامر الذي اتاح له فرصة توجيه قواته من المركز الى محيط الدائرة وعلى مسافات قصيرة ليضرب جيش احد خصومه ؟ ثم يعود قبل ان يستطيع حلفاء العدو دعم حليفهم . وهذا ما يسمى بالحركة على الخطوط الداخلية ، هجوم غير مباشر بالنسبة لمجموع قوى الخصوم ، وهجوم مباشر على احد الجيوش الذي اختير كهدف . ومن المكسن الهجوم على هذا الجيش نفسه بحركة غير مباشرة .

ولقد اتسمت حركات فريدريك العسكرية بالمفاجأة ، الا انها كانت تنقصها الحركة ، ولم تكن تصمد لمناوراته وحركاته الا الجيوش التي كانت تعدل فجناة ترتيبها الدفاعي كي تجبره على مهاجمتها بوضيع جبهي ، فيحاول هو بدوره الالتفاف على هذه الجبهة من موقع لا يتوقعه خصمه ، الا انه لم يوفيين

الحركة والمفاجأة ، وكان هجومه ينقلب في بعض الاحيان الى مناورة التفسياف قصيرة مما أفقده كثيرا من ميزاته .

وعند الحديث عن الخطوط الداخلية التي برع فيها فريدريك لا استطيع ان أمسك نفسي عن الاشارة الى أن موقع أسرائيل في فلسطين المحتلة يشكل موضعا وسطا بالنسبة للجيوش العربية . والمسافة التي تفصل تجمعات هذا الجيش عن الحدود العربية وعن بعض المراكز الرئيسية الهامة في بعض البلدان العربيسسة مسافة قصيرة ، وعن طريق بعض البلدان العربية يستطيع الجيش الاسرائيلي تحقيق استراتيجية الهجوم غير المباشر بالنسبة لبلد عربي آخر ، وبذلك يستطيع تحاشى مواضعها الدفاعية وحصونها الثابتة . فمن طريق الاردن أو لبنان تتاح لاسرائيل عمليات من هذا النوع ويتاح لجيشها الالتفاف حول الجبهات الرئيسية. ان من واجبنا بالاضافة الى مهمة الاعداد للعودة الى فلسطين تحقيق درع يقي هذه الحدود ، ويقتضى ذلك أن نحسب بدقة امكانية ضرب أي جيش عربي قبل ان يتدخل الجيش العربي الآخر ، وكذلك فان واجبنا يحتم علينا اعداد العسدة لمجابهة كل مناورات الالتفاف الاستراتيجية التي بمكن ان تحدث على حسدود سوريا أو الاردن أو على حدود سيناء . وأول درس يقفز أمامنا من هذه الدراسة هو أن الوحدة العربية ، علاوة على أنها مطلب قومي شعبي وجماهيري ينبع من حاجات الامة العربية وتفرضه ارتباطات الماضي والحاضر والمستقبل ، فانهـــا ضرورة استراتيجية للأمة العربية ، وكل من يعمل للانفصيال وتكربسه في اي جزء من الوطن العربي يعمل ضد اماني بلده وضد امته وآمالها ، وتوحيد الجيوش وايجاد قيادة واحدة قادرة على تحريكها في جميع الجبهات في آن واحد دون عقد او مناورات جانبية هو واجب قومي ووطني . وهنالك حقيقة اساسية وهي ان جيوش الدول العربية البعيدة عن حدود فلسطين ليس لها اية فيمة استراتيجية اذا لم تقترب من ساحات العمليات لتشكل قوة استراتيجية رادعة لها وزنها **في المعركة .**

وأعود ألى كتاب ليدل هارت فأجد أن المؤلف ينتقل بعد ذلك الى الشـــورة الغرنسية وتابليون بونابرت ، هذا القائد العسكري الجديد الذي استقى من جيبير الخبير العسكري المعروف المرونة والحركة كعاملين اساسيين في كـــل معركة ، واستقى منه ايضًا فكرة تهديد مؤخرات العدو بصورة دائمة ، وفكرة تركيـــز نيران المدفعية في نقطة حساسة من جبهة العدو لفتح ثفرة فيها . ولا تعني فكرة نابليون بالتركيز على نقطة واحدة انتقاء المؤضع الاقوى من جبهة العدو ، بل تعني اخلال التوازن الدفاعي لدى العدو والهجوم على «نقطة تمفصل» حيوية وحساسة وضعيفة في آن واحد .

ونرى من سياق المعارك التي خاضها نابليــون ان اهم فكرة ادخلها علـــــى الاستراتيجية غير المباشرة هي فكرة «السد الاستراتيجي» الذي اقامه خليف الجيش النمساوي في منطقة حصينة في الطاليا بعد أن التف على مؤخرته . الامريكية وكيف غدت الجيوش ابان هذه الحسرب وبعدها مرتبطة بالسكسك التحديدية . ثم تطورت الاستراتيجية لان السكك الحديدية مهددة دائما ، وكان لا بد للقادة من ان يستقلوا عن خطوط مواصلاتهم الثابتة ويتحرروا منها كسي يحصلوا دائما على امكاتية المناورة الاستراتيجية .

ثم يشرح المؤلف معارك مولتكه في عامي ١٨٦٦ و١٨٧٠ الى ان يصل السي الحرب الروسية اليابانية . ويؤكد عند شرحه لهذه الحرب ان الهجوم المباشر يبقى غير حاسم مهما كانت الحجيج التي تدافع عن فائدة استخدام مثل هذا الهجوم في حالات معينة . وقد برهنت كل هذه الدراسات على ان كل قائد كبير كسان بترك الهجوم المباشر الى الهجوم غير المباشر حتى لو اضطره ذلك الى اجتيسسال الجبال او الصحارى او المستنقمات والبعد عن قواعده او خطوط مواصلاته ، كما برهنت على ان كل قائد يستخدم الاستراتيجية غير المباشرة تكون معركته حاسمة وبشكل خاص عندما يقرر مجابهة الظروف القاسية .

وفي الحرب المالمية الاولى ثبت عقم الاستراتيجية التي تعتمد على الهجوم المباشر ، ولعل اهم ما في هذه الحرب الثورة العربية التي نشبت في الجزيرة العربية لمساعدة الحلفاء بقصد التخلص من النير العثماني ، على ان يفي الحلفاء بوعودهم في تحقيق استقلال بلاد العرب ، لقد كانت هذه الثورة صورة صادقة للهجوم غير المباشر ، القليل التكاليف ، ذي النتائج الحاسمة ، وكان الجيش العربي يقوم باعمال العصابات على خطوط مواصلات الاتراك ومراكز تعوينهم ،

وكذلك اثبتت الحرب العالمية الاولى ان الهجوم المباشر المدعوم بتفوق ساحق بالمدفعية ضد عدو ضعيف المعنويات قد يحقق اختراق مواقع العدو الا أنه غسير قادر في غالب الاحيان على تدميره .

كما اثبتت الحرب العالمية الاولى صحة درس قديم وهسو أن هدف الحرب الحقيقي هو روح قادة الاعداء لا أجساد جنودهم . فقد استسلمت المانيا وحلفاؤها في نهاية هذه الحرب عندما أنهارت قيادتها . وعجزت عن صد حركة استراتيجية متوقعة بالرغم من أن قواتها لا تزال سليمة .

وفي الحرب العالمية الثانية وسع هتلر استراتيجية الهجوم غير المباشر قبل الحرب واثناءها . واعطاها ابعادا جديدة على الصعيدين النفسي والاداري ، وفي المجالين العسكري والمدنى . فقد استخدم هتلر اسلحة فكرية استهدفت تدمسير العدو من الداخل والانتصار عليه باستخدام امكانياته . وكل العمليات التي قام بها هتلر في الفترة بين ١٩٣٣ و١٩٣٩ كانت مناورات على مستوى الاستراتيجية العليا ، ولم تسفك فيها الدماء . وقد لحتل فيها وضعا افضل من وضعسسه الطبيعي عند بدء المعركة .

وعندما هاجم هتلر فرنسا تحركت مجموعة جيوش فون بروك التي تشكل الجهد الرئيسي في اتبجاه كثير التضاريس مليء بالغابات وغير متوقع من قبل الغرنسيين . وعندما اخترقت هذه القرات سيدان غيرت اتجاهها بشكل بلبلت

فيه افكار القيادة الفرنسية وجعلتها في شك من اتجاه هذه الجيوش . وفي كل عملياتها كانت تتجنب الانقضاض المباشر وتفتش عن النقاط الضعيفة .

واتبع هتلر في معاركه ضد الحلفاء سياسة الحرب على مؤخرات العدو، والحرب النفسية التي تستهدف شل الجهاز العصبي المعادي ، لانه أقل كلفة من تدميره وتحطيمه ، ويدلل ليدل هارت في تحليله على أن هتلر كان استراتيجيا قفا ، الا أنه أخطأ على مستوى الاستراتيجية العليا ويشرح أخطاءه على هذا المستوى تفصيليا .

وقد اعطت الحرب الآلية مجالا واسعا لسياسة الهجوم غير المباشر فسسي الحرب العالمية الثانية ، فمعارك هتلر في بولونيا كانت معارك هجوم غير مباشر ، ومناورات من اتجاهات غير متوقعة ، وفي الهجوم على فرنسا نجد مانشتايسين يغير محور الجهد الرئيسي لهجوم الجيوش الالمانية من بلجيكا الوسطى الى منطقة الآردين التي كان اتجاهها يعتبر اتجاها غير متوقع ، ومن تطور معارك هتلر في أوربا الغربية يرى القارىء كيف استسلمت هولندا وجبهتها الرئيسية ما زالت سليمة ، وكيف استخدمت القوات المحولة جوا في الاستيلاء على الجسور واحتلالها .

وتبرز اهمية الهجوم غير المباشر في حركات غودريان الذي اجتاز نهر الوز ثم وستّع رقبة الجسر ، فلم تستطع التكهنات معرفة هدفه النهائي أهدو باريس أم شواطىء المائش .

ويبرز من خلال التحليل ان خطة غزو غرب اوربا تمت بهجوم غير مباشر اسر فيه الالمان مليون اسير ، ومع ذلك بقي هذا النصر الاستراتيجي الحاسم في القارة الاوربية غير حاسم على مستوى الاستراتيجية العليا لانه سمح للقسسوات البريطانية والفرنسية بالانسحاب من دنكرك ، مما اتاح لبريطانيا فرصة تقوية دفاعاتها عن الجزيرة بواسطة القوات المنسحبة . ثم أفل نجم هتلر نظرا للاخطاء القاتلة التي ارتكبها على مستوى الاستراتيجية العليا ، عندما بدأ يهمل الهجسوم غير المباشر .

وكانت الحرب في روسيا تتضمن حركات غير مباشرة لمانشتاين ، الا ان الحسرب في روسيا برهنت على ان هنالك حدودا لا يمكن تجاوزها من قبل الستراتيجية هجومية تنفذ بوسائط محدودة في حقل عمليات غير محدود .

وفي هذه الحرب قدمت معارك شمالي افريقيا نماذج لهجمات استراتيجية غير مباشرة . وقد برع الالمان في هذه الحرب بنصب الكمائن للدبابات وذلك باقامة طعم يجذبها لتتحطم قبل ان يستلوا سيوفهم لمحاربتها . وهذا النوع من القتال هو هجوم غير مباشر بارع . وقد استخدم رومل في هذه الحرب الطريقة الدفاعية _ الهجومية فحصل على انتصارات باهرة .

ثم كان سقوَط هتلر ، ونزول الحلفاء في صقلية وغزو ايطالية . وفي غزو ايطاليا لم يتم النجاح امام خط غوستاف وامام مرتفعات كاسينو الا عند استخدام الطرق الجبلية الوعرة التي حققت المفاجأة . ثم كان غزو فرنسا وحركات الجيوش

الروسية التي كانت كلها حركات غير مباشرة في روسيا البيضاء واوربا الشرقية، وهكذا بعد هذا العرض الطويل المسهب المدعم بالتحليل العلمي ينتقل المؤلف الى خاتمة الكتاب ، وهي اهم ما فيه وتتعلق بأسس الاستراتيجية . وبعد ان يستعرض مختلف الآراء في تعريف الاستراتيجية ودور القائد وواجباته يخلص الى تعريف الاستراتيجية العليا وينقد آراء كلوزفيتس وبحثه عن المعركة ، ويؤكد أن من الممكن تحقيق تفتيت استراتيجي مادي وإداري نتيجة حركة دون ما حاجة للمعركة .

ويؤخذ على ليدل هارت ، هذا الخبير العسكري الذي ينفترض فيه التجرد العلمي المطلق انه متعصب للفرب في دراسته واستنتاجاته ، وهو لم يشر في مؤلفه الى الفتوحات العربية الاسلامية ولا الى القادة العسكريين والاستراتيجيين العرب ، وهو متجاهل تاريخنا العسكري ويسدل عليه ستارا من الظلام ، لذا لا بد من الاشارة الى هذا الجزء من المعارك وتحليل قسم منها وتطبيق هسده الاستنتاجات عليه ، وإنا أنوي أن أقوم بمهمة قادة الفكر لدينا ، ألا أني أسمح لنفسي بأن أهيب بهم لاخراج هذه المعارك وتحليلها وإبراز الاساليب الاستراتيجية المتماعية فيها على غرار ما يفعل الغربيون ،

لقد برع العرب في الجاهلية فيما نسميه اليوم الاغارات فهي نوع من الهجوم غير المباشر الاستراتيجي ، كما راينا في اغارات اوكونور ، وبرعوا في حسرب العصابات ، كما وجدناهم في الحرب العالمية الاولى يقاتلون مستخدمين هسدة الحرب الى جانب الحلفاء . وقد تمرس العرب بفن الاستطلاع وجمع المعلوسات عن العدو قبل المعركة واثناء المعركة . وعرفوا المفاجأة بأنواعها ، استراتيجيسة كانت ام تكتيكية . كما انهم تمرنوا على اصول الخداع والمناورة .

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية خالد «ان العرب قد عرفوا في حروبهم تسيير الجيوش بعشرات الالسوف على اختلاف الاسلحية والاقسام. وقيل ان جيش الفساسنة الذي حارب المنذر بن ماء السماء لم يقل عن . ٤ الفا بين راجل وفارس ، وكان في الجيش معا راكبو الخيل وراكبو الابل وحاملو السيوف وحاملو الرماح والضاربون بالسهام والنبال والضاربون بالحراب والححارة » .

وموقعة ذي قار في تاريخ العرب قبل الاسلام ، تلك الموقعة التي دارت بين العرب والفرس وانتصر فيها العرب انتصارا رائعا على الدولة الفارسية ، اكبسر دليل على براعتهم ، ولقد اتبع العرب في تلك المعركة تكتيك الهجوم غير المباشر وباعتراف ليدل هارت نفسه لم يكن هنالك في الماضي فسرق بين التكتيسك والاستراتيجية ، لقد اعد العرب لهذه المعركة الجيش اعدادا نفسيا ومعنويسا رائعا ، فقبل بدء المعركة اتصلوا بقبائل العرب العاملة مع جيش الفرس وأثاروا حميتها ونخوتها ، واغروها بالتخلي عن الفرس عندما يحتدم القتال ، واحرزوا نجاحا حاسما لدى قبيلة إياد التي برت بوعدها وانسحبت من المعركة تاركسة

الفرس وحدهم في أحلك الاوقات.

ونصبوا للفرس كمينا متبعين نصيحة يزيد بن حمار في موقع يقال له الخبيء. ولم يكتفوا بنصب هذا الكمين ، بل انهم بحساب علمي دقيق اوصوا رجال الكمين بأن يبدأوا عملهم حين يحتدم القتال ، في اللحظة التي تنسحب فيها قبيلة اياد من صفوف الفرس ، واستطاع العرب في هذه المعركة وبفضل استراتيجيسية الهجوم المباشر التفوق على جيش اكبر منهم عدة وعددا ، وقد حطمت هسذه المعركة هيبة الاكاسرة في الجزيرة العربية .

وفي تاريخ العرب قائد من اعظم القواد في استراتيجية الهجوم غير المباشر وهو خالد بن الوليد (رغم تجاهل ليدل هارت لذكره في كتابه) . فغي معركة احد التي انتصر المسلمون في مراحلها الاولى ، شاهد الرماة الذين وضعهم محمد عليه الصلاة والسلام خلف جيش المسلمين هزيمة المشركين ، فخالفوا التعليمات المعطاة لهم بعدم الحركة والاشتراك في القتال الا بأمره واندفعوا الى المعركة . ولاحظ خالد بن الوليد الذي كان يحارب مع قريش هذا الخطأ ، كما لاحظ الضعف الذي انتاب ترتيب المسلمين الهجومي ، فاستغل الفرصة ، والتف على جيش المسلمين وهاجمهم من الخلف فكانت هذه الحركة التكتيكية الرائعة سببا في اختـــللط المسلمين وهزيمتهم .

وفي معركة مؤتة كانت قوات المسلمين مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة . وعندما نزل هذا الجيش في معان علم المسلمون ان هرقل قد اقام معسكره في مآب ، ومعه جيش من الروم تعداده مائة الف رجل مع مائة الف من قبائل لخم وجذام والقين وبهراء ، وتقدم جيش المسلمين من معان الى مؤتة والتقى الفريقان على مزرعة قرب مؤتة وقاتل المسلمون حتى قتل زيد بسين حارثة ثم قتل جعفر بن ابي طالب وتسلم خالد بن الوليد القيادة .

ودرس خالد الموقف فوجد ان احسن السبل هو الانسحاب . وتحت ستنار الليل تمكن من تغيير ترتيب الجيش فنقل الميمنة الى الميسرة والميسرة الى الميمنة ووضع المؤخرة مكان المقدمة والمقدمة في مكان المؤخرة ، ووضيع خلف الجيش مجموعة من الجنود يثيرون الغبار ويحدثون جلبة عند طلوع الصباح . وتمكن بذلك من خداع الروم والفساسنة وامن الانسحاب . وخشي الروم اللحاق به خوفا من الوقوع في كمين . وتبين هذه العملية كيف استطاع قائد محنك كخالد بسن الوليد ان يخدع جيشا اكبر منه بثمانين مرة وان يشبئته وينسحب انسحاب استراتيجيا رائعا .

لقد عزا بعض المورخين سقوط الدولتين الفارسية والبيزنطية امام جحافل العرب المسلمين الى تسلح هؤلاء بعقيدة جديدة ، والى انحلال هاتين الدولتيسن وضعفهما . ونحن نرد عليهم بأن بعض قادة العرب العسكريين قد فشلوا ونجع بعضهم الآخر بفضل الخبرة والكفاءة . وقد رد المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد في كتابه عبقرية خالد على هذه الناحية ردا مفحما اذ قال : «ولكن الواقع ان الدين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالا اولي خبرة فدرة ... فانهزم عكرمة بن

أبي جهل وشرحبيل بن حسنة حيث انتصر خالد بن الوليد ... وسبق خالد بن سعيد خالد بن الوليد الى الشام ففرر به الروم حتى استدرجوه الى مسسرج الصفر ، ولولا يقظة الخليفة وتلاحق امداده في أوقاتها لقضوا عليه» .

وكانت سيرة خالد بن الوليد تسبقه الى صفوف اعدائه وتنشر أخباره رغسم ضعف المواصلات في ذلك الوقت ، وبنفس الاسلوب الذي كانت تنتشر فيسسه سمعة رومل في صحراء ليبيا وشمال افريقيا إبان الحرب العالمية الثانية .

ليدل هارت الناقد العسكري المشهور يلخص استراتيجية الهجوم غير المباشر بانها تهدف الى مفاجاة الخصم من ناحية غير متوقعة ، لأن الهجوم من جهسته يتوقعها العدو لا يؤثر على توازنه فتستمر قدرته على المقاومة ، وفي جميسه الحروب الحاسمة التي يستشهد بها ليدل هارت يثبت ان الاخلال بتوازن العدو قبل محاربته ، نفسيا وماديا ، هو المقدمة التي لا غنى عنها لتدميره والقضاء عليه ولو اردنا اجراء مقارنة بسيطة بين ما فعله خالد بن الوليد في أحد وما فعله بيليزير الذي شرح ليدل هارت معاركه ، والذي يتسم الهجوم غير المباشر لديم بخلق ثغرة في نقطة تفصل حساسة في تشكيلة العدو مما يؤدي الى تفتيتها وتفكيكها . . . لوجدنا ان ذلك هو ما فعله خالد في معركة أحد عندمسا لحقت مؤخرة المسلمين بالمقتنمين فانقض عليها من الخلف ، وهو لا يزال في مقتبسل حياته العسكرية ، ولم تكن مواهبه قد نضجت وتفتحت بعد ، كما أنه لم يكن قد خاض حروب الردة وحروب الفتوح .

واذا قارنا حركات خالد بحركات مارلبورو ، لوجدنا ان مارلبورو قد قسام بحركة واسعة بعيدة عن قاعدته بعدة ارتال كي يمنع العدو من اكتشاف هدف الحقيقي . ولكن خالد بن الوليد كان يهاجم ايضا من عدة جهات في آن واحد اما بالكمين او بالمفاجأة ، وعندما ارسله الخليفة ابوبكر لنجدة الشام من العراق، خلئف على العراق المثنى بن حارثة مع نصف الجيش وسار بالنصف الثاني ، لقد سار من الحيرة الى دومة ، ثم طعن في البرية الى قراقر ، وأراد ان يسلسك المفازة ومنها الى سوى ، لانه ان دار مع الطرق المألوفة ، وضرب حول المفسازة استقبل الروم فيحبسه ذلك عن غياث المسلمين في اليرموك ، فأخذ يغتش عس طريق يخرج فيه وراء جموع الروم ، وقام بحركة التفاف رائمة واسعة حسول جناح العدو فابتدا من قراقر بعد اجتياز وادي السرحان عبر الصحراء مسافة مائتي ميل في ارض لا ماء فيها الى ان وصل الى سوى ، ثم تحرك منها الى تدمر والفوطة فبصرى وكان وصوله مفاجأة استراتيجية رائعة للروم .

لقد اجتاز خالد الصحراء من وسطها ، وانقطع عن منطقة اللجاة البركانية الوعرة اذ سار الى الشرق منها نحو الشمال ، ثم عاد واتجه جنوبا ملتفا حسول سفوح اللجاة واتصل بجيش العرب في درعا ، ولو سايرنا الجنرال جلوب في كتابه «الفتوحات العربية الكبرى» واعتبرنا تفسيره لهذه الحركة الطويلة بانهسا تستهدف تهديد دمشق وارغام جيش الروم على ترك مواقعه الدفاعية في درعا، وسواء أقبل بمعركة مرج راهط أم لم يقبل ، فأنه يمكننا اعتبار هذه الحركة التي

تحمل كل صفات الهجوم غير المباشر من أبرع الحركات الاستراتيجية في التاريخ، ولو عدنا ألى ما قبل حركة خالد ألى الشيام عندما أرسل أبو بكر أربعة قادة، لكل منهم هدف محدد: فلسطين لعمرو بن العاص ودمشق ليزيد وحمص لأبي عبيدة والاردن لشرحبيل، لوجدنا أن بامكاننا أعتبار هذه الارتال من الناحيسة الاستراتيجية جيوشا تتلاقى في هدف استراتيجي وأحد، ولا يمكن فصل مهمة أي جيش من هذه الجيوش عن مهمة الآخر.

وفي معركة اليرموك وقبل المعركة الرئيسية ، كان عمرو بن العاص وحيدا في بئر السبع وعزم الروم على القضاء على جيشه منفردا الا ان قوات المسسرب المسلمين اختفت فجأة من منطقة اليرموك وراحت تغذ السير ليلا ونهارا لنجدة عمرو بن العاص ، ولا أريد أن أتعرض للطريق التي مرت منها القوات العربية ولا لاهمية هذه الحركة الاستراتيجية البارعة فقد وصف جلوب هذا انطريق في كتاب «الفتوحات العربية الكبرى» الذي ترجمه الاستاذ خيري حماد وعلق عليه تعليقات رائعة ، وكيف تدفق المسلمون عبر المضيق ، وعبر وادي عربة ئم الى سهل بئر سبع ، ووقعت معركة إجنادين ومنني فيها الروم بهزيمة ساحقة ، لقد كانت هذه المركة مقدمة نفسية ومادية لمركة اليرموك . وقد حطمت هذه المركة مخططات العدو الهجومية الماكسة ، ولم يبق امام العرب الا التصدي لحصون اليرموك المغرة درعا» كما يسميها المسكريون المحدثون .

واشتد القتال امام حصون اليرموك الى أن تمكن خالد بن الوليد بحركة بارعة من فصل مشاة الروم عن خيالتهم أذ أفسح الطريق للخيل كي تقر أمام ضفيط المسلمين فعاد مشاة الروم الى الخندق وهم محرومون من دعم الخيالة ، فالتف عليهم العرب فولوا هاربين في وادي الرقاد أو هوة الواقوصة . وهكذا تسسم الهجوم غير المباشر الاستراتيجي والتكتيكي وكانت هذه المعركة معركة حاسمة في التاريخ أذ فتحت أبواب سورية أمام الزحف العربي الاسلامي .

ولنترك الترتيب التاريخي الاحداث جانبا ونستعرض وقائع اخرى ، واكرر كما قلت من قبل ، ان المجال هنا ليس شرح الوقائع التي انتصر فيها خالد بن الوليد او القادة العرب بغضل الهجوم غير المباشر فقد سبقني الى شرح هـــده المعارك كثيرون من المؤرخين ، ولكن ما يعنيني هو ابراز الاستراتيجية التي اتبعها هؤلاء القادة ، وأيام العرب كثيرة وفي كل يوم منها درس تكتيكي واستراتيجي عظيم ، ففي وقعة الولجة ظن الغرس انهم قاب قوسين او ادنى من النصر الا ان ظهور كمينين ، وفي الوقت الملائم ، كان قد أعدهما خالد بن الوليد ، قلب ميزان القوى لصالح العرب .

ثم تعال معي ايها القارىء العزيز لنستعرض أعمال خالد بن الوليد بعد أن غنم السغن الفارسية بعد وقعة اليس . لقد اركب خالد جيشه في هذه السغن الإ أن الفرس عندماً علموا بذلك منعوا النهر بأن أغلقوا سدود الحيرة فجف الماء، فما كان من خالد الا أن أرسل بعض قواته لاحتلال القناطر واطلاق مياههـــا وحراستها . وتبدو هذه العملية أذا قورنت باحتلال جسور الربن لتأمين عبسور

الحلفاء الناء الحرب العالمية الثانية اقوى تصميما وأروع تنفيلا . كما يمكسن مقارنة هذه العملية بعملية احتلال جزيرة كريت من قبل القوات الالمانية النساء الحرب العالمية الثانية . والفرق هنا أن قوات خالد ركبت الجمال أو الخيول بينما ركبت القوات الالمانية الجو ليتحقق لكليهما مفاجأة استراتيجية . ولكن شتان بين العصرين وفرق كبير بين الوسائط .

ثم ننتقل الى قائد عظيم آخر من قواد المسلمين وهو صلاح الدين الإيوبي و فالعمل الذي قام به صلاح الدين الايوبي في دمياط والاسكندرية والتحصينات التي اقامها في ذلك العصر تشبه الى حد كبير جدار الاطلسي الذي انشأه هتلر على السواحل في اوروبا الغربية لصد غزو الحلفاء ، كما ان القلاع الحصينة التي اقامها في القاهرة وفي كل مكان شبيهة بالحصون الدفاعية لخطي ماجينسسو وسيجفريد المشهورين ، ولم يكتف صلاح الدين الايوبي في مصر بهذه التحصينات ضد الهجوم البحري — البرمائي بل انشأ مراكز محصنة في شبه جزيرة سيناء ليصد غزوات الصليبين اذ ان جميع غزواتهم بعد حصار الاسكندرية وحصسار دمياط جاءت من منطقة سيناء .

و مركة صلاح الدين الايوبي في حطين كانت معركة حاسمة في التاريخ ، لانها قررت مصير المملكة اللاتينية وفتحت الطريق الى القدس التي سقطت بعد حصار دام اسبوعا . ولكن ليدل هارت تجاهلها ولم يرد على ذكرها .

ومن الانصاف للتأريخ أن نقول أن صلاح الدين الايوبي كأن رائدا من رواد الاستراتيجية العليا اذكان يرسل رسله الى ملوك العرب يحثهم على الجهاد للدفاع عن الاراضى المقدسة حتى انه عرض على الخليفة الامام الناصر أن يتنازل لسه صلاح الدين عن جميع البلاد التي يحتلها مقابل حضوره لإذكاء حماسة العرب في قتال الصليبيين ، ولكن أمراء الجزيرة الزنكيين رفضوا أن يوحد الخليفة بينهم. وهنا لا بد من وقفة بسيطة لنقارن بين عمل صلاح الدين الايوبي من اجل الدفاع عن الاماكن المقدسة وبين موقف الرئيس جمال عبد الناصر في دعوته الي مؤتمر الذروة العربي في مطلع عام ١٩٦٤ . أن هذه الدعوة ، في _ رأيـــي المتواضع _ ودع عنك الان آثار هذه الدعوة ؛ على صعيد الحركة العربية الثورية من نتائج في اعطاء القوى الرجعية فرصة أعادة تنظيمها للانقضاض على القسوى التقدمية _ اقول ان هذه الدعوة حركة استراتيجية غير مباشرة لانقاذ فلسطين وخلق وضع أفضل لحركة النضال من اجل تحريرها . فالوضع العربي عنسد ارسال هذه الدعوة كان وضعا خطيرا متناقضا من كل النواحي: القوى الثورية في الوطن العربي في نضال ضد القوى الرجعية المتحالفة مع الاستعمار في أجزاء اجنبية في داخل الوطن العربي ، القوى التقدمية الوحدوية في صراع داخل بعض الاقطار العربية ضد انظمة الحكم القائمة فيها ، القوى التقدمية والوحدوية متفككة ومنقسمة ، حتى الاحزاب التي ترفع شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية في صراع داخلي على السلطة . وحرب اليمن التي تعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ

الجزيرة العربية تمتص كثيرا من الطاقات الثورية والبناءة للجمهورية العربيسة المتحدة ، أما الحركة الناصرية الوحدوية الاشتراكية في المنطقة فقسد تعرضت لابشع عملية ارهاب وملاحقة الى ان اضحت في مطلع هذا العام عاجزة عن القيام بأي عمل ثوري حاسم .

وانني اختتم مقدمتي هذه بتوجيه تحية الشكر والاعجاب الى السيد الهيثم الايوبي الذي بذل جهدا واضحا في ترجمة هذا الكتاب المسكري الهام ووضعه في متناول القراء المرب .

اكرم عزة ديري

اول ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤

مقدمة المؤلف

لم تستطع القنبلة الهيدروجينية ايجاد الحل الاكيد الذي ينتظره الغربيسون الراغبون في ضمان أمنهم بشكل مطلق نهائي . كما انها لم تكن دواء ناجعا يقيهم من الاخطار التي تتهددهم . لقد زادت قوتهم الضاربة ، ولكنها زادت في نفس الوقت قلقهم ، وأثارت شعورهم بعدم الاطمئنان .

وفي عام ١٩٤٥ بدت القنبلة الذرية لرجال الدولة الفربيين ، وسيلة عملية للوصول بسهولة الى نصر سريع شامل واقامة سلم عالمي ، ويقول السير ونستون تشرشل «بأنهم فكروا في انهاء الحرب ومنع السلم للعالم ، ومد يد الخسلاص للشموب المعذبة بعرض قوة لا مثيل لها ، تتمثل في عدة انفجارات تؤدي السي تفريج كل آلامنا والاخطار التي تعرضنا لها» .

ويدل القلق الذي تعيشه شعوب العالم الغربي على عجز حكامها عن الوصول الى حل مشكلة ايجاد سلم قائم على مثل هذا النصر . لان انظارهم لم تتجاوز الى ما وراء الهدف الاستراتيجي المباشر «كسب الحرب» . واقتصر تفكيهم على ان النصر العسكري يضمن السلم . وهذا رأي يخالف أمثلة التاريخ . وهو في حد ذاته درس من أحدث الدروس الني تحتاجها الاستراتيجية العسكرية البحتية لتوسيع نظرتها وآفاقها ، وتصبح على مستوى «الاستراتيجية العليا» فيسي اعلى صورها .

كان البحث عن الانتصار في الحرب العالمية الثانية يعني الانسياق نحسو الماساة بدافع الخيلاء . وقد فتع تدمير قوى المقاومة الالمائية الطريق امام السيطرة السوفييتية في معظم القارتين الاوروبية والآسيوية . كما اتساح المجال لانتشار الحكم الشيوعي بشكل واسع في مختلف الاتجاهات . وكان من الطبيعي ان يعقب

الانفجارات اللرية التي انهت الحرب موجة تطوير للاسلحة المائلة فسي الاتحاد السوفياتي .

ولكن السلم الذي اعقب الحرب العالمية الثانية لم يقدم اي شعور بالطمانينة ، وتعرضت اعصابنا بعد ثمانية أعوام لاختبارات شاقة جدا . وزعزع انتاج الاسلحة النووية الحرارية كل شعور بالأمن لدى الشعوب «المنتصرة» وليت الامر ينتهسي عند هذا الحد .

اظهرت تجارب تغجير القنبلة الهيدروجينية اكثر من اي سلاح آخر ، كيف غدا قديما وباليا : مفهوم «الحرب الشاملة» كوسيلة ، ومفهوم «النصر» كفاية نسعى اليها . وقد اعترف بذلك كبار المسيطرين على القصف الاستراتيجي ، وقد صرح مارشال سلاح ،لطيران الملكي البريطاني سير جون سلبسبور «ان الحسرب التساملة كما عرفناها في الاربعين سنة الاخيرة ، غدت جزءا من الماضي ، . ، ان حربا عالمية تنشب في عصرنا الحاضر ، تعني الانتحار للعالم ونهاية المدنية كمسانعرفها» . ولقد تعرض قائد سلاح الطيران الملكي البريطاني الماريشال لورد تيدر لنفس الموضوع قبل ذلك ، وقال : ان هذا الراي عبارة عن «تأكيد واقعي وواضح لاحتمالات الموقف الراهن» وان «اية حرب ذرية ، لن تكون مبارزة بين طرفين ، بل انتحارا متبادلا» .

واضاف: «ان هذا احتمال لا يشجع على الهجوم». وقوله هذا غير منطقي لان مهاجما هادىء الاعساب يستطيع استغلال نفور خصمه من الانتحار اذا كان هذا الانتحار هو الرد الوحيد على خطر غير اكيد الوقوع. وهنا نتساءل ، هسل تستطيع حكومة مسئولة ، اتخاذ القرار باستخدام القنبلة الهيدروجينية للرد على هجوم غير مباشر ، او على كل هجوم مجلي او محدود ؟ وهل تتحمل اية حكومة مسؤولية البدء فيما يصفه قادة الطيران بأنه «انتحار» ؟. وهنا لا يسعنسا الا ان نقول : ان الخطر ماثل ، ولكن امكانية استخدام القنبلة الهيدروجينية بشكسل فوري أمر غير مؤكد .

آن الثقة التي وضعها رجال الدولة في دور هذا السلاح الرادع وهم وسراب، ولن يحمل الكرملين التهديد باستخدامه محمل الجد ، بعكس الدول الواقعة خارج الستار الحديدي ، او الشعوب القريبة من روسيا وقاذفاتها الاستراتيجية . والتهديد لحماية هذه الشعوب برد ذري يؤدي في النهاية الى تحطيم رغبتها في المفاومة . وخصوصا عندما تفكر في الاخطار الهائلة الناجمة عن آثار الانفجارات النووية والحرارية .

أن القنبلة الهيدروجينية تشكل عائقا لسياسة صد الخصم ؛ بــدلا من ان تكون عاملا مساعدا لها . وهي تحد فعلا من الاتجاه نحو الحرب الشاملة ؛ ولكنها تزيد احتمال وقوع «الحرب المحدودة» . التي تبدأ باعتداء غير مباشر ومحلي قد يمتد ويتسع ، ويستخدم المهاجم خلاله مختلف الوسائط والاساليب الهجوميسة الكفيلة بايصاله الى النتائج المطلوبة . بينما يبقى المدافع مترددا يتساءل : أيصد

المدوان بقنابل ذرية ام هيدروجينية .

وهكذا نجد انفسنا مقيدين بالاسلحة التقليدية «لدرء الخطر» وأيقافه ، وهذا لا يمني ضرورة ، استخدام الطرق التقليدية المروفة كما هي ي بل يحفزنا علسى دفعها الى الامام ، وتطوير الحديثة منها .

لقد دخل العالم في عصر جديد من عصور الاستراتيجية، يختلف كل الاختلاف عما افترضه انصار القوة الجوية اللرية «الثوريون» من أتباع العهد الماضي وسيطبق اعداؤنا استراتيجية مستلهمة من فكرة مزدوجة هي : تجنب الصدام مع قوة جوية متفوقة واجبارها على التجزؤ . ويلاحظ اي مراقب باستفراب ، أن ازدياد وتطور آثار التدمير الجماعية للاسلحة الحديثة ، يفسح المجال امسام استراتيجية حرب العصابات .

ينبغي ان تمتمد استراتيجيتنا على وعي جريء لهذا المفهوم . وهذا يعني ان سياستنا المسكرية في حاجة الى توجيه جديد . وهنالك امكانية موجودة ؛ وما علينا الا تطويرها للوصول الى استراتيجية قادرة على الوقوف امام الاستراتيجية المعادية . وهنا لا بد لنا من ان نذكر ان تدمير مدن معادية بقنابل هيدروجينية بعني تدمير «طابورنا الخامس» الذي يحتمل وجوده فيها .

هنالك راي شائع يقول: ان الطاقة الذرية ختمت مصير الاستراتيجية وهذا راي خاطىء لا اساس له . لان زيادة امكانية التدمير الى حد كبير ، والوصول بها الى درجة «الانتحار» تدفع الاستراتيجية الى الطرق غير المباشرة التي نعتبرها جوهر الاستراتيجية الاصلى ، الذي يطبع الحرب بطابع من الذكاء ويرتفع بها عن ان تكون صورة من صور استخدام القوة بشكل وحشي . وفي الحرب العالمية الثانية دلائل تشير الى الاتجاه نحو «التقرب غير المباشر» . لان دور الاستراتيجية في هذه الحرب كان اكبر من دورها في انحرب العالمية الاولى ، التسمى كانت الاستراتيجية العليا فيها معدومة . ويتحكم اليوم السلاح النووي الرادع بكل عمل ، ويفرض على المهاجمين تطبيق الاستراتيجية بمهارة تفوق ما كان مطلوبا في الناسي . ومن الضروري الحد من تأثير تقدم العدو بفهمنا اهمية الاستراتيجية ، التي نعتبر تاريخها وصفا لسلسلة حالات واقعية من الهجوم غير المباشر ودراسة تطورها .

ولم تكن دراستي لسلسلة من المعارك العسكرية ، وتوصلي الى ادراك تغوق الهجوم غير المباشر سوى مجرد عملية تسليط الضوء على الاستراتيجية ، ولقسد قادني التفكير العميق ، الى ان ميدان تطبيق الهجوم غير المباشر اكثر اتساعا مسن غيره ، فهو مبدا صالح لكل ميادين الحياة ، لانه حقيقة فلسفية يؤدي استخدامها الى النجاح العملي في جميع المجالات التي يلعب فيها العامل الانساني دورا هاما، قد ينبعث صراع ارادتين من مجموعة مصالح متشابكة مستورة ، ويثير هجسوم الانكار الجديدة المباشر في مثل هذه الحالات مقاومة عنيدة ، ويزيد صعوبسسة المكانية تعديل مواقف الآخرين ، بينما يمكن الاقناع بسهولة ، وسرعة اكبر ، ببث مستور للافكار الجديدة المعارضة معدعمها بحجج تلتف حول جوانب كل اعتراض،

والهجوم غير المباشر اكثر ضرورة في الميدان السياسي منه في الميدان الاجتماعي، كما أن أيحاء البائع للمستري بأن صفقته التجارية رابحة خير من النسطاء المباشر للشراء، ومن المعروف في كل مجال أن أسلم الطرق للحصول على موافقة الرئيس على فكرة جديدة ، اقتاعه بأن هذه الفكرة متلائمة مع مثله الاعلى ، أن الهدف في الحرب هو أضعاف مقاومة العدو قبل محاولة قهره والتغلب عليه ، وأفضل عمل يؤدي لهذا الغرض هو جذبه خارج نطاق دفاعاته .

وترتبط فكرة الهجوم غير المباشر ، بشكل دقيق ، بجميع القضايا الناجمة عن تأثير الفكر على الفكر ، ولهذا التأثير اعمق الاثر في اتجاه التاريخ البشري ، ولكن هذا التقرب لا يتلاءم مع مبادىء اخرى تبغي الوصول الى النتائج الحقيقية بالبحث عن الحقيقة مهما كانت نتائج هذا البحث صعبة وخطرة على مصالى الباحثين المتعددة .

لقد أبرز التاريخ دور «الانبياء» الرئيسي في مضمار التقدم الانسائي ، مما يبرهن على أهمية وفاعلية التعبير عن الحقيقة دون لف أو دوران ، أو قيسود وتحفظات ، ولكن تقبل وانتشار أفكار هؤلاء الانبياء ، متعلق دائما بنوع آخر من الرجال هم «القادة» الذين يتمتعون يصفات الفلاسفة والاستراتيجيين معا ، ويتقنون أيجاد الحل الوسط بين الحقيقة وأمكانية تقبل الناس لها ، وكما تأثر فغوذهم بحدود معرفتهم للحقيقة فقد تأثر أيضا بالشكل الذي اعلنوها به .

ان استشهاد الانبياء رجما بالحجارة هو نتيجة طبيعية تثبت انهم حقق ومهمته مهمتهم ، ولكن رجم قائد يعني بكل بساطة فشله في مهمته نتيجة زهبوه ، او خلطه بين مهمة القائد ورسالة النبي ، ويحكم الزمن وحدده اذا كانت هده التضحية يمكن ان تصلح فشل القائد ، ام تشرف الانسان ، ولكنها تبقى قادرة على منع القادة من الوقوع في الخطأ الشائع بينهم ، وهو التضحية بالحقيقة على مذبح تسيير الامور ، دون فائدة مجدية للمصلحة العامة ، اذ ينتهي كل من اعتاد مذبح تسيير الامور ، دون فائدة مجدية للمصلحة العامة ، اذ ينتهي كل من اعتاد اخفاء الحقيقة ، بغية تسهيل سير العمل القائم ، الى فقدان قوة وسلامة تفكيره .

هل هنالك طريقة للتوفيق بين تطور البحث عن الحقيقة ، وتقبلها من جانب الآخرين ؟ توحي ملاحظة المبادىء الاستراتيجية ان ايجاد حل لهذه المشكلية امر ممكن ، كما تدل على اهمية التمسك بالهدف بشدة ، ومحاولة الوصول اليه بالطرق الملائمة للظروف ، ومجابهة الحقيقة امر حتمي ، خاصة عندما تأخذ شكل فكرة جديدة ، كما ان القضاء على المقاومة امر سهل ، اذا فكرنا جيدا في الهدف وسبيل الوصول اليه ، ومن الحكمة تجنب الهجوم على موقع دفاعي مضى على تحصينه زمن طويل ، والبحث عن طريقة للالتفاف حوله بحركة من الجانب بحيث تعرض الجبهة الضعيفة لصدمة الحقيقة ، اذ ليس هنالك امر يقتل التقدم المجدي مثل الخطأ في السير نحو «اللاحقيقة» .

ويبدو معنى هذه الافكار لكل قارىء بوضوح يتلاءم مع تجربته الشخصية ، ولو نظرنا الى المراحل التي تمر بها الافكار الجديدة قبل تقبلها والتسليم بها ، لوجدنا أن انتشارها راجع الى عدم تقديمها كشيء جديد مبتدع ، وعرضها كانها

إحياء لمبدأ قديم ، او تطبيق عملي لشيء مألوف . وهذا لا يعني الرغبة في خداع الآخرين ، ولكنه يعني توجيه الاهتمام الى مجريات الامور «اذ لا جديسه تحت الشمس» . وهنالك مثل يبين كيف قضى أنصار استخدام الآليات على مقاومة معارضيهم ، باظهار العربات المدرعة والدبابات كوريثة للفارس المدرع ، وكواسطة تعطى للخيالة الامكانيات لتلعب الدور الحاسم الذي لعبته في الخاضي .

(ب. ه. ليدل هارت)

اقوال مأثورة في الحرب

«الحيلة اساس فن الحرب ، للنا ينبغي التظاهر بالعجز ، عندما تتوفر القدرة على الهجوم ، والتظاهر بعدم العمل ، عند الرغبة في استخدام الجيوش ، واقناع العدو بأننا بعيدون ، عندما نكون على مقربة منه ، وباننا قريبون ، ونحن بعيدون عند ، استخدموا الفخ لجلب العدو ، وتظاهروا بالفوضى ثم اسحقوه .»

«ليس في التاريخ مثال يدل على استفادة الدول من الحرب الطويلة الامد .» «أن من خاض غمار الحرب ، وعاش الامها ، قادر وحده على فهم طريقية خوضها بشكل جيد .»

«أقضل الاعمال ، تحطيم مقاومة العدو دون قتال .»

«أرفع أسلوب في فن القائلة ، هو احباط خطط العدو ، وأفضل الامور توقع مكان تجمعه ومهاجمة جيشه على أرض مكشوفة ، وأسوأ السياسات محاصرة المدن المحصنة .»

«يمكننا أن نلجاً في الحرب إلى الطرق المباشرة للسير نحو المعركة ، ولكسين الطرق غير المباشرة ضرورية للحصول على النصر .»

«اظهروا في بعض النقاط ليسرع العدو للدفاع عنها ثم سيروا بسرعة السبى نقاط لا ينتظركم فيها .»

«يمكنكم التقدم دون مقاومة تذكر ، أن سرتم نحو نقاط العدو الضميفة . كما يمكنكم الانسحاب بمامن من ملاحقته أن كنتم اسرع منه حركة .»

«يستطيع الجميع رؤية الخطة التكتيكية التي حققت النصر ولكنهم عاجزون عن رؤية الخطة الاستراتيجية التي تؤدي الى النصر .)

«التكتيك المسكري كالماء . ويخضع الماء لجراه الطبيعي ، اذ يتسرب منحدرا

من الاماكن العالية نحو المنخفضات . والامر مشابه في الحسسرب ، أذ نتجنب الموقع القوى بالهجوم على الموقع الضعيف .»

«يكيف الماء مجراه حسب الارض التي ينساب عليها ، ويؤمن العسكري النصر بطرق تتلاءم مع قوة العدو الذي يواجهه ،»

«ان استخدام الطريق الطويل المتعرج ، بعد اخراج العدو عن خط سيره ، وبلوغ الهدف قبله رغم الانطلاق بعده ، دليل على التمتع بحسن الحيلة ، والقدرة على المخاتلة .»

«سينتصر من اتقن فن الخداع ، لانه فن المناورة .»

«امتنعوا عن ملاقاة عدو يرفع أعلامه وراياته بكل نظام . وتجنبوا مهاجمسة الجيش المنتشر بنظام وثقة فوق مواقعه . فهذا هو فن دراسة الظروف .»

«اتركوا لجيش العدو بعد حصاره مخرجا حرا ، ولا تشددوا الضغط علسى عدو يائس .»

«السرعة روح الحرب . استفيدوا من عدم استعداد العدو ، واستخدمسوا طرقا غير متوقعة ، وهاجموا المواقع التي لا تحرس ،»

(سان تسي ٠ فن الحرب) عام ٥٠٠ قبل اليلاد

«ان اعظم وانجح انتصار هو ارغام العدو على التخلي عن مشروعاته وخططه، دون ان يتحمل الطرف الآخر أي أذى .»

(بیلیزیر)

«اننا نبلغ المباشر بطريق غير مباشر ٠٠

(شکسیم)

«فن الحرب عبارة عن دفاع مدروس وحدر جدا ، يعقبه هجوم سريسسع وجرىء ٠»

(نابليون)

«القوى المقل والدهاء آثارها في أي عمل عسكري ٠» (كلوزفيتس)

«يحصل القائد العسكري اللامع على النصر في حالات كثيرة أذا انتقى مواضع دفاعية تتمتع استراتيجيا بطبيعة هجومية تجبر العدو على مهاجمتها ٠» (مولتكه)

القسراكوول

الاستراتيجية من القرى الخامس قبل الميلاد الدالقرى الثاني عشر بعد الميلاد

الفصل لا ول

التاريخ تجربة عملية

«يقول الحمقى ، انهم لا يتعلمون الله من تجاربهم الخاصة ، أما أنا فأفضل الافادة من تجارب الآخرين .» قال بسمارك هذا القول المأثور الذي ينطبق تماما على المسائل العسكرية مثل انطباقه على الامور الاخرى . وهنالك نوعان مسسن التجربة «نظرية» و «علمية» .

وتلقى حكمة بسمارك ضوءا جديدا حول عدّه المسألة ، لانها تكشف نوعين من التجربة العملية ، هما التجربة المباشرة ، والتجربة غير المباشرة ، وقد تكون الثانية افضل من الاولى لانها اكثر ضعولا واتساعا ، وينطبق هذا الامر على كافة الامور العملية ، وعلى المخدمة العسكرية بشكل خاص ، لان حقل التجربة العملية المباشرة فيها محدود جدا وخلافا لمهنة الجندية ، تفسح مهنة الطب مثلا مجالا اوسع للتجربة الدائمة ، ومع ذلك يرجع أكثر الغضل في تقدم الطب والجراحة للعلماء والباحثين في المعامل والمختبرات لا تلاطباء العاملين في المهنة ،

والتجربة المباشرة محدودة بطبيعتها ، ولا تتيخ قاعدة متينة للعلم النظري او طبيقاته العملية ، ولكنها تخلق الجو الملائم لتثبيت ابة خطوة فكرية ، وتمتان المجربة غير المباشرة باتساع مجالها وتنوع أشكالها ، «التاريخ هو التجربية الشاملة» ، وليس التاريخ تجربة فرد واحد ، بل حصيلة تجارب عدد لا نهاية له

من الافراد الذين تعرضوا لظروف متنوعة . هذا هو الدافع الجوهري لاعتبار التاريخ العسكري اساسا للتدريب العسكري ، يحمل في طياته قيما عملية هامة لتتمية القادة العسكريين فكريا وفنيا . وتتعلق الفائدة من هذه التجربة وغيرها من التجارب بعوضوع الدراسة ، ومقدار شعولها واحتوائها على مختلف الحوادث والتجارب ، واسلوبها في معالجة التاريخ العسكري .

يعرف العسكريون قيمة قول نابليون المأثور: «تمتاز المعنويات في الحرب ، على القوة المادية ، بنسبة ثلاثة الى واحد» . وقد يرى البعض في هذه النسبة الحسابية مبالغة ، لان المعنويات تضعف بضعف الاسلحة ، كما ان الارادة القوية تصبح عونا ضعيفا لجسم قائد الحركة . ان المعنويات والقوة المادية في الحقيقة عاملان متلازمان ، يؤثر احدهما على الآخر . ومع ذلك يحتفظ قول نابليسون بقيمته لانه يعطى الافضلية للعوامل المعنوية في كل الانتصارات المسكرية ، ولان نتائج المركة والحرب تقوم عليها . وتشكل المعنويات في تاريخ الحروب معطيات دائمة لا تتفير قيمتها الا قليلا ، على حين تختلف العوامل المادية اختلافا جوهريا في كل معركة ومع كل وضع عسكري .

يؤثر عدا المبدأ على المسائل التي ببحثها التاريخ المسكري بفية الافادة منها عمليا . ولقد درجت الاجيال الاخيرة ، على اختيار معركة او معركتين لتحليلهما بكل عمق ، واستخلاص عناصر التدريب ، واسس النظريات العسكرية منهما ، فلو اكتفينا بهذه المنطلقات الضيقة رغم تطور الوسائط العسكرية باستمرار ، من حرب الى اخرى ، لتعرضنا لخطر الانزلاق الى الاراء المحدودة والدروس الخاطئة، خاصة وأن الوسائط والظروف المادية متبدلة على الدوام .

وعلى العكس ، تتبدل انعكاسات الطبيعة البشرية امام الخطر بدرجة قليلة . وقد يظهر بعض الرجال أقل تأثرا من غيرهم ، بغضل الوراثة أو البيئة أو الثقافة ولكن يبقى هذا الاختلاف مجرد تفاوت في الدرجة لا في النوع . وكلما حددنا الوضع بدقة ، وزاد عمق بحثنا ، وجدنا هذا التفاوت في الدرجة غريبا لا يخضع لحساب . وقد يمنع هذا الامر التقدير الصحيح لمقاومة رجال معينين في وضع معين . ولكن هذا لا يمنعنا من معرفة أن مقاومتهم الدفاعية عند الهجسوم المباغث أقل من مقاومتهم لهجوم منتظر ، وأن تحملهم للمكاره في حالة الجسوع والتعب أقل من تحملهم في حالة الراحة والتغذيسة الحسنة . وكلمسا كانت الاختبارات النفسية واسعة النطاق كلما استطعنا اجراء الحسابات واستخلاص النتائج بدقة أكبر .

يؤدي ثبات العامل النفسي ، وتفوقه على العامل المادي، الى استنتاج نظريات للحرب تعتمد بالضرورة على نتائج تحقيقات واسعة قدر الامكان ، او معرفة عميقة بتاريخ الحروب . اما دراسة معركة واحدة بتعمق فيوقعنا في كثير من المفالطات. ولكن اذا ما ظهر لنا ارتباط اثر معين بسبب محدد وفي حالات واقعية كثيرة في عصور مختلفة وظروف متنوعة ، اعتبرنا هذا السبب عاملا خاصا محدنا في كل

نظرية من نظريات الحرب ،

وهذا الكتاب هو خلاصة تحقيقات وتحليلات مماثلة واسعة النطاق قمت بها . ولقد تكونت عندي خلال البحث فكرة كانت تزداد رسوخا في ذهني وهسي أن الحروب المحاسمة نادرة الوقوع . وما وقع منها ناجم عن استخدام احد الطرفين المتنازعين طرقا غير مباشرة ، ادت الى الهجوم على الخصم ، والوصول اليه فجاة وقبل أن يتهيأ لمواجهة مصيره .

وكان الاسلوب غير المباشر ماديا احيانا ونفسيا دائماً . وهكذا فالطريق الطويل المتعرج في الاستراتيجية هو اقصر الطرق لبلوغ الهدف .

ثم تأكد عندي هذا المبدأ باستمرار . وأصبح من الواضح أن هجوما مباشرا لهدف فكري أو مادي ، ومنطبقا على «الخط المحتمل (۱)» للخصم لا يعطى الا نتائج سلبية ، ولقد عبر نابليون عن ذلك بطريقة أخرى عندما قال : «أن أهمية العامل المعنوي بالنسبة للعامل المادي هي ثلاثة ألى وأحد» ، ويمكن التعبير عن ذلك بطريقة عملية بقولنا : تستند قوة البلد أو قواته المسلحة على موارده وتعداده التي تتعلق بدورها على استقرار الادارة والقيادة ، على معنويسات الوحدات وإمداداتها .

وهكذا يؤدي التحرك على «الخط المحتمل» للخصم ، اي اتخاذ وضع يتوقعه، الى تعزيز توازنه وزيادة قوة مقاومته . فغي الحرب كما في المصارعة ، يضعف المهاجم وتضمحل قوته ، ان حاول ايقاع خصمه مع المحافظة على توازنه وموضعه ويزداد هذا الضعف كلما زاد الجهد المبذول للثبات في المكان بدون مبرر . ويتعذر النصر بهذه الطريقة الا اذا كان هناك تغوق كبير في احد مصادر القوة ، ومع ذلك يبقى النصر غير حاسم . لقد كان تحطيم توازن العدو النفسي والمادي في أغلب المعارك مقدمة ضرورية قبل محاولة افنائه ، وهذا مبدأ لا يجب تجاهله .

ينجم هذا التحطيم عن هجوم استراتيجي غير مباشر ، سواء اكان هذا الهجوم متعمدا ام وليد الصدفة ، وللهجوم غير المباشر أشكال متعددة ، ولكنه ياخذ أبعادا اوسع واشمل اذا ما تضمن «المناورات على المؤخرات» التي يصفها الجنرال كامون في دراسته ، بأنها كانت الهدف الثابت لنابوليون ، ومفتاح اسلوبه في قيادة العمليات ، ويهتم كامون اهتماما خاصا بحركات الامداد والتموين ، وعوامسل الزمن ، والواصلات ، واتساع دائرة العمل ، ولكن تحليل العوامل النفسية يلقي ضوءا كافيا على وجه الشبه بين كثير من العمليات الاستراتيجية التي لا تشبسه المناورة على المؤخرات ، ولكنها امثلة حية نموذجية «لاستراتيجية الهجوم غسير الماشر » .

ا ... النعبير في الاصل الانجليزي هو «Line of Natural expectation» ويقصصه به الطريق الذي يتوقع الخصم أن يتبعه عدوه لتقديره أنه أكثر الطرق احتمالاً أن لم يكن أكبداً . الأمر الذي يؤدي إلى تركيز انتباهه وقود عليه . «المرب»

وليس من الضروري مقارنة القوى العددية وعرض تفصيلات مشاكل النقل والتموين ، لمعرفة اصل هذا التشابه ، وتحديد طابع هذه العمليات ، لان غابتنا التوصل الى نتائج تاريخية بدراسة سلسلة من الوقائع الواضحة ، وتمحييص العمليات الادارية والمعنوية التي كانت سبب وقوعها .

ویدل ظهور آثار متماثلة من مناورات متماثلة واقعة في ظروف مختلفة في طبیعتها ، وأبعادها ، وزمن وقوعها ، على ان بین هذه المناورات تشابها وصلة، كما یدل على وجود مصدر مشترك یؤدي الى كل هذه الآثار ، وكلمسا اختلفت الظروف وتبدلت ، زادت الثقة في صلاحية هذا الراى .

ان الدراسة العميقة للحروب نقط لا تعني البحث عن عقيدة جديدة حقيقية ، لان وضع اسس نظرية للحرب يحتاج الى فحص واسع دقيق لأمور عديدة اخرى. وهذا الفحص ضروري لكل باحث عسكري يهتم بتنمية فكره ، وتوسيع نظرت الشخصية للامور ، وإلا غدت معرفته في مجال الحرب قلقة كهرم يرتكز على قمته.

الفصلالثاني

الحروب الاغريقية ايبامينونداس ، فيليب ، الاسكندر المقدوني

يمكن البدء بدراسة الصراع المسلح ابتداء من «الحرب الكبيرة» في التاريخ الأغربقي ، وهي الحرب في ميديا . على اننا لا نأمل استنباط كثير من الدروس في فترة الطفولة الاستراتيجية هذه ، برغم ان اسم ماراتون محفور جيدا فسي مخيلة المؤرخين ، ومرسوم في اذهان اليونانيين بدرجة اتسمت بالمبالغة وهسم مبالغة انتقلت من الاغريق الى الاوربيين في العصور التالية . ومع هذا فسان النظرة المجردة تبين ان لماراتون معنى استراتيجيا عميقا . كان الاجتياح الفارسي في عام . ? ؟ (ق.م) عبارة عن هجوم قليل المدى ، محدود الاتساع ، غابته تلقين ارتيري واثينا (المدينتين اليونانيتين الضميغنين) درسا قاسيا ، وإجبارهما على الاهتمام بشؤونهما الخاصة ، بدلا من دفع الرعايا اليونانيين في آسيا الوسطى الثورة ضد الفرس . وتم تدمير اريتري وتهجير سكانها الى الخليج العربي ، تم جاه دور اثينا ، وكانت جماهيها الشعبية تنتظر التدخل الفارسي ليدعم موقفها ضد طبقة النبلاء .

وبدلا من السير مباشرة نحو أثينا أنزل الغرس جنودهم في ماراتون ، في

ونجحت خطة الفرس . وسار جيش الينا نحو ماراتون لمقابلتهم ، واستمد الفرس عندئذ لتنفيذ القسم الثاني من مخططهم الاستراتيجي ، فأعادوا تحميل معظم قواتهم على السفن تحت حماية مفرزة من الجند ، بفية التوجه الى فالير والقيام بانزال القوات هناك لتتجه بعد ذلك الى اثينا التي حنت من حاميتها .

ولكن ميلسياد هاجم بعنف ودون انتظار مفرزة التغطية الفارسية ، وانتصر بغضل قوة دروع اليونانيين وطول رماحهم ، وهي ميزة كانت دائما مصدر تغوق اليونانيين على الفرس ، وكانت المعركة قاسية مريرة لكلا الطرفين ، بعكس ما تحاول الاساطير اليونانية اظهارها به ، واستطاع القسم الاكبر من المفسرزة الفارسية الانسحاب والالتحاق بالاسطول الفارسي ، وعاد اليونانيون فورا نحو عاصمتهم ، وتم انقاذ العاصمة بفضل سرعتهم وتردد الجماهير التي فقدت الامل فلم تقدم على مساعدة الفرس ، ولما وصل الخبر الى الفرس وجدوا انفسهسم مضطرين لحصار المدينة ان ارادوا احتلالها فنشروا قلوعهم عائدين الى آسيا ، خاصة وان داريوس (۱) لم يجد هذه الحملة التأديبية أهلا لتضحيات باهظة .

ولم يقم الفرس بجهد جديد ضخم الا بعد عشر سنوات . وكان اليونانيسون بطيئين في استفلال الدرس الذي لقنه لهم الفرس ، فلم يقرروا تقوية الاسطول الا في عام ٨٧٤ (ق.م) . ولقد اثبت هذا الاسطول فيما بعد انه عامل حاسم ، قادر على تحقيق توازن القوى بتفوق بحري يعادل التفوق البري الفارسي . وتؤكسه الحقائق التاريخية ان سبب انقاذ اثبنا واوربا من خطر غزو جديد سريع ، يعود الى انشغال الفرس من عام ٤٨٦ الى عام ٤٨٤ (ق.م) بثورة في مصر ، ووفاة داريوس اعظم ملك فارسي في عصره .

وفي عام 801 (ق.م) ظهر الخطر من جديد ولكن على مستوى اكبر . وكان مشروع الغزو كبيرا لدرجة جعلت كسيركسيس (٢) ملك الفرس يثق كثيرا فسي قوته ويستخدم الهجوم المباشر ، كما اجبرت جميع المدن اليونانية على الاتحساد لصده . وكان الجيش الفارسي اكبر من ان ينقل بحرا ، فقسرر كسيركسيس

ا .. داريوس الاول : ملك الفرس من ٢١٥ الى ٨٦] (ق.م) .

٢ - كسيركسيس الاول: ملك الغرس من ٨٥٤ الى ٢٥٥ رق،م ابن داريوس الاول وهو اللذي استطاع اخماد الثورة في مصر ثم حاول تطبيسيق مخطط اليه نسد الاغريق وتتايمت التصاراته حتى معركة سالامين . «المرب»

سلوك الطريق البري ، كما قرر استخدام الاسطول في التموين ، لان تموين جيش كبير بوسائطه المباشرة من البلاد التي يمر بها ، امر منعذر . وهكذا ارتبط الجيش بالشاطىء وارتبط الاسطول بالجيش ، وغدا كل منهما خاضعا للاخسر فعرف اليونانيون بذلك اتجاه الهجوم الذي سيسلكه عدوهم بصورة أكيدة .

وقد اتاحت طبيعة البلاد لليونانيين سلسلة من المواقع تمكنهم من الدفاع عنها بصلابة وإيقاف كل تقدم على محود الهجوم . ويقول غروندي : لو تمكسون اليونانيون من انهاء سوء التفاهم والاختلافات فيما بينهم لما استطاع المهاجمون الوصول الى تيرموبيل ، وعلى كل حال سجل التاريخ قصة خالدة عندما استطاع الاسطول اليوناني تفتيت قوى الفزو نهائيا بضرب الاسطول الفارسي في سالامين، بينما وقف كسيركسيس وجيشه على البر ينظرون مكتوفي الايدي الى عمليسسة تحطيم اسطولهم الحربي ووسيلتهم الاساسية للتموين .

ويعود نجاح هذه المركة البحرية الحاسمة الى حيلة هي في حد ذاتها أسلوب من اساليب الهجوم غير المباشر . اذ وجه تيمستوكل (٢) الى كسيركسيس خطابا يبلغه فيه استعداد الاسطول اليوناني للانضمام اليه. وخدعت الحيلة كسيركسيس وصدق الامر ودفع بالاسطول الفارسي في ممرات ضيقة فأفقده قيمة تفوقسه المددي . ولقد أوحى الى تيمستوكل بفكرة الخطاب خوفه من انسحاب حلفائه أهالي البيلوبونيز من سالامين كما جاء في اقتراحهم خلال المؤتمر الحربي الكبير الذي سبق المركة ، وتركه وحيدا أمام قوة الفرس القادرة على سحقه في عرض البحر بفضل تفوقها المددى .

وارتفع في معسكر الفرس صوت واحد يعارض رغبة كسيركسيس الداعية للدخول في المعركة وهو صوت الملكة اختيميز ملكة اليكارناس التي اصرت علسي استخدام مخطط آخر يتضمن الفاء الهجوم المباشر والاعتماد على مناورة الاسطول بالتعاون مع القوات البرية في حركة تنجه نحو البيلوبونيز لان تهديدا كهذا يجبر اسطول البيلوبونيز على الاتجاه بسرعة نحو الجنوب مما يؤدي الى تفريق قسوى اسطول المدن اليونانية المتحدة .

وكانت هذه الفكرة سليمة ، كما ان شكوك تيمستوكل في حلفائه كانت قوية ، واستعدت سفن البيلوبونير للانسحاب في صبيحة اليوم التالي ، الا ان سفن

٣ - تيمستوكل: قائد وسياسي أثيني ولد في أثينا حوالي عام ٢٥ (ق.م) ومات عام ٢٠٥ (ق.م) وهو رئيس الحزب الديموقراطي ، ولقد نصح الاثينيين بأن يوجهوا كل اهتمامهسسم الى البحر ، وعارضه رئيس حزب النبلاء فتفاء وبني ميناء بيريه وأسس أسطولا كبيراً كان له الفضل الاول فسي التصار سلامين البحري ثم قام خصومه السياسيون بمناورات ضده وأتهموه بعدة أتهامات نفي على أثرها من البلاد ، ولكنه قر من المنفى وعرض نايه ملك الفرس أرتاكسيركيس رأتبا كبيراً فرفض خيانة وطنه وانتحر بالسم ٢٠٠٤ (ق.م) ، «المرب»

الفرس سدت في وجهها جميع النافد الى عرض البحر ، وأخذت وضع الانطلاق الهجوم .

وسار الهجوم منذ بدايته في غير صالح الهاجمين ، اذ انسحبت مفررة يوناقية فجذبت خلفها الاسطول الفارسي الثقيل مما افقده ترتيبه فدخل المركة في وضع غير ملائم . ولما توغل المهاجمون في الممرات المائية الضيقة انسحبت المراكب اليونانية ، وأسرعت المراكب الفارسية للحاق بها ، فتكدست في كتل متراصة ، وتعرضت بذاك الى الهجوم اليوناني المضاد على مجنبتها .

ولعل امتناع الغرس عن التدخل في شؤون اليونان بعد هذه المركة ، مدة سبعين عاما ، راجع الى قدرة اليونانيين على القيام بهجوم غير مباشر على شكل تهديد مواصلات خصومهم . ويؤكد هذه الفكرة ، ظهور وضع مشابه بعد تدمير اسطول اثبنا امام سيراكوز في صقلية .

واذا حللنا التاريخ وجدنا ان استخدام الحركة الاستراتيجية في البحر بغية الجراء هجوم غير مباشر اقدم من استخدمها في الحروب البرية . ويمكن تفسير ذلك ، بأن الجيوش البرية لم تستقل عن «خطوط مواصلاتها» للامداد والتعوين الا بعد فترة طويلة . اما الاساطيل فمن طبيعة عملها القيام بعمليات على خطسسوط المواصلات البحرية وطرق تموين البلاد المعادية .

وقد ادى انتصار سالامين الى زوال الخطر الفارسي ، وسيطرت اثينا على كل المدن اليونانية ولم تنته هذه السيطرة الا في حرب البيلوبونيز (٣١) - ٤٠٤ ق.م) التي كانت حربا ساحقة ، لم تلحق الدمار بالخصم فحسب ، بل الحقته بحلفائه والمحايدين ، ويرجع طول مدتها البالغة ٢٧ سنة الى عدم استقـــرار الاستراتيجية الناجم عن عدم فعالية الخصمين ، وانعدام الاهداف المحددة بدقة. حاولت اسبارطة وحليفاتها في المرحلة الاولى اجتياح بلاد الاتيك بصــورة مباشرة ، ولكن بيريكليس (٤) منع ذلك ، مستخدما سياسة حربية تتلخص فــي تجنب الاشتباك البري بغية استخدام التفوق البجري اليوناني بشكل افضل ، وقتل رغبة العدو الهجومية بسلسلة من الاغارات التخريبية ، ورغم شهــرة «استراتيجية بيريكليس» مثل «استراتيجية فابيوس» («) التــي جاءت بعدها ، فانها لا تعطي سوى فكرة تقريبية عن شكل هذه الحرب ، وللدقة في اختيـــاد

٤ - بريكليس : رجل دولة في اثينا اصبح في ٥٩١ (ق٠٠) منافسا لسيمون ورئيسا للحـزب الديموتراطي ، وكان له على مواطنيه تأثير كبير لمسلحتهم ، وبعد موت سيمون وضع علـــى أسس متينة القرة البحرية والاستعمارية الاثينية ، ودخل في حروب عدة وأحرز انتصارات مختلفة وكان عصره من أزهر عصور اليونان . قالمرب»

و ـ قابيوس : غين حاكما مطلقا في ٢١٧ (ق.م) واستطاع بتكتيكه الحدر وقف تقدم هاتيبال.
 ولكنه لم يستطع متع ممركة (كان) التي انهزم فيها الرومان بسبب مقاومة حزب الشعب له .

الالفاظ نقول: أن كلمة «استراتيجية» تعني أصلا استخدام القوات المسلحة أو الوسائط العسكرية البحتة ، بينما تعني «سياسة الحرب» تحديد اتجاه الوسائط العسكرية وتأمين توافقها مع الوسائط الاخرى، الاقتصادية والسياسية والمعنوية . ومن وليست سياسة الحرب سوى «استراتيجية عليا» على مستويات كبيرة . ومن هنا نستنتج أنه لا يمكن اعتبار مخطط بيريكليس «هجوما غير مباشر» يهدف السي تحطيم توازن الخصم للوصول الى نصر حاسم ، بل على المكس يمكن اعتباره نابعا من استراتيجية عليا هدفها تفتيت قوة العدو باستمرار حتى يصل الى الاعتقداد بأنه عاجز عن القيام بعمل يغيده .

وشاء سوء حظ اثبنا ان ينتشر وباء الطاعون في المدينة ، مما ادى الى انهيار المخطط الذي يعتمد على التخريب المعنوي والاقتصادي للعدو . وفي ٢٦٤ (ق٠٩) اعطت استراتيجية بيريكليس مكانها لاستراتيجية الهجوم المباشر ، التي نادى بها كليون وديموستين وهي سياسة اكثر كلفية واقل نتيجة ، رغيم الانتصارات التكتيكية الباهرة التي تتخللها . وفي بداية شتاء ٢٤٤ (ق٠٩) انتسزع برازيداس الاسبارطي (١) ، دفعة واحدة ، كل الميزات التي حصلت عليها الينا حتى ذليك الوقت بشق الانفس ، عندما قام بحركة استراتيجية تهدف الى اجتثاث «جذور» قوة اثينا لا مجرد قطع «جذعها» .

تجاوز برازيداس المدينة المعادية دون ان يبدي نحوها اي اهتمام ، وسسار بسرعة نحو الشمال مخترقا بلاد اليونان كلها . وانقض على كالسيديك احسدى مستعمرات اثينا ، التي كانت تدعى بحق «عقب اشيل» (٧) امبراطورية اثينا . وجمع برازيداس الضغط العسكري الى الوعد بالحرية والحماية لجميع المسدن الراغبة في التخلص من وصاية اثينا . فهز بذلك قوة اثينا في كالسيديك لدرجة كبيرة . وأصيب جيش اثينا في امفيبوليس بهزيمة نكراء . ولكن برازيداس مات لحظة انتصاره ، فحصلت اثينا على فترة من السلم المؤقت مع إسبارطة .

وفي سنوات السلم الكاذب التالية وجهت اثينا عسدة حملات لاستسرداد كالسيديك دون جدوى . ثم قامت بعملية ضد سيراكوز مفتاح صقلية التي كانت مصدر الموارد التعوينية للاسبارطيين وبلاد البيلوبونيز . واظهرت هذه العملية ، التي تعتبر من الاستراتيجية العليا للهجوم غير المباشر ، خطأ الهجوم على شريك العدو الاقتصادى بدلا من مهاجمة حليفه الحقيقي . اذ ادى هذا الهجوم السسى

٦ - برازیداس : قائد اسبارطی انتصار علی المیونان فی امغیبولیس ثم قتل یوم انتصاره فی
 ۲۲۶ (ق.م) - «المرب»

٧ ـ عقب أشيل: تعبير يقصد به نقطة الضعف في قوة ما ، وأصل التعبير راجع الى الياذة هوميروس التي تذكر: أن أم أشيل أمسكته من عقبه وغمرته بماء النهر المقدس فغدا جسمه محصنا من الاصابة الا عقبه الذي لم يغمر ، وفي معركة حصار طروادة أصابه سهم مسموم في عقبه فمات، «المرب»

انضمام قوى وطفاء جدد الى معسكر اسبارطة ، بدلا من اجبارها على توزيسع قواتها كما كان متوقعا .

ومع ذلك ، فان نجاحا اقتصاديا ومعنويا كهذا كان قادرا علمي قلب ميزان القوى في الصراع ، ولو لم يرتكب الالبنيون اخطاء فاحشة عند التنفيذ ، ومس اهمها عزل السيبياد (٨) واضع الخطة الاصلية من القيادة نتيجة مناورات خصومه السياسيين ، وبدلا من العودة الى البنا والمثول امام المحكمة بتهمة دينية جزاؤها الاعدام ، هرب السيبياد الى اسبارطة حيث قدم النصح الاعدائه السابقين ، ودلهم على التدابير الضرورية الحباط مخططه . ولم ينته الامر عند هذا الخطأ ، بسل كلفت اثبنا نيسياس اشد العارضين اصلا لهذا المخطط ، القيام بتنفيذه ، وكان رحلا عنيدا أحمق ففشل .

وهكذا فقدت البنا جيشها قرب سيراكوز ، ولكنها بقيت قادرة على تفادي الهزيمة على ارضها بفضل استخدام اسطولها بشكل جيد ، قدخلت في حسوب بحرية دامت تسع سنوات وبدات تنتزع السلم لمصلحتها وتسترد امبراطوريتها السابقة ، حتى جاء الاميرال الاسبارطي ليزاندر (١) فدمر الآمال الجديدة لأثينا في ٥٠٤ (ق٠٠) .

والدراسات التاريخية القديمة في جامعة كميردج تذكر عنه بهذا الصدد ما يلي : «كانت خطته في الحرب تقوم على تحاشي القتال ، والانسحاب امسام الاثينيين ، ثم ازعاجهم وبلبلتهم باستمرار بضربهسم في النقاط الحساسسسة لامبراطوريتهم » .

ويبدو القسم الاول من هذا القول بعيدا عن الصحة ، اذ لم يحاول ليزانفر في خطته تحاشي المعركة ، ولكنه حاول التقرب منها بشكل غير مباشر ، فما أن وجد الوقت ملائما والظروف مساعدة حتى اندفع الى القتال ، وفي يده كسل امكانيات النجاح . لقد قام الاميرال الاسبارطي بتبديل اتجاه حركته بشكسسل مستمر ، حتى خدع خصومه ووصل الى مدخل الدردنيل فكمن هناك منتظسرا مرور القافلة البحرية التي تحمل حبوب شواطىء البحر الاسود الى اثيتا ، وكان التموين بالحبوب بالنسبة لاثينا مسألة حياة او موت ، وهنا اسرع قادة الاسطول الاثيني بارسال ١٨٠ مركبا لحماية القافلة، وحاولوا خلال اربعة ايام ارغام ليزاندر على الاشتباك في القتال ولكن دون جدوى ، وبذل ليزاندر قصاري جهسده

A - السيبياد: قائد أثيني ماهر طموح وبدون مثل عليا (٥٠٠ - ٤٠٤ ق٠٠) كان تلميط سقراط المغضل ثم غدا رئيسا للحزب الدبموقراطي فقام بمفامرة ضد صقلية ١١٥ ق.م ثم عزل لانه أهان تمثال هيرميس المقدس ، ثم سافر الى اسبارطة وبعدها صالح أثينا ثم طرد منها ثانية ومات مقتولا في المنفى . «المعرب»

٩ ــ ليزاندر: قائد اسبارطي هزم الاثينيين واحتل اثينا في ١٠٥ ق.م ثم قتل في ٣٩٥ ق.م
 وكان ماهرا قويا بارعا حتى لقد كان يقال عنه أنه كان ثويا كالاسد ماكرا كالتعلب . «المحرب»

ليقنعهم بأنه واقع في الفخ لا محالة ، واقتنعوا بذلك فلم يلجأوا الى مرفسسا سيستوس للقيام بالتموين ، بل وقفوا في مقابله في مضيق ايغوس بوتاموس . وفي اليوم الخامس نزلت اكثر العناصر الى البر لجمع المؤونة ، فاندفع ليزاندر مهاجما بمراكبه واسر معظم أسطول أثينا . وكانت ساعة واحدة كافية لوضع حد لاطول الحروب .

وهكذا يمكنا ان نرى الفشل الذريع ، والخسارة الفادحة ، لكل محاولات الهجوم المباشر خلال هذه الحرب التي دامت ٢٧ عاما ، والتي تقرر خلالها مصير اثينا نهائيا بفضل مناورة برازيداس ضد چذور القوة في كالسيديك . اما امل اثينا الوحيد لقلب الموقف فكان ماثلا في التقرب غير المباشر الذي حاوليه السيبياد، على مستوى الاستراتيجية العليا ، ضد «جذور» اسبارطة الاقتصادية في صقلية ثم تبدد هذا الامل وفر السيبياد ، وجاءت الضربة النهائية على البحر بعد . ا سنوات من الصراع ، بفضل هجوم غير مباشر تكتيكي ناجم عن هجوم غير مباشر استراتيجي ، على مستوى الاستراتيجية العليا ، لان الفرصة التكتيكية نفسها جاءت من جراء تهديد خط المواصلات «الوطنية» لاثينا ، لقد اختار ليزاندر هدفا اقتصاديا مكنه من تدمير قوة عدوه ، ثم استغل الخوف والتوتر اللذيبين اجتاجا اثينا بعد هذه الموقعة ، وخلق منهما ظروفا ملائمة للمفاجأة ، والحصول على نصر عسكري سريع .

كان سقوط امبراطورية اثينا بداية مرحلة جديدة في تاريخ اليونان ، تمتاز باحتلال اسبارطة سدة الرئاسة بين بقية المدن اليونانية . فما هي العوامل التي اثرت بعد ذلك على مصير اسبارطة وانهت تفوقها ؟؟ ان العامل الاساسي ولا شك كان ظهور القائد ايبامينونداس (١٠) وتفوقه في فن الحرب . وفي السنسوات التي سبقت ظهوره تخلصت طيبة من وصاية اسبارطة باستخدام الطريقة المسماة «استراتيجية فابيوس» التي تعتمد على تجنب الاشتباك في معركة . وهي في حد ذاتها استراتيجية عليا للهجوم غير المباشر ، وفي الوقت نفسه ، استراتيجية بسيطة لتحاشي الاصطدام . وفي هذا الوقت كانت جيوش اسبارطة تطوي بلاد بسيطة لتحاشي الاصطدام . وفي هذا الوقت كانت جيوش المبارطة تطوي بلاد بيوسيا دون ان تلاقي مقاومة جدية . مما اعطى طيبة الوقت الكافي لتحضيم مجموعة من العناصر الممتازة المختارة ، عرفت فيما بعد باسم الكتيبة المقدسة ، وغدت بمثابة راس الحربة في جيشها .

ولقد ادت هذه الطريقة الى زيادة رغبة المدن الواقعة تحت وصاية اسبارطة في التخلى عن سيادتها . كما استطاعت اثينا آنذاك استخدام كل امكانياتها لبناء

١٠ - ايبامبنونداس : قائد وسياسي طيبي ولد عام ١٨ ١٥ ق.م) وهو احد زعماء الديموتراطية
 في طيبة انتصر في لوكتر ومانتينيه ضد اسبارطة ثم مات من جرح في المعركة الاخيرة في ٣٦٢ ق.م)
 وبوقاته زالت عظمة طيبة . «المعرب»

الاسطول بعد أن تخلصت قواتها البرية من الضغط الواقع عليها . حتيى أن الاتحاد الاثيني الذي دخلت فيه طيبة وجد في ٣٧٤ (ق.م) أن اسبارطة مضطرة لقبول صلح لا يؤمن مصلحتها .

ولقد خرقت إثينا هذا الصلح بعد قليل وقامت بعملية بحرية ، ولما تعبت من الحرب بعد ٣ سنوات ، وعادت لتحضر مؤتمر صلح جديد ، وهنا ربحت اسبارطة على مائدة المفاوضات ما خسرته في حقل المعركة ، واستظاعت عزل طيبة عسن حليفاتها . ثم استعدت لمهاجمتها بشكل محموم . وفي ٣٧١ (ق.م) دخل جيش اسبارطة بلاد طيبة وكان آنذاك متفوقا بالخبرة والعدد (١٠ الاف رجل مقابسل ٢ الاف) ، ولكنه أندحر في لوكتر بشكل حاسم عندما قابله جيش طيبي جديد التشكيل بقيادة ايبامينونداس ، الذي اهمل نهائيا جميع الطرق التكتيكيسة القديمة ، ووضع اسسا جديدة للتكتيك والاستراتيجية ، والاستراتيجية العليا ، بني عليها القادة بعده فنا حربيا حديثا . كما عاشت التشكيلة القتالية التي وضع اسسها مدة طويلة بعده . ولقد تبني فريدريك الثاني بعد ذلك بعدة قرون طريقة ايبامينونداس واستخدم تكتيك «الترتيب المائل» فحصل على النصر . وضعها ايبامينونداس في معركة لوكتر معظم قواته واكثرها استعدادا على جناحه الإيسر، ونسط مخالفا بذلك القواعد التقليدية ، وترك قلبه وجناحه الإيمسن ضعيفين نسبيا ، فحصل بذلك على تفوق ساحق مقابل احد اجنحة العدو الذي يقف فيه قادتهم وتستند اليه تشكيلانهم .

وفي السنة التالية تبوا ايبامينونداس قيادة قوات جامعة بلاد اركاديا المشكلة حديثا ، وسار نحو اسبارطة التي لم يدخلها احد حتى ذلك الحين ، محتازا بذلك بلاد البيلوبونيز التي كانت منطقة تابعة لاسبارطة منذ امد طويل . ويمتاز هسذا التقدم باستخدام الهجوم غير المباشر بشكل متنوع ، اذ تم تنفيده شتاء على ثلاثة ارتال متفرقة ومتجهة لهدف واحد ، مما خدع العدو وبلبل افكاره فلم يعرف اتجاه واهمية الخطر . وهذه حالة لا مثيل لها تقريبا في الحروب القديمة والحديثة حتى ظهور نابليون .

اما حسه الاستراتيجي السليم فبدا بكل وضوح عندما جمع فواته في كارغ على بعد ٢٠ ميلا من اسبارطة ، والتف حول العاصمة واتجه اليها من مؤخرتها، مما أعطاه مزايا كبيرة منها امكانية ضم أعداد كبيرة من شعب الإياوت والشعوب الاخرى الى صفه . فأسرع الاسبارطيون لايقاف هذه العملية الخطرة التي ترمي الى تفتيت الوحدة الداخلية ، ووعدوا بالحرية جميع الشعوب الراغبسة فيها . ووصلت النجدات من حلفاء اسبارطة في بلاد البيلوبونيز في الوقت المناسب ، فانقذها ذلك من الانهيار واصبح احتلالها بحاجة الى حصار كامل .

ادرك ايبامينونداس بسرعة أنه لن ينجع في جذب جيش اسبارطة الى الارض المكشوفة ، وأن تطويق المدينة مدة طويلة يؤدي الى اضعاف قوته غير المتماسكة تماما ، فترك السلاح الاستراتيجي البالي ليستخدم سلاحا أشد مضاء ، وهو

استراتيجية الهجوم غير المباشر . فأسس في مون ايتوم (حصن مسينا الطبيعي) مدينة اصبحت فيما بعد عاصمة دولة جديدة ، ووضع فيها جميع العناصر الناقمة على اسبارطة والموالية له ، وجمع الغنائم والمؤن المستولى عليها خلال الغزو وزود بها الدولة الحديثة ، كي يستطيع في المستقبل ممادلة قدرة اسبارطة في جنوب اليونان . فافقد اسبارطة بهذا العمل نصف ارضها واكثر من نصف رعاياها ، ثم ضربها ضربة جديدة وحاصرها سياسيا وعسكريا بشبكة من الحصون ، وافقدها المنابع الاقتصادية لقوتها العسكرية عندما اسس مدينة ميغالوبوليس في اركاديا . وبعد صراع دام عدة اشهر ترك ايبامينونداس بلاد البيلوبونيز دون الحصول على نصر في معركة على ارض مكشوفة ، على حين حطبت استراتيجيته العليا نهائيا قواعد قوة اسبارطة .

عندها اصيب سياسيو طيبة الراغبون في نصر عسكري ساحق بخيبة امل . كما ان اتباع سياسة قصيرة النظر ، وديبلوماسيسسة فاشلة ، خلال غيسساب ايبامينونداس افقد ديموقراطية طيبة ما جمعته في الماضي من ميزات ، وأبدى حلفاؤها الاركاديون تذمرهم وجحودهم وجادلوها على حقها في السيطرة عليهم ، وفي ٣٦٢ ق.م وصلت طيبة الى موقف حرج ، فاما ان تغرض سلطتها بالقوة او تفقد هيبتها نهائيا ، فقامت بعمليات ضد اركاديا قسمت اليونان من جديد الى كتلتين متنازعتين ، ومن حسن حظ طيبة ان ايبامينونداس كان في خدمته ، فجنت ثمار خدمته واستراتيجيته العليا عندما دعمت المدن التي بناها في مسينا وميغالوبوليس موقف طيبة ، واجبرت طيبة على احترام خط الحدود .

توغل ايبامينونداس في بلاد البلوبونيز فضم قواته الى قوات حلفائه فسسي تيجة . ووقف بين اسبارطة وقوى البلاد الاخرى المعادية لطيبة المتجمعة فسي مانتينيه ، وهنا حاول الاسبارطيون استخدام طريق منعطف للوصول الى حلفائهم، فانقض ايبامينونداس برتل متحرك سريع في اتجاه اسبارطة نفسها ، ولكن احد عساكره هرب والتحق بالاسبارطيين ، واندرهم بالخطر فسي الوقت المناسب ، فعادوا الى مدينتهم بسرعة ، وفشلت هذه الإغارة . عندها وجد القائد الطيبي نفسه مضطرا للبحث عن النصر في معركة نظامية فتقدم من تيجة نحو مانتينيه التي تبعد حوالي ١٢ ميلا تقريبا ، مارآ في مضيق ضيئق تحصن الاعداء فسسي موضع منبع فيه لا يزيد عرضه عن ميل واحد .

هنا بدآت عملية استراتيجية وتكتيكية في آن واحد ادت الى اظهار خطأ كل الاحكام النظرية الجامدة . ويرجع النصر الذي احرز في مانتينيه قبل كل شيء الى الهجوم غير المباشر اذ سار إيبامينونداس في بادىء الامر مباشرة نحو معسكر الاسبارطيين ، فأجبرهم بذلك على اخذ تشكيلات القتال تجاه الخطر المتوقع ، فلما وصل الى بعد عدة اميال من معسكرهم استدار بسرعة نحو اليسار مخفيا حوكته الدائرية خلف المرتفعات الصخرية في الوادي ، ومهددا بهذه الحركسة المفاجئة جناح العدو الايمن من الجانب ثم عمل على بلبلة تشكيلات العدو بسأن اعطى الاوامر لجيشه بالتوقف ، ووضع السلاح والعتاد على الارض ، كما لـو

كان الفرض من توقفه نصب الخيام والاقامة . ونجحت الحيلة ، واعتقد العدو ان المعركة غدت بعيدة الوقوع ، فترك مواقعه ، وحل تشكيلاته ، وسرح خيوله ، واخذ وضع الراحة .

عندها وضع ايبامينونداس وحداته في اماكنها بتشكيلة تشبه تشكيلة معركة لوكتر ، مغطيا عمله بستارة من الوحدات الخفيفة ، وباشارة واحدة حمسل الطيبيون سلاحهم وانقضوا على الاسبارطيين ، وحصلوا على نصر سبقه ومهد له تحطيم توازن العدو قبل المعركة . وسقط ايبامينونداس صريعا لحظة انتصاره ، فاعطى للاجيال القادمة بعوته درسا ثمينا يبين كيف يؤدي شلل مغ الدولسة او الجيش الى الانهيار والتغتث .

بعد .٢ سنة وفي ٣٣٨ (ق.م) ، جرت معركة حاسمة اعطت مقدونيا التفوق على جميع المدن اليونانية . ولهذه المعركة معنى كبير اذا نظرنا اليها من خسلال نتائجها المباشرة ، كما انها تعطي المثل الحي لنتائج تعاون السياسة والاستراتيجية وكيف تستفيد الاستراتيجية من الحواجز والصعوبات الجغرافية التي قد تبدو معوقة لها .

كان المهاجم دخيلا رغم كونه يونانيا . وكان الاتفاق قد تم بين طيبة وأثينا على انشاء رابطة يونانية توقف قدرة مقدونيا على التوسع ، ووجدت هذه الفكرة تأييدا خارجيا عند ملك الفرس ، الامر الذي يثير التعليق حول طبيعة التاريخ ، وطبيعة النفس البشرية .

وهنا عرف المهاجم كل اهمية الهجوم غير المباشر . حتى ان سبب الاعتداء الذي شنه فيليب المقدوني (١١) لتأمين التفوق ، كان غير مباشر . كيان فيليب مدعوا من لجنة المندوبين (امفيكيتون) للمشاركة في عقاب مدينة امفيسا ، في غرب بيوسيا لارتكابها خطيئة دينية ، ولعله ابتدع بنفسه هذه الدعوة وبثها امام الراي العام مما أثار ضدها طيبة وأثينا وضمن حياد المدن الاخرى لمصلحته .

توجه فيليب نحو الجنوب ، ثم غير اتجاهه فجأة ، وفي مدينة سيتينوم ترك طريق امفيسا الذي كان اتجاه التقدم الذي يتوقعه العدو ، ثم احتل مدينة ايلاته وحصنها . ولقد اثبتت الحوادث فيما بعد ، ان التصرف بهذا الشكل منذ بداية المحركة ، والتبديل السريع للاتجاه دليل على وجود اهداف سياسية جريئة ، وغايات استراتيجية هامة . كان الطيبيون والبيوسيون قد اغلقوا الطريق السي بيوسيا وهذا يعني الطريق الغربي من سيتينيوم الى امفيسا والطريق الشرقي من بارابوتاميوا الى ايلاته وكورونة . ويمكن تشبيه هذه الطسرق بحرف «آ»

١١ ـ فيليب الثاني (٣٨٣ ـ ٣٣٦) ق.م منظم الماليسة والجيش في مقدونيا سمى نفسه بعسما انتصاراته سبد البلاد اليونانية ، وبعد أن سيطر على بلاد اليونان أراد التوجه إلى بلاد الغرس حيث اغتاله أحد النبلاء ، «المرب»

على اعتبار أن الطريق الأول هو الضلع الطويل العمودي ، والطريق الثاني يمثل الضلع القصير الافقي وممر كيرونة مطابق بامتداده الى الاضافة الصغيرة الواقعة في نهاية الحرف .

ولقد فضل فيليب التريث قبل القيام بحركة جديدة . وقرر اتخاذ تدابير تكفل إضعاف خصومه سياسيا بتشجيع عملية استرداد مدن فوسيدا التسبي اجتاحها الطيبيون ، وتحطيمهم معنويا بتقمص شخصية بطل إله مدينة دلف .

في ربيع ٣٣٨ (ق.م) تقدم فاتحا طريقه بالخدعة . حيث ان أحتلاله إيلاته لغت الانتباه الاستراتيجي المعادي الى الطريق الشرقي ، الذي أصبح منذ ذلك الوقت «الخط المحتمل» لخصومه . ثم قام بخدعة تكتيكية ضد القوى المعادية التي تسد الطريق الغربي ، بأن دبر وقوع رسالة في يدها تدل على رغبته فسي الانسحاب نحو تراقيا .

عندئد ترك فيليب سيتينيوم بسرعة ، وعبر المعر ليلا فوصل الى امفيسا غرب بارناس ، ثم اندفع نحو نوباكت قامن لنفسه خط مواصلات بحري ، وهدد مسن بعيد مؤخرة المدافعين عن المعر الشرقي الامر الذي اضطر العدو الى تسرك بارابوتاميوا نظرا لان بقاءه فيها غير مجد ، علاوة على تعرض خط مواصلاته للانقطاع .

وهنا ترك فيليب «الخط المحتمل» وقام بهجوم غير مباشر جديد ، فبدلا من التوجه الى امفيسا الى الشرق عبر ارض وعرة تلائم العدو المدافع ، نجده وقسد سار بسرعة نحو سيتينيوم وإيلاته ، ثم انحرف نحو الجنوب عبر ممر بارابوتاميوا الذي لم يعد محروسا ، فسقط بذلك فوق الجيش المعادي في كيرونة . ولقد مهدت هذه المناورة الاستراتيجية للنصر في المبركة التي جاءت بعدها ، وزاد من تأثيرها تكتيك جيد طبقه فيليب الذي خدع الاثينيين بالتراجع امامهم ، فجذبهم خارج مواضعهم ، واجبرهم على الاندفاع لاحتلال الارض التي تركها . وما ان تم خروجهم حتى قام بهجوم معاكس شتت شملهم ، وبانتصار فيليب في كيرونسة سيطرت مقدونيا على اليونان .

انتهت حياة فيليب قبل ان يمد فتوحاته الى آسيا ، وكان على ابنه تنفيه المركة التي قام بتحضيرها ، وورث الاسكندر (١٢) المخطه وأداة تنفيه تنفيه النموذجية وهي الجيش الذي دعمه فيليب وعززه (١٢) ، عسلاوة على فكسسرة

¹⁷ _ الاسكندر المقدوني «ذو القرنين» (٣٥٦ _ ٣٦٣) ق.م تلميد اريسطو . سيطر على بلاد اليونان ثم هزم الفرس واحتل سورية ومصر وحردهما من الفرس ثم اجتاز دجلة والفرات واحتل بلاد بابل ووصل الى الهند ثم عاد الى بابل ، وشكل حضارة مختلطة من البلاد الفالبة والمفلوبة ، وخلق امبراطورية كبيرة لم تلم بعد وفاته وتقاسمها قواده وبدأت بينهم حروب هوبلة منهكة، «المعرب» 17 _ امضى فيليب ٣ سنوات من شبابه في طيبة كرهينة ، وكان ايبامينونداس آنذاك في دروة عظمته ، وبعكن ملاحظة تأثير هذه المفترة عليه اذا نظرنا إلى تكتيك جيشه المقدوني فيما بعد،

استراتيجية عليا ، كما ورث مداخل الدردنيل الهامة جداً والتي احتلها أبوه فسي عام ٣٣٦ (ق.م) .

اذا فحصنا خريطة حملة الاسكندر ، وطريق تقدمه في آسيا ، لاحظنا تعريج الخط الذي يرسمه تقدمه . ويكشف التحليل التاريخي ان معظم اسباب هسذا التقدم غير المباشر سياسية وليست استراتيجية، وسياسية هنا تعني استراتيجية عليا . ولقد كانت استراتيجيته الادارية والتعوينية في معاركه الاولى مباشرة وبدون عمق . ويمكن تفسير ذلك ، بأن الاسكندر الشاب المؤهل للملك والمعد لكل انتصار ، كأن يملك صفات البطل الاسطوري اكثر من أي قائد مشهور فسسي التاريخ (١٤) . فضلا عن ثقته الكبيرة يتغوق جهازه الحربي وامتياز قيادته . ولم يترك له كل هذا مجالا للتفكير بضرورة تحطيم التوازن الاستراتيجي المعادي قبل المعركة . لذا تفيد معاركه في دراسة الاستراتيجية العليا والتكتيك فقط .

وفي ربيع ٣٣٤ (ق.م) تقدم الاسكندر على ضغة الدردنيل الغربية متجها نحو الجنوب ، وهزم مفرزة التغطية الفارسية على ضغاف الغراتيك وفي هاله المركة اخذ الفرس بكثافة واندفاع الخيالة المقدونية المسلحة برمسسح قصير ، وقدروا ان تركيز الجهد على الاسكندر نفسه وقتله يعني قتل مشروع الغزو في مهده ، فهاجموا موضعه وكاد مشروعهم ان ينجح ، ثم توجه الاسكندر نحسو الجنوب ميمما شطر سارد مركز ليديا السياسي والاقتصادي ومنها توجه السي الفرب نحو ايفيز ، ولقد اعطى كل هذه المدن اليونانية الحقوق المختلفة ، وشكل الها حكومات ديموقراطية ، معتبرا ذلك خير وسيلة لتأمين حماية مؤخرته ، وتابع سيره مع بحر ايجة نحو الجنوب ، ثم توجه الى الشرق عبر بسلاد كاري وليسيه وباعفيليه وكان يرمي من وراء هذا التقرب احتلال الوانىء التي تزود الفسسرس بالبحارة المتطوعين ، وانتزاع السيطرة البحرية منهم بحرمان اسطولهم من حربة المناورة على الشاطىء .

وعلى العكس ، كان شاطىء آسيا الصغرى مقابل بامفيليه مسن جهة الشرق محروما من المرافىء الحقيقية . وتوجه الاسكندر نحو الشمال ضد فريجة ، ثم تقدم نحو الشرق حتى انسيير «انقرة حاليا» فدعم بذلك انتصاراته السابقة وعزز موقف مؤخرته في قلب آسيا الصغرى . وفي ٣٣٣ (ق.م) تابع سيره نحو سورية

¹⁵ _ عندما بدا الاسكندر غزو آسيا ، تقمّص في شكل عاطفي شخصية هوميروس الاسطورية في حملته ضد طروادة ، فترك جيشه على ضفة الدردنيل وقاد بنفسه مفرزة وعبر بها المضيق ونول على الشاطىء المقابل في نفس النقطة التي كان الاعتقاد السائد حينئد ان الاغريقيين نزلوا فيهسا اتناء حروبهم القديمة ضد طروادة ، ثم تفدم نحو مدينة ايليون وقدم ضحية في معبد الآلهة اثينا، وقام بتمثيل معركة ، ثم التي محاضرة تحدث فيها من المكان الذي يظن ان سلفه الاسطوري اشيل قد أحرق فيه بعد موته ثم عاد الى جيشه بعد كل هذه المراسيم الرمزية ليقود عمليات حربية حقيقية.

حيث جمع داريوس الثالث قواته . وكان استطلاع الاسكتدر ضعيفسا فظن ان الفرس ينتظرونه في السهل ، فاتبع معهم خطة هجوم مباشر في الوقت الذي قام فيه داريوس الثالث بمناورته بصورة غير مباشرة ، عندما سار نحو هضاب المجرى العلوي للفرات ، ووصل الى مؤخرة المقدونيين. ورأى الاسكندر نفسه منعزلا عن قواعده التي اهتم كثيرا بتعزيز دفاعها وشعر بفشل فكرته الاستراتيجية ، فقام بمسير مضاد وتخلص من ورطته بفضل معركة إيسوس ، التي يرجع النصر فيها الى تعوق تكنيكه وجهازه الحربي . ويمكننا هنا أن نقول أنه ليس في كبار القادة من استطاع أن يستفيد من الهجوم غير ألمباشر التكتيكي مثله .

ثم سار بعد ذلك في طريق غير مباشر على طول الساحل السوري بدلا مسن التوجه مباشرة الى بابل قلب القوة الفارسية . ولقد فرضت عوامل الاستراتيجية العليا هذا الطريق عليه ، واجبرته على السير فيه ، وتفسير ذلك انه انتسسزع السيطرة البحرية من الفرس ، ولكنه لم يحطم كل وسائطهم البحرية ، ووجود هذه الوسائط تهديد خطي لمؤخرته ، بالاضافة الى ان المدن اليونائية وخاصسة الينا كانت تشكل خطرا كامنا ، وتنتظر الفرصة الملائمة للانقضاض عليه مسسين الخلف . وقد ادى احتلال الاسكندر لبلاد الفينيقيين واستسلام سفنهم له السى حرمان الاسطول الفارسي من معظم قوته التي كانت تعتمد عليها . ثم استسلمت مراكب صور بعد سقوط المدينة نفسها . وسار المقدونيون بعد هذا النصر باتجاه الجنوب ودخلوا مصر . وهذه عملية صعبة تعددت الآراء في تفسير اهدافهسا ويعتبر البعض انه كانت له غايات بحرية ، بينما يظن الآخرون انها كانت مجسرد عيمن الاعتبار الاسباب السياسية وخاصة مخطط الاسكندر الرامي الى احتلال مجموع الامبراطورية الفارسية وفرض سيطرته عليها ، ومصر في مخطط كهذا عامل اقتصادى كبير الاهمية .

في عام ٣٣١ (ق.م) توجه الاسكندر الى الشمال في اتجاه حلب ثم سسار نحو الشرق واجتاز نهر الفرات حاثا السير للوصول الى الحوض العلوي للنهسر قرب نينوى «الموصل حاليا» حيث جمع داريوس الثالث جيشا جديدا كبيرا . وكان الاسكندر متشوقا لخوض المعركة ، ومع هذا كان هجومسه غير مباشر ، فاجتاز الفرات وسار مع ضغته الشرقية ، فأجبر داريوس الثالث بذلك على تغيير مواضعه . وفي «غوغامل» جرت معركة تعرف باسم اربيل (مدينة تبعد ٢ أميال عن مكان المعركة) واظهر الاسكندر وجيشه تفوقا مطلقا على العدو . وبذلك زال المانع الاخير الفعلي من طريق الاسكندر المؤدي الى هدف استراتيجيته العليا وهو احتلال بابل الذي تم فعلا بعد هذا النصر .

ثم توالت المارك حتى وصوله الى تخوم الهند ، ولم تكن هذه المعارك سوى عمليات تصغية لتطهير الامبراطورية الفارسية وتقوية الامبراطوريسية المقدونية ، واقتحم الاسكندر ممر أوكسيان والابواب الفارسية بتقرب غير مباشر ، وعندما

قابل بوروس (١٥) قرب نهر إيداسب قام بهجوم غير مباشر نعوذجي يثبت بشكيل جازم تفوق عبقريته الاستراتيجية . وقد جمع الاسكندر في هذه المعركة كميات كبيرة من المواد التموينية ، ونشر جيشه على طول الضفة الغربية المنهر ، فخدع خصمه واخفى رغبته الحقيقية . ووقف بوروس حائرا امام تحركات الخيالية المقدونية الصاخبة جيئة وذهابا . وتكررت هذه الحركات بشكيل مستمر ، فبدا بوروس كأنه مخدر بعد أن فقد المباداة وثبت في وضع جامد ومحدد بدقة ، فترك الاسكندر امامه قلب قواته وقاد مغرزة اجتاز بها نهر ايداسب ليلا على بعد منوياته ، كما اثرت على تماسك جيشه المادي والمعنوي . واستطاع الاسكندر في المركة التي تلت ذلك تدمير غالبية الجيش المعادي بجزء فقط من قواته . ولولا هذا التأثير النفسي المسيق ، لما امكن اعطاء اي تفسير نظري او عملي لمناورة الاسكندر التي عرضت جزءا منعزلا من جيشه لاحتمالات الهزيمة لابتعاده عسين قلب الجيش وانفصاله عنه بشكل خطر .

وتثبت الحروب الطويلة التي قام بها ورثة الاسكندر بعد وفاته ، والتي أدت الى نهاية امبراطوريته ، اهمية الهجوم غير المباشر ، وتقدم الامثلة العديدة على ذلك . فقد كان لقادة الاسكندر ولا شك ميزات تفوق ما كان عنسله ماريشالات نابليون ، وكانت الخبرة الطويلة قد علمتهم المعنى العميق لمبدأ الاقتصاد فسسي القوى ، لذا بستحق اكثر عملياتهم الدراسة بعناية لاستنبساط الدروس منها . ولكننا لن نذكرها جميعا لان هذا الكتاب مقتصر على دراسة المعارك الحاسمة في التاريخ القديم ، وليس في حروب هؤلاء الورثة معركة حاسمة الا المعركة الاخيرة التي جرت في عام 7.1 (ق.م) . ويؤكد هذا ما جاء في وثائق التاريخ القديم المركزية والراغبين في الوصول الى الحكم . ومنذ ذلك الوقت اصبح تفكك العالم البرنائي القدرني امرا محتوما .

في عام ٣٠٢ (ق.م) كاد أنتيفون (١١) ان يصل الى السلطة التي ادعى ان له الحق فيها بعد الاسكندر فخرج من إيجي وسيطر على آسيا الصغرى مسن بحر ايجة حتى الفرات ، بينما تشبث منافسه سيلوكوس (١٧) ببابل بكل صعوبة ، وكان

١٥ - بوروس: ملك البتجاب في الهند ومن أهم خصوم الاسكندر في سنة ٢٢٧ ق.م. اسر في ممركة على ضفاف نهر أيداسب . «المرب»

١٦ - انتيفون : إحد قواد الاسكندر حاول تأسيس امبراطورية في آسيا فحاربه بقية القواد
 المنافسين وقتل في ايبسوس في فريجة (٣٠١) ق٠٠٥.

١٧ ـ سيلوكوس الاول: احد قادة الاسكندر (٣٢٥ ـ ٢٨١) ق.م.

بطليموس (١٨) مبعدا حينئذ في مصر ، وليزيماك (١١) متحصنا في تراقيا ، اسا كاساندر (١٦) اكثر خصوم انتيفون عنادا وخطرا فكان خارج اليونان بعد ان اجلاه ديمتريوس (٢١) عنها ودعاه الى الاستسلام مع جيشه دون قيد او شرط ، وهنا تصرف كاساندر بعبقرية استراتيجية ، اذ وضع مخططه الدقيق بالتعاون مسمع ليزيماك ، وطلب مساعدة بطليموس الذي كان عليه الاشتراك جبهيا وأمن الاتصال مع سيلوكوس بعراسلين يجتازون الصحراء العربية على الجمال .

احتفظ كاساندر بـ ٣١ الف رجل الوقوف في وجه ديمتريوس وجيشه الؤلف من ٥٧ الف رجل الذي كان يرابط آنذاك في تيساليا ووضع بقية رجالسه تحت تصرف ليزيماك الذي اجتاز الدردنيل متوجها نحو الشرق ، بينما سار سيلوكوس من بابل نحو الفرب وآسيا الصغرى بجيش يضم ٥٠٠ فيل حربي جلبت مسسن الهند ، وسار بطليموس من مصر نحو الشمال ودخل سورية ، ولكن تقريرا كاذبا المنحار حليفه ليزيماك فعاد ادراجه الى مصر . امام هذه التحركات المتجهة الى نقطة واحدة ، والمهددة لقلب امبراطورية انتيفون من جهتين ، استدعسسى انتيفون على عجل ديمتريوس الموجود في تيساليا حتى ذلك الوقت (لان كاساندر بحركة غير مباشرة ضد مؤخرته الاستراتيجية في آسيا الصغرى ، حبيرته على اجتياز المضيق والعودة الى آسيا الصغرى ،

توجّب استراتيجية كاساندر بانتصار حلفائه التكتيكي في معركة ايبسوس في فريجة ، ذلك الانتصار الذي انتهى بموت انتيفون وفرار ديمتريوس . وكانت الفيلة في هذه المعركة سلاحا حاسما ، وكان تكتيك المنتصرين غالبا غير مباشر . وما ان اختفت الخيالة مطاردة ديمتريوس حتى جاءت الفيلة ومنعت عودته . وبدلا من الانقضاض على مشاة انتيفون جبهيا ، رماهم ليزيماك برشقات كثيفة مسن السهام حتى افقدهم معنوياتهم وانقض بقواته على موضع وقوف انتيفون نفسه . كانت الكفة في بداية المعركة راجحة لمصلحة انتيفون ، ولكن القدر غيسر اتجاهه بسرعة مذهلة وغير طبيعية ، وانتقل التفوق الى الخصم على شكل ماساة دامية . ومن الواضح ان خطة كاساندر وهجومه غير المباشر كانا سبب اضطراب انتيفون ، وتحطيم وحداته ورعاياه ، وتفتيت تشكيلاته القتالية .

١٨ ــ بطليموس الاول: احد قادة الاسكندر ، حكم مصر وسورية بعد الانتصار على التيفون في
 معركة أيبسوس وجمتل الاسكندرية وأسس مكتبتها .

١٦١ ــ ليزيماك : الحد قادة الاسكندر ، غدا بعد معركة ايبسوس ملك تراقيا ومقدونيا لم قتل أبي ١٦١ (ق.م) .

۲۰ ـ كاساندر : احد قادة الاسكندر (۲۰۱ ـ ۲۹۷) ق.م، احتفظ بمقدونیا والیوانان بعد معركة ایبسوس .

٢١ ــ ديمتريوس الاول ويلقب (نامر البلاد) ملك مقدونيا من ٣٠٦ الى ٢٨٢ قدم، انتصر على
 كاساندر نى ممركة تيرموبيل ثم هزمه هذا الاخير في ايبسوس ٠ «المعرب»

الفصل الشالث

الحروب الرومانية هانيبال ، سيبيون ، يوليوس قيصر

لعبت الحرب الطاحنة بين روما وقرطاجنيّة (١) ، وخاصة معارك هانيبال (٢) ، دورا حاسما في تاريخ اوربا سواء أكان ذلك بنتائجها المباشرة أم البعيدة ، وتبين الدراسة التالية معارك ومراحل حاسمة أثرت على تاريخ الحرب تأثيرا كبيرا .

بدات المرحلة الاولى للصراع عندما غزا هانيبال ايطاليا ٢١٨ (ق.م) بعد ان اجتاز اسيانيا وعبر جبال الالب ، وانتهت هذه المرحلة بانتصاره الساحق فـــى

١ حقرطاجنة مدينة قرب تونس ، اسستها ديدون الفينيقية وكانت عاصمة امبراطورية جبارة
 قاومت روما مدة طويلة ونازعتها السيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط .

٢ - هانيبال : قائد قرطاجني (٢٤٧ - ١٨٣) ق.م فينيقي الاصل ، سار نحو بلاد الرومان من طريق اسبانيا واقتحم قدم جبال الالب وانتصر في عدة معارك ، ولما انقطمت عنه النجدات عاد الى افريقيا للدفاع عن وطنه ضد الرومان الذين هزموه في معركة زاما فشرب السم حتى لا يسقط في ايدي اعدائه حيا . • ١٥ المرب»

معركة بحيرة ترازيمين . ولم يبق لروما ما يحميها ، بعد هذه الهزيمة ، سوى اسوارها وحاميتها الخاصة . وغدت المدينة مفتوحة تقريبا ، امام اي هجسوم مباشر يقوم به هانيبال ، لو فكر في القيام بذلك .

وقد يتساءل البعض لماذا اختار هانيبال هذا الطريق البحري المباشر ، وقد يتبادر الى الاذهان ان السبب كامن في سيطرة روما البحرية . ولكن من الخطأ استخدام تعبير السيطرة البحرية في ذلك العصر ، لان السفن كانت بدائية وغير قادرة على قطع الطريق على اسطول معاد ، علاوة على ان تفوق روما البحري كان امرا مشكوكا فيه . ويذكر المؤرخ اليوناني بوليب الذي وصف حوادث معركة بحيرة ترازيمين كيف كان مجلس الشيوخ الروماني يتساءل قلقا «هل يستطيع القرطاجيئون السيطرة على البحر ؟» وفي المرحلة الاخسيرة للصراع ، انتصرت البحرية الرومانية انتصارات عديدة افقدت القرطاجيين جميع قواعدهم في اسبانيا وامنت نزول الجيش الروماني في افريقيا . ولكنهسا كانت عاجزة عن منسع ماغون (٢) . . من انزال حملته على نهر جنوا او قطع طريق العودة على هانيبال . لذا يغلب على الظن ان استخدام هانيبال لطريق بري غير مباشر يرجع السي رغبته في اثارة شعب السلت في شمال ايطاليا ضد روما ، والاستفادة من ميزات هذه الحركة البرية غير المباشرة .

كلف الرومانيون القنصل بوبليوس سيبيون (٤) بمهمة منع هانيبال من اجتياز نهر الرون ، ولكن القرطاجيون اجتازوا النهر فجأة من ناحية منبعه ، وتوغلوا في اتجاه الشمال سائرين في وادي نهر الليزير الطويل الوعر بدلا من اجتياز الريفييرا السهلة التي يستطيع الرومانيون اغلاقها ، ويذكر بوليب ان الدهشت اصابت بوبليوس سيبيون عندما وصل الى نقطة عبور هانيبال على نهر الرون بعد انتهاء العبور بثلاثة ايام «فتعجب من اختفاء المدو لاعتقاده بأنه لن يجازف ابدا باستخدام هذا السبيل الشمالي للدخول الى ايطاليا» .

اتخذ سيبيون قراره ، بسرعة ، فترك خلفه جزءا من جيشه وتراجع بسرعة الى ايطاليا عن طريق البحر فاستطاع ملاقاة هانيبال عند سهول لومبارديا ، وهنا كانت الارض في صف القرطاجيين لانها تؤمن استخدام خيالتهم المتفوقة علي خيالة الرومان ، ونجم عن ذلك انتصار القرطاجيين وكان لهذا الانتصار تأتيي معنوي كبير ، وأكسب هانيبال سيلا من المتطوعين المحليين مع امكانيات تموينية كبيرة .

هكذا غدا هانيبال سيد ايطاليا الشمالية ، فعسكر لقضاء فصل الشتاء ، وفي الربيع التالى اعتقد قناصل روما الجدد بأنه قد يتابع سيره الى الامام فوضعيوا

٣ ـ اسم عدد كبير من القادة القرطاجيين اهمهم اخو هانيبال . والمرب،

٤ - بوبليوس سيبيون : هو والله سيبيون الافريقي ، ويلقب ايضا سيبيون القِديم ،

جيشهم الاول في آريمينيوم «ريميني حاليا» على البحر الادرياتيكي ، وجيشهم الثاني في آريتيوم «آريزو حاليا» في منطقة أتروري ، فسيطروا بذلك علسسى الطريقين الشرقي والغربي المؤديين الى روما . واختار هانيبال أتجساه أتروري ولكنه لم يستخدم الطريق العادي ، بل استكشف الارض ودرسها ، فوجد حسب قول بوليب «ان اكثر الطرق المؤدية الى أتروري طويلة ، ويعرفها العدو جيدا ، اما الطريق التي تجتاز المستنقعات فقصيرة وتسمع بالوصول فجأة الى فلامينوس بشكل يتفق مع أسلوبه الخاص في العمل . لذا قرر استخدام هذا السبيل ، ولما علم رجاله برغبته في اجتياز المستنقعات أحسوا بالقلق ...» .

يفضل العسكري دائما مواجهة المعروف بدلا من مواجهه المجهول . ولكسن هانيبال قائد حربي فل غير عادي ، لذا تجده اختار ، كاقرائه من القادة العظام احتياز المخاطر في ظروف مجهولة ، بدلا من ملاقاة العدو على الارض ، التسبي اختارها .

وسار جيش قرطاجئة } ايام و٣ ليال «على طريق مغمورة بالماء» . فأنهك التعب والنعاس ، وفقد كثيرا من الرجال والخيول . وعندما خرج من هذا المأزق كان الجيش الروماني لا يزال في آريتيوم . ولم يقم هانيبال بأي هجوم مباشر «وفكر في أن تجاوز الموضع الذي يحتله الرومان ، والسير بعيدا في مناطبق يعتبرونها تحت حمايتهم ، ستزعج فلامينوس (٥) . . شخصيا وتثير انتقاد مواطنيه فلا يستطيع الوقوف مكتوف الايدي امام غزو يخرب المنطقة ، ويضطر للانطلاق كمجنون وراء هانيبال الذي ينتظر هذه الفرصة الملائمة للهجوم» .

ويعتبر هذا التفكير تطبيقا حاذقا للمناورة على مؤخرات العدو ، تلسك المناورة ، المبنية على المعلومات المعروفة او المكتشفة حول طبيعة العدو النفسية والمنفذة بشكل حيد . ولقد نظم هانيبال اثناء انطلاقه على طريق روما اكبر كمين ناجح في التاريخ ، وفي ضباب الصباح سقط في الفخ الجيش الروماني الذي كان يلاحق هانيبال على طول الهضاب التي تكسوها والمحاذية لبحية ترازيملين ، وهاجمه هانيبال من الجبهة والمؤخرة في آن واحد ، فتمت ابادته .

ويمكن لهواة التاريخ الذين يتذكرون هذه الموقعة ونتائجها ، تكوين صورة عن العمل الفكري الذي هيأ هذا النصر . ويستنتج بوليب الدرس الاساسي قائلا «اذا ما خندع الجيش واحبطت مناورته ، سقط الجيش كله في بد عدوه كما تسقط الباخرة مع كل بحارتها بعد فقدان قبطانها» .

ومن أسرار التاريخ ، ان هانيبال لم يتوجه بعد ترازيملين الى روما مباشرة . وكل ما قيل في هذا الصدد وليد التخيلات والتكهنات . والمحقق ان هانيبسال فشل في السنوات التالية خلال مساوماته السياسية التي كانت تهدف الى ازالة سيطرة روما على حلفائها الايطاليين ، وادخالهم في الحلف المشكل ضدها . ولم

ه _ فلامينوس : قنصل روماني هزمه هانيبال في ترازيملين وقتله في عام٢١٧ (ق٠م) ٠ «المعرب»

تكن انتصاراته سوى وسيلة ضغط معنوية للوصول الى هذه الغاية . ولعله فكر في امكان استمرار الانتصارات التكتيكية اذا استطاع ملاقاة الرومان دائما في ظروف ملائمة لاستخدام خيالته المتفوقة .

بدأت المرحلة الثانية بهجوم روماني غير مباشر ، يلائم في الحقيقة النفسية الاغريقية اكثر من النفسية الرومانية ، ولقد عرف هذا الهجوم في التاريخ بعد ذلك باسم «استراتيجية فابيوس» (۱) التي حاول الكثيرون فيما بعد تقليدها ، دون نجاح كبير ، ولم تعتمد استراتيجية فابيوس على تجنب المركبة لكسب الوقت فحسب ، بل استخدمت التأثير التخريبي على معنويات العدو وحلفائه المتوقعين وللحتملين وكانت على مستوى سياسة الحرب والاستراتيجية العليا .

كان فابيوس يعترف بتفوق هانيبال العسكري ، فلم يجازف بمنازلته عسكريا . وكان يتحاشى الاستباك معه في معركة حاسمة ، ويحاول الاستفادة من الوقت لقتل حيوية واندفاع القوات الفازية ، مستعينا على ذلك بهجمات صغيرة محلية كوخزات الابر . وكان يمنع العدو من تطويع الوحدات الجديدة في المسلدن الايطالية ويعرفل وصول النجدات من قواعد العدو في قرطاجنة . وكان على الجيش الروماني اذا اراد النجاح لاستراتيجيته العليا ، ان يناور في ارض صعبة تفقد خيالة قرطاجنة اهمية تفوقها الذي قد يكون حاسما، ويمكن التعبير عن هذه المرحلة بأنها صراع بين هجومين غير مباشريسين : هجوم هانيبال وهجوم فابيوس .

اكتفى فابيوس بالتقرب من العدو دون القيام بالتحام مباشر معه باستثناء الهجمات المتفرقة على قواعد تموينه ، ومفارزه المنعزلة بغية منعه من الاستقرار والتمركز في موشع دائم ، وكان كالشبح الذي يختفي دائما وراء الافق ، دون ان يكون هنالك سبيل للامساك به . واثرت هذه العمليات على هالة النصر التي احاطت بتقدم هائيبال حتى ذلك الوقت . وهكذا تحصن فابيوس ضد الهزيمة ، وسد السبل امام تأثير انتصارات هائيبال القديمة وخاصة عند الإيطالبين حلفاء روما الذين فكروا من قبل في الانضمام الى القرطاجيين . ورفعت هذه المعركة المسابهة لمعارك العصابات معنويات الرومان بينما خفضت معنويات القرطاجيين الذين دفعهم بعدهم عن بلادهم الى البحث عن نصر سريع .

ولكن حرب الانهاك سلاح ذو حدين ، وتنتهي غالبا باتعاب القائمين بها ، حتى في حالة استخدامها بكل مهارة ، وهي قاسية على الجماهير التي ترغب دائما في انتهائها بسرعة ، لذا فان استمرار النضال على طريقة فابيوس جعسل الشعب الروماني يتلقى الصدمة تلو الصدمة ، فلا يبرا جرحه حتى يصاب بجرح جديد ،

٦ فابيوس ويدعى بالماطل (٢٧٥ ـ ٢٠٠) ق.م روماني تولى الامر بعد هزيمة الرومان فسي ترازيملين واشتهر بالماطلة في قتال هائيبال مستخدم استراتيجية خاصة . «المرب»

فبدا يشك في صلاحية هذه الطريقة ، التي كانت في الحقيقة سبيله الوحيد للخلاص ، وازدادت الشكوك والاشاعات وانتشر السخط في كل مكان وازداد الوضع سوء بتصرفات الطامحين والمتحمسين من قادة الجيش الذين بدأوا في انتقاد فابيوس علنا بسبب جبنه وانعدام مبادهته ، مما ادى الى سيطسسرة مينوسيوس مساعد فابيوس ، وخصمه اللدود ، الذي ينتقده بشدة اكثر مسن غيره . وما ان استلم مينوسيوس زمام الامور حتى جذبه هانيبال الى كمين رهيب لم ينقده منه سوى تدخل فابيوس في آخر لحظة .

أخرست هذه المفامرة الدامية مؤقتا النقد الموجه لفابيوس ، ولكن بعد انتهاء الاشهر الستة التي تمتع فيها بكل السلطات لم يعد يحظى بثقة الشعب فلم تجدد رئاسته . وفي الانتخابات القنصلية نجح قنصلان آخران احدهما قارون الاحمق الذي ساهم من قبل في تعيين مينوسيوس ، وزاد الطين بلة قرار مجلس الشيوخ القاضي بضرورة اجراء المعركة ضد هانيبال دون تأخير ، وكانت حجته في ذلك ايقاف الغزو الذي يدمر ايطاليا . ولوضع القرار موضع التنفيسة تم في ٢١٦ (ق.م) تشكيل الجيش الاكبر المؤلف من ٨ ليجيونات (٧) وهذا رقم لم تشهده روما من قبل في اية معركة . ولقد دفع الرومان فيما بعد ثمنا غاليا لاختيارهم قائدا يتمتع بتفكير هجومي غير متسم بالحكمة .

وكان القنصل الثاني بول اميل ميالا الى المناورة وانتهاز الفرصة المناسبسة معارضا بذلك فكرة قارون الذي كان يقول: لقد تكلمنا كثيرا عن القائد العسكري الذي يدخل المعركة ليقوم بدور الحارس بدلا من أن يقوم بدور المهاجم ، وأعلس قارون على الشعب خطته التي ترمي الى مهاجمة العدو بكل القوى ، وفي اي مكان يظهر فيه ، وما أن سنحت الفرصة امامه حتى اشتبك مع هانيبال في سهل كان، واقترح بول أميل جذب هانيبال الى ارض أصلع لاستخدام المشاة ، ولكن قارون استغل يوم قيادته (٨) فقام بالاشتباك مع هانيبال ، وفي اليوم التالي جاء دور بول أميل فاحتفظ بالوحدات في معسكراتها الخلفية ، معتمدا على أن مصاعب التموين سترغم هانيبال على الانسحاب بعد فترة قليلة . وهنا «اشتعلت رغبة القتال في نفس قارون اكثر من اي وقت مضى» واحتج الجيش الراغب في المعركة على هذا التأخير «فلا شيء يرهق الإنسان كالانتظار بقلق ، وأذا ما قسرد الرجال شيئا فضلوا تحمل الالم على انتظار وقوعه» ، وفي اليوم التالي أخسرج قارون الجيش من مواضعه ونزل الى المعركة ، وكانت هذه العملية هي أمنيسة قارون الجيشان المشاة في القلب والخيالة على الاجنحية ، وكانت هذه العملية هي أمنيسة تشكيلة هانيبال غريبة بتفصيلاتها ، اذ وضع المشاة الغاليين والاسبانيين فيسي تشكيلة هانيبال غريبة بتفصيلاتها ، اذ وضع المشاة الغاليين والاسبانيين فيسي

v = 1لليجيون : وحدة عسكرية رومانية بلغ عددها في وقت يوليوس فيصر حوالي v = 1 «المرب»

٨ ــ كان القنصلان الرومانيان يتناوبان قيادة الجيش يوما بعد يوم -

الامام ووضع خلفهم وعلى المجنبتين نخبة عساكره الافريقيين ، فاصبح الفاليون والاسبانيون بمثابة مفناطيس يجلب مشاة الرومان التي اندفعت الى الامام كما كان متوقعا دافعة امامها مشاة العدو ، وغدا خط جبهة القرطاجيين الحسدة مقعرا . وتشجعت المشاة الهاجمة بهذا النصر الظاهري فاندفعت الى التفسرة متزاحمة بالمناكب حتى صار الجنود يجركون سلاحهم بكل صعوبة ، وكانوا يزجون بانفسهم داخل الكتلة القرطاجية معتقدين ان جبهة هانيبال قد تحطمت . في هذه اللحظة التفت العناصر المختارة من المجنبات فاكملت محاصرة الرومان المكدسين فوق بعضهم .

أدت المناورة الى وضع يشبه الفخ الذي رأيناه في معركة سلامين البحريسة ولكنه فغ مدروس بشكل أفضل.

في هذه الاثناء قامت خيالة هائيبال الثقيلة بالهجوم على الخيالة المعادية على الجناح الايسر ، ثم اكتسحت الوُخرة وخرقت خيالة الجناح الآخر التسبي كانت مجمدة حتى ذلك الوقت بالخيالة النوميديين الخفيفة الماهرة في عمليات المناوشة، ثم كلفت هذه الخيالة الخفيفة بالمطاردة بينما قامت الخيالة الثقيلة بضرية مسسن الخلف ، ساعدت على سحق مشاة الرومان وحصرتهم من ثلاث جهات ، فأسقط في يدهم ، وانقلبت المعركة الى مجزرة ، ويقول بوليب بأن الرومان توكوا على ارض المعركة ما لا يقل عن ٧٠ الف رجل من جيشهم المؤلف من ٢٦ الف رجل . وسقط بول اميل صريعا بينما استطاع قادون النجاة بجلده من الكارثة التي يحمله التاريخ مسئولباتها .

ادت هذه المركة الى تفكك الاتحاد الايطالي ، وكادت ان تدهب بروما نفسها، وهنا قام فابيوس بدور جديد لرفع معنويات الشعب ودفعه الى القاومة . ويعود القاذ المدينة الى اصراره على تطبيق استراتيجية كسب الوقت . ولم يستطسع هانيبال استثمار النصر لنقص وسائط الحصار والنجدات اللازمة ، كما لم تكن البلاد التي اجتاحها متقدمة اقتصاديا لتعطيه ما يريد . ويختلف الموقف هنا عن موقف سيبيون عندما غزا افريقيا فيما بعد ، ووجد فيها بلاد الحضارة القرطاجية الامر الذي عزز مركزه واعطاه ميزات كثيرة .

أنتهت المرحلة الثانية لهذه الحرب في عام ٢٠٧ (ق.م) بهجموم غير مباشر جديد في شكله ، عندما انسحب القنصل الجديد نيرون (١) من مواضعه مقابل هانيبال وسار بسرعة مع معظم قواته لمقابلة شقيق هانيبال (١٠) ، الذي وصل الى ايطاليا الشمالية مع قوات جديدة . فقابله على نهر ميتور ودمتر جيشه ، فحرم هانيبال بذلك من آماله المعقودة على النجدة اللازمة للحصول على النصر النهائي.

٩ ــ القنصل ليرونهو غير الأمبراطور ليرون الذي أحرق روما ليبني لنفسه قصرا فخماء «المعرب»
 ١٠ ــ شقيق هاليبال : هاسد روبال باركا الذي قتل في معركة نهر ميتور ، «المعرب»

ثم عاد نيرون الى مواضعه السابقة دون ان ينتبه هاتيبال الى غيابه طوال هذه المدة. وفي المرحلة الثالثة توقفت العمليات ، وتمسك هانيبال بجنوب ايطاليا خمس سنوات ، وعندما غامر بعض القادة الرومان واقتربوا من عرينه عادوا فاشلين يحملون بعض الجروح .

وفي ٢١٠ (ق.م) ارسلت روما سيبيون الافريقي (١١) الى اسبانيا ، وكانت مناورة بائسة غايتها اصلاح الكوارث التي سببها ابوه وعمه ، والانتقام لمصرعهما ، وتثبيت مركز المقاومة الضعيف الذي تملكه روما في زاوية اسبانيا الشماليسة الشرقية ، والمهدد بقوات قرطاجيئة جديدة قادمة من قواعدها في اسبانيا . واستطاع سيبيون الافريقي بفضل سرعة حركته وروعة تكتيكه ونجاح سياسته ، ان يقلب الخطة الدفاعية الى خطة هجومية تهدد قرطاجنة وهانيبال بصورة غير مباشرة .

كانت اسبانيا في الحقيقة قاعدة قرطاجة الاستراتيجية الحقيقية . ففيها يتم تطويع وتدريب الوحدات ، ومنها تؤخذ النجدات اللازمة لمتابعة الفتال . ولكسن سيبيون استطاع احتلال قرطاجة بضربة حاذقة واحدة ، جمعت بين المفاجساة وحسن اختيار الوقت ، فحرم بذلك خصومه من قاعدتهم الاساسية في اسبانيا، فتخلى عنهم حلفاؤهم وانهارت جيوشهم .

وفي عام ٢٠٥ ق.م تم انتخاب سيبيون قنصلا بعد عودتسه الى ايطاليا ، فاصبح قادرا على تطبيق سياسة هجوم غير مباشر حاسم آخر على مؤخرة هانيبال، وكان فابيوس قد تقدم في العمر حينئذ وخبت شعلة ذكائه وتفكيه ، وعاد الى الافكار التقليدية . لذا نراه يصر على ان أهم واجبات سيبيون هو مهاجمة هانيبال في ايطاليا وكان يقول : «لماذا لا تطبقون في هذه الحرب الطرق المستنبطة مسسن التجربة ٤ ولماذا لا تقودون عملياتكم في المكان الذي يوجد به هانيبال بدلا مسن استخدام سبل ملتوية ام انكم تتوقعون ان يلحقكم هانيبال الى افريقيا ، اذا ما ذهبتم اليها » .

حصل سيبيون من مجلس الشيوخ على اذن بالذهاب الى افريقيا ، على شرط ان يجمع وحدات جديدة ، وفي عام ٢٠٠٤ (ق.م) ركب البحر مع ٢٠٠٠ متطوع وليجيونيين مبعدين تأديبيا في صقلية منذ كارئة «كان» ، وعندما نزل عليسي الشاطىء الافريقي لاقى مفرزة الخيالة التي جمعتها قرطاجة بسرعة ، فقام بمناورة تراجعية دقيقة وجذب الخيالة الى فخ محكم ودمرها ، فكسب بذلك وقتا كافيا لتثبيت وتحسين وضعه ، اثر هذا النصر تأثيرا كبيرا على مجلس الشيوخ الروماني الذي غدا اكثر كرما ، وروده بالوسائط اللازمة ، كما اثر تأثيرا سيئا على حلفاء

¹¹ _ سيبيون الافريقي : أو سيبيون الشاب ٢٣٥ _ ١٨٣ (ق.م) انتصر على هانيبال في زاما ثم دبرت له مؤامرة من قبلاعدائه فنفي ومات في المنفي بعد أن حقق لبلاده أعظم الانتصارات، «المرب»،

قرطاجة الافريقيين باستثناء سيفاكس (١٢) . . أصلبهم عودا وأشدهم قوة .

حاول سيبيون بعد ذلك احتلال مرفأ اوتيك لاستخدامه كقاعدة بحرية ولم ينجح في مفاجأة الرفأ واحتلاله كما فعل في اسبانيا عندما احتل قرطاجة على حين غرة ، فاضطر لرفع الحصار بعد ستة اسابيع عندما جاء سيفاكس على رأس قوة مؤلفة من ٦٠ الف رجل لنجدة حامية قرطاجة التي كان يقودها هاسدروبال جيسكو . وتراجع سيبيون امام قوات عدوه المتفوقة عددا ان لم يكسين نوعيا ، وتوجه الى شبه جزيرة صغيرة حيث تحصن بشكل يمكن اعتباره نموذجا فيما بعد لخطوط ويلنفتون وتحصيناته في توروس فيدراس . وما ان استقسسر وراء حصونه حتى بدأ يفكر في حيلة تفقد الاعداء ثقتهم بأنفسهم ، وتشتت انتباههم ، فتظاهر باعداد غارة بحرية على ميناء اوتيك ، ثم قام بدلا من ذلك باغارة ليلية على معسكرات العدو . وكان للمفاجأة أثرها الفعال في بث الفوضى وتحطيم معنويات العدو لصالح سيبيون الذي هاجم في بادىء الامر معسكر سيفاكس وهر أقسل المسكرات نظاما ، وتقع معظم اكواخة المصنوعة من القصب والاغصان خارج الاطار المحصن المحيط بالمسكر . وما ان اشتعلت النيران في الاكسسواخ حتى سادت الفوضى والبليلة ودخل الرومان المسبكر ، ورأى جنود هاسدروبال الحرائسق فظنوها حرائق عادية ، ولم يخطر ببالهم هجوم الرومان لان معسكرهم الواقع على بعد ٦ أميال كان غارقا في الهدوء والظلام ولم يفطنوا الى ما حدث ، ففتحـــوا ابوابهم واندفعوا لمساعدة حلفائهم ، فما أن رأى سيبيون أبواب المعسكر القرطاجي مفتوحة حتى قام بهجومه الثاني ووصل الى ساحة العسكر دون حاجة لفتح اية ثفرة في الدفاعات المحيطة به . وكانت النتيجة أن تبعثر الجيشان الحليفان بعد ان فقدا نصف تعدادهما .

لقد دفعتنا دراسة هذه العمليات الى اجتياز الحدود بين الاستراتيجيسة والتكتيك ، وما الاستراتيجية في هذه الحالة سوى طريق النصر في المعركسة وسببه المباشر . وكان النصر نفسه الفصل النهائي لتقرب استراتيجي حكيم ، لان المجزرة التى وقعت دون مقاومة جدية لا تستحق ان تسمى معركة .

لاذا لم ينطّلق سيبيون نحو قرطاجة يعد انتصار لم يكلفه الكثير من دمساء رجاله ؟ لم يقدم التاريخ اجوبة اكبدة لهذا التساؤل ، ولكنه بين اسبابا هي اقرب الى المنطق من الحجج التي يعطيها لنا هانيبال لتقسير عدم غرور روما بعد معركتي «ترازيملين» و«كان» . ويجيب البعض على هذا السؤال بأن الحصار عمليسة عسكرية باهظة التكاليف يلجأ اليها المهاجم اذا لم يجد فرصة ملائمة لانقضاض مفاجىء ويصبح الحصار عملية بالغة الخطورة على المهاجم اذا احتفظ المدافسع وخارج الاسوار بجيش ميداني قادر على التدخل في كل لحظة ، كما ان قوى المحاصرين تتناقص كل يوم بسرعة تفوق سرعة تناقص قوى المدافعين ،

١٢ _ سيفاكس : ملك توميديا الغربية هزمه مازينيسا حليف الرومان في ٢٠٣ (ق٠م)٠ «العرب»

وكان على سيبيون ان يدخل في حسابه تحصينات قرطاجة من جهة وعودة هانيبال التي كان يتوقعها ويرغب في وقوعها من جهة اخرى . فاذا ما استطاع اجبار المدينة على الاستسلام قبل عودة هانيبال حصل على ميزات هامة ، بشرط ان يتم ذلك عن طريق تحطيم المقاومة المعنوية للمدينة بأرخص ثمن ، ودون تبديد قوته المادية ، لان بذل الجهد والقوى لاحتلال المدينة عنوة يعني تثبيته اسسام الجدران واعطاء هانيبال الفرصة لضربه من الخلف عند عودته .

لهذا لم يتقدم سيبيون نحو قرطاجة ، واكتفى بعزل المدينة عن حلفائها ومناطق تعوينها ، وعين مفرزة لمطاردة سيفاكس وتدميره بلا هوادة ، وجاء بحليف مازينيسا وسلمه عرش بلاد نوميديا فضمن بذلك مساعدة خيالته القادرة على منازلة خيالة هانيبال بشكل جيد .

ولزيادة تأثير هذا النوع من الضغط المعنوي على المدينة سار نحسو تونس بحركة تراها قرطاجة بوضوح فكان ذلك «وسيلة فعالة جداً لادخال الرعب في قلوب القرطاجيين» . ورافقت هذه الحركة أشكال اخرى من الضغط غير المباشر، مما حطم الروح المعنوية عند القرطاجيين ، وجعلهم يطلبون السلم فوافق مبدئيا، ومكث ينتظر موافقة روما على شروط الصلح . وفي خلال ذلك علمت قرطاجة بعودة هانيبال وانزال جيشه في عام ٢٠٢ (ق.م) ، فمزقت المعاهدة ، ووجسد سيبيون نفسه في وضع حرج وخطير . وزاد من خطورة الموقف غياب مازينيسا في بلاد نوميديا التي ذهب اليها لتثبيت اوضاعه هناك . لما رأى عسسدم ضرورة وجوده نظرا لدخول قرطاجة في مفاوضات الصلح .

وكان أمام سيبيون في هذه الحالة حلان تقليديان ، أولهما الهجوم لمنع هانيبال من الوصول الى قرطاجة ، وثانيهما التحصن دفاعيا وانتظار النجدات ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك ، بل اتبع سبيلا آخر يدعو الى الاستغراب ، فلو اعتبرنا طريق هانيبال من ليبيتس الى قرطاجة الضلع الايمن لرقم ٨ لكانت قرطاجة نحصو الجنوب هو الضلع الايسر لهذا الرقم . وهذا تقرب غير مباشر لا يمكن توقعه . وقادته هذه الطريق عبر وادي باغراده «حاليا» الى داخل البلاد في قلب منطقة تموين قرطاجة ، كما جعلته يقترب كل يوم من النجدات التي ارسلها له مازينيسا عندما طلب منه الدعم بسرعة .

وأصابت هذه الحركة هدفها الاستراتيجي ، وجن مجلس الشيوخ القرطاجي عندما علم باجتياح هذه المنا المحيوية وتخريبها ، فأرسل الى هانيبال يطلب منه الاسراع في التدخل واجب سيبيون على الدخول في معركة ، واجاب هانيبال على ذلك «بأن هذه أمور تخصه وحده» ، ولكنه اندفع مع ذلك تحت تأثير الظروف التي خلفها سيبيون ، وسار بسرعة نحو الغرب يبحث عن عدوه ، بدلا من التوجه شمالا نحو قرطاجة وهكذا جذبه الرومان الى الارض التي اختاروها في مكان لا يملك فيه هانيبال أي سند متين للمناورة أو ملجاً يركن اليه عند الفشل . وهذا وضع صعب أن في مقدوره أن يتلافاه لو قام بالمعركة قرب قرطاجة .

وهكذا دفع سيبيون خصمه للبحث عن المعركة ، ثم استغل هذه الميزة المعنوية وصلته النجدات بقيادة حليفه مازينيسا مع وصول هانيبال ، ومع ذلك فضل التراجع على التقدم ، فجذب بذلك هانيبال وجعله يعسكر في منطقة شحيحة المياه ، ويقاتل على ارض منبسطة تسمح باستغلال التفوق الذي حصلت عليسه الخيالة الرومانية حديثا . وهكذا ربح سيبيون عنصرين كبيرين من المعركة قبل بدئها . ثم ربح العنصر الثالث على ارض المعركة في زاما «ناراغا حاليا» ، بتكتيك حرم هانيبال من استخدام تفوق خيالته ، ولما فاجا الفشل التكتيكي هانيبال لاول مرة وقف ليتحمل نتائج فشله الاستراتيجي السابق ، ولم يكن عنده حصن يلتجىء اليه ويحمي به جيشه المهزوم بدلا من ان يعرضه للابادة خلال المطاردة ، وسقطت قرطاجة بعد هذه المعركة دون مقاومة .

حققت معركة زاما السيطرة الرومانية على حوض البحر الابيض المتوسط ، ثم امتدت هذه السيطرة بعد ذلك وتطورت حتى غدت تبعية بحتة دون مقاومات جدية ، وان لم يخل الامر من بعض الصعوبات . وهكذا توجت سنة ٢٠٢(ق.م) حوادث العالم القديم الحاسمة والمواقف العسكرية المؤيدة لها ، ثم اخذ التوسيح الروماني يصادف العقبات ، وبدأت الامبراطورية التي كانت تشمل الجزء الاكبر من العالم القديم في التقهقر لتسقط في النهاية محطمة بسبب انحلالها الداخلي وتوالى هجمات شعوب اوربا الهمجية عليها باستمرار .

يمكننا عند تحليل التاريخ المسكري وطرق القيادة المستخدمة في طسور «الضعف والانهيار» استنتاج كثير من الدروس المفيدة . كانت أوربا تمر عندئذ في مرحلة تطور تنقلها من قارة ذات بناء بسيط الى بناء مركب ، ودول مختلفة تمتزج فيها دماء متنوعة ، وتعود أهمية هذا التحليل الى ما يستحقه بيليزيسر والقادة البيزنطيون في أواخر عهد الامبراطورية ، من أهتمام وتقدير ، ولكن معظم نقاط هذه المرحلة غير واضحة ، ومن الصعب تحديد الصفات الميزة للحوادث الحاسمة فيها ، كما أن الوثائق التاريخية ومذكرات المؤرخين عن هذه الفترة غير مؤكدة ولا يمكن اعتبارها قاعدة لاستنتاجات علمية .

بعد ان وصلت قوة روما الى ذروتها وقعت حرب اهلية تستحق الدراسة ، ففيها ظهرت عبقرية قائد كبير آخر ، فأثرت بذلك على مجرى التاريخ ، فساذا كانت نتيجة حروب هانيبال اعطاء روما السيطرة على العالم ، فان الحرب الاهلية من عام .ه الى ٥٤ (ق.م) ، قدمت العالسم الروماني هديسة لقيصر (١٢) .. والقياصرة . عندما كان يوليوس قيصر يجتاز نهر روبيكون في ديسمبر .ه (ق.م)

۱۳ ـ قیصر : یولیوس قیصر (۱۰۱ ـ)) قاد ماهر وسیاسی ناجح ، اصبح قنصسلا وحقق انتضارات باهرة ، انتصر علی بومبی ومساعده ، ولما حکم ایطالیا کان یحکم لمسلحة الشعب ثم دبرت له مؤامرة وقتله ابنه بالتینی بروتوس وعندها قال جملته الشهیرة «حتی انت یا بروتوس».

كانت قوته تعتمد على الغاليين والايليريين ، وكان بومبي (١١) . . يحكم ايطاليسا وبقية ممتلكات روما بينما كان يوليوس قيصر يملك ٩ (ليجيونات) . وكان واحد منها معه في آرافين ، و(الليجيونات) الباقية في بلاد الغول . اما بومبي فكان يملك .١ (ليجيونات) في ايطاليا و٧ في اسبانيا وقوات اخرى متعددة موزعة في مختلف مناطق الامبراطورية . غير ان (الليجيونات) الموجودة في ايطاليا كانت غير مكتملة او متأهبة للقتال ، ومن المعروف ان ليجيونا واحدا مستعدا للحرب يعادل اكثر من ليجيونين في وضع السلم .

ووجهت بعد ذلك كثير من الانتقادات لقيصر لتسرعه وتهوره في المسير نحو الجنوب بقوات قلبلة، ولكن الناقدين تجاهلوا أن الزمن والمفاجأة عاملان اساسيان في الحرب . وكان قيصر يعرف ذلك جيدا ويبني استراتيجيته قبل كل شيء على معرفته لطبيعة خصمه بومبي .

كان بين رافين وروما طريقان ، فاستخدم قيصر اطولهما ، وأقلهما مباشرة على طول الشاطيء الادرياتيكي ، وأتم تنفيذ حركته بسرعة فائقة مجتازا منطقة كثيفة السكان ، وجامعا حوله مفارز كثيرة من المتطوعين الذين كان بومبي يرغب في جمعهم لصالحه ، تماما كما حدث مع نابليون في عام ١٨١٥ ، وتأثر بعسض انصار بومبى بهذه الحركة فالسحبوا الى كابو وتوغل قيصر بين مفارز العسدو المتقدمة الى كورفينيوم بينما كانت القوة الرئيسية الموجودة في لوسيريسا تحت قيادة بومبي محققا بذلك تفوقا دون أن يخسر نقطة دم وأحدة ، ثم تابع تقدمه نحو لوسيريا ، وكانت قوته تزداد بازدياد تقدمه ، وأمام هذا التقدم الباشر وجسد بومبي نفسه مضطرا للتراجع نحو المرافىء المحصنة في بواندوزيوم «بوانديسـزي حاليا» الواقعة في عقب شبه الجزيرة الإيطالية ، واستمرت المطاردة بسهولسة تامة ، مما سبب اضطراب بومبي لدرجة دفعته الى اتخاذ قرار باجتيار الادرياتيكي والالتجاء الى اليونان ، ولكن التقدم بشكل مباشر بحت ، وعدم المارة في المناورة حرم قيصر فرصة ذهبية التخلص من بومبي في معركة واحدة ، وأجبره علسي القيام بحرب ضاربة لمدة } سنوات على طول حوض البحر الابيض المتوسط . وبدأت المعركة الثانية ، وبدلا من أن يطارد فيصر خصمه إلى بلاد اليونان عاد ادراجه لملاقاة انصار بومبي في اسبانيا . ولقد ادى هذا الشركيز ضد «الشريك الحديث» لعدوه ، الى اتتقادات كثيرة . ولكن سلبية بومبي المتوقعة اظهرت صدق لقوات الخصم الرئيسية المتجمعة في ليردا «ليريدا حاليا» ، عند مخرج جبال البيرينيه الى انسحاب هذه القوات متجنبة الممركة . وفشل القضاضه المباشر

١١ ـ بومبى الكبير (١٠٧ ـ ٨٤ ق٠٠) قائد عسكري ، غدا قنصلا واشترك مع يوليوس قيصر عام ١٠ ق٠٠ ق٠٠ ق٠٠ عين الله عقد اول تحالف ثلاثي ولكنه منذ عام ٥٤ ق٠٠ بدأ ينافس قيصر وفي ٥٢ ق٠٠ عين تنصلا وحيدا ثم هزمه قيصر في معركة فارزال ، "«المعرب»

وكاد أن يؤدى إلى كارثة لولا تدخله شخصيا في المعركة . وبدأت معنويات رجاله بعد ذلك في الهبوط الى ان غيرٌ طريقته في التقرب ، ولكن في آخر لحظة . فبدلا من القيام بمحاولة جديدة لتقوية الحصار واحتلال ليردا ، خصص كل وسائطه لخلق مرفأ اصطناعي يسمح له بالسيطرة على ضفتي نهر سيكوريس الذي يجتاز المدينة ، مهددا بذلك خطوط تموينها ، الامر الذي اجبر مساعدي بومبي على القتال التراجعي قبل فوات الاوان ، وتركهم قيصر ينسحبون دون ان بشدد الخناق عليهم ، ولكنه كلف خيالته الغالبين بمهمة مهاجمة مؤخرتهم لازعاجهـــم وتأخير سيرهم ، وبدلا من محاولة احتلال الجسر الذي تدافع عنه مفارز المؤخرة الممادية ، فانه قام بعبور خطير من مخاضة عميقة لا تصلح الا لعبور الخيالة ، ثم عمل حركة التفاف واسعة ليلية ووقف على خط تراجع العدو . ولم يكن حتى ذلك الوقت يبحث عن المعركة ، واكتفى بسند الطريق امام كل مجاولة للانسحاب. وقامت خيالته بمتابعة ازعاج وتأخير العدو من الخلف ، بينما تابعت مشاته سيرها متجنبة القتال . وكان قيصر يبذل قصارى جهده لكبح رغبة القتال لدى جيشه، فلم يدفع جنود العدو الى نقطة اللاعودة ، بل أثار لدبهم الشعور بالأخوة . وزا الجوع والتعب وفقدان الامل هذا الشعور قوة ، ولما دفعهم في نهاله المطاف كقطيع من الاغنام نحو ليردا وأجبرهم على التمركز في موضع خال من المياه اضطرواً للاستسلام وحقق قيصر بذلك نصر استراتيجي لم نسفك فيهه دماء المنتصر او المغلوب ، وكان قيصر يزداد قوة كلما خسر العدو رجاله ، ورغم انه استبدل الهجوم المباشر بالمناورة فانه لم يخصص لهذه المناورة سوى ٦ اسابيع ثم عسدل استراتيجيته في المعركة التالية ، وأضاع ٨ اشهر لانتزاع نصر غير كامل ؛ فبدلا من دخول اليونان بطريق برية غير مباشرة عبر منطقة الليريا ، استخصدم قيصر طريقا بحرية مباشرة فكسب في باديء الامر بعض الوقت ، ثم فقد فيما بعسد الشيء الكثير . وكان بومبي يملك منذ البداية أسطولا هاما ، وكان قيصر محروما من ذلك . ورغم أوامره ببناء مختلف أنواع السفن ، فأن أكثر أسطوله لم يكن جاهزا وأبحر قيصر من برانديزي مع حوالئ نصف معداته بدلا من الانتظار لاتمام استعداده ، ونزل في بالا إيست ، وسار مع الشاطيء متجها نحو المرفأ الهــــام ديراكيوم «دورازو حاليا» وكان بومبي قد سبقه اليه منذ وقت قريب . ولكن بومبى كان بطيئًا كعادته ، ولم يحسن استخدام تفوقه العددى على انطوان الذي كان يقود النصف الثاني لجيش قيصر . واستطاع انطوان تحاشي الصدام مسع اسطول بومبي ، وحاول الاتصال بقيصر فلم يفلح ، ونزل في الطرف الثاني مــن ديراكيوم ، وهنا غدا بومبي في موضع مركزي ، ولكنه لم يستطع رغم ذلك منع التقاء انطوان والقيصر في تيرانا ، فقاتل قتالا تراجعيا ، وتبعه اعداؤه محاولين الاشتباك معه دون جدوى . بعد ذلك تقابل الجيشان على الضفة الجنوبية لنهسر

وصل الهجوم غير المباشر المعضلة ، اذ قام قيصر بالتفاف طويسل وشاق ،

جينوسوس الذي يسير جنوبي ديراكيوم .

مسافة ٥٥ ميلا في منطقة صعبة . وكان من نتيجته وصوله الى موضع وسط بين ديراكيوم وبومبي ، ولم يكن امام بومبي سوى ٢٥ ميلا عندما احس بالخطسسر فانسحب نحو قاعدة عملياته ولكن قيصر لم يستثمر تفوقه ، كما أن بومبي تجمد حسب طبيعته وخاصة بعد أن حافظ على حرية التموين من البحر ، عندها قام قيصر بعملية تتسم بشيء من الجدية ولكنها بقيت عقيمة ، لقد حاول القيسام بحركة كبيرة كثيرة التكاليف للاحاطة بجيش العدو الذي كان أكبر من جيشه وأقدر على التمون من البحر بحرية .

ولم يستطع بومبي ، رغم تخاذله ، ان يتجاهل هذه الفرصة نقام بضربات قوية ضد النقاط الضعيفة في خط التطويق المتهافت . وأدى نجاح هسسذه الضربات الى أجبار قيصر على الرد بهجوم معاكس فشل فشلا ذريعا . ولم ينقذ وحداته من التدمير الكامل بعد انهيار معنوياتها سوى سلبية بومبي .

واعلنت الوحدات عن رغبتها في القتال من جديد ، ولكن قيصر كان قد فهم الدرس جيدا ، فأمن خط تراجعه وعاد الى استراتيجية الهجوم غير المباشر ، وكانت فرصة جيدة لبومبي ليطبق نفس الاستراتيجية ويعبر الادرياتيكي ليسيطر على ايطاليا ، وساعده في عودته الاثر السيء الذي أحدثه الفشل على نفسوس الرومان . وفهم قيصر اهمية خطر عودة بومبي الى الغرب ، فقام بهجوم نحو الشرق ضد مساعد خصمه: سيبيون نازيكا الذي كان في مقدونيا ، فاضطــر بومبي الى مجاراة قيصر الذي كان اكثر بداهة وذكاء ، وذهب بطريق آخر لنجدة مساعده . ووصل قيصر قبل عدوه ، فتريث وانتظر قدومه بدلا من القيسمام بهجوم على معسكر سيبيون قبل وصول بومبي ، فأضاع بذلك فرصة ملائمة . وبمكن تفسير ذلك بأنه فهم بعد معركة ديراكيوم أن بومبي لا يقاتل فسيسي أرض مكشوفة الا اذا كانت لديه اسباب وجيهة جدا . وهذا تفكير سليم وحسساب صحيح فلقد كان لدى بومبي ضعف قوات قيصر ، ولكنه لم يشتبك في القتال الا تحت الحاح مساعديه ، وقام قيصر بسلسلة من المناورات لايجاد الفرصية. الملائمة ، فسيار بومبي لملاقاته واشتبك معه في فارزال ، وكانت المعركة سابقة لأوانها ، بدلالة نتائجها غير المرضية . ومع ذلك ادى تقرب قيصر غير المباشر هذا الى تأمين التوازن الاستراتيجي ، وكان من الضروري القيام بتقرب آخر لتدمير بومبى نهائيا .

وبعد الانتظار في فارزال ، طارده قيصر وعبر الدردنيل خلفه واجتاز آسيا الصغرى دافعا آياه على طول شواطىء البحر الابيسيض المتوسط ، حتى وصل الى الاسكندرية حيث قتله بطليموس (١٠) مجنبا قيصر كثيرا من المتاعب . ولكن المنتصر أضاع مكاسبه الكبيرة عندما تدخل في الصراع الذي كان قائميا

١٥ ... بطليموس الرابع عشر ملك مصر من عام ٥٢ الى ٧٧ ق.م.

بين بطليموس واخته كليوباترة (١٦) على عرش مصر ، فخسر بدلسك ٨ اشهر وبعثر قواه ، ويبدو ان خطيئة قيصر الاساسية كانت كامنة في عناده في متابعة الاهداف التي تظهر امامه ، وتثبيت انتباهه عليها للرجة تبعده عن مخططاته الكبيرة الاصلية .

سمحت هذه الغرصة لقوات بومبي من ان تتجمع وتكسب الوقت السلازم لتحضير الوحدات في افريقيا واسبانيا . وازدادت صعوبات قيصر في افريقيا بسبب العمل المباشر الذي كان يستخدمه مساعده كوريون الذي حصل على نجاح أيلي يعد فزوله على الشاطىء ، ثم أوقع نصبه في فغ نصبه الملك جوبا حليف بومبي ، فأبيد جيشه . هنا افتتع قيصر معركة افريقيا فسي عام ٦ (ق.م) ، مستخدما ــ كما فعل في اليونان ــ عملا مباشرا كان له اسوا النتائج ، وساعدت قلة أمكانياته على زيادة الوضع تازما ، وسقط في الشبكة مرة آخرى . ولكنه تخلص يفضل حظه وشجاعته التكتيكية ، ثم تمركز بعد ذلك في معسكر محصن قرب روسبينا ، وانتظر قدوم نجدات جديدة ، ولم يطاوع نفسه التواقة السي الدخول في معركة .

وهنا علا للمناورة من جديد مجنبا وحداته سفك الدماء ، نطبق بنجاح خلال عدة شهور استراتيجية الهجوم غير المباشر ، ولكن على مستوى صغير ، واستمر على ذلك حتى بعد وصول الامدادات ، وناور بدون توقف معطيا خصمه مجموعة من وخزات الابر فضعفت معنويات رجال المسكر المعادي واخذوا يفرون بأعداد كبيرة ، وفي النهاية ، هدد قاعدة المدو الكبيرة في تابسوس بهجوم غير مباشر ادى الى خلق الظروف الملائمة للمعركة ، فانطلقت وحداته بالانقضاض بدفعها حماس شديد دون ان يقوم قادتها بدور كبير .

ثم جاءت معركة اسبانيا في عام ٤٥ ق.م وهي المعركة التي وضعت نهايسة للحرب ، ولقد حاول قيصر خلالها الاقتصاد في الرجال ، فناور ضمن حسدود ضيقة نسبيا ، ليدفع العدو الى ارض تؤمن له القيام بمعركة رابحة ، ووصل الى موندا وحقق هنالك انتصارا غالي الثمن . وكانت المعركة ضارية وغير حاسمسة لفترة طويلة ، وخسائر الطرفين فادحة بشكل يدعونا الى الانتباه لضرورة التغريق بين الاقتصاد بالقوى وتقدير القوى الملازمة بشكل صحيح جدا .

استخدم قيصر طريقة الهجوم غير اللباشر ، ولكن على مستوى صغير وبدون مفاجأة . لقد كان يثير في كل معركة توترا نفسيا لدى العدو ، ولكن دون ان يتمكن من افنائه . ولعل سبب ذلك اهتمامه الخاص بتدمير معنويات الوحدات المعادية بدل تحطيم معنويات قياداتها . ويعطينا تاريخ معاركه فكرة واضحة عن

١٦ ــ کلیوباتره السابعة ولدت في عام ٦٩ ق٠م ــ وحکمت مصر من عام ٥١ الى ٣٠ ق٠م٠
 إنسرت بجمالها يوليوس قيصر ثم مادك انطونيو ، ثم انتحرت بالاقمى بعد هزيمة انطونيو .

الفرق بين نوعين من الهجوم غير المباشر احدهما مادي موجه للقوات المعاديسة وثانيهما معنوي موجه لقيادتها ، كما يُؤكد الفرق بين الهجوم المباشر وغسسير المباشر . لقد فشل قيصر في كل مرة قام فيها بهجوم مباشر ، ولكنه كان يصلح فشله كل مرة بالعودة الى الهجوم غير المباشر .

الفص لالبع

الحروب البيز نطية بيليزىر ، نارسيس

بعد انتصار قيصر في موقعة موئدا ٥٤ (ق.م) ، نودي به «دكتاتورا مسدى الحياة» لروما والعالم الروماني ، وكان لهذا المنصب الجديد أثر كبير لانه تجاهل الدستور وفتح الطريق من الجمهورية الى الامبراطورية . وهذا عمل يطوي فسي ثناياه بذور دمار الامبراطورية واضمحلالها . ولقد تم هذا الاضمحلال بشكسل متدرج ومتزايد ، استمر خمسة قرون منذ انتصار قيصر الى سقوط روما ، ومع ذلك فقد تابعت الامبراطورية الرومانية بقاءها تحت شكل آخر نحو ... عام . ويعود طول حياة الامبراطورية البيزنطية الجديدة الى قسطنطين الاكبر (۱) . الذي نقل العاصمة من روما الى بيزنطة «القسطنطينية» في سنة .٣٣ ، كما يعود

انتصر على خصمته الحسانس في معركة ظهر قيها رسم الصليب في السماء مع هذه الآية «بهذه العلامة لك النصر» .
 المرب»

الى تحول العالم الروماني نهائيا في عام ٣٦٤ الى امبراطورية الشرق وأمبراطورية الغرب . وعاشت امبراطورية الشرق في حالة افضل من امبراطورية الغرب التي كان يفتت قواها باستمرار هجمات الشعوب الهمجية الاوربية ، حتى جاءت نهاية القرن الخامس وظهرت مملكة ايطاليا المستقلة المشابهة لممالك الغول واسباتيسا وافريقيا آنذاك ، فسقطت بذلك المبراطورية الغرب التي لم تكن تحكم الا اسما. ولكن في أواسط القرن السادس انبعثت سيطرة روما من جديد في الغرب نتيجة عمل جاء من الشرق . إذ قام قادة بيزنطة أيام جوستينيان (٢) بالاستيلاء على افريقيا وايطاليا واسبانيا الجنوبية . ويمكن اعتبار هذه الانتصارات عائدة للقائد بيليزير (٢) . كما يمكن اعطاؤها صفنين ظاهرتين ، اولاهما ضعف القوى التي حصل بها بيليزبر على نتائج جيدة في معارك بعيدة ، وثانيهما استخسدام الدفاع التكتيكي بشكل دائم ونموذجي . ولا يقدم التاريخ مثالا مشابها لهــــــده السلسلة من الانتصارات القائمة على تجنب الهجوم ، والمنفذة بجيش يمتساز بسرعة الحركة ، لأن معظمه من الخيالة ، ولم تكن الشجاعة لتنقص بيليزير ولكن تكتيكه كان مبنيا على اعطاء الفرصة للعدو القيام بالهجوم . ويعود اختياره هــذا التكتيك الى ضعف امكانياته من جهة وحساباته الحكيمة المبنية على معطيسسات تكتبكية ونفسية من جهة أخرى ،

لم يكن جيش بيليزير منظما حسب تنظيم (الليجيونات) التقليدي ، وكان له شكل جيوش القرون الوسطى ، مع مستوى تنظيمي اعلى ، ولم يكن العسكري الروماتي ليجد فيه جيشا رومانيا نظاميا ، ولكن لو ان عسكريا ممن خدموا مع سيبيون في افريقيا نظر اليه لفهم اصل واسباب تطوره ، والحقيقسة ان الجيش قد تطور منذ ايام سيبيون ، وقيصر ، والدولة نفسها انتقلت من مرحلة دولة المدينة الى مرحلة الامبراطورية ، ولم يعد الجيش قوة محترفة تخدم مدة طويلة ، بل غدا جيشا من المواطنين الذين يقومون بالاعمال العسكرية لمدة قصيرة ، ولم تعد الخيالة في التنظيمات الجديدة تشغل المركز الاول الذي كانت تشغله في معركة زاما ، بل غدت المشاة هي اساس الجيش الامبراطيوري الروماني ، وأصبحت الخيالة فرعا ثانويا ، ولكن فيما بعد اصبحت الحاجة ماسة لوحدات مربعة الحركة قادرة على الدفاع عن الجبهة ، فاضطر الرومان (كما اضطروا في الماضي اثناء صراعهم ضد هانيبال) الى زيادة نسبة الخيالة باستمرار ، وفسي

٢ ـ جوستينيان الاول : امبراطور الشرق من ٢٧ه الى ٦٥ه كان لديه قادة افلاذ مثل بيليزير
 ونازسيس ٤ انتصر على الفرس والفائدال والفوط الشرقيين واحتل افريقيا وإطاليا وقام بإعمال
 حليلة بناءة .

 $[\]tau$ - بيليزير (τ) عائد بيزنطي انتصر على الغرس والغائدال والغوط الشرقيين τ

عام ٣٧٨ وقعت معركة أندرينوبل ، وسيطرت خيالة الفوطيين على (ليجيونات) الرومان . واضطرت الجيوش الرومانية بعدها الى اعادة تنظيم وحداتها ، وزيادة خيالتها ، مستفيدة من دروس هذه المعركة .

وتعاقبت الاجيال بعد ذلك ، وتم التطور في اتجاه مخالف للماضي ، وفي اثناء حكم تيو دوز تم تطوير العسكري الخيال الذي يرتدي الدرع مما ادى السس تجنيد عدد كبير من خيالة الشعوب الاوربية الهمجية ، ثم تم بعد ذلك تعديل هذا الاتجاه بشكل معقول واعيد تنظيم الوحدات العسكرية . وكان السسلاح الرئيسي في عهد جوستينيان وبيليزير ، الخيالة الثقيلة المدججسة بالدروع والمسلحة بالقوس والرمح الطويل . وكانت الغاية الاساسية من ذلك جمع قوة الرمي المتحركة من الخيالة رماة النبال في جيوش الهون والفرس ، كما اخذوا فكرة الصدمة من الخيالة الغوطيين حاملي الرماح ، ويعطي توافق هذين النوعين من الخيالة صورة تكتيكية مشابهة لتعاون الدبابات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة في القرن العشرين . وكانت المشاة الثقيلة نقطة ارتكاز تناور حولها الخيالة خلال المعركة .

وفي بداية القرن السادس اصبحت الامبراطورية الرومانية الشرقية في مركز حرج و تعرضت جيوشها لكثير من الهزائم الساحقة على الحدود الفارسية وغدت مواقعها في آسيا الصغرى مهددة بشكل جدي . ثم خف ضغط الفرس نسبيا عندما هاجم الهون حدود بلادهم الشمالية . ولكن الحرب اشتعلت معهم من جديد حوالي عام ٥٢٥ وبدات بداية صالحة بالنسبة للرومان ، وظهر بيليزير فيها اثناء قيادته هجمات الخيالة في أرمينيا الفارسية ، وخلال هجوم مضاد جيد قام به ضد الفرس الذين كانوا قد احتلوا حصنا عند الحدود . وبسدت انتصاراته باهرة امام النتائج التافهة التي حصل عليها القادة الآخرون مما دفيع جوستينيان الى تعيينه قائدا عاما لجيوش الشرق ، رغم انه كان لا يزال ، شابا في حوالي الثلاثين من عمره .

وفي عام ٥٣٠ تحرك جيش فارسي قوامه ، الف رجل نحو حصن داراس . وكان مع بيليزير ٢٠ الف رجل فقط اغلبهم من المتطوعين غير المدربين الذيسن رسلوا مؤخرا له . وبدلا من الاحتماء والمحاصرة خلف الاسوار فرر الاشتباك في معركة في موضع اعده بكل عناية ليطبق فيه تكتيكه «الهجومي ــ الدفاعي» بشكل عملي ، وكان يعتمد في الحقيقة، على ان تعالي الفرس على البيزنطيين ، وتفوقهم العددي عليهم سيدفعاتهم الى المبادرة بالهجوم ، وتم حفر خندق عريض وعميق أمام حصن داراس ، وكان قريبا من أسوار الحصن لدرجة تؤمن دعم المدافعين عن الخندق بواسطة الرماة المحتمين خلف الاسوار والمشكلين من مشاة بيليزير المتوسطة النوعية ، كما حفر على طرفي الخندق الجبهي خندقين طوليين يشكلان مع الجبهة زاوية ، ونانت اطراف الخنادق الطولية متجهة نحو المرتفعات المسيطرة مع الجبهة زاوية ، ونانت اطراف الخنادق الطولية متجهة نحو المرتفعات المسيطرة

على الوادى من طرفيه . وانشئت على مسافة متفاوتة من هذه التحصينات المعطية للمجنبات ممرات عربضة تتمركز الخيالة الثقيلة خلفها وتكون جاهزة للانطلاق منها للقيام بهجوم مضاد ، وكانت خيالة الهون الخفيفة متمركزة في الزوايا بغية القيام بهجمات ازعاج على المغيرين ، اذا اضطرت الخيالة الثقيلة الى الانسحاب امامهم . وعندما وصل الفرس الى مكان المعركة ، نظروا الى هذه الاعمال الدفاعية باستفراب وخصصوا اليوم الاول لاستطلاعها ، وفي صبيحة اليوم التالي ارسل بيليزير الى القائد الفارسي كتابا يعرض عليه تسوية المنازعات بمباحثات سلمية بدلا من القتال . ويسجل بركوب قول بيليزير «السلم افضل الاعمال ، هكذا يفكر الرجال الذين يملكون ذرة من العقل وأفضل القواد هو من يستطيع استبدال الحرب بالسلم» . وتظهر عظمة هذا القول اذا تذكرنا أن قائله قائد شاب ذكره قبيل يوم نصره الكبير الاول . ولكن القائد الفارسي اجاب بأنه لا يمكن الثقة الرسالة وأرغمه على اتخاذ هذا الوضع الدفاعي ، لذا قرر الهجوم . وحساول الفرس تحاشى السقوط في الفخ فلم يهاجموا القلب ، وكان هذا هو هدف بيليزير الذي لم يكن ينتظر هجومهم جبهيا بل كان بود اجراء المعركة على الاجنحة ليستخدم خيالته التي يعتمد عليها لانها لم تكن أضعف من خيالة الفرس بكثير ، وكانت مشاته قادرة على الاشتراك في مثل هذه المعركة برمي النبال ، وكسان القوس البيزنطي آنذاك افضل وابعد مدى من القوس الفارسي ، كما أن تأتسس الدروع الفارسية بسهام البيزنطيين كان اكبر من تأثر دروع البيزنطيين بسهام القرس .

تقدمت الخيالة الفارسية في بادىء الامر نحو جناح بيليزير الايسر ولكسين مفرزة صفيرة من خيالته كانت مختبئة على المجنبة خلف هضبة ، وقامت بمهاجمة الخيالة الفارسية بقوة من الخلف ، ومع هذه الصدمة المفاجئة ظهرت خيالسة الهون الخفيفة من الطرف الآخر فاجبرت الفرس على الانسحاب وفي نفس الوقت تقدمت الخيالة الفارسية على الجناح الايمن وتوغلت في مواضع البيزنطيين بعمق مما ادى الى فتح ثفرة بين جناحهم المتقدم وقلبهم الذي بقي ثابتا . عندها دفع بيليزير في هذه الثغرة بكل الخيالة الموجودة تحت تصرفه . وقام بهجوم معاكس على نقطة التمفصل الضعيفة في تشكيلات العدو الامر الذي ادى الى اخراج خيالة الجناح الايسر الفارسي من المركة وتفريقها . ثم عاد بيليزير الى مجنبة المشاة المعادبة المجمدة في المركز ، وانتهت معركة داراس بهزيمة ساحقسسة للفرس ، وكانت اول هزيمة لهم امام البيزنطيين منذ اجيال عديدة .

وبعد عدة ضربات وهزائم قرر الفرس مفاوضة جوستينيان لعقد الصلح ، وخلال فترة المباحثات قدم ملك ساراسان الى حلفائه الفرس خطة حربية تعتمد على العمل غير المباشر ضد القوى البيزنطية ، واقترح مهاجمة الحدود في المكان الضعيف الذي لم يهتم العدو بتقويته بدلا من التعرض الى المكان المحسسسن

والمحروس جيدا ، لان في ذلك فائدة كبرى ، واقتنع الغرس بغكرته فأرسلوا جيشا يضم معظم الوحدات المتحركة، وعبر الجيش نهر الغرات ثم اجتاز الصحراء التي كانت تعتبر منذ زمن طويل حاجزا لا يمكن عبوره ، واقتربت الوحسدات فجأة من انطاكية اغنى بلاد الامبراطورية الشرقية . ولقد البتت هذه الخطة بعد تنفيذها امكان احتياز الصحراء بجيش اعد بحيث يتلاءم مع ظروف الطبيعة .

ولكن قوات بيليزير المتحركة كانت كبيرة جدا ، وجهاز الدفاع على حسدوده قويا بشكل استطاع معه الحركة بسرعة من الشمال والوصول قبل عدوه لاحباط خططه وتهديداته ، ثم اكتفى برده حتى قواعد انطلاقه فقط ، وثم ترض قواته عن هذا العمل ، لانها كانت ترغب في نصر اكبر ، فحاول يبليزير افهامها بسأن النصر الحقيقي هو في اجبار العدو على التخلي عن مخططاته باقل تكاليف ممكنة وبما أنه نجع في ذلك ، فإن القتال اصبح عديم الجدوى ، وقال : «لماذا نصر بعناد على متابعة عدو متسحب» كما قال : «لماذا نعرض انفسنا اخطر الهزيمة في القتال اذا كانت نتائج هذه الهزيمة ستؤدي الى فتح الطريق الى قلب الامبراطورية المام غزو جديد خطي ، كما أن أغلاق السبل في وجه عدو منسحب قد يؤدي الى أعطائه شجاعة اليائس لانقاذ حياته» .

ولم يستطع الجنود المتعطشون للدماء فهم هذه الفكرة الحكيمسة فاستعروا يطالبون بما يعليه عليهم شعورهم الغريزي البدائي . وحاول يبليزير مسايرتهسم للاحتفاظ بهم تحت رابته فاشتبك في القتال ، وأصيب بالهزيمة الوحيدة التي مني بها في حياته ، مما أثبت رجاحة افكاره وحججه ، ولقد أصيب الفسرس للحصول على هذا النصر بخسائر فادحة ، فاضطروا رغم التصارهم الى متابعة القتال التراجمي .

كلف ببليزير بعد دفاعه عن الجبهة الشرقية يتنفيذ مهمة هجومية في الغرب. في القرن السابق كان الغائدال (وهم شعب جرماني) قد الهوا هجرتهم الى الجتوب باحتلال اقريقيا الرومانية واتخاذ قرطاجة عاصمة لهم . وكانوا يتطاقون من هذه المقاعدة للقيام بأعمال القرصنة على نطاق واسع ، ويقومون باغارات سلب ونهب على مدن شواطىء البحر الإبيض المتوسط . ولقد نهبوا روما في عام 20 شم هزموا الحملة التأديية التي ارسلتها القسطنطينية ضفهسم ، الا ان الشمس الافريقية وحياة الترف هفيت علاات اجيالهم التالية واثرت على طباعهم واندفاعهم وقوتهم ، وفي الاه عنول ملك الفائدال هيلدير طلق صديق جوستينيان في ايام صياء ، وسجن على يد جيليمير احد ابناء اخوته المتهورين ، وكتب جوستينيان الى حيليمير يطلب منه اخلاء سبيل عمه ، وجاء الجواب بالرفض فقرر في عام ويا الافرومين بالمرفض فقرر في عام ويا الافرومين المشاة . وكانت الوحدات مختارة ومعتازة ، ولكنها قلبلة بالنسبة ويا الغلادال البالغة حوالي . . 1 الف رجل .

عندما وصل بيليزير الى صقلية جاءته اتباء مشجعة تقول الله الكثر فسسوات القاتمال موجودة في خزيرة سرديتيا لاخماد فتنة اشتعلت ضدهم ، وكان جيليمير

نفسه بعيدا عن قرطاجة ، ولم يضع بيليزير وقتا ، وأبجر الى افريقيا حيث نزل على البحر بدون قتال في نقطة تبعد مسيرة ؟ ايام عن قرطاجة . وتحاشف بذلك خطر التعرض لاسطول الفقدال المتغوق على أسطوله . وعندما عرف جيليمسير ذلك ، أصدر أوامره العاجلة الى مختلف المفارز بالتوجه تحو ممر يبعد . الميال عن قرطاجة ، وكانت خطته تهدف الى تطويق المهاجمين .

ولكن تقدم بيليزير كان متوافقا في الزمن مع تهديد قرطاجة بالاسطىل الروماني مما أدى الى عرقلة خطط عدوه فغاجأ قواته اثناء تجمعها ، وجرت عدة مناوشات سببت اضطراب الغاندال لدرجة آنهم فقدوا ميزة النفوق العددي على بيليزير ، وتفرقوا في مختلف الاتجاهات تلاكين الطريق الى قرطاجة مفتوحسة امام بيليزير ، وفي هذا الوقت جمع جيليمير قواته واستدعى وحداته مسسن سردينيا ، واستعد خارج قرطاجة للقيام بهجوم جديد . قما كان من يبليزير الا ان احتل المليئة التي اخلاها اعداؤه .

انتظر بيليزير في قرطاجة عدة اشهر منتظراً محلولة اعداله لطرده ، ولما لم يقوموا بذلك استنتج من جعودهم ان حالتهم العنوية سيئة ، فقرر القيام يهجوم يستنط الى مكان حصين يمكن الالتجاء اليه عند الفشيل . قدقع خيالته الى الامام، ووصل الى معسكر الفائنالل عند تريكاميرون الرابضة خلف نهر سريع الجريان ، واشتبك في المعركة قبل وصول مشاته . وكان العدو يملك التفوق العددي ، الامر الذي دعاه الى التفكير في اجبار العدو على مهاجمته على ان يصد هجومه بهجوم مضاد عندما يعبر العدو النهر ، فقام يهجوم استفزازي و «تعشيل انسحاب» ولكنه لم يفلح في جلب المعلو الى المطاردة عبر النهر كما كان ينبغي . عندها قرر الاستفادة من حدر خصومه ، فدفع الى الضقة المقابلة للنهر بقوات اكيس وقام بهجوم مشاغلة على قليهم ، فجذب انتباههم وقام يعد ذلك بالهجوم على الجبهة .

وانهارت مقاومة الفائدال فجأة ، فانسحبوا والتجلوا الى معسكواتهم ، وهرب جيليمير خلال الليل وتفرق جيشه بعد انسحابه ، واعقيه هذا النصر مطاردة السر خلالها جيليمير وانتهت الحرب بذلك ، وعندئذ اصبح مشروع استرداد افريقيا الرومانية ممكنا بعد ان كان في الماضي مقامرة خطرة .

شجع هذا النصر السهل جوستينيان على القيام بمحاولة في عام ٥٣٥ لطرد الغوط الشرقيين ، واعادة احتلال الطاليا وصقلية بأقبل ثمن ، فارسل جيئا صغيرا الى شاطىء دالماسيا ووعد اللفرنج بطال فساعدوه بمهاجمة العدو مسين الشمال ، واستفل جوستينيان عمليات المشاغلة هذه وارسل بيليزير الى صقلية على راس حملة تعدادها ١٢ الف رجل ، وامره بالوصول الى انجزيات ونشر دعاية تقول ان هدف جيشه هو السير الى قرطاجة ، ثم محلولة احتلال الجزيرة اذا تيسر له ذلك ، فاذا ما تعذر ذلك ركب البحر ثانية وعاد الى قواعده ، ولم يجد بيليزير اية صعوبة ، واستقبلته صقلية كمنقذ وحام رغم المعاملة الحستة

التي عاملها بها المحتلون سابقا ، ولم تقم حاميات الغوط الشرقيين بأية مقاومة باستثناء حامية باليرمو التي اضطر لاحتلالها مستخدما الحيلة والخديمة ، وفي نفس الوقت كانت محاولات البيزنطيين في دالماسيا تصادف عقبات جمة ، مما اضطر جوستينيان لارسال جيش جديد ليتابع عملية المشاغلة ، ولما نجحت هذه المملية في لقت انتباه العدو اجتاز بيليزير مضيق مسينا ، وبدأ غزو ايطاليا .

ادت خلافات الغوط الشرقيين الداخلية واهمال ملوكهم الى فتح الطريق امام بيليزير في ايطاليا الجنوبية ، فتقدم حتى نابولي التي كانت محصنة جيدا وتدافع عنها حامية قوبة تعادل تعداد جيشه كله . ومني بالفشل في بداية الامر . ثم وجد صدفة السبيل المأمون لدخول المدينة عبر قناة ماء مهجورة ، فدفع مفرزة مختارة من احسن جنوده عبر المجرى المائي ، وقامت هذه المفرزة بهجوم مسن المؤخرة ، في الوقت الذي قام فيه الجيش بهجوم جبهي مع تسلق على الجدران ليلا ، ونجح في احتلال المدينة .

ادت هذه الكارثة الى اضطراب الغوط الشرقيين حتى انهم ثاروا عبى ملكهم وخلعوه وعينوا بدلا منه قائدا حازما هو فيتيجيس (٤) السذى طبق الافكــــار المسكرية التقليدية ، وحاول تدمير الفرنج قبل البدء في جمع قواته ضـــد البيزنطيين ، فترك روما في حراسة حامية كافية ، وسار نحو الشمال يقود حملة ضد الفرنج ، ولم يكن الشعب الروماني راضيا عن الموقف ، ووجدت الحامية نفسها معزولة عن المواطنين وعاجزة عن الدفاع بدون مساعدتهم فانسحبت عند اقتراب بيليزير الذي احتل المدينة دون اية صعوبة ، وندم فيتيجيس على قراره ولكن بعد قوآت الآوان ، فاشترى صداقة الفرنج بالذهب والاراضي ، ثم جمع جيشا قوامه ١٥٠ الف رجل لاعادة احتلال روما . ولم يكن مع بيليزير سيسوى ١٠ آلاف رجل ، فقام بتقوية حصون المدينة الدفاعية خلال ثلاثة اشهر وجمع كمية كبيرة من المؤونة ، ولما وصل فيتيجيس وبدأ الحصار استخدم بيليزيـــر طريقة الدفاع الايجابي ، ونظم طلعات وإغارات عديدة منتظمة خارج اسواره ، استخدم خلالها ميزات خيالته المجهزة بالقوس بشكل يؤثر على خيالة العدو مع البقاء بعيدا عن متناول اسلحتها ، واستخدم الدقة الشديدة في صرف المؤن ، ولكن قوى العدو كانت تتناقص باستمرار وسرعة ، خاصة بعد انتشار الاوبئيسة بينهم . ولزيادة سرعة الانهيار خاطر بيليزير وأرسل مفرزتين احتلتا بالمفاجاة مدينتي تيفولي وتيراسين المسيطرتين على طريق تعوين العدو الذي يحاصر روما، ولما وصلت الامدادات البيزنطية زاد مدى إغاراته على الشباطيء الادرياتيكي ووجهها الى مدينة رافين قاعدة عدوه الاساسية . وبعد سنة تخلى الغوط الشرقيين عن الحصار وانسحبوا نحو الشمال . ولما علموا بقدوم قوات بيرنطية جديـــدة واحتلال ريميني الواقعة على خط المواصلات مع رافين زادوا سرعة انسحابهم .

٤ ـ فيتيجيس : ملك الفوط الشرقيين من ١٦٥ ـ ١٥٥٠ «المعرب»

ولكن بيليزير هاجم مؤخراتهم وكبدها خسائر فادحة .

عندما كان فيتيجيس بقاتل متراجعا نحو الشمال الشرقي في اتجاه رافين وضع بيليزير على الشاطىء الغربي مفرزة من قواته واسطوله مهمتها احتلال مدينتي بافي وميلانو ، ثم توجه مع ٣٠ الف رجل في اتجاه الشاطىء الغربسي حيث لحقت به نجدات نزلت حديثا على البر تعدادها ٧ آلاف جندي بقيادة نارسيس(٥) الذي كان ملحقا بخدمة البلاط ، ثم توجه بسرعة لنجدة مفرزة ريميني التي كانت قريبة من فيتيجيس .

تحاشى بيليزير حصن أوزيعو وحاميته المؤلفة من ٢٥ الف رجل وتسلل خلفه ثم أتجه جيشه بثلاثة أرتال ، تقدم أثنان منها نحو ريميني وتقدم الثالث نحو البحر وكانت غايته من التقدم على ثلاثة أرتال أعطاء عدوه فكرة مضخمسة عن قوته ، ولتأكيد هذه الفكرة لديه كان يشعل خطا طويلا من نيران المسكرات في الليل ، ونجحت الحيلة ، وزاد من نجاحها الرهبة التي يحملها اسم بيليزير وأصيبت عناصر جيش الفوطيين بالهلع من جراء تقدمه .

ولم يكف بيليزير عن مراقبة فيتيجيس في اتجاه رافين علاوة على محاولسة تأمين مواصلاته مع روما ، باحتلال مختلف الحصون التي كان قد تجاهلها خلال تقدمه السريع السابق ، ولم يكن الامر سهلا بوسائطه القليلة ، وكانت طريقت تعتمد على عزل الحصن ثم تركيز امكانياته عليه في الوقت الذي تنتشر فيه مفارز سريعة الحركة على شكل ستارة على مسافة كافية لتثبيت قوى العدو التي قد تأتي لنجدة المحاصرين ، ومع ذلك كانت المهمة في حاجة الى وقت طويل ، خاصة وان عددا من قواده كانوا يبحثون عن مهمات اسهل وأهداف ذات مظاهر اكبر ، وكانوا يعتمدون في مخالفتهم للنظام وعصيانهم اللوامر على تأييد اصدقائهم في البلاط ، وكان فيتيجيس خلال ذلك لا ينقك يرسل الرسل الى الفرنج والفرس لحثهم على القتال ما دامت الفرصة ملائمة لوضع حد للتوسع البيزنطي ، السذي يمكن ايقافه وسحقه بهجومين من جهتين يدمران القوات البيزنطية المعشرة بشكل يمكن ايقافه وسحقه بهجومين من جهتين يدمران القوات البيزنطية المعشرة بشكل كبيرة ، وأجاب ملوك الفرنج على هذه الطلبات بأن اجتازوا جبال الالب بجيوش كبيرة .

ولكن الفرنج الحقوا الضرر بمن قلموا لنجدتهم . اذ انهم قابلوا بعد عبور نهر البو مفرزتين تتناوشان احداهما بيزنطية والثانية من الغوطيين فهاجموا المفرزتين دون تمييز واجبروهما على الفرار ، ثم بداوا في نهب البلاد وتخريبها ، وكسان جيشهم مؤلفا من المشاة فقط . لذا بقي نطاق عملهم محدودا ، ثم تعرضوا للموت جوعا بالآلاف ، بسيب التخريب والقحط الذي سببوه بأنفسهم ، ففقدوا معنوياتهم

عد تارسیس : قائد من قواد جوستینیان (۹۲۶ ـ ۵۹۸) کان حاکم ایطالیا وقام باحباط ثورتها
 الشعبیة ، «العرب»

واصبحوا غير قادرين على مواجهة خصم متحرك . وهنا استطاع بيليزير اقناعهم بكل سهولة بضرورة العودة الى ما وراء جبال الالب واصبحت الظروف ملائمة له ليضغط بشدة على رافين ويجبر فيتيجيس على الاستسلام .

وفي عام . ٤٥ استدعاه جوستينيان الى القسطنطينية لصد الخطر الفارسي الجديد . ولكن سبب الاستدعاء الحقيقي كان غيرة البعض ودسائسهم ، اذ قيل لجوستينيان ان الغوط يعرضون الصلح على بيليزير بشرط الاعتراف به امبراطورا على الغرب . وعندما كان بيليزير في طريق عودته قام ملك فارسي جديد يدعى كوزورئيس باجتياز الصحراء ، وهي العملية التي لم تنجح في المرة السابقة ، واحتل اتطاكية ومدن سورية أخرى وقام بنهبها ، ثم قبل العرض الذي قدمه جوستينيان والذي وعده فيه بتقديم جزية في كل عام مقابل عقد معاهدة صلح جديدة . ولكن ما ان عاد كوزورئيس الى بلاده، ووصل بيليزير الى القسطنطينية حتى مزق جوستينيان العاهدة موفرا اموال خزائنه .

اجتاح كوزورئيس في المعركة التالية كولشنيد على شاطىء البحر الاسسود واحتل الحصن البيزنطي بيترا في الوقت الذي وصل فيه بيليزير الى الجبهة الشرقية ، وعندما علم بيليزير بقيام الفرس بمغامرة بعيدة لا يعرف اتجاهها ، قرر الاستفادة من الفرصة والعمل مستعينا بالمفاجأة ، فدخسل ارض العدو ولزيادة تأثير توغله دفع حلفاءه العرب للقيام بإغارات على طول نهر دجلة حتى حدود آشور . واقد طبق هاتين المناورتين في وقت اختاره بدقة ، فأظهر بذلك قيمة الهجوم غير المباشر الناجم عن تهديد قواعد الجيوش الفارسية المستبكة فسسى كولشيد ، ولما علم كوزورئيس بذلك عاد ادراجه بسرعة ليحمى خطوط مواصلاته.

ثم استدعي بيليزير بعد ذلك الى القسطنطينية بسبب أضطرابات داخلية ، وقام ملك القرس خلال غيابه عن الجبهة الشرقية بمحاولة لغزو فلسطين ، وكان هدفه من ذلك احتلال أورشليم اغنى مدن الشرق بعد تدمير انطاكية ، ولما علم جوستينيان بالامر أرسل بيليزير لمعالجة الموقف، ولكن ضخامة جيش كوزورئيس المؤلف من ٢٠٠ الف رجيل منعه من اجتياز الصحراء القاحلة وأجبره علمي المسير يمحاذاة نهر الغرات ودخول سوريا من الشمال ثم التوجه نحو الجنوب باتجاء فلسطين ، لذا عرف بيليزير الطريق الذي سيتبعه عدوه بدقة ، فجمع قواته القليلة السريعة الحركة في مدينة كارشميش الواقعة على المجرى العلوي لنهر الغرات ، بحيث يمكنه تهديد مجنبة الغرس واضعف النقاط في طريست تقدمهم ، ولما علم كوزورئيس بذلك أرسل مبعوثا الى بيليزير للاستعلام عن حالة الجيش البيزنطي منسترا تحت ستار مفاوضات الصلح ، ولم يكن هذا الجيش ليمادل أكثر من الرا أو ٢٠/١ من القوات الغارسية .

عرف بيليزير هدف هذا المبعوث فقام بخدعة عسكرية ، اذ اختار خيرة عناصره من القوطيين والقائدال والعرب الذين انضووا تحت لوائه بعد اجتياح بلادهم ، ووضعهم على طريق مرور مبعوث كورورئيس بشكل يعتقد معه هذا الجاسوس ان ما يشاهده من قوات هي مقدمة لجيش كبير ، وتلقى العساكر أمرا بالتفرق في

السهل واجراء التحركات باستمرار كي يبدو عددهم مضاعفا ، ولقد حققت هذه المظاهر تأثيرها المطلوب الذي زادته قوة ثقة بيليزير بنفسه أثناء اللقاء ، وأكدته مظاهر عدم الاهتمام التي أبدتها الوحدات وكأنها لا تتوقع اي هجوم .

اقنع تقرير المبعوث بعد عودته كوزورئيس بأن في متابعة التقدم مخاطرة غير محمودة ، خاصة وأن قوة معادية كهذه تقع على جناح خط مواصلاته ، ثم قام فرسان بيليزيز بعدة مناورات على طول نهر الغرات زادت الغرس وقوعا فيسلى خطئهم ، وتمت خديمة الفرس وتحقق الانسحاب السريع والعودة الى قواعسد الإنطلاق وراء النهر ، وليس في التاريخ مثال كهذا تم فيه صد غزو كبير لا يقاوم بأقل التكاليف والجهود . ويرجع ذلك الى المعجزة التي ترتبت على الهجوم غير المباشر المنمثل في احتلال موضع يهدد مجنبة الخصم ماديا ويؤثر عليه معنويا . ثم استندعي بيليزبر ثانية الى القسطنطينية بسبب شكوك جوستينيان التي كانت الغيرة تبعثها وتزكيها ، والانتصارات المتثالية تزيدها باستمرار ، ثم ساءت امور البيزنطيين في الطاليا بعد قليل وغدت سلطة جوستينيان مهددة بالخطر ، فاضطر لارسال بيليزير لاصلاح الاوضاع ، ولكنه لم يعطه سوى اضعف الامكانيات بسبب شحه وغيرته وشكوكه . وزاد ظهور ضعف الامكاتيات عندما اتسعت المهمة الاساسية اتساعا كبيرا . ووصل بيليزبر الى رافين وكان الغوط الشرقيون قد استعادوا قوتهم تحت قيادة ملكهم الجديد توتيلا (١) واعادوا احتلال جميسع أجزاء ايطاليا الشمالية الغربية ، واتجهوا نحو الجنوب ، فسقطت نابولي فييي أيديهم ، وغدت روما نفسها مهددة ، وقام بيليزير بمحاولة جريئة لانقاذ روما ، اذ أبحر مع مفرزة على طول الشاطىء ، فهدم توتيلا سور المدينة ، وترك مفرزة مؤلفة من ١٥ الف رجل لتشبيت مفرزة بيليزير المؤلفة من ٧ الاف جندى فقط على الشاطىء ، وسار بسرعة نحو الشمال لاحتلال رافين اثناء غياب البيزنطيين . ولكن بيليزير أحبط عمل خصمه وتسلل الى روما التي غدت طعما لا يمكسس تجاهله ، بعد ثلاثة اسابيم عاد توتيلا وجيشه ، وكان بيليزير قد اعاد خلال هذه الفترة بناء التحصينات وآرجعها الى وضعها السابق فيما عدا الابواب ، فاستطاع بذلك صد هجومين كبيرين متتاليين . ومني الغوطيون بخسائر كبيرة وفقدوا الثقة في انفسهم . ولما حاولوا اقتحام المدينة للمرة الثالثة قام بيليزير بهجــوم معاكس شنت شملهم. وفي اليوم التالي تخلوا عن الحصار وانسحبوا الى تيفولي، وأرسل بيليزير الرسل الى جوستينيان يطلب منه المدد ، فلم يحصل الا على اعداد ضئيلة من القوات لم يستطع بها استعادة ايطاليا كلها يسرعة ، واكتفى بإضاعة عدة سنوات في عمليات ثانوية محلية ، ذاهبا من حصن الى حصن ومن ميناء

٦ - تونيلا : ملك الفوط الشرقيين في إطاليا من ٤١ه الى ٥٥٢ ، هزمه وقتله تارسيس .
 "المرب»

الى ميناء ، ولما فقد الامل في اكتساب ثقة جوستينيان والحصول على نجدات منه ، طلب في عام ١٨ه السماح له بالاستقالة والعودة الى القسطنطينية فاجيب الى طلبه .

بعد ذلك بأربعة أعوام ، ندم جوستينيان على ترك الطاليا وقرر القيام بحمله جديدة ، ولكنه لم يشأ تسليم القيادة الى بيليزير كيلا يكون حاكما منافسا له ، وأعطى القيادة الى نارسيس ، الذي كان منذ زمن طويل قائدا بارعا في فسنن الحرب ، وأثبت في أول معادك بيليزير في أيطاليا امكانيات تكتيكيه جيدة ، واستفل نارسيس الفرصة التي بدت له ، ولم يقبل عرض جوستينيان في باديء الامر الا اذا حصل على جيش قوي مجهز جيدا ، ولما حصل على مبتغاه انطلق نحو الشمال على طول الشاطىء الادرياتيكي ، ونجحت حركته التي فوجىيء الغوطيون بها ، لانهم كانوا يعتقدون أن الطريق الذي سيسير فيه نارسيس سيكون طريق البحر ، لان الطرق الساحلية صعبة وتعترضها مصبات انهار كثيرة الامر الذي يعرقل التقدم السريع . ولكن نارسبس جمع عددا كبيرا من السفن وجعلها تسير على طول الشياطئ، مع الرتل ، واستخدمها كجسر عائم متحرك عند كيل مصب نهر ، مما أدى الى تقدمه بسرعة بعكس ما كان متوقعا ، فوصل الى رافين دون مقاومة ، ولم يضع وقته فيها بل توجه بسرعة نحو الجنوب ، واجتـــانر الحصون التي تعترض طريقه بالالتفاف حولها دون مهاجمتها 4 ليجبر توتيلا على الاشتباك معه في معركة قبل أن يجمع قواته . وكان توتيلا يسيطر على المسر الرئيسي لجبال الآبنين ، ولكن نارسيس تسرب من مسلك جبلي جاتبي ، وهاجم عدوه فجأة في تاجينو .

وكان نارسيس اقوى من الفوطيين ، وهذه ميزة لم يتمتع بها بيليزير السذي كان موقفه دائما خلال معاركه السابقة ، هو الموقف الاضعف . ومع ذلك فضل الاستفادة من مكاسب هجومه الاستراتيجي والقيام بدفاع تكتيكي تجاه توتيلا . وقدر ان طبيعة الفوطيين الهجومية ستدفعهم الى البدء بالهجوم فنصب لهم فخا يشبه تكتيك الانكليز في معركة كريسي بعد ذلك بثمانية قرون امام الخيالية الفرنسية ، واعتمد في فخه على استهانة الغوطيين الطبيعي بالمشاة البيزنطية لضعفها امام صدمة الخيالة ، فوضع في قلب تشكيلته مجموعة من الخيالية الراجلة المجهزة بالرماح ليظن العدو انها من المشاة . كما وضع على المجنبتين وحدات من رماة النبال من المشاة ، ودفعها الى الامام قليلا بحيث ترسم هلالا يمكن الرمي من طرفيه رميا جانبيا على طول جبهة العدو المهاجم في القلب . وكانت خيالته موجودة خلف رماة النبال مباشرة ، باستثناء مغرزة مختارة وضعها بعيدا الى اليسار خلف هضبة لتقوم بهجوم مفاجىء على مؤخرة الفوطيين اذا ما توغلوا في العمق .

وحقق هذا الفخ غرضه ، فقامت خيالة العدو بمهاجمة قلب جيش نارسيس ، وهي تظن انه مؤلف من مشاة ضعيفة ، ولكنها تعرضت خلال هذا الهجوم الى رشقات نبال مركزة قادمة من المجنبتين ، وأوقفتها صلابة دفاع جنود الخيالة

المترجلين من حاملي الرماح . وترددت مشاة الغوطيين فيي مساعدة الخيالة المشتبكة في القلب ، خوفا من التعرض لهجوم مفاجىء على مؤخرتها تقوم بسه مفارز الخيالة رامية النبال المتمركزة قرب المرتفعات على طرفي خط القتال . واستمر ضفط خيالة الفوطيين فترة من الزمن ، ثم بدأت حدته تخف ، وهنا قام فارسيس بهجوم مضاد حاسم بخيالته التي احتفظ بها حتسى ذلك الوقت كاحتياطي . واصيب الفوطيون بهزيمة نكراء ، ولم يصادف فارسيس عندما قام باعادة احتلال إيطاليا بعد ذلك الا مقاومة ضعيفة .

وتمت السيطرة النهائية على الفوطيين في الوقت الملائم ، لتتيح لنارسيس الفرصة لمواجهة غزو جديد قام به الفرنج لنجدة حلفائهم القوطيين ، واندفسيع الفرنج في هذه المرة اكثر من المرة السابقة ، حتى وصلوا الى كامبانيا ، واستفاد نارسيس من الدروس التي عرفها من غزوهم الاول فقرر ان «يعطيهم الحبال ليشنقوا أنفسهم به» فتحاشى المعركة معهم وسمح لهم بالتوغل بعمق في البلاد، وبالفعل بدا عددهم الكبير يتناقص بسبب صعوبة الطريق وانتشار مرض الزحار في صفوفهم حتى اصبح عددهم ، ٩ الف رجل عندما اشتبك نارسيس معهم في كازيلنيوم ، في هذه المعركة نظم فخه معتمدا على التكتيك المناسب لجيش عدوه المؤلف من مشاة مزودة بسلاح قتال قصير (رمح قصير ، فأس ، سيف قصير عريض) تهاجم بقوات كثيفة متماسكة معتمدة على تأثير الصدمة .

وضع نارسيس في معركة كازيلنيــوم المشاة المسلحة بالرماح القصيرة والنبالة الراجلة في القلب ، فاخترقهم هجوم الفرنج ، عندها دفع بخيالته من الجناحين بهجوم مزدوج متلاقي في اتجاه جناحي العدو ، فتوقف الهجوم واضطر المهاجمون الى الاتجاه نحو الصدمتين الجانبيتين بفية صدهما ، ولكن نارسيس لم يتابع الضغط لعلمه بأن تشكيلتهم متماسكة قوية لا تحطمها الصدمة وحدها ، وسحب خيالته بعيدا عن مدى الاصابة بالفاس المقذوف الذي يستخدمه الفرنج ، وامرها باستخدام القوس واطلاق السهام بكثافة ترغم الفرنج على بعثرة تشكيلاتهم لكي يتحاشوا الاصابة بها ، ولما قام العدو فعلا ببعثرة تشكيلاته وإبعاد صفوفه المتراصة ليقيها شر رشقات النبال ، قام نارسيس بهجوم عنيف جديد دمــر الفرنج وشتهم ولم ينج منهم احد .

وتبدو اهمية معارك بيليزير ونارسيس للوهلة الاولى تكتيكية اكثر منهسسا استراتيجية لان اغلب حركاتهما كانت تقود مباشرة الى المعركة ، ولان مناوراتهما ضد مواصلات العدو اقل من مناورات القادة الكبار الآخرين ، ولكن التحليسل الدقيق لا يلبث حتى يغير هذه الفكرة الاولية ويدلنا على أن بيليزير ابتكر جهازا تكتيكيا جديدا يعتمد عليه للتغلب على قوات اكبر من قواته ، بأن يرغم خصمه على مهاجمته في ظروف ملائمة لتكتيكه ، وكان يستفيد من قلة عدده ويجعلها ميزة يستفيد منها في هجومه الاستراتيجي المباشر الذي يعتمد على المعطيسات النفسية اكثر مما يعتمد على المعوامل الادارية ، لقد كان يعرف السبيل لإنارة

الرغبة الهجومية الطبيعية لدى شعوب الغرب الهمجية . كما كان يستفيد من شعور العظمة لدى الفرس الماهرين . ولما بداوا يخافونه استغل خوفهم وحذرهم لاحباط مناوراتهم بطريقة سيكولوجية .

لقد كان ماهرا في استنباط القوة من ضعفه ، وقلب قوة الخصم الى ضعف. وكان في تكتيكه سمات الهجوم غير المباشر . وكان عند مهاجمة تشكيلات العدو يسمى الى خلق ثغرة في نقطة تمفصل حساسة في هذه التشكيلات مما يـؤدي الى تغتيتها تغتيتا كليا .

وعندما سأله اصدقاؤه خلال معركته الاولى في ايطاليا عن اسباب ثقته التي تدفعه الى مهاجمة قوى اكبر من قوته ، أجاب بأنه كشف في اول اشتباك لــه مع الغوطيين سر ضعفهم الكامن في عجزهم عن استخدام عددهم الكبر بشكيل كآمل وبطريقة سليمة . وكانت كتلتهم الكبيرة مدعاة لفوضى كبيرة ، كمسا ان خبرتهم في استخدام الخيالة كانت معدومة ، على حين كانت خيالة بيليزيـــر مشكلة من العناصر المختارة . وكانت خيالة الغوطيين مسلحة بالرمح والسيف الحركة خلف الخيالة وتحت حمايتها ، ولكن الخيالة نفسها كانت غير فعالة الا مي معركة قريبة ، ولم يكن لديها اية امكانيات للدفاع ضد عدو راكب يعمل بعيدا عن مدى اسلحتها القصيرة ، ويغمرها برشقات النبال الكثيفة ، وكانت قواتهم من قاذفي النبال الراجلة والخيالة عاجزة عن العمل في ارض مكشوفة خشية الوقوع في الاسر ، لذا كانت خيالة الفوطيين تأخذ دائما شكل مربعات كثيفة متينـــة ولكنها سهلة التطويق ، كما كان لدى مشاتهم ميل دائم للنظر الى الخلف عند ابتعاد حماية الخيالة عنها ، بشكل تتفكك معه التشكيلات المؤلفة من الخيالة ، والمشاة ، وتنشأ بين العنصرين فرجة يمكن للبيزنطيين القيام منها بهجوم معاكس بتجه نحو المحنيات المضطربة.

وصنع بيليزير طريقة تكتيكه واستراتيجيته «هجومية ـ دفاعيـــة» كانت السبب المباشر في اطالة حياة الامبراطورية البيزنطية ، والتقاليد الرومانية التي استمرت عدة قرون كانت اوربا تعيش خلالها في الظلام . ولقد اثبتت تشكيلات الجيش الجديدة قوتها وقدرتها على الصمود امام هجمات مختلف الشعـــوب الاوربية الهمجية، وموجات الفتح الاسلامي التي اجتاحت الامبراطورية الفارسية، وبقيت قاعدة الامبراطورية البيزنطية سليمة رغم ضياع المناطق المعيدة ثم بدات عمليات استرجاع الاراضي المفقودة باستمرار منذ عهد بازيل الاول (٧) في القرن التاسع ، وفي عهد بازيسل الثاني (٨) في بداية القـــرن الحادي عشر وصلت

٧ ـ بازيل الاول (المقدوني) : اميراطور بيزنطة من ٨٦٧ الى ٨٨٦ -

٨ - بازيل الثاني (١٠٢٧ - ١٠٢٥) امبراطور بيزنطة من ٩٦٣ الى ١٠٢٥ احتل بلغاريا وحارب
 ١٠٢٠ وسيطر على الطبقة الارستقراطية ووصل بالامبراطورية البيزنطية الى أوج مجدها. «المرب»

الامبراطورية الى اعلى قوة عرفتها منذ ايام جوستينيان قبل . . ه سنة . حتى ان البعض يقول بأنها كانت اقوى من امبراطورية جوستينيان .

ثم زال هذا الشعور بالطمأنينة بعد ٥٠ سنة ، وضاعت الآمال العظيمة كلها -في ساعات قليلة ، ذلك لان الشعور بالقوة والامن من كل خطر قاد البيزنطيين الى تخفيض كبير في الميزانية الحربية ، وكان الانهيار نتيجة مباشرة لضمسف الجيش . وفي عام ١٠٦٣ بدأت قوة الاتراك السلجوقيين بالازدياد تحت قيادة الب ارسلان مما أثار الشكوك والشعور بالخطر بعد فوات الاوان. وفي عام ١٠٦٨ اصبح القائد رومان الرابع ديوجين أمبراطورا ، نقام بمعركة هجومية مبكرة بدلا من اعاذة تنظيم وتدريب الجيش للوصول الى مستوى قاعليته المعروفة من قبل. وشجعه نجاحه الاول على نهر الغرات فاندفع بعمق في ارمينيا ، وقابل الجيش التركي الرئيسي في مالازغيرت ، وامام ضخامة الجيش البيزنطي الجرار عرض آلب ارسلان فتح باب المفاوضات . ولكن الرومان اجابوا بأن على السلطان التركي ان يترك معسكره وينسحب قبل كل مناقشة ، وكان في ذلك أهانة لا يعكسن للسلطان قبولها . ولما رفض الاتراك هذا الشرط قام رومان الرابع ديوجين بالهجوم ولكنه لم يستخدم الطريقة البيزنطية التقليدية ، وبدأ يبحث عن عدو أخذ يجذبه ويختفي منه كالماء والهواء دون أن يستطيع الاشتباك معه في معركة ، ولم يكن يرى من العدو سوى سحب كثيفة من السهام تطلقها عليه الخيالة الراكبة ثسم تختفي ، حتى ضعفت وحداته وتناقصت وتفككت تشكيلاتها مما اضطره فسي النهاية الى اصدار الامر بالانسحاب .

عندئد قام الاتراك بهجوم على مجنباته واحاطوا يجيشه الذي انهزم وتفرق في طول البلاد وعرضها .

كاتت هذه الهزيمة كاملة وشاملة لدرجة استطاع الاثراك بعدها احتلال معظم أجزاء آسيا الصغرى . وهكذا تلقت الامبراطورية البيزنطية صدمة قوية لم تقم بعدها بسبب جنون قائد عادي متحمس لا يسند رغباته الهجومية عقل راجع او فكر سليم . ومع ذلك بقيت لهذه الامبراطورية قوة كافية لتحيا حياة أقل عظمة خلال اكثر من اربعة قرون .

الفصل النحامس

حروب القرون الوسطى

يستطيع القارىء اعتبار هذا الباب عنصرا مكم الله بين دورتين من دورات التاريخ القديم والحديث ، ومهما تكن الغائدة المتمثلة في دراسة بعض معسارك القرون الوسطى فان المصادر التاريخية أقل عددا ودقة من مصادر العصر الذي سبق هذا العصر أو الذي أعقبه ، ولهذا فان أفضل السبل للوصول إلى الحقيقة العلمية ومعرفة الاسباب والمسببات والنتائج ، هو دراسة وتحليل حوادث تاريخية أكيدة غير قابلة للنقض وتجاهل بعض المراحل (حتى ولو استفنينا عن الادلة الهامة التي تقدمها بعضها) عندما يكون علينا اختيار نص مسن مجموعة نصوص مختلفة أو القيام بالنقد التاريخي للحوادث ، والحقيقة أن التناقض في المعطيسات التكثيكية لتاريخ القرون الوسطى الحربي أكبر من التناقسض في المعطيسات الاستراتيجية ، ولكن هذه المناقضات قد تؤثر على قيمة هذه المعطيات نفسها في عين الدارس العادي لفن الحرب ، فيبدأ عنده الشك في الاستنتاجات القائمة على دراسة هذه الحقبة التاريخية ، لذا سنرسم بعض هذه المراحسل دون أن مذخلها في تحليلنا الدقيق لعل في دراستها بعضا من الغائدة .

كانت روح الفروسية الاقطاعية في الفرب خلال القرون الوسطى قليلة التأثر بكل فنون الحرب ، لذا كانت معاركهم عبارة عن مظاهرات فاشلة ، يلمع مسن خلالها بين آن وآخر ضوء رائع ، ولم تكن هذه الاحداث الهامة قليلة أذا قورنت بغيرها من الاحداث في عصور التاريخ .

بدا النورمانديون في القيام ببعض الاعمال الباهرة ، وحدت أجيالهم المتعاقبة حدوهم وأظهرت براعة عظيمة في فن الحرب خلال القرون الوسطيسي ، وأعطت للدم النورماندي أهمية دفعتهم إلى أثبات تفوق هذا الدم بالذكاء والمهارة وليس بالاعمال الجوفاء .

ويعرف طلاب التاريخ الانكليز كلهم اهمية سنة ١٠٦٦ التي جرت فيها حوادث تكتيكية واستراتيجية ممتازة كان لها نتائج حاسمة بالنسبة لذلك العصر ولكل التاريخ الذي اتى بعده . اجتاح غليوم الفاتح (۱) انكلترة مستخدميا المناورة الاستراتيجية ، وحقق لنفسه منذ البداية كل ميزات ومكاسب الهجوم غيي المباشر . وبدا الاشتباك عندما نزل توستيغ الاخ الثائر للملك هارولد (۲) عليم شاطىء يوركشير ، وكان هذا الثائر آنذاك حليفا لملك النرويج هارولد هاردرادا . وكان نزول الجنود يبدو في بادىء الامر اقل خطرا من غزو غليوم ، ولكنه اتسع بعد ذلك ثم أصيب بالفشل ، ولكنه ادى بصورة غير مباشرة الى زيادة فاعلية خطة النورمانديين ، وبعد هزيمة الغزاة النرويجيين في ستامفورد بريدج نيزل غليوم على شاطىء سوسكس .

وبدلاً من السير مباشرة الى الشمال خدع غليوم خصمه هارولـــ بتخريب مقاطعتي كنت وسوسكس فأجبره بذلك على التوجه بسرعة نحو الجنوب مع جزء من قوته . وكان توغل هارولد نحو الجنوب واشتباكه المبكر في المعركة يبعده في الزمان والمكان عن امداداته . فاذا كانت هذه هي خطة غليوم فان الحوادث قد اثبتت صحتها ودقتها ، لانها دفعت هارولد الى الاشتباك في المعركة قــرب هيستينغ ، وحسم غليوم نتيجة المعركة بغضل تقرب غير مباشر تكتيكي عندما اعطى لجانب من قواته الامر بالتظاهر بالفرار مما أجبر هارولد على تنحطيـــم تشكيلاته بنفسه بغية المطاردة ، وفي المرحلة النهائية للمعركة قذف النبالـــة النورمانديون بسهامهم بزوايا رمي كبيرة ، وقتل هارولد في المعركة ، ويمكــن اعتبار هذه الحادثة تقربا بالرمي غير المباشر .

ثم طبق غليوم بعد انتصاره استراتيجية ذات اهمية ، فلم يسر مباشرة الى لندن بل احتل دوفر لتأمين خط مواصلاته ، ولما وصل الى لندن لم يندفسسع

¹ _ غليوم الفاتح : (١٠٢٧ -- ١٠٨٧) •

٢ ــ هارولد الثاني ، ولد في ١٠٢٢ ، اصبح ملكا للانكليز في عام ١٠٦٦ وفي نفس العـــام
 هزمه غليوم الفاتح في هيستينغ ، «المعرب»

باتقضاض مباشر بل قام بحركة التفاف واسعة دمر خلالها المناطق الواقعة شمالي وغرب العاصمة . ووجلت لندن نفسها مهددة بالمجاعة فاستسلمت .

وقدم القرن التالي دليلا جديدا على عبقرية النورمانديين العسكرية ، وذلك خلال معركة من اغرب معارك التاريخ ، وهي المعركة التي ادت الى احتلال معظم ايرلندة ، وصد غزو نرويجي كبير ، وطرد الغزاة من مقاطعة الفال على يسسد الكونت سترونغ بو بواسطة مئات قليلة من الخيالة . وهذا نجاح باهر اذا وضع في الاعتبار ضعف امكانيات النورمانديين الذين عرفوا كيف يتلاءمون مع الظروف عندما الغوا استخدام الطرق التقليدية للفن العسكري الاقطاعي نظرا لوجودهم في منطقة كثيرة المستنقعات والاشجار ، وقد اظهروا مهارة ودقة في خططهم عندما كانوا يخدعون العدو ويجذبونه الى ارض مكشوفة تصلح لعمل خيالتهم . وعندما كانوا يلجأون الى التظاهر بالانسحاب ، والخدعة والمناورة والهجوم على المؤخرات كانوا يلجأون الى تغتيت تشكيلات العدو بمفاجأة استراتيجية ، وهجوم ليلي ، ورمى النبالة الذي يحطم مقاومة العدو عندما يتعذر جذبه خارج تحصيناته .

والقرن الثالث عشر غني بامثلة تدل على المهارة الاستراتيجية . ففي سنة 1۲۱٦ انقد الملك جان (۲) مملكته بعد ان فقد معظم اجزائها . وتم الانقاذ بفضل الاستراتيجية التي يستخدمها دون حاجة الى الدخول في معركة ، وكان يعتمد على سرعة الحركة ، وقوة تحصينات ذلك العصر على المقاومة ، والحقد السدي اصبح يكنه سكان المدن ضد البارونات وحليفهم الاجنبي لويس الثامن (٤) الفرنسي الذي نزل في مقاطعة كنت واحتل لندن ووينشيستر . وكان جسان في بادىء الامر اضعف من ان يشتبك معه في معركة ، وكان البارونات يسيطرون علسى معظم البلاد . فاحتفظ بالنقاط الحصينة في وندسور ، وديدينغ ، وويلينغفورد، وأوكسفورد التي تسيطر على نهر التايمز ، وتفصل البارونات في الشمال عس حليفهم في الجنوب . علاوة على ذلك بقيت مدينة دوفر سليمة تهدد مؤخسرة لوس الثامن .

انسحب جان الى دورسيت ، ولكن عندما اتضع الموقف في يوليو (تموز) سار في اتجاه الشمال نحو ووسيستر وأمن بذلك خط نهر سيفر وجعل منه حاجزا يمنع قوات الثورة من الامتداد نحو الغرب والجنوب الغربي . ثم اتجه نحو الشرق على طول نهر التايمز وتظاهر بأنه ذاهب لنجدة مدينة وندسور .

٣ - جان بلا ارض (١١٦٧ - ١١٦١) ملك انكلترة من ١١٩٩ - ١٢١٦ ثار على أبيه في شياية بمساعدة ملك فرنسا فيليب أوغوست ، وبعد موت أخيه ريتشارد قلب الاسد قتل أبن أخيه الوريث الشرعي للعرش واستعاد جزءا من مملكته بعد صراع مع البارونات .

وليؤكد للقوات المعادية التي تحاصر المدينة هذه الفكرة ارسل مفرزة مسسن النبالة لتناوشهم في معسكراتهم في هجمات ليلية . بينما غيئر هو اتجاهه نحو الشمال الشرقي بحركة امنت له الوصول الى كامبردج قبل اعدائه . وهنا اصبح قادرا على عمل حاجز ثان يمنع طرق الشمال عن خصومه ، بينما بقي قلب القوات الغرنسية مثبتا في حصار دوفر . ولقد ادى نجاح هذه الحركة الى تضييسق رقعة الارض التي تحتلها قوات الثورة التي بدات تفقد شعبيتها ، مما زاد التوتر بين البارونات وحليفهم . وفي شهر اكتوبر (تشرين الاول) مات الملك جان كمسا مات المال خصومه على اسوار حصونه الاستراتيجية الكثيرة .

وفي سنة ١٢٦٥ اندلعت ثورة بارونات جديدة ، وحصلت في بادىء الامسر على بعض النجاح ، تم احمادها بفضل استراتيجية الامير ادوارد (٥) الحكيمة . ولقد أدى فشل هنري الثالث (1) إلى سيطرة أنصار البارونات على معظم أجزاء انكلترة عدا بلاد الغال . هنا تقدم سيمون دومون فور واجتاز نهر سيفرن وتابع مسيره منتصرا حتى وصل الى نيوبورت . ولكن الامير ادوارد الذي كان قد ترك جيش البارونات والتحق بجماعته في مقاطعات الحدود ، أوقع الاضطراب فيسي مخططات دومون فور بسبب احتلاله جسور نهر سيفرن خلفه ومهاجمته مسسن الوراء . ولم يطرده ادوارد الى الطرف الثاني من نهر اسكس فحسب ، بــل غامر بالهجوم بثلاث سفن ضد اسطول خصمه وحطم مخططه الجديد الذي كان يعتمد فيه على جلب الجيش الى انكلترا عن طريق البحر ، واضطره الى القيسام بزحف طويل منهك نحو الشمال عبر مناطق قاحلة من بسلاد الغال . وانسحب ادوارد الى وورسيستر للسيطرة على نهر سيفرن ومنعه من عبوره . وعندمــــا اندفع ابن دومون فور لنجدة ابيه بجيش جمعه في شرق انكلترا استفاد إدوارد من موقعه المتوسط ليسحق خصميه بالتتالي وعلى انفراد . ولقد خدعهمسا بالزحف ثم بالانسحاب . واستفاد من امكانيات الحركة ، وقسمام بهجومين مغاجئين قمالين الاول في كنيلوورث والثأني في ايقرشام .

عندما اصبح ادوارد ملكا قدم للعلم العسكري دروسا جديدة في حروبه ببلاد الغال . فاحسن استخدام القوس وتوافق هجوم الخيالة مع رمي النبالة . وبدا شيئا جديدا عندما طبئق طريقته الاستراتيجية الجديدة في الاحتسلال . وكانت مهمته السيطرة على شعب جبلي صلب شجاع وقادر عنى تحاشي المعركة بالالتجاء الى الجبال والعودة الى احتلال الوديان خلف المهاجم عندما يركن هذا الاخير الى الراحة في المعسكرات الشتوية ، وكانت امكانيات ادوارد محدودة نسبيا ، ولكنه

هـ الامير ادوارد: (١٣٣٦ ــ ١٣٠٧) اصبح فيما بعد الملك ادوارد الاول ، أخضع الفاليين
 وحارب بشدة ضد الايتوسيين واحترم الحربة البرلمانية فلقب عن جدارة جوستينيان البريطاني ،
 ٢ ــ ملك انكلترا من ١٢١٦ ــ ١٢٧٢ ، «المرب»

تغلب على ذلك النقص بتضييق نطاق ميدان العمليات ، والجمع بين مرونة الحركة واحتلال النقاط الاستراتيجية ، وبنى في هذه النقاط حصونا وصل بينها بشبكة طرق فأرغم خصمه بذلك على ان يكون في حالة استنفار مستمر الامر السيدي يمنعه من تقوية نفسه ماديا او معنويا ، او القيام شتاء بعمليات يستعيد بها ما فقده من اراض في الفصول الاخرى ، وأدت هذه الطريقة في النهاية الى انهاك مقاومة خصومه .

لم تعش مواهب ادوارد بعده ، ولهذا فانه لا يعكسن استنتاج اي درس استراتيجي من حرب المائة عام . ولم يطبق حفيده وابن حفيده استراتيجيته بل طبقا استراتيجية لا تستنبط منها سوى الدروس السلبية فقط . ولم تتمخض حملاتهما التظاهرية عبر فرنسا عن اية نتائج . واذا كان قد تمخض عنها شيء فكان ذلك بسبب خطأ غير مقصود . وخلال معركة بواتييه اوقع ادوارد الثالث (۷) والامير الاسود نفسيهما في مواقف شديدة الخطورة . ولكن ذلك ادى بصورة لا ارادية الى تقرب غير مباشر ونتائج لم يكونا يتوقعانها او يريدانها . وادت مواقف الانكليز الحرجة الى اندفاع خصومهم ، الذين يرغبون دائما في الهجوم المباشر ، الذيل المخول في المعركة دون ان يهتموا بعدم توافر الظروف الملائمة فأتاحوا بذلك للانكليز فرصة ذهبية للتخلص من مآزقهم . كما ادى استخدام الانكليز للاقواس في المعارك الدفاعية على ارض مختارة الى الحصول على التفوق التكتيكي ضهد وسائط قتال الفرسان الفرنسيين العقيمة .

ثم تحولت هزائم الفرنسيين لمصلحتهم ، اذ استخدم القائد دوغيكلان (٨) في المرحلة التالية للحرب «سياسة فابيوس» ، واعتمد على استراتيجية تهدف الى تجنب المعركة مع الجيش الإنكليزي الرئيسي ، والحد من حرية عمل الفيراة ومنطقة نشاطهم ، ولم يكن تجنب المعركة سلبيا بل ضمن استراتيجية تعتمد على عناصر المرونة والمفاجأة ، التي قلما نجع في استخدامها قائد مثله ، والتعرض للقوافل وسحق المفارز واسر الحاميات المنعزلة ، وكانت الهجمات مفاجئة دائما وفي الاتجاه غير المتوقع وكانت ليلية في اغلب الاحيان ، وزاد من فعاليتها وسائط الانقضاض السريعة الحديثة ، ودقة اختيار الاهداف ودراسة حالية العدو النفسية ، وكان دوغيكلان يهاجم غالبا الحاميات المتدمرة او المدن المستعدة لتغيير اتجاهها ، مع اثارة الاضطرابات المحلية واستغلالها لتحويل انظار الخصيم وابعاده عن اهدافه الحقيقية ، وادت هذه الطريقة في النهاية الى اجبار العدو

٧ ـ ادوارد الثالث: ملك انكلترا من ١٣٢٧ الى ١٣٧٧ اخضع الايقوسيين واشتبك مسع
 الغرنسيين بحرب المائة عام وانتصر عليهم واحتل كاليه . «المعرب»

٨ - دوغيكلان (١٣٢٠ - ١٣٨٠) احد أبطال القادة الغرنسيين الذين حرروا بلادهم من الغسازو
 الانكليزي ، وكان يتمتع بحاسة أست أسجية وأقعية وسليمة دقعته إلى استخدام الهجمات الحلوة
 مع أنهاك العدو بالإغارات المستمرة ، «المرب»

على ترك الاراضي التي احتلها حتى ذلك الحين .

وفي اقل من خمس سنوات ، استطاع دوغيكلان تحديد الممتلكات الانكليزية في فرنسا بشريط ارضي ضيق محصور بين بوردو وبايون . وتسم له ذلك دون الاشتباك في معركة تقليدية مع تحاشي مهاجمة الجيوش الانكليزية الصغيرة التي سمح لها الوقت باتخاذ مواضع دفاعية . ولم يكن عمله مبنيا على المبدأ القائل «لا عمل بدون ضمان» بل على مبدأ «لا هجوم بدون مفاجأة» .

وقد بذلت فيما بعد محاولة انكليزية جديدة لاحتلال ارض اجنبية ، وكسان الاعداد جيدا مع حساب لنسبة القوى الموجودة والهدف المطلسوب ، ثم اعقب التحضيرات البدء في التنفيذ بسرعة ، ولكن اول واهم معارك هنري الخامس (۱) كانت اكثرها حماقة ، وخلال المناورة التي قام بها على طريقة اوارد ووصلت الى اقصى مداها في آزانكور سنة ١٤١٥ وجد الفرنسيون الفرصة الملائمة لقطسع طريق المواصلات الانكليزية ، وتحقيق الانتصار على هنري الخامس بالجوع ، ولكن يبدو ان قوادهم نسوا درس كريسي ودروس دوغيكلان ، وكانوا يتمتعون بتفوق عددي بمعدل ٤ ضد ١ ، ففكروا في ان الشرف يدعوهم الى استخدام هسذا التفوق في هجوم مباشر بحت ، وكانت النتيجة تكرارا لمعركة كريسي وبواتيسه ولكن بشكل مزر ، ونجا هنري الخامس من الكارثة بفضل الحظ ، وبدا فسي تطبيق استراتيجية «بقعة الزيت» التي تعني تدعيم مركزه وتعزيز نجاحه بزيادة تطبيق المحتلة باستمرار ، وجمع الاهالي الذين يكنون له الولاء ، ومن هنا يمكننا القول بأن قيمة معارك هنري الخامس الاخيرة ترجع الى الاستراتيجية العليا لا الى الاستراتيجية العليا لا الى الاستراتيجية العادية .

ويمكن الانتهاء من هذه النظرة السريعة على الاستراتيجيسة في القرون الوسطى بدراسة ادوارد الرابع (١٠) الذي حصل على عرشه في عام ١٤٦١ ، ثم اضاعه وعاد فاسترجعه في عام ١٤٧١ بعضل استخدام الحركة بشكل ناجح ، وترجع نتيجة معركته الاولى الى دقة حكمه ومرونة مناورته ، كان ادوارد الرابع في بلاد الغال يقاتل الانصار المحليين لعائلة لانكستر عندما علم ان جيش خصومه الرئيسي يتحرك من الشمال في اتجاه لندن ، فانسحب من مواقعه ووصل الى غاوسيستر في ٢٠ فبراير (شباط) 1٤٦١ ، عندها علم بانتصار عائلة لانكستر في ١٧ فبراير (شباط) في سانت اولبانس على القوات التي كان قد سلمها الى وريك (١١) وكان بين سانت اولبانس ولندن مسافة ٢٠ ميل ، وبين غلوسيستر

١ ـ عنري الخامس: ملك الكلترا من ١٤٦٣ ـ ١٤٣٢ ،

 ^{1 -} ادوارد الرابع: ملك انكلترة من ١٤٦١ الى ١٤٨٣ وكان خصما لمائلة لانكستر. «المرب»
 ١١ - الكونت وربك: لقب صائع الملوك (١٤٣٨ - ١٤٧١) وهو قائد ناجع ساعد عدة ملسوك بريطانيين في الجلوس على المرش حتى سمى حارس المملكة . «المرب»

ولندن ١٠٠ ميل بالاضافة الى تأخره ثلاثة ايام عن جيش عائلة لانكستر . ولكن في ٢٦ فبراير لحق به وربك في باتفورد وعلم منه أن مجلس لندن لا يزال يناقش شروط التسليم وأبواب المدينة مفلقة . فترك باتفورد في اليوم التالي ، ودخل لندن في ٢٦ وأعلن نفسسه ملكا وانسحبت عائلة لانكستر وأنصارها نحسو الشمال . ولما أراد القيام بالمطاردة تعرض لمخاطر جسيمة بسبب مهاجمته جيشا يفوق جيشه ويتمركز على مواقعه في تأوتن ، ولكنه حصل على التفوق بفضل عاصفة ثلجية استغلها مساعده فوكون بيرج الذي أرسل رشقات من السهام على الاعداء الذين أعماهم الثلج فلم يجدوا وسيلة يدافعون بها عن انفسهم الا القيام بهجوم عشوائي أدى الى هزيمتهم .

وفي سنة ١٤٧١ بدت استراتيجية ادوارد الرابع احذق من الماضي واكشر حركة . وكان قد أضاع عرشه في الفترة الواقعة بين ١٤٦١ ـ ١٤٧١ . ولكن صهره أقرضه ٥٠ الف كورون ، وجهزه بـ ١٢٠٠ رجل ، وحاءته الوعود بالمساعدة من اصدقائه في انكلترا فقرر القيام بمحاولة جديدة لاستعادة عرشه . وكانت الشواطيء الانكليزية محرمة عليه ومحروسة جيدا . ولكنه استخدم «الخط الابعد عن الاصابة» ووصل الى همبر ، وفكر في ان منطقة موالية لعائلسة لانكستر لا يعقل أن تكون مراقبة بشكل جدى ، فقام بحركة سريعة أوصلته ألى بورك قبل أن تنتشر أخبار نزوله ويجتمع خصومه . ثم توجه بسرعة نحو لندن والتف حسول مفرزة معادية تسد عليه الطريق في تاد كاستر ، وجد في سيره مبتعدا عن هذا العدو الراغب في اللحاق به . ولكن خوفه من مفرزة اخرى تنتظره في نبوآرك أجبرته على الانسحاب نحو الشرق ، ثم استدار نحو الجنوب الفربي في اتحاه ليسيستر حيث عزز قواته بأنصار جدد . وعندها توجه نحو كوفنترى حيث بقوم وريك ، الذي اصبح الد اعدائه ، بجمع وحداته فاستطاع بذلك جذب ملاحقيه وزيادة قواته على حساب عدوه . واستدار نحو الجنوب الشرقي وهاجم لندن التي فتحت له أبوابها ، عندئذ وجد نفسه قويا لدرجة كافية لقبول المعركة فسار لملاقاة ملاحقيه الذين خدعهم جيدا . وفي بارنت اشتبك معهم في معركة سادتها الفوضى وانتهت لمصلحته .

وفي نفس اليوم نزلت ملكة لانكستر مارغريت دانجو (١٢) في ويماث مسيع جنود مرتزقة فرنسيين ، فجمعت انصارها في الغرب وتقدمت المرجة اجبسرت كونت بيمبروك على جمع القوات لمصلحتها في بلاد الغال، واستخدم ادوارد الرابع مرونته من جديد وانتقل الى منطقة كوتس وولدز . على حين سار جيشه المتجه نحو الشمال في الوادي على طريق بريستول للوسيستر . وبعد مسير طويل دام يوما كاملا بجيشين احدهما يسير في الوادى والآخر على المرتفعات توصل الى

١٢ ـ مارغريت دانجو (١٤٢٩ ـ ١٤٨٢) ابنة الملك رينيه الطيب ملك صقلية وزوجة هنـــري
 السادس ملك انكلترا ، اشتهرت بشـجاعنها خلال حرب الوردتين ، «المور»

ملاقاة الملكة مساء في تكسبوري بعد ان منعها من عبور نهر السيغرن فسي غلوسيستر بغضل الاوامر التي اعطاها لحاكم المدينة باغلاق ابوابها . وهكذا سار حوالي . ٤ ميلا في يوم واحد وعسكر قريبا من معسكر اللانكستر بغية منعهم من الانسحاب . وكانت مواقع الخصوم الدفاعية قوية ، ولكنه استخدم مدفعيت ونبالته ليجبرهم على مهاجمته . وحصل ادوارد الرابع على التغوق الحاسم في المركة التي دارت خلال الصباح .

لقد كانت استراتيجيته تمتاز بالحركة ، ولكنها كانت نموذجا لاستراتيجيسة عصره المتسمة بانعدام الدقة والمهارة ، حيث كان هدف استراتيجية القسسرون الوسطى بسيطا ومباشرا ، ويتضمن البحث عن المعركة الغورية . وكانت النتائج غالبا غير اكيدة وبدون نتائج حاسمة ، سواء اكان ذلك بالنسبة للمهاجسم ، ام للمدافع ان حاول القيام بهجوم .

ولم يتم الحصول على استراتيجية عظيمة في القرون الوسطى نتيجة لاعمال شعوب الغرب بعكس شعوب الشرق التي قدمت مثالا رائعا في هذا المجال . لقد نقد الفرب اعتباره الاستراتيجي في القرن الثالث عشر بعد الدرس الذي اعطاه المغول للفرسان الاوروبيين . وكانت معارك هؤلاء الآسيويين تساوي او تفوق كل ما سبقها من المعارك في التاريخ ، وذلك بفضل اتسساع نطاق فن المناورة ، واستخدام المفاجأة والحركة والهجوم غير المباشر الاستراتيجسي والتكتيكي ، ويمكننا أن نعجب بفن جنكيزخان (١٢) اثناء غزو الصين عندما استخدم مدينسة تيتونغ فو كطعم لنصب سلسلة من الافخاخ لخصومه . كما استخدم نابليون فيما بعد لهوقع مانتو الحصين .

ولقد حطم جنكيرخان الوحدة العسكرية والنفسية لامبراطورية اسرة كين في عام ١٢٢٠ ، عندما قام باغارات متوغلة العمق بثلاثة جيوش تعمل بالتعاون مع بعضها البعض . واجتاح امبراطورية خاريسميان ، التي كانت تقع حينئذ مكان جمهورية تركستان حاليا . وقام احد جيوشه بجذب انتباه العدو عندما اقترب من مدينة كشغر من الجنوب بينما جاء قلب قواته الرئيسية من الشمال وغطى نفسه بهذه المناورة ليوسع حقل عمله ، ويندفع بعمق اكثر داخل البلاد بجيوش احتياطية ، ثم اختفى بعض الوقت في صحراء كيزل ـ كوم ليظهر فجأة علسنى مؤخرة الخطوط الدفاعية والجيوش المعادية في بخارى .

وفي عام ١٢٤١ اعطى احد قواده ويدعى سوبوتاي درسا قاسيا للاوربيين اذ تقدم بجيش يشكل مجنبة استراتيجية واجتاح غاليسيا جاذبا انتباه البولونيين

^{17 -} جنكيزخان : (100 - 17٢٧) سلطان التنار ومنشىء امبراطورية المغول العالمية ، ويقال انه ولد وعلى يده بقمة متجمدة من المدم كرمز لسفك المدماء ، هز بفتوحاته اركان جميع المدول من الصين الى البحر الاحمر ، وكان استراتيجيا عبقريا الا ان فتوحاته كانت فتوحسات غزو وسلب وسفك دماء دون هدف انساني او رغبة في بناء حضارة جديدة ، «المعرب»

والهنغاريين والالمان واوقع بهم سلسلة من الهزائم ، بينما قام جيشه الرئيسي باستغلال هذه المشاغلة واجتاح هنغاريا بثلاثة ارتال منتشرة على شكل عريض حتى الدانوب . وكان الجيشان الجانبيان يغطيان خلال التقدم الجيش المركزي ويخفيان حركاته ، واجتمعت الجيوش الثلاثة على الدانوب قرب مدينة غران حيث اوقفتها قوات هنغارية كبيرة مستندة على النهر . فقامت بانسحاب متسلسل مدروس خدع الهنغاريين وجذبهم بعيدا عن ضفاف النهر وعن النجدات والاحتياطات المحتملة ، ثم قام سوبوتاي بمناورة جريئة سريعة ومغاجئة في الليل قرب نهسر ساجو واباد الجيش الهنغاري ، واصبح بدلك سيد سهول اوربا الوسطى ، ئسم انسحب بعد سنة بمحض ارادته . وانقذ انسحابه اوربا التي كانت عاجزة عن طرده .

الفصرالتادس

القرن السابع عشر غوستاف ادولف، كرومويل، تورين

وقعت في هذا القرن اول حرب كبرى في التاريخ الحديث وهي حسسرب الثلاثين عاما ١٦١٨ لـ ١٦٤٨ التي لم تكن اية معركة من معاركها حاسمة . وأكثر المعارك أهمية كانت المعركة النهائية بين غوستاف أدولف (4) ملك السويسسد وفالنشتاين الالماني في لوتزن ، والتي قتل فيها الاول وانتهى كل أمل في الوصول الى تأسيس اتحاد بروتستانتي واسع تحت السيطرة السويدية . ولولا تدخسل الفرنسيين ومصرع فالنشتاين لكانت هذه المعركة حاسمة ، ولساعدت على تحقيق الوحدة الالمانية قبل وقوعها بثلاثة قرون . ولقد تم الحصول على هذه النتائسج

ا ـ غوستاف الثاني ادولف الكبير (١٥٩٤ ـ ١٦٣٣) ملك السويد من ١٦١١ ـ ١٦٣٣ ، كان عبقريا اشترك مع ريشيليو في مساهدة البروتستانت في المانيا ، قتل في معركة لوتزن ، «المعرب»

العملية بصورة غير مباشرة وانتهت المعركة الهامة الوحيدة خلال هذا الصراع بهزيمة من كان ميزان الحرب في صالحهم . وتعود هذه الهزيمة الى ان جيش فالنشتاين كان اضعف من جيش السويديين ، كما تعود الى خطأ فالنشتاين نفسه عندما لم ستعل على المستوى الاستراتيجي الفرصة التي حققتها له استراتيجيته . لقد حصل قبل المعركة على مزايا كبيرة بفضل ثلاثة تطبيقات متتالية لانواع مختلفة من العمل غير المباشر ، وهذه التطبيقات الثلاثة غيرت بشكل جدرى شكل الحرب . في عام ١٦٣٢ استدعى فالنشتاين (٢) لمقابلة ملك كان قد اساء في الماضي معاملته ، وطلب منه الملك قيادة جيش لم يشكل بعد ، فجمع خلال مدة تقل عن ثلاثة اشهر حوالي . } الف رجل الدفعوا الى التطوع بتأثير سمَّعته ونفوذه . وجاءه طلب النجدة العاجلة من بافاريا التي كان جيش غوستاف ادولف يجتاحها منتصرا في كل مكان ، فتجاهل هذا الطلب وتوجه نحو الساكسيون حلفاء السويديين الضعفاء ، وطردهم من هنغاريا وسار في اتجاه بلاد الساكس بعد ان ضم قوات حاكم بافاريا اليه ، فبدا كأنه ترك بافاريا بدون دفاع . ولكن الحقيقة كانت غير ذلك ، وكانت وجهة نظر فالنشتاين في محلها ، اذ أن خوف غوستاف أدولف من فقدان حلفائه الجدد (الساكسون) دفعه الى اخلاء بافاريا والتوجه للدفاع عنهم . ولكن قبل أن يصل اليهم أجتمعت قوة حاكم بافاريا مع قسوة فالنشتاين ، ففضل غوستاف امام هذه القوة الكبيرة المجتمعة الانسحاب الى نورمبورغ فتبعه خصمه ، ولكنه وجد السويديين متحصنين بشكل قوى في موقع متين ، وأعلن فالنشتان «أنه أشتبك في عدد كاف من المعارك ، وأن الوقت قد حان الستخدام طريقة جديدة» . فبدلا من الهجوم بمتطوعيه الجدد ضد السويديين الذيـــن اشتهروا بأنهم لا يغلبون ، احتل موقعا محصنا كان يستطيع منه ازعاج خطوط المواصلات السويدية بخيالته الخفيفة . على حين يستربع معظم جيشه في أمان ويكتسب كل يوم ثقة جديدة بنفسه . ولم يكن هنالك ما يستطيع ابعاده عن هذه الطريقة ، ولم يتأثر بكل محاولات اعدائه الرامية الى دفعه للاشتباك معهم فيي معركة . الى أن أضطر ملك السويد المهدد بالمجاعة ، إلى القيام يهجوم فأشل . ولم يكن هذا الفشل ، من الناحية العسكرية ، سوى حادث مؤسف ، ولكن صداه السياسي انتشر في أوربا كلها مؤثرا على مكانة غوستاف أدولف الادبيسة المكتسبة خلال أنتصارات كثيرة . ولم تتحطم هذه المكانة نهائيا ، ولكن وصاية ملك السويد على الدويلات الالمانية اصبحت أضعف أثرا .

وهكذا استطاع فالنشتاين أن يجمع الذكاء العملي الى الحذر الذي تفرضه قلة الامكانيات ، مع تفكير جيد أربب وبعد نظر فيما يتعلق بأهداف الاستراتيجيــة

٢ ــ قائنشناين : من أشهر القواد الالمان في حرب الثلاثين عاما ، حارب غوسهاف أدولف بكل مهارة ، ولكن طموحه دفعه إلى التفكير بامارة مستقلة ضمن الإمبراطورية قلما كشيف أمره أعتبره الامبراطور خائنا وأعدمه بيد ثلاثة من ضباطه ، «المعرب»

العليا . سار غوستاف أدولف مرة ثانية من نورمبورغ نحو الجنوب في اتجساه بافاريا ، ولم يلحقه فالنشتاين بل اتجه الى الشمال نحسو بلاد الساكس . واضطرت هذه الحركة المتازة الملك السويدي الى اللحاق بهوتطبيق مناورة ممتازة اوصلته اليه قبل ان يسيطر على الساكسون ويرغمهم على توقيع معاهدة صلح منفصلة . وجرت معركة بائسة في لوتزن استطاع الجيش السويدي فيها تعديل اخطائه الاستراتيجية بنجاح تكتيكي . ولكنه دفع ثمن حياة قائده ، الذي تحطمت باختفائه كل مخططاته التي كانت ترمي الى خلق اتحاد بروتستانتي تحت السيطرة السويدية .

ثم استمرت الحرب بعد ذلك ١٦ سنة ، وأدت الى تخريب المانيا وسمحت لفرنسا بأن تلعب الدور الأول في السياسة الأوربية .

وهناك فرق واضح بين الحرب الاهلية التي مزقت انكلترة من عام ١٦٤٢ حتى عام ١٦٥٢ والحروب التي كانت دائرة في نفس الوقت على القارة الاوربية. ويعود الفرق الى ان هذه الحرب الاهلية كانت تهدف باستمرار الى الوصلول انهاية حاسمة . وتبدو هذه الحقيقة واضحة في كتاب «مذكرات فارس» الذي كتبه ديفو وجاء فيه «لم ننصب المخيمات او نحفر الخنادق ولم نختف ابدا وراء الانهار او عبر الطرق . وكانت الفكرة العامة للحرب دائما : اين العدو ؟ الى الامام للقائه» .

ولقد دامت الحرب الاهلية ، رغم هذه الفكرة الهجومية ، اربع سنوات دون وقوع معركة حاسمة فعلا الاعلى المستوى التكتيكي . وعندما انتهت اخيرا في عام ١٦٤٦ كانت هناك جمرات ملكية ملتهبة كثيرة تحت الرمـــاد فما ان اضعفت الاختلافات المنتصرين حتى اندلع اللهيب بعد سنتين بصورة اكثر ضراوة .

ويعود السبب الرئيسي لامتداد هذه الحرب بدون نتائج حاسمة جدرية الى أن المعارك العسكرية اتخذت شكل سلسلة من الهجمات المباشرة المطبقة من كلا الخصمين ويتخللها «عمليات تطهير» كان لها آثار محلية وتأثير مؤقت فقط ، رغم أنها كانت تنهك الجيوش المتحاربة .

كانت القوى الملكية في بادىء الامر تعتمد على مقاطعات الغرب الوسط بينما كانت قوى البرلمان تستند الى لندن . واول محاولة ملكية للسيطرة على لندن انتهت بهزيمة مخجلة في تورنهام جرين . ذلك أن الاشتباك انتهى بدون أن تسيل نقطة من الدماء ، وكان ذلك نتيجة للوضع النفسي الناجم عن معركة إيدج هيل التي كانت دامية جدا وسفكت فيها دماء غزيرة عندما اشتبك الجيشان الرئيسيان في معركة تلاقي (٢) ، ولكن دون نتيجة حاسمة . ومنذ هذه اللحظة غيسدت

٣ - معركة تلاقي : عي التعبير الجديد للمعركة التي يحصل فيهــا الاشتباك بين جيشين او
 وحدتين عسكريتين متحركتين بصورة متقابلة . «المرب»

اوكسفورد والمدن المجاورة لها نقطة ارتكاز حصينة لمناورات الملكيين ، وتقابسل الجيشان الرئيسيان حول هذه المنطقة مدة طويلة دون جدوى بينما تابعت بعض المفارز والقوى المحلية القيام بالمناوشات في الشمال والغرب ، وفسي سبتمبر (ابلول) من عام ١٦٤٣ غدا الموقف في غلوسستر حرجا بعد محاصرتها ، فانطلق جيش البرلمان الرئيسي بقيادة اللورد ايسيكس لنجدتها ملتفا حول مجنبة منطقة اكسفورد ، وقاطعا الطريق على الملكيين ، ولكن تقابلا جبهيا وقع في نيوبيري دون ان يؤدي الى اية نتيجة حاسمة ،

وبدأ الملل يخيم على كلا الطرفين بشكل يمكن أن يدفعهما الى عقد الصلح. وهنا ارتكب شارل الاول (٤) غلطة سياسية فادحة عندما وقع هدنة مؤقتة مسع الثوار الابرلنديين فبدا وكأنه قبل سيطرة الابرلنديين الكاثوليه على الانكليز البروتستانت ، الامر الذي دفع سكوتلاندة البروتستانتية الى وضع امكانياتها الهامة في صف القوى المتحدة المضادة للملك . وارتفعت معنويات البرلمان عندما وجد جيشا سكوتلانديا جديدا يهدد القوى الملكية في الشمال ، فجمع قواته للسير مباشرة نحو منطقة اوكسفورد . ولم تؤد هذه العملية الا الى احتلال بعض الحصون المنعزلة . وكان الملك قادرا السلك على ارسال روبيرت لمحاربة السكوتلانديين وتأمين انضمام مفرزته الى القوى الملكية في الشمال . ولكسسن هزيمته التكتيكية في مارستون مور افقدته كل المكاسب المحتملة لهذه الفرصسة الاستراتيجية ، كما لم يكسب المنتصرون انفسهم شيئًا . ووجه البرلمان مناورته الرئيسية مرة اخرى نحو أوكسفورد فلم تعط أية نتيجة الامر الذي أفقد وحدات البرلمان شجاعتها فبدأت تترك ميدان القتال بجماعات كبيرة . الا أن عناد بعسف الرجال مثل كرومويل (٥) منع عقد الصلح الذي كان مطلب الجميع لشعورهـــم بالارهاق والملل . كما أن الجنَّاح الملكي بدًّا يضعَّف نتيجة الخلافـــات الداخلية ، ووجد فيرفاكس (١) وكرومويل الفرصة ملائمة لضرب عدو ضعيف ماديا ومعنويا، ويعتمد في بقائه على خطأ جناح البرلمان الاستراتيجي ، فقاما بدفع جيوشهما الجديدة نحوه ، وفي عام ١٦٤٥ وقعت اول معركة حاسمة تكتيكيا ، ولكن نتائجها كانت غير كافية لمنع استمرار الحرب سنة اخرى .

ويختلف المخطط كليا عند دراسة الحرب الاهلية الثانية التي كان دماغها

١٦٢٥ الى ١٦٢٥) .

ه _ كرومويل: (١٥٩٦ _ ١٦٥٨) حامي الجمهورية البريطانية ، جهز ثورة وهزم القوات الملكية وأعدم شارل الأول ، اخضع ايرلندة وايقوسيا ثم تسلط على الحكم كدكتاتور باسم حامي حمى الدولة (Lord Protector)

أي فاكس (١٦١١ - ١٦٧١) قائد من قواد النورة البريطانية التي قادها كروموبل .

المفكر كرومويل ويساعده جون لامبيرت (٧) اللامع الذي كان عمره حينتد ١٨ عاما عندما انتشرت الانباء في نهاية ابريل (نيسان) من عام ١٦٤٨ بأن السكوتلالديين يقومون بحشد جيش لاحتلال انكلترا بالتعاون مع القوى الملكية الاخرى استعد في فاكس للسير في اتجاههم نحو الشمال ، في الوقت الذي سار فيه كرومويل نحو الغرب ضد الملكيين في بلاد الغال الجنوبية ، ولكن ثورة في مقاطعة «كنت» اجبرت فيرفاكس على تجاهل تجمع العدو في الشمال ، وهو التجمع الذي ازداد خطره . واخذ لامبيرت مهمة إيقاف هؤلاء المهاجمين بقواته الصغيرة ، فقام بسلسلة من العمليات النموذجية غير المباشرة ضد مجنبة العدو اثناء تقدمه على الطريسق الغربية ، ونجح في شل كل محاولاته للاتصال مع حلفائه في يوركشير .

وبعد سقوط بيمبروك في 11 يوليو (تموز) عام ١٦٤٨ أستطاع كروموسل التوجه الى الشمال ، ولكنه لم يتقدم نحو السكوتلانديين مباشرة بل قام بحركة التفاف سريعة من توتينفهام مؤمنا بذلك خطوط تعويته ، ثم اتجه الى الشمال التفاف سريعة من الاتصال مع لامبيرت ، وتم اللقاء في اوتلي على مجنبسة الجيش السكوتلاندي المتد بين ويغان وبريستون بمغرزة مؤلفة من ٢٥٠٠ رجل بقيادة لانغدال لتفطية الجناح الاسر ، وكان مع كرومويل ،٨٦٠ رجل بما فيهم خيالة لامبيرت والحرس الوطني في يوركشير بينما بلغ عدد جيش العدو ،٢ الف رجل ولكن ظهور كرومويل في بريستون على مؤخرة الرتل السكوتلاتدي حطم توازن هذا الرتل واجبره على العودة الى الوراء والاشتباك بقوى مبعثرة صفية تدخلت بشكل متفرق وعلى التوالي ، وفي بريستون مور تم سحق مفرزة لانفسلدال واسرع كرومويل بالمطاردة ضاغطا الجيش السكوتلاندي على نفسه مع دفعه من ويغان الى أوتوكسيتر حيث هاجمه الحرس الوطني لمدينة ميدلاند جبهيا وانقضت خيالسة كرومويل على مؤخرته فاستسلم في ٢٥ أغسطس (آب) ، ولسم يؤد هذا النصر ومحاكمة الملك واعدامه .

ويشكل اجتياح سكوتلائدة الذي تلا هذه المعركة حربا واضحة المعالم لمنسع عودة العرش الذي كان ولي العهد (شادل اثثاني فيعا بعد) يسعى اليه بمساعدة السكوتلائديين . ولكن يتعذر وضع هذه الحرب مع المعارك التي اثرت على التاريخ بشكل حاسم ، رغم اعتماد كرومويل فيها على استراتيجية الهجوم غير المباشر . ولقد بدأت المعارك عندما قابل كرومويل الجيش السكوتلاندي بقيادة ليسلي وكان متمركزا على طريق ادنبره ، واجرى معه اشتباكا بسيطا استنتج منه قوة هدا الموقع ، فسيطر على نفسه ولم يقم بالهجوم الجبهي على ارض غير ملائمة رغسم قربه من هدفه ونقصان تموينه ورغبته في المعركة . ولم يشتبك الا بعد ان

٧ - جون لامبيرت : (١٦١٩ - ١٦٩٩) من أنصار البرلمان الأنكليزي وأحد قواد الثورة التي قادها
 كروموبل . خدم البرلمان باخلاص ثم ثار عليه . «المعرب»

حذب العدو الى ارض مكشوفة فحصل بذلك على امكانيسة مهاجمة مجنبسه المكشوفة . وهكذا انسحب في اتجاه موسيل بورغ ودونبار بغية تعزيز امكانياته، ثم اتجه نحو موسيل بورغ في نفس الاسبوع واخذ تموينا يكفيه ثلاثة ايام ، قبل القيام بمناورة كبيرة على مؤخرة العدو عبر هضاب ادنبرة . وفي ٢١ اغسطيس (آب) عام ١٦٥٠ قطع ليسلى الطرب. ق الماشر الى كورستورفينهيل ، فحاول كرومويل ، رغم بعده عن قاعدته ، تطبيق شكل جديد للهجوم باستخدام المناورة بجناحه الايسر ، ولكن ليسلي أوقفه مرة أخرى عند جوجار ، ولو كان قائدا غيره في مثل ظروفه لزج بكل امكانياته في معركة مباشرة . ولكن كروموبل ليسم يفعل ذلك بل انسحب ثانية نحو موسيل بورغ ودونبار رغم خسائره الفادحية الناجمة عن تعب الجنود ومرضهم . وجذب انسحابه هذا جيش ليسلى السذي بدأ يتعقبه ، وعرض عليه مساعدوه ركوب البحر والنجاة بمن بقى معه ولكنه أصر على الانتظار في دونبار متوقعا قيام خصمه بارتكاب غلطة تخلق امامه فرصة ملائمة. وكان ليسلى خصما حاذقا ، فقام بحركة زادت الخطر المحدق بكرومول اذ ترك الطريق الرئيسية ، واستدار حول دونبار خلال ليله أول سبتمبر (المريد واحتل دون هيل وسيطر بذلك على طريق بيرويك ، كما ارسل مفرزة للاستيلاء على طريق كوكبورنباث الواقع على بعد ٧ اميال نحو الجنوب . وفي صبيحــة اليوم التالي وجد كرومويل نفسه معزولا عن الكلترا وهذا موقف حرج يزيد من خطورته فقدان التموين وزيادة انتشار الامراض بين الجنود .

كانت خطة ليسلي تتضمن الانتظار على المرتفعات حتى يحاول الانكليز شق طريقهم الى بيرويك فينقض عليهم ، ولكن القساوسة السكوتلانديين لم يعودوا قادرين على الانتظار وهم يرون «فخ الله» وهو ينطبق على كرومويسل الكافر ، وزادت دعواتهم وابتهالاتهم ارتفاعا عندما علموا ان المهاجم قادر على الخسلاص بطريق البحر ، وفي ٢ سبتمبر (ايلول) هبت عاصفة قوية اجبرت الوحسدات السكوتلاندية على ترك مرتفعات دون هيل والنزول عبر المسالك الجبلية للوصول الى السهل قرب طريق بيرويك حيث يمكنهم الاحتماء من المطر بشكل افضل ، وكانت جبهتهم مستندة على مجرى نهر بروك الذي يجري ضمن واد ضيسق

هنا كان كرومويل ولامبرت يراقبان هذه الحركة ، وجاءتهم فكرة واحدة «ان ليسلي يمنحنا فرصة نادرة لمهاجمته» . وكان الجناح الايسر السكوتلاندي محصورا بين الهضبة والنهر الذي تشكل ضفته جرفا شديد الانحدار ، بشكل يصعب معه الذهاب لنجدة الجناح الايمن اذا ما ركز كرومويل وسائطه الهجومية عليه . وفي مجلس الحرب الذي عقد في المساء عرض لامبرت فكرة القيام بالهجوم مباشرة دون تردد على الجناح الايمن والالتغاف حول خطوط القيوات السكوتلاندية ، بينما تقوم المدفعية برمي كثيف يدمر الجناح الايسر المشلول فعلا عن الحركة . واقتنع المجتمعون بحججه ، وسلمه كرومويسل قيادة المناورات

التحضيرية ، واخذت وحداته مواضعها على الضفة الشمالية النهر وسط المطر والريح وتحت جنح الظلام . وبعد أن وضع لامبرت مدافعه أمام الجناح الإيسر السكوتلاندي سار الى الجناح الآخر مع طلوع الفجر لقيادة هجوم الخيالة النسي الدفعت قرب الشاطيء . وامنت المفاجاة عبور الخيالة ومشاة القلب دون صعوبة، ثم اوقف العدو التقدم فترة من الوقت ، ولكن تدخل النجدات الانكليزية امسال الكفة في الجناح على ضفاف البحر ، وسمح لكرومويل بأن يضغط الصفسوف السكوتلاندية ويجعلها تدور حول نفسها من اليمين الى اليسيار ويحصرها فسي زاوية واقعة بين الهضبة والنهر ، ولم يجد السكوتلانديون امامهم سبيلا سوى الفرار . وهكذا استطاع كرومويل بهجوم غير مباشر تكتيكي استغلال ثقة الخصم منفسه وتدمير جيش اكبر من جيشه بمرتين ، وختم معاركه بالتصار يرجسع الفضل فيه الى صموده امام مغريات الفرص التي سنحت له لترك سياسة الهجوم غير المباشر . وادى انتصار دونبار الى سيطرة كرومويل على سكوتلاندة الجنوبية وسحق الجيش المعادى وطرد حزب الكوفنان من ميدان السياسة بحيث اخرجهما من قائمة القوى المشتركة في الصراع، ولم يبق أمام كرومويل من يعارضه سوى المناصر الملكية في مقاطعة هايلاند . ثم توقف التقدم بمرض كرومويل ، الامر الذي اعطى ليسلى الوقت الكافي لتدريب جيش ملكي جديد خلف نهر فورث .

وفي يونيو (حزيران) عام ١٧٥١ تماثل كرومويل للشفاء وعاد لمتابعة العمليات فوجد امامه مشكلة صعبة ، ولكنه وضع لها حلا يمكن مقارنته بمعارك التاريسخ العسكري الكبرى بفضل براعته وحسن تقديره . كان كرومويل في هذه المسرة متفوقا عدديا ، وعليه ان يعمل ضد عدو عنيد متمركز بقوة ، في منطقة بهسسا مستنقمات ورمال تمنع تقدم كل مهاجم وتعوق الحركة في اتجاه ستيرلينغ . كما وجد نفسه مضطرا لقضاء شتاء جديد في سكوتلاندة الا اذا استطاع تدمير مقاومة العدو بسرعة الامر الذي ينهك وحداته ويزيد متاعب سياسته الداخلية ، ولم يكن مجرد اخراج العدو من منطقة المستنقعات كافيا ، لان النجاح الجزئي يؤدي الى انتشار العدو في هايلاند حيث يبقى شوكة في مجنبة الانكليز .

اتخذ كرومويل حلا ممتازا ، اذ هدد في بادىء الامر جبهة ليسلي وسار نحو بيرث مستديرا بذلك حول الحاجز الدفاعي الذي وضعه ليسلي على الطريسيق المباشر المؤدي الى ستيرلينغ ، واحتل الطريق المؤدي الى منطقة تموين العدو . ولقد أدت هذه المناورة في نفس الوقت الى كشف طريق انكلترة نفسها ، وهذا امر يدل على مهارة كرومويل الذي تمركز على مؤخرة العدو المهدد بالجوع والفناء وترك له ممرا ضيقا مفتوحا . ويقول احد خصومه في هذا الصدد : «كان علينا ان نموت جوعا او ندخل انكلترة مع بعض الرجال . وهذا حل يبدو أقل سوءا رغم انه بلا أمل .» واختار السكوتلانديون في النهاية هذا الحل فتوجهوا في نهاية شهر يوليو (تموز) نحو الجنوب في اتجاه انكلترة .

توقع كرومويل هذه الحركة واستعد مع سلط...ات وستمنستر لملاقاتهم ، وجرى حشد الحرس ألوطني لهذه المهمة ولمراقبة كل من يش....ك في ولائه ،

وصودرت مستودعات الاسلحة المخبأة، وتقدم السكوتلانديون على طريق الشاطىء الفربي ، فأرسل كرومويل خلفهم خيالة لامبرت ، على حين استدار هاريسون من نيوكاسل الى وارينغتون وفليت وود وتوجه الى الشمال مع حرس مقاطعسة ميدلاند الوطني ، والتف لامبيرت حول مجنبة العدو ، والتقى مع هاريسون في ١٢ اغسطس (آب) وقام كلاهما بدفاع مرن اوقف المتقدمين ، بينما كان كرومويل يسير بسرعة ٣٠ ميلا في اليوم في حرارة شهر اغسطس (آب) اللتهبة بمحاذاة الشاطئ الشرقى ثم انحرف نحو الجنوب الفربي ، وهكذا تقدمت اربع قسوى للاقاة العدو قاوقمته في الفخ ، وحاول شارل ترك طريق لندن والتوجه السي وادى سيفون ، فلم يؤد ذلك الا الى تأخير خاتمة هذه المغامرة التي وقعت في ٣ سبتمبر (ايلول) في مبدان معركة وورسيستر ،

يمكننا أن نجد بعض المعارك الحاسمة القليلة في سلسلة المعارك التي قام بها لويس الرابع عشر (٨) ضد الجيوش الاوروبية ، منفصلة أو مجتمعة ، في الفترة الواقعة بين حرب الثلاثين وابتداء حرب الوراثة الاسبانية . وكانت غابات الحرب والاهداف العسكرية المؤدية اليها محدودة غالبا . وبعود السبب في قلة عسدد المعارك الحاسمة الى عاملين وأيسيين ، أولهما تفوق التحصينات وتقدمها على التسليح ، مما أعطى الدفاع تفوقا ظاهراً مثل تقوقه في بداية القرن العشريسين بفضل استخدام المدافع الرشاشة . وثانيهما عدم وجود جيوش منظمة فسي وحدات دائمة مستقلة ، واعتماد الجيوش على الحركة والقتال ككتلة واحدة مما يقلل المكانية المناورة وأعمال المشاغلة ولفت الانظار الرامية الى خدع العدو وعرقلة حربة عمله .

وفي خلال الحروب التالية المتعاقبة كحرب الفروند وحرب هولندا او حلف اوغسبورغ وغيرها وقعت معركة واحدة حاسمة هي معركيية الشتاء في عام ١٦٧٤ ــ ١٦٧٥ التي قادها تورين (٩) وادت الي انتصاره في توركهاييم . كانت فرنسا آنذاك في موقف حرج بعد أن تخلى حلقاء لويس الرابع عشر عنه ، واتحد الاسبانيون والهولنديون والدانيماركيون والنمساويون ومعظم الامراء الالمان ضده، فاضطر تورين الى الانسحاب بعد أن اشاع التحراب في مقاطعة بالاتينا . وسار

٨ ـ لويس الرابع عشر الكبير ملك قرنسا من عام ٣٦٤٣ اللى ١٧١٥ مات ابوه وعنده خمس سنوات فكان مازاران وصيا عليه بناء على توصية ريشيليو ، تميز عصره بالعظمة (حروب _ ابنية شخمة ... أعياد رائعة) اهتم بالمالية والزراعة والصناعة ونظم الجيش وأقام الحصون وأراد إن يفرض سيطرة قرنسا على الدول الاخرى ، فاشترك في حروب مع اكثر دول أوربا وحقق انتصارات كبيرة ولكنه أنهك الشعب الفرنسي . «المرب»

١ ــ تورين : مارشال فرنسا وقائد الجيش القرنسي في المانيا خلال حرب الثلاثين عاما . حقق الفرنسا انتصارات عسكرية كبيرة ، كان بسيطا متواضعا يؤمن بالحساب والتفكي في وضع المخطط الحربية . «المرب»

حكام براندبورغ للالتحاق بالجيش الامبراطوري الذي يقوده بورنونفيل ، ولكسن تورين هزم هذا الاخير في اكتوبر (تشرين اول) عام ١٦٧٤ في اينزهيم قبل وصول قوّات حكام براندبورغ ، ثم اضطر للانسحاب الى ديتويلر بينما اجتاح الالمـــان الالزاس وعسكروا لقضاء الشناء في المناطق الواقعة بين ستراسبورغ وبيلفور . وكان كل شيء معدا لعمل تورين العظيم . وحدثت اول مفاجأة عندما قرر دخول المعركة في قلب الشتاء ، وقام بخداع العدو بأن وضع حصون الالـزاس الوسطى على أهبة الدفاع ، وسحب كل وحداته المقاتلة الى اللورين بدون ادنى ضجة ، ثم سار منها بسرعة نحو الجنوب متسترا خلف جبال الفوج التي كانت تخفى تقدمه كما كانت تخفى وصول النجدات اليه على طول الطريق. وفسيسي مراحل التقدم الاخيرة قسم قواته الى مفارز صفيرة متعددة ليخسدع جواسيس العدو . وبعد سير طويل في مناطق جبلية وسط العواصف الثلجية وصل قرب بيلغور ، فجمع جيشه وهاجم الالزاس فورا فاجتاحها من الجنوب وهي التي كان قد انسلحب منها من قبل من الشلمال ، وحاول بورنونفيل ايقاف تورين بالقوى المتوفرة لديه ، وتم اللقاء في ميلوز بتاريخ ٢٩ ديسمبر (كانون اول) وانتصر تورين واندقع التيار الفرنسى الجارف بسرعة بين جبال الفوج ونهر ألرين طاردا أمامه جنود الامبراطورية الهاربين بفوضى نحو الشمال في اتجاه ستراسبورغ . وكان الفرنسيون يسحقون خلال هذه المطاردة كل مفرزة تحاول المقاومة . وفي كولمار الواقعة على منتصف الطريق الى ستراسبورغ وقف حكام براندبورغ مع قيوة معادلة لجيش تورين وأقاموا سدًا دفاعيا ، وكان تورين يملك قوة الدفع الماديسة والمعنوية مع حرية العمل ، فاحتفظ بكل ذلك لكي يقوم في معركة توركهايم بهجوم غير مباشر تكتيكي يهدف الى شل امكانية مقاومة العدو اكثر مما يهدف الى تدميره. واعتمد على تأثيرات هذا التكتيك لتأمين هزيمة العدو ، وتم نجاح خطته بشكـــل رائع ، ولم يعد في الالزاس بعد عدة ايام اي جندي للعدو .

وعاد الفرنسيون الى معسكراتهم الشتوية في ستراسبورغ حيث اصبحوا قادرين على الحصول على المؤن دون اية صعوبة من الضفة الالمانية لنهر الربورغ وحتى حدود نهر نيكار . وانسحبت القوات الالمانية المتبقية الى براندبورغ واستدعى مونتي كوكولي (١٠) خصم توريسين القديم لتسليم قيادة الجيش الامبراطوري ، ولكن تورين هزمه ووضعه في موقف حرج قرب نهر سالزبار ، ولكن تورين قتل في بداية المعركة بقنبلة مدفع . وبموتسه تغير مجرى الحرب مرة اخرى .

تختلف المعركة التي قام بها تورين في ذلك الشتاء عن مختلف المعارك التي دارت في أوربا خلال القرن السابع عشر ، بأنها كانت معركة حاسمة لا مثيل لها في ذلك العصر الذي كان قادته من ذوي المستوى العسكري المحدود رغم تفوقهم

١٠ - مونتي كوكولي : قائد نمساوي (١٦٠٩ - ١٦٨١) . «المعرب»

في المناورة بشكل كبير . ولكن قدرتهم على المناورة كانت متساوية تقريبا الدرجة ان حركات الالتفاف التي يقومون بها كانت تصد ببراعة ، ويكفي تقديم هسفه الممركة كنموذج المعارك التي يتم فيها سحق العدو سحقا تاما ، ومما يرقع قيمة هذا القائد أن عبقريته كانت تزداد مع تقلمه في السن . لقد خاض من المسارك اكثر مما قعل أي قائد حربي آخر في المتاريخ . ثم وجد في معركته الاخسيرة الحل الحاسم للمشكلة التي كان يبحث عنها فن الحرب في القرن السابع عشر . ولقد وجد هذا الحل دون أن يتجاهل قاعدة ذلك العصر القائلسة : بأن المدربين تدريبا عسكريا عاليا يكلفون غاليا قلا يجب التضحية بهم .

لقد علمته خبرته أن الوصول إلى نتيجة حاسمة في مثل هذه الاحوال في حاجة إلى تطبيق خطة استراتيجية مع هجوم غير مياشر أكثر مما كان الامر يتطلب في أية معركة سابقة ، لقد كانت المتاورات آنذاك متعلقة بالحصون حيث توجد المستودعات والوحدات الاحتياطية اللازمة للقوات المقاتلة الميقاتية ، فحرر نقسه جديا من هله القواعد ، وحقق تواقق المفاجأة والحركة للحصول على الحسل الحاسم ولتأمين سلامة مناوراته ، ولم يكن يعتمد في عمله على الحط مشسل اعتماده على الحساب الدقيق ، كما أن تجاحه في تمزيق العدو فكريا ومعنويسا وتدمير وسائل المداده حقق له قدرا كافيا من حرية اللعمل التي اتاحت له تنفيذ خططه الحربية تنفيذا بارعا .

الفصلالتابع

القون الثامن عشو مارلبورو ، فودريك الثاني

تمتاز حرب الوراثة الاسيالية (١٠١١ ــ ١٧٩٣) بازدواج غريب في طبيعتها. لقد كان لها هدف سياسي محدود وآخر كبير يرمي الى تحطيسه قوة فرنسا المتفوقة التي يعلكها لويس الواليع عشر . وكالت على الصيد الاستواتيجي عبارة عن سلسلة متوالية من الهجوم المباشر واللتالورة غير المباشرة دون نتائه عن الهمية . وكان فيها رغم ذلك يعض الهجيمات التانجحة غير المباشرة المتعلقة دائما باسم مارلورو (١) والتي كانت تتعدد غالبا تحول وجه الحرب .

كان الحلف المعقود ضد قرنسا حيثك يضم النمسا وبربطاليا وهوالسدا

ا ــ مارلبورو قائد الكليزي (١٦٥٠ ــ ١٧٢١). تسلم قيادة الجيش الانكليزي في البلاد الواطئة
 عام ١٧٠١ حصل على التصارات كبيرة واصبح اسمه فيما بعد اسطوريا بفضل اغنية شعبية هزلية.

والدانيمارك والبرتغال وعدة دويلات المانية ، بينما كان حلفاؤها قاصرين علميى

وبدات الحرب في شمالي ايطاليا ؛ بينمسا كانت بقية الجيوش تكمسسل استعداداتها ، واحتشد النمساويون بقيادة الامير اوجين (٢) في بلاد التسيرول واستعدوا للسير مباشرة نحو الخصم الذي يسد الطريق في ممر ريفولي بقيادة كاتينا (٢) ولكن أوجين عرف ممرا صعبا في الجبال لم يستخدم منذ زمن طويل ، فسلكه وخرج فجأة من السهل بعد أن قام بحركة التفاف عريضة من الشرق . واستفاد من هذه الميزة منذ البداية ، وقام بمناورات ناجحة خدعت الاعداء عدة مرات واخفت اهدافه الحقيقية ، ودفعت خصومه الى مهاجمته فهزمهسم وثبت اقدامه في شمال إيطاليا .

افتتح هذا الهجوم غير المباشر الصراع واعطى الحلفاء خصوم فرنسا قسوة معنوية دافعة ، وحطم اسطورة جيوش لويس الرابع عشر التي لا تقلب ، وصدم النفوذ الفرنسوي والاسباني في ايطاليا صدمة لم تقم له بعدها قائمة . وكان من نتائج هذا الانتصار انضمام دوق سافوا الذي يعمل دائما مع الاقوى الى الحلفاء. وفي عام ١٧٠٢ بدأ الصراع الرئيسي عندما تم تجهيز الجيش الفرنسي الاكبر في الفلاندر حيث حصن الفرنسيون خطوط بارايان ، من انفرس الى هوى ، بطول ٦٠ ميلا ، لتأمين سلامة مؤخرتهم خلال التقدم المقبل . وشعر الهولنديون بخطر الغزو فالتجأوا الى حصونهم . وكان مارلبورو يؤمن بفكرة الحرب الايجابية ولكنه لم يبدل هذا الدفاع السلبي بهجوم مباشر على بوفلير (٤) المتقدم نحو الرين بـــل ترك الحصون الهولندية الهآمة وسار مسرعا نحو «خطوط بارابان» وخط التراجع الفرنسي ، وأحس بوفلير بالقبضة توشك أن تخنقه معنويا فانسحب بسرعة وغدا الجيش الفرنسي منهكا ماديا ومعنويا ، وأصبح هدفا سهلا لمارلبورو الذي كان يراقبه عن كثب للقيام بتطويقه ، ولكن الهولنديين رفضوا هذه الفكرة وقنعــوا بابتعاد خطر الغزو عن بلادهم . وفي هذه السنة جذب مارلبورو خصمه بوفلسير الى الفخ مرتين ، وساعد التردد الهولندى في كل مرة الفرنسيين على الخلاص. في السنة التالية قام مارلبورو بمناورة ناجحة لاحتلال انفرس واجتياز خط الخنادق المحصن ، وكان يأمل في تثبيت الجيش الاساسي الفرنسي الذي يقوده

^{، (}۱۷۳٦ ـ ۱۹۹۳) ، ξ . الأمير أوجين ξ قائد مشهور من قادة جيوش الأمبراطورية النمساوية (۱۹۹۳ ـ ξ المرب»

٣ ـ كاتينا : مارشال فرنسا (١٦٢٧ ـ ١٧١٢) من احسن القادة في عهد لويس الرابع عشر
 اظهر مهادة عسكرية وسياسية .

⁾ عن ليل والإنسحاب في ماليلاكيه، 1781 = 1781 = 1781 = 1781 = 1781 = 1781 = 1841 = 1

فيلوروا (ه) بهجوم مباشر على الطرف الجنوبي لخطوط بارايان ، بينما يهاجسم كوهورن بفيلقه الهولندي وبمساعدة الاسطول مدينة ستاند، وتتجه قوات هولندية اخرى بقيادة سيار نحو الفرس من الشمال الغربي ، وكان الهدف من هسسده الحركات على الساحل اجبار القيادة الفرنسية على النظر وراءها وسحب قواتها المتمركزة في الطرف الشمالي لخطوط بارايان. وكان على فيلق اوب دام الهولندي التقدم بعد } ايام ومهاجمة المدينة من الشمال الشرقي على حين يترك مارلبورو فيلوروا ويتقدم في اتجاه الشمال نحو انفرس مطبقا عليها بكل قواته .

تم تنفيذ القسم الاول من المخطط بشكل مشجع ، وجلب الخوف مسبب مادلبورو جيش فيلوروا الى نهر الموز ، ولكن كوهورن لم ينفذ الحركة في اتجاه ستاند كما كان مقررا ، وقام بحركة اقل اتساعا قرب انفرس بالتعاون مع سبار ، ولم تحقق هذه الحركة نتيجتها المتوقعة في خداع العدو وتحرك اوب دام قبل الوقت المحدد ، فلما تقدم مادلبورو الى الشمال لم تخدع حركته فيلوروا الذي سبقه وأرسل بوفلير مع ٣٠ سرية من سرايا الخيالة و٣ آلاف رجل من المشاة رماة القنابل الذين ساروا على الاقدام بسرعة مسير الخيالة ، وسارت هذه المعسرزة السريعة الحركة . كميلا في ٢٢ ساعة والتحقت بحامية انفرس في يوليو (تموز) ثم هاجمت أوب دام فجأة واضطرته الى الانسحاب بعد ان كبدته خسائر فادحة . وهكذا فشل المخطط الذي اسماه مادلبورو بكل غرور «المخطط الكبي» .

اقترح الانكليز بعد هذا الفشل القيام بانقضاض مباشر على خطوط بارابان جنوبي انفرس ، وعارض القادة الهولنديون هذه الفكرة لانها كانت تعني الهجوم الجبهي على موضع محصن تشغله دفاعيا قوة تعادل قوة المهاجمين . والحقيقة أن مارلبورو كان يتمتع بموهبة كبيرة في حقل المناورة ولكنه كان يتصرف في لحظات اليأس تصرفات تفقده هذه الميزة وتعيده الى الطريق العادية . ولكنن المؤرخين البريطانيين المتأثرين بأعماله ومآثره يحكمنون احكاما قاسية علىن الهولنديين نتيجة هذا الموقف الذي يمكن تفسيره بشعور الهولنديين بالخطسسر المباشر على كيانهم وبلادهم اكثر من الانكليز ، علاوة على احساسهم بأن الحسرب بالنسبة لهم مسألة تقرير مصير لا مجرد مفامرة كبيرة او لعبة مسلية ، وتأكدهم كما قال الاميرال جليكو بعد قرنين بأنه «يمكن خسارة الحرب في ظهيرة يوم واحد» وبأن الاشتباك في المعركة معناه تعرضهم لهزيمة محققة .

اضطر مارلبورو امام فكرة القادة الهولنديين الى ترك فكرة الهجوم في منطقة انفرس ، وتوجه نحو الموز ليغطي حصار مدينة هوى ، وفي نهاية اغسطس (آب) اقترح من جديد مهاجمة خطوط بارابان وقدم حججا لدعم فكرته ولتأكيد صلاحية القطاع الجنوبي لهذا المشروع ، ولكن حججه فشلت في اقناع الهولنديين .

ه سه فبلوروا : قائد فرنسي (١٦٤٤ ـ ١٧٣٠) لم يبدر مهارة في فيادة الممليات ومع ذالسك
 كيئه لويس الرابع عشر لتمليم وتثقيف لويس الخامس عشر ، «المرب»

ولقد تضايق مارلبورو من موقف القواد الهولنديين ، لذا فانه تقبل بحماسة فكرة فراتيسلو مبعوث امبراطور التمسا ، وهي الفكرة التي تهدف الى دفع قواته في اتجاه نهر الدانوب . والسجمت هذه الفكرة مع آراء مارلبورو الواسعــــــــة الافق ، مما ادى في عام ١٧٠٤ الى القيام بهجوم غير مباشر يعتبر مثالا يحتذى في التاريخ العسكري . كان أحد الجيوش الغرنسية الرئيسية يعمل في الفلاندر بقيادة فيلوروا ، بيتما كان هنالك جيش آخر بقيادة تالار ١١) متمركزا في المجرى العلوي لتهر الرين بين مانهايم وستراسبورغ تحت حماية مفارز صغيرة لتغطيسة المواقع ، اما الجيش الثالث المؤلسف من البافاريين بقيادة حكام باقاريسا ومارزان (٧) فكان قرب مدينة هولم ونهر الدانوب ٤ وكانت حركة هذا الجيش الى الشرق تعنى تهديدا خطيرا لمدينة فيينا . ودرس مادلبورو الموقف وقرر الانتقال من الموز الى الدانوب بوحداته الانكليزية ، وضرب البافاريين على حدة للحصول على نصر حاسم ضد اضعف اعدائه . ويمكن اعتبار هذه الحركة الواسعة التسي تبعده عن قاعدته الانكليزية ، وتفقده مكاسبه في الشمال ، شجاعة لا مثيل لها. وتزداد اهمية هذه الحركة وجراتها عند مقارنتها مع استراتيجيسة ذلك العصر البطيئة المترددة . وكانت سلامة مناورته مضمونة بعامل التحطيم المنوي الذي اصاب العدو بسبب هذه الحركة المفاجئة غير المتوقعة . وكانت المقاجأة تعتمد على امكانيات الهجوم في اتجاهات مختلفة ، وتهديد عدة اهداف في وقت واحد في كل مرحلة ، مما يمنع العدو من اكتشاف الهدف الحقيقي .

وعندما سار مارليورو نحو الجنوب في اتنجاه نهر الرين اعتقد العدو فسي بادىء الامر انه يريد غزو فرنسا عبر وادي نهر الموزيل .

ولما اجتاز كوبلانس ظن أنه يريد مهاجمة القوات الفرنسية في الالزاس ، وقد تلكت هذه الفكرة عندما استعد لانشلل جسر على نهر الرين في مدينسة فيليبسبورغ . ولكنه عندما وصل الى منطقة مانهايم غيثر محور تقدمه الطبيعي المؤدي الى الجتوب الغربي واتجه تحو الجنوب الشرقي واختفى في الهضاب التي تكسوها الاشجار ، وسار مع وادي نهر فيكار ، ثم سار في اتجاه هؤلم مجتازا قاعدة المثلث الذي يشكله الرين والدانوب ، ولقد غطت مناورته الاستراتيجية المجهولة اتجاه تقدمه بشكل فعال ، وساعدته على الاستفادة حتى من تقدمسه البطيء الذي لم تتجاوز سرعته ، ا أميال في اليوم خلال اسابيع ، وبعد ان أمن مارليورو الاتصال في مدينة أيباخ مع الامير أوجين وكونت بالا تابع تقدمه مسع مارليورو الاتصال في مدينة أيباخ مع الامير أوجين وكونت بالا تابع تقدمه مسع قوات الكونت فقط ، لان الامير أوجين عاد بجيشه ليعرقل ويوقسف الجيوش القرنسية على نهر الرين ، وهي الجيوش التي جاءت من القلائدر بقيادة فيلوروا

٦ _ تالار : مارشال فرنسا ورجل سياسي (١٦٥٢ ــ ١٢٢٨) .

٧ _ مارزان : مارشال فرنسا (١٩٥٦ _ ١٧٠٦) قتل في معركة تورين . «المعرب»

نی وقت متأخر (۵) .

وكان مارليورو الذاك عند مؤخرة الجيش المفرنسي البافاري بالنسبة لمفرنسا وفي وضع جبهي بالنسبة للبافاريا - وجاء هذا الازدواج في الوضع المجغراقي لينضم الى عوامل اخرى منعت مارلبورو من استغلال المميزات الاستراتيجية التي حصل عليها ، واول هذه العوامل تشكيل الجيوش في ذلك العصر وتلاؤمه مسع التكتيك الجامد الذي بعنع كل مرونة استراتيجية ، ويسمح لكل قائد بجذب عدوه الى الفتح دون أن يقدر على ايقاعه فيه ، أن لم يكن العدو راغبا في ذلك ، أي أن المائل كان غير قادر على اجبار خصمه على الدخول في المعركة رغم أنفه - أما المائل الآخر فكان متعلقا بمارلبورو واقتسام القيادة بيته وبين كونت باد المتردد الذي لا يستطيع اتخاذ قرار حاسم .

كانت جيوش بافاريا والماريشال مارزان المشتركة تحتل موضعا محصنا في ديليفين على نهر المدانوب شرقي هولم ، وعلى منتصف الطريق بين هولى ودونوفرس ، وكان جيش الجنرال تالار مستعدا للهجوم من ناحية نهر الرين ، لذا غدت هولم منطقة غير صالحة لدخول بافاريا ، وقور مارلبورو شق طريقه في دونوفرس لانها النهاية الطبيعية لخط المواصلات الجديد الاحتياطي المذي يحلل محل الطريق المار من نورمبرغ ، ولان احتلال دوتوفرس يعني السيطرة على مالوريق المؤدي الى بافاريا والذي يسمح بالمناورة بحرية على ضفتي نهر الدانوب، ومن سوء حظ مارلبورو ان العدو في ديليفين شاهد حركة المجنبة التي قام بها بشكل يتعارض مع القواعد العسكرية النظرية والتي تم تنفيذها ببطء شديد، اتاح الفرصة للبافاريين لكي يرسلوا مفرزة كبيرة لنجدة دونوفرس ، وفي المرحلة التاريخ المناس ، وفي المرحلة المراسة المناس ، وفي المرحلة المراس ، وفي المر

اتاح الفرصة للبافاريين لكي يرسلوا مفرزة كبيرة لنجدة دونوفرس . وفي المرحلة الاخيرة المناورة اسرع مارلبورو في المتنفية ولكن العدو استطاع توسيع نطساق الدفاعات قبل وصول الانكليز الى المدينة في ٢ يوليو (تموز) . ولم يشأ مارلبورو اعطاء الفرصة لعدوه لكي يقوي دفاعه ، فقام بالهجوم في مساء اليوم نفسه ، وتم صد الانقضاض الاول مع خسائر كبيرة تعادل اكثر من نصف القوات المهاجعة ، م جاءته نجدات حليفة فحصل على تفوق عددي يعادل } الى ١ ورجحت كفته بفضل هذا التفوق ، ولكنه لم يحصل على نتيجة حاسمة رغم كل هذا الا بمناورة دائرية كشفت قطاعا ضعيفا في الدفاع ، وسمحت بفتح ثفرة فيه . ولقسداعترف مارلبورو في تقريره بأن احتلال دونوفرس «كلفه غاليا» وهذا انتقاد عام لتكتيكه لان قائد المناورة الحاسمة كان كونت مقاطعة باد .

انسحبت معظم القوات المعادية بعد ذلك الى أوغسبورغ بينما توغل مارليورو في اتجاه الجنوب مخربا بافاريا ومشعلا الحرائق فيمنات القرى ليجبر البافاريين

٨ ـ احتفظ مارلبورو حتى اللحظة التي ترك قيها نهائيا وادي نهر الربن بامتكانية تتغيذ مسير مضاد نحو الغلاندر يستخدم فيه التوارب التي جمعها لنقل رجاله ، ولقد لعبت هذه الحيطة دورا اضافيا زاد من خطأ افتراضات القيادة الفرنسية .

على التصدي له او الاشتباك في معركة في ظروف غير ملائمة . ولم تؤد هذه الطريقة الهمجية المنافية للانسانية الى نتيجة حاسمة ، لان الحرب في ذلك العصر كانت قضية حكام لا قضية شعوب ، ولم يكن الحاكم ليشعر بتأثير ظروف واوضاع لا تمسه مباشرة ، ووجد تالار الفرنسي الوقت الكافي ليتقدم من منطقة الرين ويصل الى اوغسبورغ في ٥ اغسطس (آب) .

ولكن من حسن حظ الحلفاء ان ظهور تالار على المسرح ضاع تأثيره بسبب ظهور الامير اوجين الذي ترك بكل سرية مواضعه امام فيلوروا وسار بجسسراة لمساعدة مارلبورو . وكانا قد اتفقا قبل ذلك بوقت قليل ان على كونت بسساد الاستفادة من تغطية مارلبورو والامير اوجين والنزول بمحاذاة نهر الدانوب لمحاصرة مدينة اينغولشتاد التي يحتلها العدو .

وفي ٩ اغسطس (آب) وردت معلومات بأن جيش العدو المسترك يتحرك باتجاه الشمال نحو الدانوب بغية السيطرة على مواصلات مارلبورو ، ولم يمنع هذا الخبر مارلبورو والامير آوجين من السماح لكونت باد بمتابعة تقدمه نحو اينغولشتاد متنازلين بذلك عن قوته للتخلص من شخصيته المترددة ، وأصبح مجموع فواتهما ٢٥ الف رجل مقابل عدو يملك ٢٠ الف رجل قابلين للزيادة ، ويمكننا أن نغهم رغبتهما في التخلص من الكونت ولكن انقاص قوتهما بهذا الشكل أمر يدعو الى الاستغراب ، خاصة وانهما قررا الاشتباك في المعركة في أول فرصة ، ولعل هذا القرار ناجم عن الثقة بتفوق صفات رجالهما على صفات رجال العدو ، ولكسن المعركة التي تلت ذلك كانت ضارية وغير حاسمة مما يثبت أن هذه الثقة لم تكن قائمة على أساس ،

ومن حسن حظهما ان ثقة العدو بقوته كانت مماثلة لثقتهما . ويبدو ان حاكم بافاريا كان متعجلا القيام بالهجوم رغم عدم استعداد القسم الاكبر من قواتسه للعمل . ولقد اعترض تالار على ذلك لان الحكمة تتطلب انتظار وصول الامدادات والتحصن دفاعيا حتى يتم ذلك ، فاستغرب الحاكم من هذا الاعتراض ولم يقبل اتباع مثل هذا الحذر مما اضطر تالار الى ان يجيبه بتهكم : «لو لم أكن مقتنعسا تماما باخلاص سعادتكم ، لاعتقدت انكم تودون العبث بجيوش ملك فرنسا دون تعريض جيوشكم للخطر ، والاكتفاء بالتمتع برؤية ما يحدث» . وتم بعد ذلك الاتفاق على حل وسط يتضمن قيام الفرنسيين بمظاهرة عسكرية تمهيدية لاحتلال موضع قريب من بلنهايم الواقعة خلف نهر نيبل على طريق دونوفرس .

وفي صباح اليوم التالي ١٣ اغسطس (آب) فوجئت جيوشهما باقتسسراب الحلفاء على طول الضفة الشمالية لنهر الدانوب ، وهاجم مارلبورو ميمنسة الفرنسيين بينما هاجم الامير اوجين ميسرتهم ، ولم تسمح المسافة الضيقسسة المحصورة بين النهر والمرتفعات بالقيام بمناورة ، وكان الحلفاء يمتازون بسروح القتال العالية وتدريبهم العسكري الجيد وتدخلهم غير المتوقع ، لان اتخاذ قرار الهجوم في ظروف مشابهة ، كان امرا غير محتمل ، ومنعت المفاجأة الجيشين

الفرنسيين من اخذ تشكيلات قادرة على القتال بتعاون ، لذا دخل الفرنسيون في المعركة حسب ظروف المواقع التي كانوا موجودين فيها لا حسب متطلبات المعركة مما افقدهم التوازن للادي ، وترتب على ذلك عدم توافر المشاة في قطاع واسع من قلب القوات المحاربة ، ولم يبدأ هذا النقص بشكل واضح قبل ساعة متأخرة ، وكان الفرنسيون يستطيعون تلافيه لو لم تكن هنالك عوامل اخرى ،

كانت المرحلة الاولى من المعركة في صالح الفرنسيين ، وفشل هجسوم مارلبورو على الجناح الاسر في بلنهايم وتكبد خسائر فادحة ، كما فشل الهجوم على الجناح الايمن . وصند بعد ذلك هجوم الامير اوجين مرتين . ولما اشتبكت وحدات مارلبورو في القلب هاجمت الخيالة الفرنسية مقدمة ارتاله اثناء عبور نهر نيبل ، ولم يمكن صد هذا الهجوم الا بصعوبة ولسبب خطأ في نقل الاوامر والواقع ان قوات مارلبورو اوقفت هذا الهجوم بعدد من سرايا الخيالة يقل عن العدد الذي كان يتوقعه تالار . واعقب ذلك هجوم مضاد قامت به خيالة مارزان الفرنسي على مجنبة الحلفاء المكشوفة وتم صد هذا الهجوم في الوقت المناسب عندما تدخلت خيالة الامير اوجين دون تردد بناء على طلب مارلبورو .

واستطاع الحلفاء تجنب الكارثة ، ولكن بقي الوضع حرجا . وكان على مارلبورو ان يعمل بسرعة ليتخلص من ضفاف نهر نيبل المليئة بالمستنقعات التي تضعه في مأزق كبير . ودفع تالار بعد ذلك غاليا ثمن الغلطة التي ارتكبها عندما سمح لخصمه باجتياز النهر ، اي انه دفع ثمن التنفيذ السيء لمخططه . وبعد ان فشلت خيالة تالار في الهجوم المضاد الذي كاد يخترق قلب قوات مارلبيورو توافعت النجدات عبر النهر لمساندة هذا القلب . ولقد وضع تالار .ه كتيبة من المشاة ضد كتائب مارلبورو اله ٤٨ ، ولم يكن امام قلب الجيش الانكليزي المؤلف من ٣٣ كتيبة سوى ٩ كتائب فرنسية ، ويرجع ذلك الى خطأ في توازن التشكيلة الاساسية لم يتم اصلاحه عندما كانت الفرصة ملائمة . وبعد ان قامت مدفعية مارلبورو بالرمي الكثيف على بعض مواقع المشاة الفرنسيين تقدمت مشاته واجتاحت هذه المواقع ، فاندفع في الثفرة المفتوحة وقسم مجموعه المشاة الفرنسيين المتكدسة في بلنهايم الى جيوب صغيرة . ثم حاول القيام بمثل هذه العملية على مجنبة مارزان المكشوفة ، ولكن هذه المجنبة استطاعت الانسحاب فلم العملية على مجنبة مارزان المكشوفة ، ولكن هذه المجنبة استطاعت الانسحاب فلم تقع في كماشة الامير اوجين ، وتراجعت دون خسائر جدية بعكس الجزء الاكبر من جيش تالار الذي تم حصاره قرب الدانوب فاضطر الى الاستسلام .

لقد كان النصر في بلنهايم غالي الثمن ولم يتم الحصول عليه الا بعد التعرض لاخطار كبيرة . واذا ما حللناه بدقة وتجرد وجدناه راجعا لصلابة وعناد الجنود الانكليز وخطأ القيادة الغرنسية وليس الى مهارة مارلبورو الشخصية . ولقد كان من نتائجه تشويه سمعة الجيوش الفرنسية وتحطيم الفكرة القائلة بأنها لا تنفلب . الامر الذي ادى الى تبدل عام في الموقف الاوروبي .

تبعث الجيوش الخليفة الفرنسيين المنسحبين وعبرت وراءهم نهر الرين في فيليبسبورغ . وهنا بدت نتائج الخسائي المدفوعة ثمنا لنصر بلنهايم بشكيل

وأضح، ولم يبد إي شخص عدا مارلبورو رغبة في متابعة التقدم الى مدى أبعد، وفي عام ١٧٠٥ رسم مارلبورو مخططا لغزو فرنسا يجنبه الاشتباك مع شبكة الحصون الكثيرة المنتشرة في بلاد الفلاندر ، وذلك بمشاغلة القوات الفرنسية في أيطاليا الشمالية بقوات الامير أوجين ، وتثبيت جبهة الفلاندر بحيش هولانسدي بقف موقف الدقاع ، على حين يندفع جيش الحلفاء الرئيسي بقيادة مارلبورو ويصعد بمحاذاة نهر الوزيل حتى مدينة تيونفيل التي يتجه اليها جيش كونت باد سائرا عبر مقاطعة السار ، ولم يتم تنفيذ المخطط بحدافيره لنقسص التموين ، وضعف وسائط المواصلات ، وعدم كفاية النجدات الحليفة المتوقعة ، وتسردد كونت باد الذي آثار الشكوك وجعل الكثيرين ينسبون هذا التردد الى شعسوره بالغيرة حتى ظهر سبب تردده فيما بعد عندما مات متأثرا بجرح متقيح ،

ولكن مارلبورو احتفظ بمخططه رغم زوال الظروف الملائمة لنجاحه ، حتى تحول عمله الى هجوم مباشر بحت ، وتقدم نحو نهر الوزيل كي تطمع القلول الفرنسية في قواته الضعيفة فتشتبك معه في معركة ، ولكن فيلار فضل الانتظار ريشما يضعف مارلبورو نتيجة نقص تموينه ، كما أن فيلوروا بدأ الهجوم فللم الفلاندر مما أجبر الهولنديين على طلب النجدة ، وأرغم هذان العاملان مارلبورو على التوقف وترك مخططه ، وفقد الامل لدرجة اعتبر معها كونت باد مسؤولا عن كل ما حدث ، وأرسل إلى فيلار رسالة ببين فيها سبب الانسحاب ويلقي وذر ذلك على عاتق الكونت .

امن انسحاب مارلبورو السريع الى الفلاندر الوضع هناك ، اذ رفع فيلوروا التناء تقدمه الحصار عن ليبج ، ثم سار نحو خطوط برابان ليحتمي خلفها . وبدأ مارلبورو بعد ذلك في استخدام طريقة تسمح باجتياز هذا الحاجز ، فقام بمناورة ضد قطاع ضعيف التحصين قرب الموز مما ادى الى جذب الفرنسيين نحسو الجنوب . ثم سار في الاتجاه المضاد ووصل فجأة تيرلومون الى قطاع قسوي التحصين ولكنه قليل الحامية . الا انه لم يستفد من الفرصة التي سنحت امامه بالسير مباشرة الى لوفان والتقدم وراء نهر ديل . ويعود هذا الخطأ الى انه خدع اعداءه كما يعود الى ضعف قواته المؤقت . وكانت نتيجة كل ذلك تحطيم اسطورة خطوط برابان المشهورة كحاجز لا يمكن اجتيازه .

بعد عدة اسابيع نظم مارلبورو مخططا آخر فيه تطور واضح في طرق قيادته، ولم يتوج هذا المخطط بنجاح كبير ولكنه كشف من جديد عن عظمة هذا القائد . لم تكن مناورته التي خطط لها في الفلاندر لتنجح الا اذا خدع العدو ، وكان نجاحها يعتمد على تنفيذها بسرعة وهي سرعة لم يكن مارلبورو يستطيع فرضها على حلفائه الهولنديين الحذرين . ولقد استخدم في هذه المرة هجوما غير مباشر عندما سلك طريقا تسمح باختيار اهداف محتملة مختلفة ، فتوزع انتباه العدو بذلك على حقل واسع واهداف متعددة معرضة للخطر بدرجة واحدة . مما جعل مارلبورو قادرا على اقلال اهتمامه نسبيا بعامل السرعة .

وبعد ان هاجم تحصينات فيلوروا قرب لوفان سار في اتجاه يخدع العدو عن الهدف الحقيقي المعرض للضربة التالية . ثم تجاهل كل المدن المحصنية الموجودة في هذه المنطقة وهي نامور وشارلوروا ومونس وآت وتابع تقدمه حتى وصل الى جيماب ثم انحرف نحو الشمال وسار على طريق واترلو المؤدي السي بروكسل . عندئذ قرر فيلوروا الاسراع في العودة لنجدة المدينة . ولمسا اراد الفرنسيون الحركة غير مارلبورو اتجاهه نحو الشرق ليلا وظهر على خط جبهة العدو الجديدة ، وكانت هذه الجبهة قليلة القوة ، ولكنها اصلب من جناح عدو سائر في ظروف المفاجأة العادية اثناء الحركة . وكان وصوله مبكرا فلم يستطع الاستفادة من الميزات التي حصل عليها ، ووجد القادة الهولنديون المترددون عذرا كافيا لرفض الانقضاض المباشر الذي طلبه منهم مارلبورو متعللين بأن موضيم الفرنسيين الجديد خلف نهر ليش قوي رغم الغوضى التي تدب في صفوفهم ، واقوى من موضعهم السابق في بلنهايم .

وخلال معركة عام ١٧٠٦ وضع مادلبورو فكرة هجوم غير مباشر على مستوى أكبر ، وأقترح أجنياز الالب وملآفاة الامير أوجين بعد ذلك . وكان يأمل بذلك طرد العدو من ايطاليا وايجاد السبيل لغزو فرنسا وتأمين التوافق بين هجومه عن طريق البر والعمليات البرمائية ضد طولون وعمليات بيتربورو في اسبانيا . واخيرا تخلى الهولنديون عن حذرهم وسمحوا له بالزحف ، ولكن مخططه فشل عندما هنرم كونت باد أمام فيلار . وتقدم فيلوروا في الفلاندر . وكان الدافع الى هذه المناورة الفرنسية الخطرة هو اعتقاد الملك لويس الرابع عشر بأن هجوما عاما يمكن ان يقنع اعداءه بأنه قوي مما يسمح له بانتزاع الصلح الذي يحتاج اليه ولكنن بشروط ملائمة لفرنسا. ولكن الهجوم على ميدان العمليات الذي يعمل به مارلبورو لم يؤد الى الصلح ، وانعا أدى الى فتح طريق الفشل امام الفرنسيين بسبب ابتعادهم عن الهدف المنشود . واستفاد مارلبورو من الفرصة دون تردد 4 لانه كان يعتقد بأن هذه هي المرة الثانية التي يحبط فيها الفرنسيون مخططاتـــه بتحصّنهم خلف الخطوط المجهزة دفاعيا رغم وجود عنصر المبادأة في يدهم . وتم الالتقاء في راميي والفرنسيون متمركزون في مواقعهم على شكل قوس مقعر . واستفاد مارلبورو من وجوده على وتر القوس وقام بهجوم غير مباشر تكتيكي ، اذ هاجم ميسرة الفرنسيين مما اجبرهم على استدعاء الاحتياطي الى هذا الجناح ، ثم سحب قواته بحذق ووجهها الى ميمنة الخصم للاستفادة من الفرصة السائحة على هذا الجناح بفضل ثفرة فتحتها الخيالة الدانيماركية . ولقد توافق هسكا التهديد على المؤخرة مع الضغط الجبهي المتزايد مما ادى الى تفكك صف ــوف الفرنسيين ، واستفل مارلبورو هذا النصر فنظم مطاردة فعالة غدت بعدها جميع بلاد الفلاندر وخطوط برابان في يده .

في نفس العام انتهت الحرب في ايطاليـــا بعد عملية تقرب غيير مباشر استراتيجي . كان الامير اوجين قد انسحب في بداية المعركة نحو الشرق حتى بحيرة غارد وتوغل في الجبال بينما كان حليفه دوق سافوا محاصرا في تورينو .

ولم يحاول الامير فتح طريقه بالقوة بل لجا الى الخدعة عندما دخل مقاطعيسة بييمون واجتاز لومبارديا عازلا نفسه عن قواعده . ثم هزم العدو المتفوق عدديا امام تورينو عندما وجده في وضع غير متوازن .

وبدات الحرب بعد ذلك على حدود فرنسا في الشمال والجنوب ، وفي عام ١٧.٧ اعطى تناقض مخططات الحلفاء الوقت الكافي للفرنسيين ليلتقطوا انفاسهم، وفي السنة التالية ركزوا ثقل قوتهم على مارلبورو ، ولكن مارلبورو كان مرتبطا بدفاع الفلاندر ويشكو من عدم تفوقه العددي فقرر تلافي هذا النقص بتكسرار مناورة الدانوب ، على ان ينطلق الامير اوجين من الريست ليلحق به ، وكانت القيادة الفرنسية حينئذ بيد قائد مشهور اسمه فاندوم (٦) الذي تحرك قبل ان يتم اللقاء المتوقع بين الامير اوجين ومارلبورو ، واجير هذا التهديست المباشر مارلبورو على الانسحاب الى لوفان ، وربح فاندوم القسم الاول من المعركة عندما غيش اتجاهه فجأة نحو الغرب ، واحتل بذلك مدينتي غان وبروغ وكل اراضسي غيش اتجاهه فجأة نحو الغرب ، واحتل بذلك مدينتي غان وبروغ وكل اراضسي مباشرة ، بل تركه وسار بجرأة نحو الجنوب الغربي ليضع نفسه بين جيش العدو وحدوده ، وفي اودونارد تم استغلال ميزة هذا العزل الاستراتيجسي باختراق تكتيكي ،

ولو استطاع مارلبورو بعد ذلك العمل كما يريد والتقدم بسرعة نحو باريس الانتهت الحرب حتما في وقت مبكر ، ولكن الملك لويس الرابع عشر كفاه مؤونة مثل هذا العمل وعرض الصلح في الشتاء بشروط ملائمة للحلفاء ، ولكن الحلفاء رفضوا هذا العرض الذي يضمن لهم نصرا محدودا وهم يريدون نصرا كاملا ، وهذه غلطة وحماقة في حقل الاستراتيجية العليا ، ولم يكن مارلبورو ليرتكب هذا الخطأ وهو المعروف بمهارته في الاختيار بين السلم والحرب ، وهكذا استؤنفت الحرب في عام ١٧٠٩ بشكل اعنف ، وكان مخطط مارلبورو مبنيا على القيام بهجوم غير مباشر عسكري بغية الوصول الى هدف سياسي يؤثر على نتيجية الصراع ، وكان يبغي التسرب خلف الجيوش المعادية وتثبيت الحصون والتوجه الى باريس ، وبدت هذه الخطة جريئة جدا حتى بالنسبة للامير أوجين ، مما الخطوط المحصنة التي تغطي الحدود بين دوي وبيتون ، ولكنه يهدف السي الخطوط المحصنة التي تغطي الحدود بين دوي وبيتون ، ولكنه يهدف السي ومونس) لاستخدامهما كقاعدة في المستقبل لغزو فرنسا من طريق يمر شرقسي ومونس) لاستخدامهما كقاعدة في المستقبل لغزو فرنسا من طريق يمر شرقسي

٩ ـ فاندوم : لويس جوزيف ، من احسن القادة العسكريين في نهاية عهد لويس الرابع عشر
 (١٦٥٢ ـ ١٦٧١) ، حقق انتصارات كثيرة في معارك عديدة ، «المعرب»

وتوصل مارلبورو مرة اخرى الى خداع خصومه عندما تظاهر بتحضير هجوم مباشر على خطوطهم ، الامر الذي دفعهم الى سحب قوات من حامية تورنيسه لتقوية هذه الخطوط . عندئذ عاد مارلبورو وهاجم المدينة ، ولكن المدينة قاومت بعناد ، فاضاع الانكليز بذلك شهرا من الزمن وفي ذلك الوقت قام بتهديد جديد على خطوط باسي مما سمح له بمهاجمة مونس واحتلالها دون عناء كبير ، ولكن الفرنسيين قاموا بمناورة سريعة ليسدوا عليه طريق الجنوب وحرموه بذلك من توسيع مخططه الاول ، ودفعه هذا الفشل الى محاولة القيام بهجوم مباشر فأظهر انذاك مهارة محدودة في حساب النتائج المكنة بالنسبة للوضع العام ، وكان مارابورو حينئذ اقل حكمة من كرومويل قبل معركة دونبار ، ورغم التصاره في الهجوم على عدو يدافع بشدة عن موقع مجهز في ثفرة مالبلاكيه ، فقد كان ثمن هذا النصر غير متناسب مع نتائجه ، واستطاع فيلار المفلوب ان يكتب لمكسبه لويس الرابع عشر : «اذا من علينا الرب بفشل آخر كهذا استطعنا ابادة اعداء جلالتكم» . هذا تنبؤ صحيح لان النصر في هذه المعركة افقد الحلفاء كل أمل في كسب الحرب .

واستمرت العمليات الحربية في عام ١٧١٠ ووجد مارلبورو نفسه امام سد بير من التحصينات الممتازة التي جهزها الفرنسيون من فالانسين حتى البحر وكان خصوم مارلبورو السياسيين في انكلترة يعملون ضده للاطاحة بمركزه، وبدأ العظ يتخلى عن هذا القائد الذي اضاع الفرصة في الماضي وفي عام ١٧١١ استدعي جيش الامير أوجين من المعركة بسبب تطور الوضع السياسي وبقسي مارلبورو وحده أمام عدو يتفوق عليه كثيرا وكان عاجزا عن الانتصار في عملية حاسمة أو حتى محاولة القيام بها ولكنه كان قادرا رغم ذلك على تحطيم غرور الفرنسيين باحتلال خطهم الشهير ولقد توصل الى ذلك بهجوم غير مباشر يفوق كل اعماله السابقة ، ونفذ مجموعة حيل وخدع والتفافات للدخسسول في قلب الخطوط دون اطلاق رصاصة واحدة . ولكنه دعي بعد شهرين الى انكلتسسرة واسيئت معاملته . وفي عام ١٧١٢ أصبحت انكلترة متعبة من الحسرب فتركت حلفاءها يقاتلون دون أن تتدخل الى جانبهم .

منذ ذلك الوقت اصبح النمساويون والهولنديون تحت قيادة الامير أوجين فتمسكوا بمواقعهم فترة من الزمن ، وشعر الخصمان المتحاربان بالتعب ، وفي عام ١٧١٢ قام فيلار بمناورة مركبة تشبه أعمال مارلبورو لما تحتويه من براعة وسرية وسرعة في التنفيذ ، وكانت نتيجتها نصرا حاسما قليل التكاليف في دونان أدى الى تغتيت أواصر الحلف ، واستطاع لويس الرابع عشر الحصول على الصلح بشروط تختلف عن الشروط المحتملة قبل مالبلاكيه ، ولقد أدى هجيوم مباشر واحد إلى أضاعة المكاسب التي حصل عليها الحلفاء بسلسلة من عمليات الهجوم غير المباشر ، ثم انتهت الاحداث بعد ذلك بهجوم آخر غير مباشر ولكن لصالح الفرنسيين في هذه المرة .

ولم يستطع الحلَّفاء في النهاية الوصول الى هدفهم بمنع تحالف اسبانيسا

وفرنسا تحت تاج لويس الرابع عشر . ولكن الإنكليز ربحوا بعض الاراضي بفضل افكار مارلبورو التي حطمت الحدود الضيقة لحقل العمليات ، وخلقت مخططا يجمع عمليات واسعة في البحر الابيض المتوسط ، متوافقة زمنيا مع العمليات في الفلاندر ، الامر الذي يمكن اعتباره مناورة مشاغلة عسكرية وورقة سياسية رابحة . لقد سهلت حملات ١٧٠٣ و١٧٠٣ عملية عزل البرتفال وسافوا عسسن فرنسا وفتحت السبيل لعملية ضد اسبانيا أهم حليسف للفرنسيين . وأمنت مناورة عام ١٧٠٤ احتلال جبل طارق ثم بيتربورو مما ترتب عليه تشتيت قوى وانتباه العدو . وفي عام ١٧٠٨ احتلت حملة اخرى جزيرة مينورقة فسي جزر أباليار . ثم جاءت بعد ذلك معارك ضعيفة القيادة قليلة النجاح ولكن انكلتسرة خرجت من الصراع رغم ذلك سيدة على جبل طارق وجزيرة مينورقة وهمسسا خرجت من الصراع رغم ذلك سيدة على جبل طارق وجزيرة مينورقة وهمسسا مفتاحان هامان للسيطرة على البحر الابيض المتوسط ، ويعادلان في اهميتهمسا مكتلاندة الجديدة والارض الجديدة في المحيط الاطلسي الشمالي .

حروب فريدريك الثاني (١٠) :

لا يمكن تصوير نتائج حرب وراثة العرش النمساوي (١٧٤٠ ــ ١٧٤٨) غير الحاسمة تصويرا جيدا الا اذا تذكرنا ان فرنسا التي حصلت فيها على اكبر نصر عسكري لم تكسب منها شيئا ، اللهم الا عبارة ساخرة كان الفرنسيون يتندرون بها فيما بينهم وهي «انكم اغبياء مثل مُعاهدة الصلح» .

وقد استطاع فريدريك الكبير الحصول على فوائد من هذا الصراع اذ ربيح سيليزيا منذ البداية ثم انسحب من الحرب . ثم عاد اليها فيما بعد وغامر كثيرا دون ان يربح شيئا جديدا سوى بعض الانتصارات العسكرية البحتة . وكان من نتيجة هذه الحرب ظهور بروسيا كقوة كبيرة .

وتستحق الحوادث التي ادت الى حصول بروسيا على سيليزيا خلال صليح بريسلو في عام ١٧٤٢ شيئا من الفحص والتحليل ، كان حظ فريدريك في مطلع ذلك العام سيئا ، وكان من المقرر تقدم الفرنسيين والبروسيين ضيد الجيش النمساوي ، ولكن الفرنسيين توقفوا بعد قليل ، ولم يتابع فريدريك التقدم للالتقاء مع حلفائه بل دار بسرعة الى الجنوب في اتجاه فيينا ، ووصلت طلائعه الى مشارف المدينة ولكنه انسحب عندما عسرف ان الجيش النمساوي

ا مريدريك الثاني الكبير : ملك بروسيا (١٧١٦ - ١٧٨٦) تولى العرش في عام ١٧٤٠ .
 تان رجلا عسكريا واداريا ناجحا ، حصل على انتصارات كبيرة وصمد مع انكلترة في حرب السبسع سنوات ، نظم دولته بشكل جيد وجمع حوله عددا من الادباء والمنتفين . «المرب»

يستعد لعزله عن قواعده . ولقد اعتبر البعض حركة قريفريك هذه مظاهرة قيها غرور وتهور ، ويبدو هذا النقد الان خاطئا اذا حكمنا على هذه الحركة بناء على تأثيراتها على نتائج المعركة . ولقد جذب انسحابه السريع التمساويين في قلب سيليزيا ، ثم استدار نحوهم وهزمهم هزيمة منكرة ، اتبعها بمطاردة عنيفسة للدرجة أجبرت النمسا بعد ٣ اسابيع على عقد صلح منفصل معه والتخلي له عن سيليزيا .

ان من التسرع استنباط كثير من الاستنتاجات لهذا الحادث . ولكن مسن الواضح انه الهجوم غير المباشر الوحيد الذي اثر على هذه الحرب ووضع النمسا في ظروف تجبرها على قبول الصلح مع تضحية كبيرة . رغم أن هذا الهجوم غير المباشر لم يكن في الحقيقة سوى مظاهرة أمام فيينا ونجاح تكتيكي اصغر من معظم اعمال فريدريك الاخرى ، ولم يتم الحصول عليه الا بكل صعوبة .

وهكذا بقيت حرب العرش النمساوي غير حاسمة في نتائجها العامة ، كما لم تكن الحرب الكبيرة التي تلتها في منتصف القرن الثامن عشر اوفر منها حظاوتانيرا على السياسة الاوروبية . ولكن اتكلترا انهت الحرب بنتائج ذات تأتسير حاسم على مسير التاريخ الاوروبي ، ولم تكن المحرك الخفي لحرب السبع سنوات حاسم على مسير التاريخ الاوروبي ، ولم تكن المحرك الخفي لحرب السبع سنوات حاسم على مسير العرب السبع سنوات من جرائها على فوائد حمة بصورة غير مباشرة .

عندما كانت حيوش دول القارة الاوروبية تتصارع وتنهك بعضها بعضب بعطيات مباشرة تؤثر على الدول نفسها ، استفادت مفارز انكليزية صغيرة مسن الضعف العام واتشأت الامبراطورية البريطانية . وعلاوة على ذلك ، فان حصول بروسيا المتهكة تماما على صلح بشروط مناسبة يعود الى ان قوات الهجسوم الفرنسية كانت محطمة بسبب خسائرها في المستعمرات ، كما يعود الى وفاة قيصرة روسيا في الوقت الذي كان الروس يستعدون فيه لضرب بروسيسا في الوقت الذي كان الروس يستعدون فيه لضرب بروسيسا في اقضية .

وتيرز من خلال هذه السلسلة الطويلة من المعارك معركة حاسمة واحدة ذات نتائج عسكرية وسياسية هامة ، وهي المعركة التي احتل الانكليز فيها مدينسة كبيك في كندا بخطة بسيطة وعلى حقل عمليات ثانوي . ويرجع الفضل فسي سقوط كبيك وانتهاء السيطرة الفرنسية في كندا الى مجموعة من عمليسسات التقرب غير المباشر التي تنفذت بفضل السيطرة البحرية على مستوى الاستراتيجية العليا . كما أمن التقرب غير المباشر على المستوى الاستراتيجي تطور الموكسة عسكريا بشكل ملائم . ولنجاح هذه المفامرة اهمية خاصة لانه ناجم عن هجوم غير مباشر تم تطبيقه بعد فشل التقرب المباشر من خط مون مورانس وتكبده خسائر فادحة في الرجال علاوة على تأثيره المعنوي السيء . هذا مع العلم بأن القائد الانكليزي وولف (١١) لم يلجأ الى ذلك الهجوم المباشر الفاشل الا بعد عمليسسات

۱۱ ـ ورلف: جيمس ، قائد انكليزي (۱۷۲۷ ـ ۱۷۵۱) قتل في معركة كيبك . «المعرب»

وتحرشات سابقة مثل قصف كيبيك بالقنابل ، وارسال مفارز منعزلة الى بوانت نيفي وعلى مقربة من مون مورانس ، دون ان تؤدي هذه التحرشات الى جذب الفرنسيين خارج مواقعهم المحصنة .

يمكن استنباط درس هام من هذا الفشل اذا قارناه بالنجاح الذي تسسوج العملية الخطرة التي انزل فيها وولف قواته عند مؤخرة الفرنسيين . لقد كان وضع الطعم بعد معركة كيبيك امرا غير كاف لاخراج العدو من تحصيناته ، وكان من الضروري جذبه بعنف لاخراجه منها . كما يمكن الاستفادة من درس آخر بقدمه لنا فشل محاولة خدع العدو خلال هجومه المباشر ، لانها لم تكن مقرونة بعملية مشاغلة ولفت نظر تشغل أفكار العدو بعمل آخر ، وتحد من حرية عمله بحيث يتعذر عليه القيام برد فعل ملائم ما دامت قواته في وضع مبعش .

تبدو آخر مناورات وولف من النظرة الاولى كمفامرة يائسة نهائية ، غير انها كانت في الحقيقة تستند الى كل العوامل التي ذكرت من قبل ومن هنا جياء النصر . ومع ذلك يرى المؤرخون الذين اعتادوا دراسة التاريخ من خلال موقف القوات المسلحة ان درجة تفتت الجيش الغرنسي لم تكن كافية لتفسر وحده سبب كارثتهم الكبيرة . وكتب الكثيرون مقالات متعددة عما كان يجب عليي الفرنسيين عمله ليعيدوا تنظيم مواقعهم ، متناسين بكل بساطة حقيقة واضحة أكدتها معركة كيبيك ، وهي : ان الهزيمة كانت نتيجة انهيار القيادة معنويا اكثر مما كانت نتيجة تفتت قواتها ماديا . ومن المعروف ان لهذه العوامل المعنوية تأثير يعوق تأثير الاعتبارات الجغرافية والحسابات الاحصائية التي تملأ تسعة اعشار كتب التاريخ العسكري التقليدية .

ويقول التاريخ ان الدرس الاساسي في حرب السبع سنوات ظل غير واضح النتائج في اوروبا رغم كثير من الانتصارات التكتيكية وهذا امر يستحق الدراسة، ويتحدث الكثيرون عند شرح هذه الظاهرة عن عدد اعداء فريدريك ، ولكن ميزاته الشخصية كانت كافية لموازنة ضغط عدد هؤلاء الاعداء ، لذلك يجب علينا ان نجد تفسيرا آخر اكثر اقناعا .

كان فريدريك يجهل معنى فكرة مشاركة المسؤولية ، كما يجهل الحسسدود المفروضة على الاستراتيجيين . وموقفه هذا يشبه موقف الاسكندر المقدونيين ونابليون . لقد كان يجمع في شخصه كل الوظائف والسلطات التي توزع عبادة بين المسؤولين عن الاستراتيجية والاستراتيجية العليا . واتاح له اشتراكه الدائم مع جيشه الفرصة لينظم ويعدل باستمرار وسائطه حسب الاهداف والفايسات المشودة . كما كانت قلة الحصون نسبيا في حقل عملياته ميزة اضافية عبادت عليه ببعض الفوائد .

لقد كانت انكلترة حليفه الوحيد بينما كانت النمسا وفرنسا وروسيا والسويد ويلاد الساكسون متحالفة ضده ، وكان يتمتع بتفوق عددي فيما يتعلق بالقوات المجاهزة للمعركة منذ بداية الصراع وحتى منتصف المعركة الثانية ، كما كسان

يتمتع بميزتين هما : جيش متفوق تكتيكيا على جيش خصمه ، وموقع وسط يين مختلف الاعداء .

ولقد سمحت له هذه الميزات بتطبيق العمليات الحربيسية على الخطوط الداخلية ، فكان يضرب الجيوش المعادية واحدا بعد الآخر ، مستفيدا من وجود هذه الجيوش على محيط دائرة يشغل هو مركزها ، ومن قصر المسافة التسيينيني عليه اجتيازها ليجمع كل قواته ضد احد الخصوم وضربه قبل ان يستطيع حلفاؤه البعيدون مساعدته .

ويبدو من النظرة الاولى انه كلما كانت حيوش حلف ما متباعدة عن يعضها كلما أمكن الانتصار عليها بشكل حاسم . فاذا ما حللنا وجهة النظر هذه الى عناصر (الزَّمن والمساقة والقوى وجدناها تنطُّوي على فكرة صحيحة . ولكن اذا أدخلنا قى حسابنا العامل المعنوى الهام وجدنا نتائج اخرى مخالفة ، ذلك لان تباعد قوى العدو المتحالفة بمسافات كبيرة يجعل كل عنصر منها بشكل بنفسه وحدة متكاملة ويحاول تقوية وحداته وزيادة فاعليتها لصد الضغط الواقع عليه . اما اذا كانت العناصر متقارية فانها تحس برغبة في الالتصاق لتشكل جسما واحدا يندمج كل عتصر فيه في العنصر الآخر فكرية ونفسيا وماديا . فيتأثر القادة بأفكار بعضهم بعضا وتنتقل التأثيرات المعنوية بسرعة الى كل منهم كما تؤثر التحركات على الصميد المادى على حركات الآخرين فتعرقلها وتقلل من سهولة اجرائها . واذا تمتع خصم هبالاء المتحالفين المسترك بحقل عمل اصغر وكان في حاجة لوقت اقل للقيام بأعماله فان نتائج تحطيمه لاحد الحلفاء المعادين تظهر بسرعة على باقسي هؤلاء الحلقاء ، يضاف الى ذلك انه اذا كانت جيوش الحلفاء قربية من بعضهــــا واتجه العدو نحو احدها ثم غير فجأة اتجاه تقدمه الاساسي واشتبك مع جيش آخر كان هجومه الاخير هذا هجوما غير مباشر . اما الجيوش المتباعدة جدا فانها تملك الوقت الكافي لصد او تحاشى الضربة التالية لعدو مشترك يقع في موضع وسط بينها .

يمكن اعتبار استخدام «الخطوط الداخلية» كما فعل مارلبورو عند تقدمسه نحو الدانوب نوعا من انواع الهجوم غير المباشر . انه في الحقيقة هجوم غسير مباشر بالنسبة لقوى العدو في مجموعها ، ولكنه هجوم مباشر بالنسبة للجيش الذي تم اختياره كهدف في تلك اللحظة ، هذا باستثناء الحالة التي يتم فيها الاشتباك مع هذا الجيش فجأة فعندئذ يجب تكملة المناورة بهجوم غير مباشر آخر على الهدف نفسه .

وهكذا استفاد فريدريك الثاني من موقعه المتوسط ليجمع قواته ضد جزء من جيوش العدو ، ويطبق دائما تكتيك الهجوم غير المباشر مما ساعده على تحقيق التصاراته الكبيرة . وكان تقربه التكتيكي في جوهره جغرافيا لا معنويا ، يتصف بالمفاجآت البارعة التي كان يحبها سيبيون . لذلك نفذت المناورات البروسيسة بمهارة ولكن على نطاق صغير ، وكانت صدمتها الاولى قوية ولكن بدون مفاجأة ، بمهارة ولكن على نطاق صغير ، وكانت صدمتها الاولى قوية الصدمة التالية بسبب غير انها كانت تؤثر على الخصم فتجعله غير قادر على مقاومة الصدمة التالية بسبب

شلل قيادته وعدم مرونة تشكيلاته القتالية .

بدأت الحرب في نهاية اغسطس (آب) عام ١٧٥٦ عندما اجتاح فريدريك يلاد الساكسون يغية احباط مخطط الحلفاء ، واستفل التأثيرات الاولى للمفاجأة ودخل دريسدن بدون قتال تقريبا . وعندما تحرك الجيش النمساوي متأخسرا لتجدة المدينة سار فريدريك مع نهر الالب لملاقاته ، وهزمه في معركة اوبوزيتس فضمن بذلك سيطرته على اقليم ساكس . وفي أبريل (نيسان) عام ١٧٥٧ أجتاز قمم جبال بوهيميا وسار نحو براغ ، فوجد عند اقترابه من المدينة النمساويين يحتلون موقعا قويا على المرتفعات خلف النهر . فترك مفرزة تغطي حركته وتحمي المخاضات وسار مع النهر خلال الليل ثم اجتازه واتجه نجو ميمنة العدو . لقد بدأ هجومه بشكل غير مباشر ثم حوله الى هجوم مباشر قبل انتهاء المناورة . لذا وجد الجيش النمساوي الوقت الكافي لتعديل خط جبهته ، ووجدت المساة البروسية نفسها امام عدو ينتظرها بكل عناد ، فقامت بهجوم جبهي على مرتفع يضربه النمساويون بنيرانهم فسقط البروسيون بالآلاف . ثم مالت كفة المعركة لصالح البروسيين من جديد بعد تدخل خيالة زيتين غير المنتظرة ، والتي وصلت الى ميدان المعركة بعد حركه التفاف كبيرة . واضطر النمساويون الى الانسحاب والتحصن في براغ التي حاصرها البروسيون ولم ينقذها سوى قسدوم جيش نمساوي جديد لنجدتها بقيادة دون . ولما علم فريدريك بالنبأ سحب من القوات المحاصرة اكبر عدد ممكن وسار لملاقاة دون . وفي ١٨ يونيو (حزيران) قابــل الجيش النمساوي في بقعة محصنة تدافع عنها حامية تعادل ضعف قوته، فحاول القيام بالتفاف آخر على ميمنة العدو ، ولكن مناورته جرت على مقربة من الخط النمساوي مما ادى الى ضرب الارتال البروسية بنيران رماة هذا الخط، فاضطرت الى الابتعاد عن خط سيرها الاصلي والقيام بهجوم مباشر غير منتظم أوقعها فسي كارثة مؤلمة ، مما اضطر فريدريك الى رفع الحصار عن براغ والجلاء عن بوهيميا. في هذا الوقت اجتاح الروس بروسيًا الشرقية ، ودخَـــــل احد الجيوش الفرنسية هانوفر ، كما تقدم جيش مختلط بقيادة هيلدبورغ هاوزن وهدد برلين من جهة الشرق . واراد فريدريك منع الجيشين الاولين من الالتقاء فتحرك بسرعة نحو ليبزيغ وأبعد هذا الخطر ، ولكنه اضطر للتوجه بعد ذلك نحو الشرق لصد خطر جديد بهدد سيليزيا ، فاستغلت مفرزة نمساوية هذه الفرصة وانقضت على برلين فدخلتها ونهبت المدينة . وبعد أن تم طرد هذه المفرزة بصعوبة تحسسرك هيلدبورغ هاوزن فسار فريدريك بسرعة لملاقاته .

وفي معركة روزباخ التي اعقبت ذلك حاولت الجيوش المتحالفة التي تعادل ضعف جيش فريدريك القيام بمناورة كمناورة البروسيين . ولكن التنفيذ كان سيئا فكشفها فريدريك بسرعة وبدأ في التراجع واحس الحلفاء بتراجعه فتركوا مواضعهم وهبوا لمطاردته . عندئذ عاد فريدريك وقام بهجوم مضاد على أبعسد اجنحتهم عن القلب فهزمهم وبعثرهم دون كبير عناء .

وهكذا نجع فريدريك في القيام بهجوم غير مباشر صحيح بغضل حماقسسة خصومه ، مستخدما عامل المفاجأة دون ان يستخدم عامل الحركة ، وتعتبسر معركة روزباخ أقل انتصاراته ثمنا اذ خسر فيها ، ، ، قتيل بينما فقد اعداؤه نحو ٧٧٠٠ رجل وتفتت جيشهم المؤلف من ٦٤ الف رجل ،

ولكن سوء حظه دفعه الى ان يطلب من قواته ما هو اكثر من طاقتها فسي المعارك التالية ليستثمر انتصاره ويستخلص منه فائدة كاملة . لقد كان عليه الا ينسى الجيش النمساوي الذي لم يستطع تدميره نهائيا في براغ وكولان . وجاءت بعد ذلك معركة لوتين التي ربحها بفضل «النظام المائل» المشهور الذي يمكسسن اعتباره هجوما غير مباشر ممتازا وان كان ينطوي على الخطورة ، ولقد كلفه هذا النصر اكثر مما تسمح به امكانياته .

واستمرت الحرب خلال عام ١٧٥٨ ، وكانت نتائجها غير حاسمة ، وقسمام فريدريك خلالها بهجوم غير مباشر ضد النمساويين عندما اجتاز حدودهم واتجه ألى مجنبتهم متوغلا ٢٠ ميلا في ارض معادية ، ولم ينسحب عندما فقد قافلسة تموين كبيرة بل تابع تقدمه عبر بوهيميا مهددا بذلك مؤخرة النمساويين . ثـــم احتل قاعدتهم المحصنة في كونيغراتس . ولكنه اضطر ثانية لدفع ثمن الغسرس الضائعة في براغ وكولان عندما تقدمت الجحافل الروسييسة الكبيرة نحو بوزن «حاليا بوزنان» على طريق برلين واضطرته الى ايقاف معركة بوهيميا . واتجه فريدريك نحو الشمال لوقف الزحف الروسي ونجع في مهمته ، ولكن معركته كانت مشابهة لمعركة براغ ، لقد استدار فريدريك فيها حول الحاجز الذي تشكله الواقع الروسية القرية بغية مهاجمتها من الخلف ، ولكن المدافعين استطاعــوا اجراء تبديل في جبهتهم وتحول هجوم فريدريك غير المباشر الى هجوم جبهي ، وكاد فريدريك أن يقع في موقف حرج لولا تدخل قائد خيالته الماهر سيدليتس وقيامه بالتفاف وهجوم على مجنبة العدو الجديدة في ارض غير صالحة لاستخدام الخيالة . الامر الذي جعل المناورة غير متوقعة وذات تأثير كتاثير الهجوم غيبير المباشر ، وكانت خسائر فريدريك في هذه المعركة اقل مسين خسائر الروس . ولكنها كبيرة بالنسسة لتعداد قواته .

وكان رصيد فريدريك من الرجال يتناقص باستمرار مما اضطره لترك الروس يلتقطون انفاسهم وتحول ضد النمساويين . ولكنه تلقى هزيمة كبدته خسائسر كبيرة في الرجال ، لاعتقاده الخاطىء بأن خصمه النمساوي القديم غير قادر على اخذ زمام المبادرة في العمليات مما سبب مفاجأته وتطويقه ليلا ولم ينقذه مسن الابادة سوى خيالة زيتين التي فتحت له طريق الانسحاب . واستمرت الحرب في عام ١٧٥٩ وغدت قوات فريدريك ضعيفة جدا ، فهزمه الروس اسوأ هزيمة مني بها في حياته كما هزمه القائد دون النمساوي هزيمة اخرى في ماكسن بسبب ثقته المفرطة . ومنذ ذلك الوقت اصبح فريدريك عاجزا عن ايقاف العدو الا بالطرق السلية .

ولما أفل نجم بروسيا أشرقت شمس حلفائها الانكليز في كندا . وشجع نجاح

وولف الانكليز على ارسال نجدات سريعة لالمانيا ، وتم الانتصار على الفرنسيين في ميندن مما عدل خسائر فريدريك السابقة .

ولكن ضعف فريدريك استمر خلال عام ١٧٦٠ ، وقام بخدعة ليكسب بعض الخدعة بأنه أوقع متعمدا في يد الروس رسالة تتضمن ما يلي : «تم سحسسق النمساويين الكامل هذا اليوم وجاء الان دور الروس . نفذوا ما اتفقنا عليه» . وصدق الروس هذه الخدعة فقاموا بعمليات انسحاب . وقام فريدريك عندند بمعركة ضد النمساويين في تورغو وانتصر عليهم انتصارا كلفه ثمنا غاليا . وشلته كثرة خسائره ووجود ٦٠ الف رجل فقط معه ، ولم يعد قادرا علــــــى المغامرة بدخول معركة جديدة ، حتى أنه حوصر في سيليزيا وعزل عن بروسيا عزلا تاما . ولحسن حظه كانت استراتيجية النمساويين تضعف باستمرار ، ولم يقم الجيش الروسي بعمل حاسم بسبب الفوضي التي عمت مؤخراته وتموينه. وطالت مدة الصراع وماتت خلال ذلك قيصرة روسياً ، وجاء بعدها من يوقسع الصلح ويفكر حتى في مساعدة فريدريك . وتابعت فرنسا والنمسا الحرب دون حماس كبير ، اذ كانت قوة الاولى منهكة بسبب هزائمها في المستعمرات . وكانت الثانية سلبية في باديء الامر ثم عقدت معاهدة الصلح ، تاركة جميع المنطقية التي كانت حقلا للعمليات العسكرية في حالة انهيار اقتصادى تام . ولم يستفد من هذه الحرب الدامية التي استمرت ٧ سنوات سوى انكلترة .

يمكننا أن نستخلص من معازك فريدريك دروسا كثيرة اهمها أن : طريقته غير المباشرة كانت مباشرة جدا . أي أنه كان يعتبر الهجوم غير المباشر مناورة بسيطة مبنية على الحركة فقط ، بدلا من أن يراها توافقا بين الحركة والمفاجأة . وهذا ما جعله يغشل فشلا ذريعا رغم موهبته الفذة في تطبيق مبدأ الاقتصاد فسيسي استخدام القوى .

الفصلالثيابن

الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت

بعد مرور ثلاثين عاما ارتفع الستار عن حرب كبرى تألقت فيها عبقرية نابليون بونابرت وعادت فرنسا لتشكل ، كما كانت في الماضي ، خطرا يدفع كل القوى الاوربية للتحالف ضدها . وكان سير الصراع هنا مختلقا لاعتماد فرنسا الثورية على كثير من المؤيدين في البلاد الاخرى . الا ان هؤلاء المؤيدين كانوا خارج الحكم وليس لهم نفوذ على القوات المسلحة لهذه الدول . ورغم ذلك بدات فرنسسا الحرب بمفردها واستطاعت صد كل القوى المتحالفة التي كانت تطبق على خناقها، واصبحت بعد التغيرات الثورية التي طرات عليها خطرا عسكريا كبيرا هدد أوربا حقبة من الزمن . واستطاعت فرنسا في النهاية فرض سيطرتها العسكرية على معظم دول القارة .

وكان السبب الجوهري في حصول فرنسا على كل هذه القوة يرجع السب مجموعة من الظروف الملائمة والعوامل الانسانية الفردية والى الروح الثورية التي انبثقت في الجيش الفرنسي «جيش المواطنين» . وكان من الضروري تطويسر الفكر التكتيكي وتشجيع البداهة الفردية ، للتعويض عن النظام العسكري الدقيق

الذي كان من المستحيل تطبيقه في ظل الروح الثورية الجديدة . وظهسسرت تكتيكات جديدة مبنية على المرونة في الحركة . وكانت هذه المرونة تفوم علسسى اساس بسيط هو ان الفرنسيين كانوا في ذلك الوقت بسيرون ويقاتلون بخطوة سريعة تعادل ١٢٠ خطوة في الدقيقة . بينما كان اعداؤهم يسيرون بالطريقسة التقليدية بسرعة ٧٠ خطوة فقط .

وترتب على هذا الاختلاف الاساسي ان اصبح الفرنسيون قادرين على اجراء عمليات نقل سريعة للقوات من مكان الى آخر قبل ظهور عصر الآلة ووسائل النقل الآلية السريعة ، كما أدى الى تسهيل عمليات تجميع الوحدات للقيام بهجوم واصبح الفرنسيون قادرين كما قال نابليون على «زيادة عددهم بواسطة السرعة» وذلك على الصعيدين ، الاستراتيجي والتكتيكي .

والعامل الملائم الآخر هو تنظيم الجيش الى فرق مستقلة دائمة ، وتقسيمه الى وحدات تتألف كل منها من مجموعة كاملة قادرة على العمل مستقلة عسسن بعضها وجاهزة للعمل ايضا بكل تعاون ضد هدف مشترك . وكان بورسيه هو أول من نصح باجراء هذه التعديلات في التشكيلات العضوية ، ثم تطبيقها عمليا بصورة محدودة في عام ١٧٤٠ ، ووافق المارشال دوبروغلي عليها رسميا عندما اصبح قائدا عاما في سنة ١٧٥٩ . ثم جاء المفكر العسكري الجريء جيبير وادخلها في قائمة التدابير المتخذة لاعادة تشكيل الجيش قبيل الثورة في عام ١٧٨٧ . والعامل الثالث له علاقة بالعامل السابق وهو خاص بموضوع التموين . ونظرا الى ان جهاز التموين والامداد كان مضطربا وكانت جيوش الثورة لا تتبع النظام العسكري فقد كان مما لا مناص منه العودة الى طرق التموين القديمة والعيش محليا على موارد البلد . ولقد ادى توزيع الجيش الى فرق الى الاقلال من النتائج السيئة لهذه الطريقة التي كان الجيش في العهود السابقة يعاني منها . ذلك لانه السيئة لهذه الطريقة التي كان الجيش في العهود السابقة يعاني منها . ذلك لانه اصبحت قادرة على تنفيذ مهمة معينة ضمن نطاق عملية ما ، اما الان فقسسد مؤونتها بوسائطها الخاصة .

وأدى هذا التخفيف في الاعباء الى مرونة وسرعة الوحدات حيث تتقدم بدون صعوبة في الفابات أو الجبال ، كما أدى عدم اعتماد الجئود على المخازن وقوافل التموين والعتاد الى أعطائهم النشاط والاندفاع اللذين يتميز بها الرجال الجانعون اللذين لا يترددون عن مهاجمة مؤخرة العدو الذي يتبع الطرق المباشرة في التموين ويعتمد عليها اعتمادا كبيرا .

وبالاضافة الى هذه العوامل الثلاثة ينبغي ان نذكر عاملا انسانيا ، وهو عامل خاص كان له تأثير حاسم ، الا وهو ظهور القائد نابليون بونابرت السذي زادت عبقريته الحربية الطبيعية ونمت بدراسة التاريخ العسكري وتفهم افكار بورسيه وجيبير وهما أعظم الكتاب العسكريين شهرة ونبوغا في القرن الثامن عشر .

لقد اخذ من بورسيه مبدأ التشتيت المدروس ، آي دفع العدو الى تشتيت قواته المركزة بغية توجيه ضربة قوية اليه بمركز ثقل قوات يجمعها بسرعة . كما

تعلم قيمة الخطة ذات «الفروع المتعددة» والعمل على خط يسمح بالاختيار بين عدة اهداف ويهدد عدة اهداف في وقت واحد ، هذه الخطة التي طبقها خلال معركته الاولى ونظمها بناء على مشروع وضعه بورسيه قبل ذلك بنصف قرن .

كما تعلم من جيبير الفكرة القائلة بأن الحركة والمرونة عاملان من اهم العوامل بالنسبة للجيش . وفهم مغزى تقسيم الجيش وتشكيله في فرق مستقلة . لقد وصف جيبير تكتيك نابليون ، قبيل ظهوره بجيل كامل ، فقال : «ان المهارة هي الانتشار دون اعطاء الآخرين فرصة لامباكنا ، والالتغاف حول العدو دون أن يؤدي ذلك الى تفكيك وحدة قواتنا ، والقيام بحركات متتالية ومتسلسلة على جناح العدو دون تعريض جناحنا للخطر» . ولقد استنبط فكرة طريقته وأصولها من نصيحة جيبير القائلة بضرورة تهديد مؤخرة العدو لتحطيم توازن قواته . كما أخذ منه أيضا طريقة تركيز نيران المدفعية المتحركة على نقطة حساسة من جبهة العدو وفتح ثفرة فيها . هذا وأن التعديلات العملية التي ادخلها جيبير فسي الجيش الفرنسي قبل بدء الثورة بقليل نظمت وصقلت الإداة التي استخدمها نابليون . ولقد تنبأ جيبير بثورة في فن الحرب ، يقوم بها رجل ينتمي الى طبقة عميقة الجذور في دولة ثورية الامر الذي أثار طموح وتخيلات نابليون الشاب .

لقد اضاف نابليون الشيء القليل الى الافكار النظرية التسبي شكلت تفكيره ، ولكنه لم يكتف بذلك بل وضعها موضع التنفيذ ، ولو لم يطبقها تطبيقا عمليسسا لبقيت جميعها في حالة نظرية بحتة . لقد تجاوبت خطوط تعليمه العريضة مع طبيعته ، وجاءت الظروف الملائمة لتطلق لطبيعته العنان وتسمع له بتطبيق كل الاسكانيات في تشكيل الوحدات على الاسلوب الفرقي ، واشترك نابليون في خلق الفكرة الاستراتيجية عندما وسئع أبعاد التوافق الاستراتيجي الذي أمكن تطبيقه اخيرا بواسطة تشكيل الوحدات .

لقد ذهل المهاجعون عند فشل الغزو الاول لفرنسا عام ۱۷۹۲ في موقعتي فاني وجيماب ، وايقنوا ان فرنسا والثورة الفرنسية اصبحتا بعد ذلك في مأمن من اي خطر كبير يهددهما . ولم تشكل انكلترة وهولندا والنمسا وبروسيسسا واسبانيا وسردينيا اول حلف ضد فرنسا الا بعد اعدام الملك لويس السادس عشر عندئذ فقط وضع خصوم فرنسا في الميزان كل عبقرياتهم الفكرية وكل قوتهم من الرجال والعتاد . ولم يكن لدى المهاجمين هدف حربي محدد ، وكانوا يفتقرون الى الادارة الحكيمة ، ومع هذا بقيت فرنسا معرضة لاخطار الفزو حتى عام ١٧٩٤ حيث مالت كفة الحظ لصالح الفرنسيين بشكل ملفت للانظار ، واضطر المهاجمون الى الانسحاب . ومنذ ذلك الوقت اصبحت فرنسا مهاجمة بعد ان كانت فيسي موقف الدفاع . فكيف يمكن تفسير هذا التحول المفاجىء ؟ والجواب على ذلك انه رغم بقاء هدف الحرب غامضا ومحدودا فان اهمية الاحداث ظهرت لان التقوق كان نتيجة هجوم استراتيجي غير مباشر .

كانت الجيوش الرئيسية للطرفين مشتبكة قرب ليل فيي معادلة دامية ؟

عندما تلقى القائد الفرنسي جوردان الذي يعمل في الموزيل بعيدا عن ليل الامر بتشكيل مفرزة هجومية على جناحه الاسر بقصد التقدم نحو لييج ونامور عبر الآردين . ولما وصل جوردان الى نامور بعد زحف منهك تمونت وحداته خلاله على قدر الامكان من المناطق التي مرت بها ، جاءته رسالة تبلغه بأن ميمنة الجيش الرئيسي في مأزق امام شارلوروا ، واكد هذه الرسالة صوت المدافع الآتية من بعيد . فلم يقم بحصار نامور بل اتجه مباشرة نحو الجنوب الغربي في اتجساه شارلوروا ومؤخرات العدو ، فسقطت شارلوروا في يده .

ولم يكن لدى جوردان كما يبدو هدف أوسع من ذلك . ولكن الصدمية المعنوية التي أصابت مؤخرة العدو بعد هذه الحركة أعطته نتائج كشيرا ما بحث عنها القادة الكبار . واستطاع كوبورغ قائد القيوات المعادية الانسحاب نحيو الشرق ، وجمع خلال حركته كل الوحدات التي تمكن من مقابلتها . ثم عياد وهاجم جوردان الذي تحصن في موضع دفاعي يغطي شارلوروا . ووقعت معركة عنيفة ، وكان لدى جوردان تفوق كبير ناجم عن عدم توازن أعدائه استراتيجيا وقيامهم بالهجوم بجزء فقط من قواتهم . ولما انهزمت هذه القوات قام الحلفاء بالسحاب عام .

ولما اخذ الفرنسيون دور الهجوم ، لم ينجحوا في الحصول على نصر حاسم خلال معاركهم الرئيسية على ضفة الرين الاخرى رغم تفوقهم العددي . وكانت بداية هذه المعارك عقيمة ثم فشلت نهائيا بسبب هجوم غير مباشر قام به اعداؤهم. ففي شهر يوليو (تموز) عام ١٧٩٦ كان على الارشيدوق شلزل الوقوف امام تقدم جيشين فرنسيين يفوقانه عدديا هما جيشا مورو وجوردان ، فعقد العزم علسي «التراجع بجيشه وجيش فارتنزليين خطوة خطوة دون التعرض للاشتباك فيي معركة ، ثم استغلال الفرصة المناسبة لجمع جيشه وحيش حليفه والحصول على قوات تعادل او تفوق قوة الخصم ومهاجمة أحد جيشيه الكن ضغط ألعدو لم يسمع له بتطبيق سياسة «الخطوط الداخلية» فاضطر لترك الارض والانسحاب في انتظار الفرصة الملائمة . واستمر في خطته هذه حتى بدل الفرنسيون اتجاههم فوجد الوقت مناسبا للقيام بعمل جريء . وبدأ ذلك عندما لاحظ قائد خيالته ناوندورف اثناء استطلاعه في العمق ابتعاد الفرنسيين عن جبهة الارشيدوق في اتحاهين متباعدين بغية الالتقاء بعد ذلك على جيش فارتنزليين وإبادته . وأرسل ناوندورف الى الارشيدوق الرسالة التالية في الوقت الملائسم : «اذا كنتسم تستطيعون إرسال ١٢ الف رجل على مؤخرة جوردان فانه سيكون في مقدوركم هزيمته» ولم ينفذ الارشيدوق المخطط بالجرأة المطلوبة ، ولكين ما قام به كان كافيا لتحطيم الهجوم الفرنسي . وانسحب جوردان الى الطرف الآخر من الرين يجيش محطم . عندئذ وجد مورو نفسه مضطرا لايقاف تقدمه الناجح في بافاريا والتراجع بدوره .

وفي الوقت الذي فشل فيه الجهد الرئيسي الفرنسي على نهر الرين ، حصل الجيش الفرنسي الذي يعمل في حقل العمليات الثانوي بايطاليا على نتائج حاسمة،

عندما استطاع نابليون تعويل الدفاع القاشل الى هجوم غير مباشر حاسم أدى الى النصر . لقد كان المخطط جاهزا في راسه منذ سنتين عندما كان ضابطا في اركان هذا القطاع من الجبهة ، وفي باريس هضم المخطط جيدا او اعطاه شكله النهائي . ورغم أن هذا المخطط كان مشابها لمخطط معركة عام ١٧٤٥ وطبيق الدروس المستفادة منها ، فإن افكار تابليون كان مصدرها ولا شبك اساتدته الذين اشرقوا على دراسته العسكرية خلال سنوات شبابه ، أن نابليون مفكر عسكري عملي ، لم يكتب فلسفة عسكرية واضحة واكتفى بالحكم والجمل القصيرة .

وتبدو رغبته في استعمال الجمل القصيرة والإقوال المأثورة من قوله : «أن مبادىء الحرب في المعركة العادية مماثلة لمبادىء الحزب في الحصار ، يجب تركيز النار على نقطة واحدة ، وما أن تنفتح الثفرة حتى ينهار التوازن ، ومــــا

وجاءت النظريات المسكرية بعد ذلك فأخذت هذا القول واهتمت بجزئه الاول بقى بعد ذلك فغير مهم» • بدلا من اهتمامها بجزئه الثاني . لقد ركزت انظارها على كلمة «نقطة واحدة» بدلا من أن تركزها على كلمة «توازن» ، والجزء الأول في حد ذاته تعبير مأخوذ من الحقل المادي بينما بدل الجزء الثاني على النتيجة المعنوية الناجمة عنه «وما بقي بعد ذلك غير مهم» . وبدل الاتجاه الاستراتيجي لمعارك نابليون على الاهمية التي

وكانت كلمة «نقطة وأحدة» سببا الأخطاء كثيرة ومناقشات متناقضة اذ ظن اعطاها لهذا التعبير الاخير . البعض أن فكرة نابليون تعني تركيز الجهود على أقوى النقاط في موضع العدو، معتمدين في ذلك على أن هذا التركيز وحده قادر على أعطاء نتيجة حاسمة ، لأن تحطيم المقاومة الرئيسية للعدو يعني فتح ثفرة تحطم كل مقاومة اخرى اضعف تظهر بعد ذلك ، وهذا تفكير خاطىء لان عملا كهذا ينهك المهاجم . اما أنصــاد مدرسة الاقتصاد في القوى (التي تفهم الاقتصاد ضمن حدود التكاليف الرئيسية الاولى للعملية) فيصرون على ضرورة التركيز على أضعف النقاط في مواضع العدو . ولكن العدو لا يترك غالبا نقطة ضعيفة بلا سبب ، فقد يكون ضعفها ناجما عن عدم اتصالها بطريق حيوي او مركز حساس كما قد يكون ضعفا مقصودا

وتجيء معركة نابليون التي طبق فيها هذه الفكرة لتقدم التفسير لها . انها تدل لجذب قوات العدو الى فخ . ولا شبك على أنه عندما قال «نقطة» أراد بذلك «نقطة تمفصل» . لقد كان في هذه المرحلة من حياته متأثرا بعمق بفكرة الاقتصاد بالقوى لدرجة تمنعه من تبديسك وسائطه المحدودة بمهاجمة العدو في اقوى نقاطه . «ونقطة التمفصل» التي أراد

الإشارة اليها حيوية وضعيفة حساسة في آن واحد ، وفي ذلك الوقت قال نابليون جملة ترددت كثيرا فيما بعد لتفسير اخطسس عمليات تركيز القوى على الكتلة الاساسية لقوات العدو: «أن النمسا عدونـــا الاكبر فاذا ما تم سحقها سقطت اسبانيا وايطاليا لوحدهما . يجب علينا

وتم تنفيذ هجومه غير المباشر بكل حدق ومهارة ، ولكن الاحتكاك مع الواقع اظهر صعوبة تنفيذ حلمه ، ذلك الحلم الذي فكر فيه والبغه الى حكومته بعسلا انتصاراته الاولى : «انني آمل في الوصول خلال شهر الى جبال التيرول والالتقاء مع جيش الرين للاشتراك معه في الحرب في بافاريا» ولكن فشله في تحقيسق آماله وتنفيذ مخططه فتح امامه باب حظه العريض ، لانه شجسم النعساويين ودفعهم الى القيام بسلسلة من الهجمات الفاشلة في ايطاليا . ولما نجح فسمي صدها وجد السبيل الى النمسا مفتوحا .

عندما اصبح نابليون قائدا لجيش ايطاليا في مارس (آذار) ١٧٩٦ كانت قواته موزعة بشكل شريط على طول الشاطىء قرب جنوا . وكان النمساويون واهالي سردينيا يسيطرون على المرات الجبلية المؤدية الى السهول الإيطاليسية . وكان مخططه يتضمن القيام بحركتين في الجبال تلتقيان عند قلعة سيفا . وما ان فتح طريقا في بيدمونت حتى اعتمد على هذا النجاح لاغراء حكومة سردينيا على التقدم نحو تورينو بقصد اجبارها على عقد صلح منفصل . وكان يأمل في بقساء النمساويين هادئين في معسكراتهم الشتوية ، على ان يقوم اذا تحركوا لنجدة حلفائهم ، بحركة مخادعة في اتجاه آكي ويجبرهم على الانسحاب شحو الشمال الشرقي على محاور متباعدة .

وفي الحقيقة جاء النصر بغضل الحظ لا بقضل المخطط ، عندمسا استطاع نابليون الحصول على ميزة أولية بغضل تباعد الجيشين الطيفين الماديين، وجاءت الفرصة الملائمة عندما قام النمساويون بحركة هجومية وهددوا جناح الفرنسيين الابمن بغية ايقاف تقدمهم في اتجاه جنوا ، عندها قام نابليسون بهجوم معاكس لايقافهم ، وتم تنفيذ هذا الهجوم على نقطة تمغصل في التشكيلة النمساوية مع ضربتين ثانيتين على نقطتين مجاورتين لنقطة التمغصل ، الاسسسر الذي أجبر النمساويين على الانسحاب الى آكي ،

في ذلك الوقت سار قلب الجيش الفونسي نحو سيفا ، ولكن نابليون فشل في ١٦ ابريل (نيسان) عندما حاول احتلال الموقع بالقضاض مباشر ، فحاول في ١٨ ابريل القيام بحركة التفاف وغير خط مواصلاته وسلك طريقا بعيدا عسن التهديد النمساوي ، عندئذ ترك جيش مقاطعة بيدمونت الحصن قبل الهجسوم الجديد ، فطاردهم نابليون ، ولكنه صئد ثانية عندما قام بهجوم مباشر آخر على مكان توقف قيه العدو مؤقتا وتكبد خسائر فادحة ، ثم قام بعد ذلك بمنساورة

التف فيها حول مجنبة الاعداء وطردهم في اتجاه السهل .

، ووجد اهالي مقاطعة بيدمونت ان تهديد الفرنسيين لتورينو يزداد خطـــورة رغم الوعد المتأخر الذي اعطاه النمساويون لهم بمساعدتهم فطلبوا الصلح قبـــل وقوع الهزيمة المادية ، وخرجوا بذلك من المعركة .

لقد أكدت معركة عام ١٧٩٦ أهمية عامل الزمن . ولو أن أهـــل بيدمونت صمدوا بضعة أيام لأضطر بونابرت إلى الانسحاب والعودة نحو الساحـل بسبب صعوبة التموين . ويكفي لاثبات أهمية عامل الزمن أن نذكر قوله آنذاك : «قد أضيع في المستقبل معركة ، ولكنني لن أضيع دقيقة واحدة» .

بعد ذلك اصبح جيش نابليون اكبر من جيش النمساويين وكان معه ٣٥ الف رجل ضد ٢٥ الف ولكن هذا لم يدفعه للسير نحوهم مباشرة . وفي اليوم التالي لتوقيع الهدنة مع مقاطعة بيدمونت حدد ميلانو هدفا له . وكان الطريق مين تورتونا الى بيلزانس يؤدي بصورة غير مباشرة خلف ميلانو. لذا خدع النمساويين وتظاهر بالاتجاه نحو الشمال الغربي فتجمعوا في فالانسيا ليمنعوا تقدمه . عندئذ سار نحو الشرق على الضفة الجنوبية لنهر بو . ووصل الى بليزانس مستديرا بذلك حول خط المقاومة النمساوية المتوقع .

وللوصول الى ذلك لم يتقيد بالقواعد المألوفة وانتهك حياد دوقية بارم التي كانت بليزانس تابعة لها . وكان يأمل ان يجد في المدينة القوارب والناقلات اللازمة لعمل جسر يعبر به نهر بو . ولكن تجاهله لحياد دولة كهذه اعطى خصومه درسا ومثلا يحتذى فلما تقدم نحو مؤخرتهم انسحبوا دون ان يضيعوا الوقت واجتازوا خلال انسحابهم ارضا واقعة في حدود اراضي البندقية المحايدة . وامنسوا استحابهم قبل ان يتمكن من استخدام نهر آدا كحاجز يمنعهم من التراجع ولما وصلوا مدينة مانتوا الحصينة التجاوا اليها واصبحوا في مأمن من هجومه .

امام هذه الحقيقة القاسية غدا مشروع اجتياح النمسا بعد مضى شهر امرا بعيد المنال ، خاصة وان المسؤولين فى الحكومة الفرنسية الذين خافوا عواقب هذه المفامرة وعجزوا عن تقديم الامكانيات اللازمة لها ، اعطوه الامر بالعسودة و«اخلاء» الدويلات الاربع المحايدة اثناء مسيره ، وهو ما يعني فى مفهوم دُلسك المصر نهب هذه الدويلات ، وتمت فى هذه المرحلة عملية سلب وادعة النطاق لم تستطع ايطاليا بعدها العودة الى رخائها الماضى .

لقد كان من حسن حظ بونابرت ان المسؤولين الفرنسيين حددوا حرية عمله المسكري ، لان هذا التحديد أجبره على عدم متابعة أحلامه التوسعية ، وأعطاه الفرصة ليعدل أهدافه حسب أمكانياته الحقيقية ، حتى تصبح نسبة القسوى ملائمة للوصول إلى هدفه الرئيسي ، ويقول المؤرخ الإيطالي المشهور فيويرو بهذا الصدد : «لقد وصفت المعركة الإيطالية الأولى منذ قرن بأنها معركة ظافرة لحركة هجومية ، معركة احتل بها بونابرت أيطاليا بكل سهولة لانه قام بهجمات متسلسلة ساعده فيها حظه وشجاعته ، ولكن أذا درسنا بدون تحيز تاريخ هذه المعركة ،

وجدنا بوضوح أن كل وأحد من الخصمين قد أهاجم أو هوجم بالتناوب ، وأن المهاجم فشل في أغلب الأحيان» .

لقد لعبت مانتوا صدفة دور الطعم ، وجذبت بين مخالب بونابرت كـــل الجيوش النمساوية التي اسرعت لنجدتها . ومما يلغت النظر هنا انه لم يتحصن في موضع منيع كما يفعل القادة التقليديون ، ولكنه حافظ على مرونة قواتـــه وقدرتها ، بأن قسمها الى مجموعات متباعدة ولكنها قادرة على التجمع بسرعة في اى اتجاه .

وعندما حاول النمساويون نجدة مانتوا فقدت طريقة بونابرت اهميتها لانه لم يشا رفع الحصار عن المدينة ، ولم تسترجع هذه الطريقة قدرتها الحركيسية وتتمكن من ضرب النمساويين في كاستيغليون الا بعد ان قرر انهاء هذا الحصار، واصدرت حكومة باريس الامر لبونابرت عندئذ باجتياز التيرول والتعاون مع جيش الرين الرئيسي . فاستفاد النمساويون من هذا السير المباشر وتسربوا سرا نحو الشرق مع معظم قواتهم ونزلوا في سهل البندقية ، ثم ساروا نحو الغرب لنجدة مانتوا . فأوقف بونابرت تقدمه نحو الشمال ، ولكنه لم يعد نحو المدينة بل اندفع في مطاردتهم عبر الجبل ، وكان غرضه من ذلك ان يرد على هجومهم المباشر بهجوم غير مباشر يهدف الى حسم الموقف ، وفي باسانو فاجأ نصسف جيشهم الخلفي ودمره ، ثم تابع مطاردة النصف الثاني حتى وصل الى سهسل البندقية ، وعندئذ قرر قطع طريق انسحاب العدو وهو الطريق الذي يبدأ من تريستا في اتجاه النمسا بدلا من مواجهته تحت جدران مانتوا . فحصل بذلك على مكاسب جديدة غير القوات التي كسبها بعد ان بقيت محاصرة في المدينة .

وأحسب النمسا بأن جُزءا كبيرا من قواتها قد دخل المعركة فقررت ارسال وحدات جديدة لتحسين الموقف، وهنا تصرف بونابرت بتكتيك مباشر عرض للخطر مكاسبه التي حصل عليها بفضل استراتيجيته غير المباشرة . وعندما تقدم جيشا الفائرى ودافيدوفيتش نحو فيرونا (وهي مدينة رئيسية يتوقف عليها الحصار الفرنسي لمدينة مانتوا) قام بونابرت بنفسه بمهاجمة الفانزي اقسوى الخصمين المتقدمين ولكنه صند" بشدة في كالديرو ، وبدلا من أن ينسحب بعد هذا الفشل قام بمناورة جريئة واسعة للالتفاف على جناح العدو الجنوبي ومؤخراته ، وعتدئذ وجد نفسه في وضع ميئوس منه؛ وليس أدل على ذلك مما كتبه آنذاك للمسؤولين في باريس: «أن ضعف الجيش وأنهاكه يجعلاني أتوقع أسوا العواقب ، وقد نكون على ابواب فقدان ايطاليا» . وحاول عندئد القيام بمناورات ولكن المستنقعات والقنوات جعلتها غير اكيدة النتائج . ومع هذا أحبط مخطط العدو الذي كــان يرغب في اغلاق فكي الكماشة على جيشه معتقدا بأنه في فيرونا . وعندما تحرك الفانزي لمقابلته بقى دافيدوفيتش بدون حركة ، ومع ذلك كان بونابرت عاجزا عن التغلب على قوات الفانزي المتفوقة على قواته . لذا استخدم في معركة اركول خدعة تكتيكية (قلما استخدمها) اذ أرسل بعض نافخي البوق قرب مؤخرة العدو ليعلنوا بالبوق اشارة الهجوم ، واعتقد النمساويون ان الخطر يداهمهم مــــن

الخلف ، ولم تمر بضع دقائق حتى ولوا الادبار .

وفي يناير (كانون الثاني) وبعد معركة أركبول بشهرين قام النمساويسبون بمحاولة رابعة واخيرة لانقاذ مانتوا ، ولكنهم فشلوا في ريغولي عندما استخدم بونايرت بعنف ضدهم تشكيلته الجديدة المنظمة كمجموعات متمفصلة على نطاق واسع . وكانت تشكيلته كشبكة مشدودة ومثبتة من اطرافها الاربعة بحجارة ، فاذا لامسها رتل عدو تقلصت فتحاتها في نقطة الضغط وامسكت به شم جاءت الحجارة لتقم كلها فوقه وتسحقه .

وهذا التنظيم الذي يؤمن لنفسه عوامل الحيطة ، وينقلب الى تشكيسلات متجمعة للهجوم في نقطة الاختراق هو تطبيق لنظام نابليون الجديد الفرقي ، وهو النظام الذي ادى الى خلق جيش مقسم بصورة دائمة الى وحدات قادرة علسى الحركة يصورة مستقلة بدلا من أن تشكل قسما واحدا تنطلق منه الوحدات في مهام مؤقتة . ولقد تطورت بعد ذلك التشكيلات المتجمعة التي استخدمها بونابرت في معركة ابطاليا حتى وصلت بعد معارك كثيرة الى شكل افضل يتمثل فسسي الكتسة المربعة كما حلت الفيالق محل القرق .

لقد راينا ان الشبكة مع حجارتها سحقت جناح النمساويين المتقدم ولكسن انهيار مقاومتهم الاساسية يعود الى شجاعة بوتابرت الذي أمر لواء مؤلفا مسن ٢٠٠٠ رجل بعبور بحيرة غاردا على قوارب ليقذف بهم على خط تراجسع جيش كامل . وسقطت مانتوا ، ووجد النمساويون الذين اضاعوا جيوشهم في جهود عقيمة للمحافظة على هذه المدينة التي تعتبر بعثابة باب امامي لبلادهم ، عاجزين عن ايقاف زحف بونابرت السريع نحو باب بلادهم الداخلي الذي اصبسح بدون حماية ، واستبد الخوف بالنمساويين فاضطروا لعقد الصلح بينما كانت الجيوش الرئيسية الفرنسية واقفة في مكاتها بدون عمل على بضعة اميال من ضفة الرين .

وفي خريف عام ١٧٩٨ شكلت روسيا والنمسا وانكلترة وتركيا والبرتفسال ونابولي الحلف الثاني الذي بدأ يناقش عقد معاهدة صلح مع فرنسا . وكسسان بونابرت آنذاك في مصر . ولما عاد وجد الوضع في فرنسا حرجا فالجيسوش المحاربة في تناقض مستمر والخزانة فارغة وتجنيد الجنود متعدر .

ولم ينتظر بونابرت كثيرا بعد عودته السبى باريس فقلب حكومسة الادارة (الديريكتوار) واصبح القنصل الاول ، وأمر بتعبئة جيش احتياطي في ديجسون مؤلف من كافة الوحدات التي يمكن جمعها من داخل البلاد ، ولم يستخدم هذا الجيش لدعم القوات الرئيسية التي تعمل على مسرخ العمليات الاساسي في منطقة الرين ، وبدلا من أن يفعل ذلك قام بهجوم غير مباشر بالغ الجرأة ، لقد كان يرغب في الانقضاض على فريسته بعد مناورة دائرية كبيرة تحيط بمؤخسسرات الجيش النمساوي في ايطاليا ، وكان هذا الجيش الذاك قد دفسسع الجيش الفرنسي الصغير في ايطاليا الى الزاوية الشمالية الغربية حتى حدود فرنسسا تقريبا ، وقرر بونابرت اجتياز سويسرة عبر لوسيرن او زوريخ ، والنزول في

ايطاليا بعيدا نحو الشرق عن طريق الممر الجبلي في سان غوتار او عبر جبسسال التيرول . ولكن جاءته معلومات تفيد ان الجيش الفرنسي في ايطاليا واقع في مأزق حرج فاضطر لسلوك أقصر سبيل يمر عبر ممر سان برنار .

فلما خرج من الالب في الاسبوع الاخير من شهر مايو (ايار) عسام ١٨٠٠ وجد امامه ميمنة الجيش النمساوي . وبدلا من التقدم نحو الجنوب الشرقي والذهاب لنجدة القائد الفرنسي ماسينا المحاصر في جنوه ، ارسل بونابرت طلائعه نحو الجنوب حتى شيراسكو وغطى بذلك قلب جيشه الذي تحرك نحو الشرق في اتجاه ميلانو ، وبدلا من السير لملاقاة الاعداء والاقتسراب مما كان يسميسه مراقعهم الطبيعية ، نراه يكتل موضعا طبيعيا حصينا على مؤخسرة النمساويين مشكلا بذلك سدا استراتيجيا ، ذلك السد الذي كان هدف مناورته الاساسية الخطيرة على مؤخرات العدو ، وكان تنظيم السد على حواجز طبيعية يؤمن لسه نقطة ارتكاز ومناورة امينة يستطيع منها خنق العدو ، الذي ما ان يجد طريق نعوينه وانسحابه مهددا بالانقطاع حتى يقوم بهجوم سربع يتسم بالفوضى على هذا السد ، وهنا يمكننا القول ان فكرة السد الاستراتيجي كانت اهم فكرة ادخابها السد ، وهنا يمكننا القول ان فكرة السد الاستراتيجي كانت اهم فكرة ادخابها بونابرت في حقل استراتيجية الهجوم غير المباشر .

وفي ميلأنو قطع احد الطريقين اللذين يمكن ان يستخدمه النمساويون قسي التراجع ، ثم مد نطاق سده الاستراتيجي نحو ممر ستراديلا جنسوب نهر بو ، وقطع بذلك الطريق الآخر ، ولكن الفكرة كانت اكبر من امكانياته التي لم تتجاوز آنذاك ٣٤ الف رجل ، كما أدى تردد القائد الفرنسي مورو الى تأخر ١٥ الف رجل طلبهم بونابرت من جيش الرين وأمرهم بالقدوم عبر ممر سان غوتار ، لذلك كان ضعف السد وأضحا ، وفي هذه الفترة سقطت الحامية الفرنسية في جنوه وتحررت قوات أعدائه ولم يعد أمامها ما يمنعها من الانطلاق .

ولم يستطع بونابرت ان يخدد الجهة التي سيتحرك اليها النمساويون ، وخاف ان يعودوا الى جنوه حيث يستطيع الاسطول البريطاني تعوينهم ، فاضطر لترك كثير من مكاسبه . لقد اعطى لعدوه في الحقيقة ميزة مباداة لم يكن هذا العدو يملكها ، وترك موضعه الطبيعي في ستراديلا ، ودفع قوات استطلاعه نحو الغرب وأرسل دورزيكس مع فرقة لقطع الطريق بين الاسكندرية (۱) وجنوة . وهكسذا فوجيء وهو لا يملك الا جزءا من قواته عندما انطلق النمساويون فجأة مسسن الاسكندرية واندفعوا لملاقاته في سهل مازجو في ١٤ يونيو (حزيسران) ١٨٠٠ وبقيت المعركة سجالا مدة طويلة ولم يتم صد النمساويون الا بعد عودة قسوات دوزيكس وانضمامها الى بونابرت ، ولكن ميزات الموضع الاستراتيجي الذي يحتله بونابرت اجبر القيادة المعادية اليائسة على عقد انفاق اخلى النمساؤيون بعوجب بونابرت اجبر القيادة المعادية اليائسة على عقد انفاق اخلى النمساؤيون بعوجب لومبارديا وانسحبوا الى ما وراء مينسيو ، ورغم استمرار الحرب بصسسورة

<i>ر</i> ب.	al lo	اطاليا	في	سفہ ۃ	مدينة	:	_ الاسكندرية	. 1
			_	-J-				

متقطعة خلف مينسيو ، فقد ظهر تأثير معركة مارنجو المعنوي بعد ستة أشهر بعقد هدنة وضعت حدا لعمليات الحلف الثاني الحربية .

بعد عدة سنوات من سلم مزعزع رفعت الستارة التي اسدات على حروب الثورة الفرنسية ، وبدات حروب نابليون ، وفي عام ١٨٠٥ تجمع جيش بونابرت المؤلف من ٢٠٠٠ الف مقاتل في ميناء بولوني الفرنسي وهدد الشواطىء الانكليزية، ثم تحرك بسرعة نحو الربن بخطى حثيثة . واننا لنتساءل حتى الان ، هل فكر نابليون جديا في غزو بريطانيا ام ان تهديده كان عبارة عن مرحلة اولى مسسن الهجوم غير المباشر ضد النمسا . لقد طبق بعمله هذا مبدأ بورسيه القائل بضرورة وضع «مخطط من عدة فروع» . وعندما قرر تطبيق الفرع الشرقي من مخططه توقع ان يرسل النمساويون كعادتهم جيشا الى بافاريا لاغلاق مداخل الغابسة السوداء . لذا قام بمناورة التفاف واسعة حول جناحهم الشمالي واجتاز جيشه فير المدانوب ثم اندفع نحو نهر ليش وشكل سدا استراتيجيا على مؤخرتهم ويشبه هذا المخطط مناورة ستراديلا على مستوى اكبر . ولقد اوضح نابليون هسلما التشابه وشرحه لوحداته ، وساعده تفوقه العددي على تحويل هذا السد الى سد متحرك التصق بمؤخرة النمساويين وضغط عليهم واجبرهم على التسليم فسي

وكان على بونابرت بعد ان أفنى أضعف أعدائه ، مواجهة الجيش الروسيي الذي وصل بقيادة كوتوزوف حتى نهر إين بعد اجتياز النمسا وتجنيد بعسف رجالها للقتال معه . كما كان عليه مجابهة خطر أقل ناجم عن تدخل جيـــوش نمساوية اخرى قادمة من ايطاليا والتيرول . واصبحت امكانياته الكبيرة عامسلا معوقا له ، لأن جيشه الضخم صار عاجزا عن القيام بهجوم غير مباشر ضد العدو في المساحة الصفيرة المحصورة بين الدانوب والجبال الواقعة في الجنسوب الغربي . ولم يكن لديه الوقت الكافي للقيام بحركة التفاف واسعة على مستوى مناورة معركة هولم . كما أن بقاء الروس على نهر إين جعلهم في موقع طبيعي كترس يحمي الاراضي النمساوية ويغطي تقدم الجيش النمساوي القادم مسن الجنوب للانضمام الى الجيش الروسى وتشكيل سد مشترك منيع امام نابليون . وامام هذه المشكلة قام بونابرت بسلسلة متنوعة من عمليات الهجوم غسسير المباشر الباهرة ، وكان هدفه الاول دفع الروس ما أمكن نحو الشرق وفصلهم عن الجيوش النمساوية القادمة من أيطاليا . وفي الوقت الذي تقدم فيه نحسب الشرق ضيد كوتوزوف وفيسي اتجاه فيينا ، دفيع مورتيبه على طيول ضفة الدانوب الشمالية مهددا مواصلات كوتوزوف مع روسيا مما أجبره علسى الانسلحاب في اتجاه الشمال الشرقي نحو كريمس على نهر الدانوب ، ودفسلع نابليون قائده مورا ليحطم جبهة كوتوزوف الجديدة ويتقدم نحو فيينا . ومــن فيينا زحف مورا في اتجاه الشمال . وهكذا هدد نابليون في بادىء الامر جناح

ارتكبه مورا عندما عقد هدنة مؤقتة مع العدو ، ذلك لأن المناورة لم تؤد الى وقف انسحاب الروس بل دفعتهم الى الانسحاب السريع في اتجاه الشمال الشرقي نحو هولوتس قرب حدودهم ، وكانوا يبتعدون بذلك عن النجدات النمساوية ويقتربون من نجداتهم . وفي هولوتس وصلتهم نجدات كبيرة ، كما أن الدفاعهم نحــو الشرق باستمراد زاد من قوتهم ٤ وكان الوقت يمضى ودخول بروسيا في الحرب متوقع بين لحظة وأخرى ، فقام نابليون بهجوم غير مباشر معنوى عندما تظاهر بالضعف ودفع الروس لمهاجمته ، ولم يجمع امام جيش العدو المؤلف من ٨٠ الف رجل سوى ٥٠ الفا . ثم دفع مفارز منعزلة في اتجاه هولموتس . وعزز تظاهره بالضعف عندما أرسل (رسائل صلح) لقيصر روسيا وأمبراطور النمسا ، ولما اقتنع العدو بالحيلة انسحب نابليون الى موقع اوسترليتز حيث تسمح له الارض بعمل الفخ الذي أعده . ولقد قام خلال المركة بعد ذلك بهجوم غير مباشر تكتيكي بقصد الحد من مساوىء نقصه العددى . وخدع خصومه ودفعهم الى مد جناحهم الايسر لمهاجمة خط تراجعه ثم دفع قلبه مهاجما «نقطة التمفصل» الضعيفة في تشكيلتهم وحقق بدلك نصرا حاسما أرغم امبراطور النمسا بعد ٢٤ ساعة علىي طلب الصلح .

وبعد بضعة اشهر جاء دور بروسيا ، وكان لدى بونابرت تفوق عددي يعادل الى ١ ، وكان عليه ان يجابه بجيشه الكبير المدرب الحديث جيشا بروسيا صفيرا قديما وغير مدرب ، فأثر هذا التفوق الساحق على استراتيجيته في هذه المركة كما اثر على معاركه التالية ، وفي عام ١٨٠٦ عمل جاهدا للحصول على مميزات المفاجأة الاولية عندما عسكر بوحداته قرب الدانوب ، ثم نقلها من هناك وجمعها بسرعة في الشمال مستترا خلف الستارة الطبيعية المشكلة من غابة تورينغر ، ولما خرجت وحداته من تخوم الغابة الى الارض المكشوفة توغلت في قلب بسلاد العدو ووجد نابليون نفسه صدفة على مؤخرة البروسيين فاستدار فجأة ليسحقهم معتمدا على قدرته الهجومية وعلى التأثير المعنوي الناجم عن وضعه الاستراتيجي. كان نابليون خلال المعارك التالية التي وقعت ضد الروس في بولونيا وبروسيا الشرقية ، يبحث عن هدف واحد هو اجبار العدو على الدخسول في معركة ، معتمدا على قدرة جهازه الحربي على سحق العدو . ولقد استخدم غالبا المناورة على مؤخرة العدو بغية الامساك به بقوة تمنعه من الفرار ، لا بقصد تدمسير معنوياته وتسميل عملية تحطيمه ، لذا يمكن اعتبار الهجوم غير المباشر هنا وسيلة لخداع العدو ومشاغلته وشده ماديا اكثر من ان يكون سبيلا لبعشرة قواه وتدميره

معنويا . ثم فكر نابليون في جذب الروس نحو الغرب في مناورة بولتوسك بغية عزلهم عن بلادهم خلال تقدمه في شمال بولونيا . ولكن الروس أحبطوا هذه الخطية وتحركوا بمحض أرادتهم نحو الغرب في يناير (كانون الثاني) عام ١٨٠٧ بقصيد الإنضام الى من تبقى من حلفائهم البروسيين في دانزيغ . وأراد نابليون استثمار

الفرصة بسرعة وقطع مواصلاتهم مع بروسيا ، فسقطت اوامره بين أيدي جنود القوزاق واستطاع الجيش الروسي الانسحاب في الوقت الملائم ، عندئذ قسام نابليون بمطاردته مباشرة حتى لحق به في إيلو ، ووجده على موقع جبهي جاهز للدخول المعركة ، فقام بمناورة تكتيكية بسيطة على مؤخرته ، ولكن عاصفة ثلجية عرقلت التنفيذ ، ولم يتم سحق الروس رغم محاصرتهم ،

وبعد } اشهر التقط الخصمان خلالها انفاسهما ، بدأ الروس يتقدمون نحو الجنوب في اتجاه هيلسبرغ ، ورد نابليون على ذلك بتحريك جيشه نحو الشرق لقطع مواصلاتهم عن اقرب قواعدهم في كونيكسبرغ . وكان راغبا في القتسال للدرجة انه عندما أبلفته خيالة المجنبة عن وجود الروس في موقع فريدلانسسد الحصين القى بكل قواته مباشرة على الهدف ، وحصل على نصر تكتيكي بسدون استخدام المفاجأة او الحركة ولكن بفضل القوة الهجومية الناجمة عن تكتيكسسه الجديد باستخدام المدفعية وتركيز النيران على نقطة مختارة بدقة ، وقد اصبح هذا التكتيك فيما بعد المحرك الاساسي لجهازه الحربي . وهنا تجدر اللاحظة بأن فابليون لم يبذل جهدا للمحافظة على ارواح جنوده خلال معركته الظافرة فسي فريدلاند والمعارك التى جاءت بعدها .

ومن الفريب ان تذكر انه كان للحصول على مطلق الحق في التصرف فسي القوى البشرية نتائج متشابهة في الاعوام ١٨٠٧ – ١٨١٤ و ١٩١٤ – ١٩١٨ . كما ان من الفريب توافق كلتا الحالتين مع استخدام نيران المدفعية بغزارة . وتفسير ذلك ان القدرة على تبذير القوى تؤدي إلى تصرفات غير حكيمة تتناقض مع مبدأ الاقتصاد بالقوى التي يتعذر الحصول عليها دون المفاجأة والحركة .

استغل نابليون ألمجد الذي حصل عليه بعد انتصاره في موقعة فريدلانسد ليفرض هيبته الشخصية ، ويخرج القيصر من الحلف الرباعي . ولكنه غامر فيما بعد بكل مكاسبه ، وبمصير امبراطوريته نفسها عندما اعتمد بدون حدر على هده الهيبة . لقد كان تصرفه تجاه روسيا عنيفا لدرجة جعلت الصلح معها مزعزعا ، كما كانت اهدافه لتدمير انكلترة واضحة وجاءت عملية غزو اسبانيا والبرتفسال فأجبرتهما على الثورة ضده والانضمام لاعدائه ، وهنا وقع في خطأ اساسي في محال الاستراتيجية العليا .

كانت عمليات الكر والفر المفاجئة التي قام بها في اسبانيا القائد الانكليسزي سير جون مور ضد مدينة بورغوس وضد مواصلات الفرنسيين نوعا من الهجوم غير المباشر الذي دمر مخطط نابليون في هذه البلاد ، واعطى الثورة الاسبانيسة الوقت والمدى الكافيين لتجميع قواتها . وغدت اسبانيا والبرتغال منذ ذليك الوقت جرحا متقيحا في جنب نابليون . كما اعطى هذا الفشل الاول نتائج معنوية اثرت فيما بعد على سير الحوادث .

لم يجد نابليون الفرصة الكافية لحل هذه المشكلة ، لان ثورة بروسيا وخطر تدخل النمسا جذباه من جديد نحو الشرق . وفي معركة عام ١٨٠٦ حاول نابليها تدخل النمسا جذباه من جديد نحو الشرق .

مرارا في الاندشوت وفي قيينا القيام بمناورة على مؤخرات العدو ، ولكن عوامل عديدة غير متوقعة كانت تتدخل لتعرقل تنفيذ المناورة ، الامر الذي أرغم نابليون على استخدام الهجوم المياشر ، وفي أسبرن ـ أيسلينغ أصيب بأول هزيمــة كبيرة ، ثم استعاد مركزه بالانتصار في موقعة فاجرام بعد ذلك بستة اسابيع ، ولكنه دفع ثمن هذا النصر غاليا .

الحرب في شبه جزيرة أيبرياً:

لقد كان للدى نابليون سنتان كاملتان يستطيع خلالهما العمل على عسلاج «القرحة الاسبانية» ولكن تدخل السير جون مور عرقل خططه منذ البداية . كما وجاء ويلنغتون فيما يعد وعرقل كل التدابير التي اتخذها لعلاج المجرح ومنع السم من التسرب في اجهزة نابليون . لقد استطاع المرسيون في البداية هزيمة كل الجيوش الاسبانية النظامية ، ولكن دارت هذه الهزائم فيما بعد لصلحة المغلوب لانها دفعت الاسبانيين الى توجيه جهودهم الرئيسية للقيام بحسيرب عصابات ، وتشكيل شبكة كبيرة من العصابات المتي لا يمكن السيطرة عليها قطت بذلك محل الاهداف العسكرية السهلة المنال ، وتولى القيادة منذ ذلك الحين قواد اسبان الكفاء غير نظاميين بدلا من الجنرالات القدماء العاجزين -

ومالت كفة الحظ فترة من الموقت ضد مصلحة اسبانيا وانكلترة وذلك عندما حصلت اسبانيا على نجاح مؤقت دفعها الى اعادة تشكيل الوحدات النظامية . ولم تصمد هذه الوحدات امام الفرنسيين الذين دمروها وبعثروها في طول البلاد وعرضها ، فغدت عناصرها بذورا للثورة في كل مكان .

وكان لتدخل انكلترة اثر بالغ لانها ساهمت في زيادة حدة الالتهاب . وقله استطاعت باستخدام قوة صغيرة احباط مخطط خصم كبير وبعثرة قواته . وتظهر التأثيرات في اسبانيا متناقضة بوضوح مع النتائج الصغيرة الباهظة التكاليف التي حصلت عليها انكلترة بالتعاون مع حلفائها في أوربا وبحملاتها فيما وراء البحسار ضد نقاط لا تؤثر على الخصم لبعدها عنه جغرافيا ونفسيا . وقد يجد البعض مبررا سياسيا او اقتصاديا للسلسلة الثانية من المشروعات التي قامت بها انكلترة فيما وراء البحار اذا وضع في الاعتبار ان الكاب ، وجزيرة موريس ، وسيلان ، وغينيا البريطانية ، وجزر كثيرة من جزر الهند الغربية ، دخلت ضمن ممتلكات وغينيا البريطانية نتيجة لهذه المشروعات . وقد نجد في التاريخ كتنابسا تقليديين تسيطر عليهم فكرة المركة فلا يعطون الهجوم غير المباشر الذي طبقسه الانكليز في اسبانيا على مستوى الاستراتيجية العليا التقدير الذي يستحقه . وفي الحقيقة اذا نظرنا فعلا للحرب الاسبانية من خلال معارك وحصارات وبلنغتون وفي الحقيقة اذا نظرنا فعلا للحرب الاسبانية من خلال معارك وحصارات وبلنغتون وابعاد هذه الفكرة ، كما قادته دراسته العميقة الي اعطاء اهمية كبرى لتاثير حرب وابعاد هذه الفكرى لتاثير حرب

المصابات في اسبانيا على نتيجة الصراع الذي دار هناك ، لقد كان وجود الحملة البريطانية عنصرا اساسبا في هذه الحرب ، ولكن معارك ويلنغتون لم تؤد الى نتائج مادية كبيرة لانها لم توقع بالفرنسيين خلال خمس سنوات سوى خسارة قدرها ٥٥ الف رجل ما بين قتيل وجراح واسير ، بينما بلغت جعلة خسائسر الفرنسيين في تلك الفترة حسب تقدير ماربوت حوالي ١٠٠ قتبل كل يوم ، ومن هنا نستنتج ان معظم خسائر الفرنسيين المادية والمجنوبة لا ترجع الى معسسارك ويلنغتون بل كانت ترجع الى حرب العصابات واسلوبها في ازعاج العدو وتحويل البلاد الى صحراء ليس للفرنسيين فيها الا الموت جوعا .

ومن الملاحظ ايضا قيام ويلنفتون يعدد قليل من المعارك فهل هذا راجع الى حكمته العملية التي وجد فيها مغتاح شخصيته وتصرفاته ؟ يقول احد المؤرخين الجدد «كانت الواقعية الضيقة المياشرة هي جوهر شخصية ويلنفتون ، واليها يرجع سبب نقائصه وعيويه اما المستوى الاوسع حيث لعب دوره كرجل جماهيري فقد لعبت واقعيته دورا أوصله الى العبقرية» . ولعل هذا الوصف ملائم تمامسا لاستراتيجية ويلنفتون في اسيانيا .

عندما رات الحكومة البريطانية فشل الجهد الرئيسي لقوانها على نهر ايسكو في اسبانيا سحبت جوعا من هذه القوات ودفعتها لانقاذ البرتقسال ، فحصلت بذلك على نتائج هامة دون ان يكون هنالك تقدير صحيح متوقع لنتائج هذه الحملة في مستوى الاستراتيجية العليا او تأثيرها المكن على زيادة خطورة «القرحسسة الاسبانية» . ولقد تقدم كاستلوغ بمبررات لهذه الحملة أيدها السير آرثر ويلسلي (دوق ويلنفتون فيما بعد) وقد اتقق رأيهما على ان عملية دعم الجيش والميليشيا في البرتفال ب ٢٠ الف انكليزي ارغمت القرنسيين على ارسال ١٠٠ الف رجل لتعسكر وتحتل هذه البلاد ، وهذا عدد يتعذر الحصول عليه اذا استمر الاسبانيون في المقاومة ، وهذا يعني ان ٣٠ الغد بريطاني استطاعوا ارغام الفرنسيين على تثبيت ١٠٠ الف رجل تقريبا جلب بعضهم من حقسل العمليات الرئيسسي في النمسا .

ولم تكن هذه الحملة لتبدو دعما فعالا للنمسا 4 كما ان اعتبارها ترسا لحماية البرتغال امر غير متفق عليه حسبه رأي البرتغاليين انفسهم . ولكنها فرضت على الفرنسيين جهدا كبيرا وحصل الانكليز منها على فوائد تفوق الفوائد المتوقعة منها عشر مرات .

تلقى ويلسلي ٢٦ الف رجل في أبريل (نيسان) ١٨٠٩ نزلوا في لشبونه . وكان الفرنسيون آنذاك مبعثرين بشكل كبير في انسبانيا والبرتفال بسبب الثورة الاسبانية وهجمات مور على بورغوس والسحابه الى كورونيا . وكان الجنرال ني يحاول في اقصى الشمال الفربي السيطرة دون جدوى على غاليسيا . كما كان جيش الجنرال سولت يعمل في شمال البرتغال جنوبي القطاع الذي يعمل فيه ني ، مع جيش وحداته موزعة . اما فيكتور فكان يحاصر ميريدا على الطريسيق

الشمالية المؤدية الى البرتفال .

استغل ويلسلي وضعه المتوسط ، وتبعثر العدو ، وتأثيرات ظهوره المتوقعة، فسار نحو الشمال في اتجاه سول . ولم يستطع عزله عن مفارز الجنوب كما اراد ولكنه فاجأه على كل حال قبل ان يستطيع جمع جيشه . ثم اجتاز ويلسلي نهر الدور فقلب توازن اعدائه وأعقب هذه النتيجة المدمرة بأن دفعهم خارج خط انسحابهم الطبيعي ، واجتاح مقاومة العدو قبل ان تتبلور ، كما فعل تورين في عام ١٦٧٥ . وتحمل جيش سولت عند انسحابه نحو الشمال عبر جبال غاليسيا خسائر فادحة لا تتناسب مع قيمة المعارك التي خاضها .

ثم جاءت عملية ويلسلي الثانية فلم تكن مفيدة كسابقتها كما أنها لم تكن مخططة جيدا بحيث تؤمن تناسب الإمكانيات مع الهدف . ولما «اختفى» سولت فسي تالافيرا استدعي فيكتور الذي كان سلبيا حتى ذلك الوقت في ميريدا وطلب منه تعطية الطريق الرئيسية الى مدريد . وبعد مضي شهر قرر ويلسلي السير في اتجاه مدريد على نفس الطريق منذفعا بذلك في قلب اسبانيا بين شدقي الذئب ، وشكلا هدفا تستطيع كل الجيوش الفرنسية في اسبانيا اللقاء هليه بأسهسل السبل . بالاضافة الى أن التقاء هذه الجيوش في مكان مركزي يحقق لها ميزة السبطرة على كل طرق المواصلات التي تصلها ببعضها كأنها حزمة واحدة وتتخلص بذلك من تباعدها الذي كان نقطة ضعف لديها .

انطلق ويلسلي في بداية الامر مع ٢٣ الف رجل فقط ثم دعم هذا الجيش بعدد مساو من الآسبآنيين بقيادة كويستا الضعيف . وانسحب القائد الفرنسي فيكتور ليتمركز قرب مدريد بشكل يسهل دعمه من قبسل الجيشين الصديقين الآخرين . وبلغ التجمع الفرنسي حوالي ١٠٠ الف رجسسل لان ني وسولت وفورتييه وصلوا الى مدريد من الشمال (عن طريق المصادفة لا حسب خط__ة مدروسة كما يرى فورتسكيو) . ولم يستطع ويلسلي السير بالسرعة المطلوبة نظرا لضرورات التموين ولتردد حليفه كويستا ، لذا فانه لم يصل الى فيكتور الا بعد وصول جوزيف بونابرت من مدريد لنجدته . فاضطر عندئذ الى الانسحاب ثه تخلص من المأزق بشكل جيد في معركة دفاعية وقعت في تالافيرا وحصل على بعض النجاح واراد الاندفاع الى الامام ولكن كويستا رفض ذلك ، وكان ذلكك لصالح ويلسلى وحسن حظه . لان سولت جاءه من مؤخرته وقطع مواصلاته عن الطريق التي جاء منها مما اضطره الى الانسحاب من جنوب نهر تاج . وكسان انسحابه الى حدود البرتفال منهكا كثير التكاليف محطما للمعنوبات . وأعساق نقص التموين القوات الفرنسية التي كانت تطارده وبذلك انتهت معركية ١٨٠٩ التي علمت ويلسلي درسا في ضعف قيمة الوحدات الاسبانية النظامية ، وكوفيء ويلسلي بأن أصبح دوق ويلنفتون . وفي عام ١٨٠٩ عقدت النمسا الصلح وغدا نابليون حرا في نقل جهوده واهتمامه الى اسبانيا والبرتغال (حتى عام ١٨١٢) وتُشكل هاتان السنتان مرحلة حرجة في هذه الحرب . وكان لمجز الفرنسيين عن تنفيذ مخططاتهم في هذه البلاد اهمية تاريخية تفوق اهمية الهزائم التــــي أصابتهم هناك او اهمية انتصارات ويلنفتون في ١٨١٢ - ١٨١٣ ، وتعسود الانتصارات البريطانية قبل كل شيء الى التقدير الصحيح للعامسل الاقتصادي العسكري (صعوبة التموين الفرنسي) وانشاء خط تورس فيدراس وكلا الامرين من معمل ويلنفتون الذي كانت تعتمد استراتيجيته على الهجوم غير المباشر ضد الهدف مع اختبار اهداف اقتصادية عسكرية .

ولقد ساعدته القوات النظامية الاسبانية قبل بدء المعركة الرئيسية ولكن على طريقتها المعهودة ، ولكنها عندما اشتركت في حملة الشتاء دمرتها القلصوات الفرنسية وتشبت شملها . ولما وجد الفرنسيون انفسهم سادة الموقل في الفرنسيان المامهم مقاومة تذكر اندفعوا الى توسيع رقعة الاراضي التي احتلوها بغية السيطرة على اسبانيا كلها ، واحتلال مقاطعة الاندلس الغنية في الجنوب ، وتسلم نابليون زمام الامر بيده رغم بعده عن مسرح العمليات ، وجمع في فبرايسسر (شباط) ١٨١٠ حوالي ٣٠٠ الف رجل في اسبانيا وكانت هنالك وحدات اخرى تنتظلر دورها للعمل ، وكان من بين قوات نابليون في اسبانيا ٦٥ الف رجل بقيادة ماسينا مهمتهم طرد البريطانيين من البرتفال ، وكان لدى البريطانيين خمسون الف رجل بما فيهم البرتفاليون الذين دربهم الانكليز ، ويمكن اعتبار هذه القوة كبيرة ولكنها تعتبر صغيرة بالنسبة لمجموع القوات المشتبكة ضدها في الحرب ، وهذا يدل بكل وضوح على اهمية الجهود التي كانت تبذل باستمرار لمحاربسة العصابات الاسبانية .

جاء غزو ماسينا من الشمال عن طريق سيوتماد رودريغو وهذا ما اعطي ويلنفتون المدى والوقت الكافيين للقيام بتنفيذ استراتيجيته بالشكيل الكامل ، فاتخذ التدابير اللازمة لاخلاء البلاد من التموين الموجود فيها للحد من سرعية اندفاع تقدم ماسينا ، كما جهز موقعا حصينا في بوساكو على منتصف الطريق ليكبح جماح هذا التقدم وزادت حماقة ماسينا من فعالية تدابير ويلنفتون ، خاصة عندما قام بانقضاض مباشر دون جدوى . ولتغطية لشبونية السحب ويلنفتون الى خطوط تورس فيدراس المجهزة في المناطق الجبلية المحصورة بين البحر ونهر تاج ، وفي ١٤ اكتوبر (تشرين اول) كان ماسينا قد قطع ٠٠٠ ميل في اربعة اشهر واصبح على مقربة من الخطوط ، وفوجيء بها ، ولم يكن قادرا على اختراق هذا الخط الدفاعي فوقف امامه شهرا ثم ارغمه نقص التموين على ولم بحاول ويلنفتون البحث عن المعركة او تعجيل التراجع ، ولكنه ضغط ماسينا في اصغر بقعة ارض ممكنة ، ووجد الفرنسيون انفسهم نتيجة لذلك فيسي صعوبات تموينية كبيرة . فدفعوا ثمن افكارهم الخاطئة المبنية على كلمات نابليون صعوبات تموينية كبيرة . فدفعوا ثمن افكارهم الخاطئة المبنية على كلمات نابليون المقائلة التي وجهها الى الاستراتيجيين الحذرين :

«التموين ؟ لا تحدثوني عن هذا . ان ٢٠ الف رجل يستطيعون العيش في

وتابع ويلنفتون هذه الاستراتيجية باستمرار رغم الخطر غير المباشر الذي قد يأتي من أي تغير في خط السياسة الاوربية ، والخطر الماشر الناجم عن تقدم سولت في الجنوب على طريق باداخوس ، بغية المشاغلة وتخفيف الضغط عن ماسينا . وقاوم ويلنفتون كل محاولات ماسينا لدفعه الى الهجوم . ولقد تبين فيما بعد صحة عمله . وقد جنى ثمار هذا العمل عندما اضطر ماسينا في مارس (آذار) الى الانسحاب ، وفقد الجيش الفرنسي حتى وصوله الى الحدود ٢٥ الف رجل سقط منهم في المعارك الفان فقط . وازداد عسمد الثوار الاسمانيين ونشاطهم ، استطاع بضعة آلاف من الجنود الاسبانيين النظاميين الذين يقاتلون بتكتيك العصابات شل حركة فيلقين فرنسيين يقدر تعدادهما بستين الف رجل لدرجة عجز معها هذان الفيلقان عن مساعدة الجيش الفرنسى في البرتفال الذي كان تقوده ماسينا . وفي الجنوب حاصر الفرنسيون قادس وعجز الحلفاء عـــن استثمار نصر باروسا ورفع الحصار عن قادس ، وكان ذلك لمصلحتهم لان الحصار شفل بدون فائدة وحدات فرنسية كثيرة . وخلال كل هذه السنوات كان هنساك عامل هام أثر على معنويات الفرنسيين وهو خوفهم الدائم من أن ينزل الانكليز قوات في اراضيهم ، وكان هذا الخوف له ما يبرره بسبب سيطرة الاسط_ول الانكليزي على البحار .

ومنذ ذلك الوقت أصبح الجميع يحسون بويلنفتون كمصدر التهديد اكثر من احساسهم بضرباته . فاذا هدد نقطة ما اضطر الفرنسيون لجمع وحدات لصده مما يعطي رجال العصابات فرصة ليزيدوا نشاطهم في المناطق الاخرى .

ولم يكن ويلنفتون يكتفي فقط بالتهديد ، بل طارد ماسينا عند انسحابه الى سالامنك واستخدم جيشه لتفطية حصار حصن دالميدا في الشمال ، وطلب من بيرس فورد القيام بحركة التفاف حول باداخوس من الجنوب فقسم جيشه بذلك الى قسمين متساويين تقريبا ، هنا كان ماسينا قد اعاد جمع وتنظيم قوانه وجاءته الامدادات فاندفع لنجدة حصن دالميدا وهاجم ويلنفتون واوقعه في خطر اكيد ، ولكن الحظ لعب الى جانب ويلنفتون واستطاع ضد الهجوم وقد قال في هذه المناسبة : «أو كان بونابرت هنا لهزمنا» ، واندفسع بيرس فورد قسسرب باداخوس امام جيش سولت القادم لنجدة الفرنسيين ، ووقع في خطا فاحش كاد أن يورده وجيشه موارد التهلكة ، ثم تحسن موقفه بفضل حسن بلاء مساعديه وجنوده ولكن بعد أن منى بخسائر فادحة .

ثم دفع ويلنغتون قواته لحصار باداخوس ولكن بدون وسائط حصار ، واضطر الى ترك الحصار امام حركة مارمون الذي تسلم قيادة جبش ماسينا وبدا يتحرك نحو الجنوب للالتقاء مع سولت دون ان يستطيع احد وقف تقدمه . ولما تم اللقاء قرر القائدان الفرنسيان السير في اتجاه ويلنغتون ، الذي ساعده الحظ مرة ثانية بسبب اختلاف القائدين . ولما وصل الى سولت نبأ اشتداد حرب العصابات في اقليم الاندلس أسرع بالعودة اليها تاركا لمارمون مهمة ادارة العمليات وانتهت الحملة عام ١٨١١ دون ان تراق فيها دماء كثيرة .

من الملاحظ ان ويلنفتون خاطر كثيرا خلال معاركه ومن الصعب القول بأن هذه المعارك اعطته مكاسب اكثر من مكاسب استراتيجيته التي طبقها من قبل . لقد كان عدد رجاله قليلا لذا تعذر عليه استخدامهم بشكل مفيد . وكانت خسائره بلا شك اقل في مجموعها من خسائر الفرنسيين ، ولكنها كانت كبيرة بالنسبسسة لتعداد جيشه . وهنا بدأ نابليون استعداده لغزو روسيا ، فقوي مركز ويلنفتون وادى هذا التغيير في الموقف العام وازدياد حرب العصابات في اسبانيا الى تعديل مخطط العمليات الفرنسي ، واصبح محور جهدهم الرئيسي موجها لاحتسسلال فالنسيا والاندلس بغية الانطلاق بعد ذلك في هجوم جديد على البرتغال .

ومنذ عام ١٨١٠ نقص تعداد الجيش الفرنسي في اسبانيا بمقدار ٦٠ الف رجل ، اما القوة الباقية فقد انشفل منها حوالي ٨٠ الف رجل بالمحافظة علي خطوط المواصلات مع فرنسا ضد اعمال العصابات ، من تارغون على البحسسر الابيض المتوسط حتى اوفييدو على المحيط الاطلسي .

واصبح ويلنفتون حرا في حركته امام عدو ضعيف فانطلق بسرعة الى سيوتماد رودريفيو واحتلها بينما كانت مفرزة بقيادة هيل تفطي جناحه الاستراتيجيي ومؤخرته . ولم يستطع مارمون التدخل او استعادة المدينة لان ادوات الحصار اللازمة لاستعادتها كانت موجودة فيها وسقطت في يد الانكليز . كما انه وجد نفسه عاجزا عن مطاردة ويلنفتون في المنطقة الجرداء القاحلة التي تفصلهما عن بعضهما .

واستفل ويلنفتون حاجز الجوع الذي يحميه من العدو فسار نحو الجنوب واحتل باداخوس ولكنه تكبد اثناء ذلك خسائر كبيرة لانه لم يستطع التمهسسل والتريث . واستولى في باداخوس على وسائل نصب الجسور الفرنسية . وجاءت بعد ذلك عملية تدمير جسر القوارب العائم الذي نصبه الفرنسيون على نهر تاج في مدينة الماراز ، وتم بذلك عزل جيشي مارمون وسولت استراتيجيا . واصبح اقرب سبيل للاتصال بينهما هو طريق جسر توليد الذي يبعد ما يزيد عن ٣٠٠٠ميل من مصب نهر تاج .

ومن جهة آخرى كان سولت مرتبطا ارتباطا وثيقا بالاندلس بسبب حصوله على تموينه منها وازدياد نشاط العصابات فيها ، لذا تمتع ويلنغتون بالقدرة على العمل بكل امان وبدون ان يخشى مفاجآت من سولت . فجمع ثلثي قواته ليسير نحو مارمون في سالامنك . ودفع هذا الهجوم المباشر مارمون الى الانسحاب نحو قواعد تموينه . ولما تم توازن القوى ناور على مواصلات ويلنغتون وكان الامسر سهلا لان ويلنغتون لم يهتم بحراسة مؤخراته . وتقدم الجيشان عدة مرات على رتلين متوازيين بينهما عدة كيلومترات فقط ، وكل منهما يبحث عن الفرصية الملائمة لمهاجمة خصمه . وكانت قدرة الفرنسيين على الحركة تفسوق قدرة البريطانيين لذا نشأت عندهم الرغبة في الالتفاف واستثمار هذا التفوق . ولكن في ٢٢ يوليو (تموز) دفعت هذه الثقة المفرطة مارمون الى ارتكاب غلطة افقدته تواذن جيشه وتماسك وحداته عندما سمح لجناحه الايسر بالابتعاد كثيرا عسن

جناجه الايمن ، فاستغل ويلنغتون الفرصة وانقض على الجناح المكشوف وهسزم الفرنسيين قبل ان تصلهم النجدات .

ولم يستطع ويلنغتون رغم ذلك تدمير الجيش الفرنسي تدميرا تاما في معركة سالامنك ، وكان التفوق العددي حتى ذلك الوقت لصالح الفرنسيين في مسرح العمليات الاسباني بصفة عامة . ويمكن توجيه اللوم الى ويلنغتون لانه لم يطارد بشدة الفرنسيين المنسحبين الذين تسلم كلوزيل قيادتهم قبل وصولهم السسى بورغوس والاحتماء بها ، خاصة وأن مواصلاته اصبحت مهددة بتقدم الملسك جوزيف بونابرت القادم من مدريد .

وبدلاً من مطاردة العدو قرر ويلنغتون التحرك الى مدريد لما لهذه المناورة من تأثير سياسي ومعنوي . ولما دخل مدريد فر الملك جوزيف بسرعة ، ولكنه كان عاجزا عن البقاء في المدينة بعد هذه الإغارة الناجحة اذا عاد البها الفرنسيسون بقوات كبيرة . ولم يكن هناك في الواقع سبب يرغمهم على تجميع جيوشهم المبعثرة في مختلف المناطق والاتجاه نحو المركز اكثر من سقوط هذه المدينة . لذلك غادر ويلنفتون مدريد قبل وصولهم وسار نحو بورغوس ، وكان الجيش الفرنسي يعتمد في تموينه على امكانيات المناطق التي يحتلها ولذلك فلم يتأثر كثيرا بالهجمسات الموجهة الى المواصلات التي تربطه بفرنسا . وكانت نتائج الهجمات المعادية محدودة وزاد من قلة فاعليتها ضعف وسائل الحصار لدى ويلنفتون ونقص عتاده ، مما ادى الى اضاعة وقت كثير لا يسمح الموقف باضاعته .

وترتب على انتصاره في معركة سالامنك والمعارك التي جاءت بعدها ان اضطر الفرنسيون الى ترك عملياتهم الهجومية في مختلف الاراضي الاسبانية وتجميسع قواتهم ضده . ووجد ويلنفتون نفسه في موقف اخطر من الموقف الذي واجهه مور من قبل ، ولكنه انسحب في الوقت الملائم . ولما لحق به هيل زادت ثقته بنفسه واشتبك في معركة مع الجيوش الفرنسية التي تجمعت في سالامنك مرة اخرى . وكان تفوق الفرنسيين العددي اقل من تفوقهم في المعارك السابقية الخرى . وكان تفوق الفرنسيين العددي اقل من تفوقهم في المعارك السابقية ويلنفتون للدخول في معركة على الارض التي اختارها ، فتابع انسحابه السسي سيوتماد رودريغو . وبوصوله اليها انتهت حملة عام ١٨١٢ .

ثم انسحب ويلنغتون من فنانيه الى الحدود البرتغالية ، فترك الفرنسيون القسم الاكبر من الاراضي الاسبانية ليحشدوا قواتهم ضده ، الامر الذي ساعد على زيادة نشاط العصابات وفقدان الامل في السيطرة عليها . وفي ذروة هذه الماساة جاءت اخبار انسحاب الجيوش الفرنسية من روسيا ، واضطر نابليسون الى سحب معظم قواته من اسبانيا وتغير الموقف بشكل جذري .

وجاءت النجدات الى ويلنفتون فزادت قوته الى ١٠٠ الف رجل نصفهمم بريطانيون فأخذ دور المهاجم ، وبدأ نجمه في الصعود ، بينما كانت معنويمات الفرنسيين في تناقص مستمر نتيجة لحرب العصابات لا بسبب هزيمة عسكرية عادية ، مما اضطرهم الى الانسحاب خلف نهر إبر ، وحاولوا الصمود على الحدود

الاسبانية الشمالية ولكن ضغط الثوار على مؤخرتهم في بيبسكاي وفي منطقية البرينيه اجبرهم على تكريس جهود } فرق من قواتهم القليلة لهذه المنطقة . ثم تقدم ويلنغتون نحو جبال البرينيه والحدود الفرنسية ، وتعرض خلال تقدميه لبعض المتاعب التي انقذه الحظ من عواقبها . ويمكن اعتباد هذا التقدم مرحلة استراتيجية في تاريخ الحرب في شبه الجزيرة .

ويعود الفضل في الوصول الى هذه النهاية السعيدة الى التأييسيد المادي والمعنوي الذي قدمه ويلنغتون للثوار في اسبانيا والبرتغال ، واعماله التسبي شغلت الفرنسيين وجَدْبت قسما من قواتهم ، مما ساعد حرب العصابات علسى الامتداد والانتشار . ويمكننا ان نعتبر الحرب الاسبانية مثالا تاريخيا يستحسق الدراسة والملاحظة ، نظرا للاستراتيجية التي طبقت فيها بنجاح بفضل التفكير الحكيم ، وان كان ينقصها التخطيط المنسق، تلك الاستراتيجية التي جاء لورانس بعد قرن من الزمان لكي يطورها في نظرية محددة ، ويطبقها عمليا بالاشتراك مع العرب ، ويصل بفضلها الى نتائج جيدة وان كانت غير حاسمة كنتائج ويلنغتون،

نابليون من موقعة فيلنا الى موقعة واتراو:

تعتبر الحملة الروسية عام١٨١٦ الذروة والنهاية الطبيعية لتطور الاستراتيجية لدى نابليون . وقد لاحظنا ان هذه الاستراتيجية كانت تعتمد على عامل العدد اكثر من اعتمادها على عامل الحركة ، وعلى عامل الوضعية الاستراتيجية اكثر من اعتمادها على عنصر المفاجأة . هذا مع العلم ان الظروف الجغرافيية زادت نقاط الضعف في هذه الاستراتيجية .

لقد كان تعداد قواته في فيلنا ٥٠ الف رجل ، وهذا ما دفعه الى تطبيق توزيع القوات في صفوف طويلة تقريبا ، وفرض عليه استراتيجية الهجوم المباشر تجاه خط الانتظار الطبيعي للعدو . صحيح انه عزز جناحه الايسر ، كما فعسل الالمان في عام ١٩١٤ ، وقام بحركة دائرية لضرب مجنبة الروس ، ولكن هذه المناورة كانت مباشرة اكثر من اللازم ولم تكن تصلح لمشاغلة العدو او بعثرة قواته، الا اذا كان هذا العدو شديد الحماقة . وزاد من قلة فاعليتها موقف الجمسود الذي اتخذه جيروم شقيق نابليون الذي كان مكلفا بتثبيت العدو . وعلى اي حال فقد كانت نتائج هذه المناورة محلودة لان الروس اتخذوا قرارا بانتهاج استراتيجية تحاشي الدخول في معركة او استراتيجية المماطلة وتمييع الموقف . عندما توغل نابليون في روسيا بعد عدة ضربات ومعارك «في الفراغ» عدل خطوطه لتطبيق نظام الغرق القسمة الى مربعات ، وحاول استخدامها تكتيكيا على مؤخرات العدو. وكان الروس يطبقون سياسة «المعركة» بكل حماقة . فلما وضعوا انفسهم بين فكي نابليون المفتوحين ، انطبق الفكان بشكل يراه الجميع لدرجة سمحت للروس فكي نابليون المفتوحين ، انطبق الفكان بشكل يراه الجميع لدرجة سمحت للروس فكي نابليون المفتوحين ، انطبق الفكان بشكل يراه الجميع لدرجة سمحت للروس بطبقون سياسة «المحركة» بكل حماقة . فلما وضعوا انفسهم بين فكي نابليون المفتوحين ، انطبق الفكان بشكل يراه الجميع لدرجة سمحت للروس بطبقون المفتودين ، انطبق الفكان فوق بعضهما في معركة نهر موسكفا.

وليس هنالك مثل أوضح من هذا المثال للدلالة على الفرق بين الهجوم غير المباشر الحقيقي ، ومجرد الهجوم من اتجاهين للالتقاء في نقطة واحدة .

ثم تلى ذلك انسحاب ذو نتائج مفجعة تعود لقسوة الطقس وهبوط معنويات الجيش الفرنسي بعد ان فقد استراتيجيته وصار يبحث عن المعركة مع الجيش الروسي الذي يطبق استراتيجية تحاشي القتال ، تلك الاستراتيجية التي كانت تهدف الى تنفيذ ما يمكن تسميته السياسة العليا للهجوم غير المباشر .

ان الحظ السيء الذي اصاب نابليون بسبب فشله في روسيا زاد تفاقه النتائج المادية والمعنوية التي ترتبت على فشل جيوشه في اسبانيا . وهنا لا بد من الاشارة الى دور الاعمال البريطانية في اسبانيه حيث استخدمت انكلترة سياستها التقليدية في الحرب وهي السياسة التي تهدف دائما الى زعزعة قوة المعدو من جدورها .

وفي عام ١٨١٣ اصبح لزاما على نا يون مواجهة الثورة التي نشبت في بروسيا واجتياح الجيوش الروسية لبعض المناطق التي يحتلها . وكان معه للقيام بهنه المهمة جيش كبير من الجنود الجدد ولكنه اقل قدرة على الحركة من جيوشك السابقة . فبدأ يحاول سحق العدو بالطريقة التي اعتاد عليها ، والتي تهدف الى الاطباق على العدو من جهات متعددة بقوات تنظم على شكل مربعات . وأحرز بعض الانتصارات ولكن انتصاره لم يكن حاسما ، وانسحب الحلفاء الى داخل البلاد وأحبطوا بذلك محاولات نابليون المتكررة لجرهم الى المعركة . ودفع تملصهم هذا نابليون الى طلب هدنة مدتها ٦ اسابيع ، انضمت النمسا في نهايتها الى معسكر اعداء نابليون .

سلطت معركة الخريف التي اعقبت ذلك ضوءا غريبا على التغيير الذي طرا على تفكير تابليون . لقد كان معه . . ٤ الف رجل وهذا عدد يوازي تقريبا على قوات اعدائه . فاستخدم . . ١ الف رجل للقيام بحركة التفاف من طرفين على برلين . ولكن هذا الضغط المباشر ادى الى زيادة مقاومة برنادوت في هسله المنطقة ، واضطر الفرنسيون الى التراجع . وفي ذلك الوقت كان نابليون يرابط مع معظم قواته في موضع مركزي في اقليم ساكس ويغطي مدينة دريسدن. ولكن نفاد صبره دفعه الى التقدم فجأة نحو الشرق لمقاتلة ٩٥ الف رجل بقيادة بلوخو الله ي السحب ليجذبه الى سيليزيا على حين بدا شفارتسنبرغ الزحف من بوهيميا مع ١٨٥ الف رجل نحو الشمال بمحاذاة نهر الالب ، وبعد اجتياز بوهيميا دخل بلاد ساكس ووقع على مؤخرات نابليون السابقة في دريسدن .

عندئذ ترك نابليون مفرزة في المكان الذي كانت جيوشه قد وصلت اليها ورجع بسرعة للرد على هذا الهجوم غير المباشر بهجوم آخر اكثر خطورة . وكانت خطته هي السير في اتجاه الجنوب الغربي عبر جبال بوهيميا وقطع طريق التراجع على شفارتسنبرغ في الجبل مشكلا بذلك سدا استراتيجيا مثاليا . ولكن عندما علم باقتراب العدو فقد هدوء أعصابه ، وقرر في آخر لحظة القيام بهجوم مباشر ضد دردسن شفارتسنبرغ . وكانت نتيجة هذا الهجوم نصرا حاسما ولكن في

المجال التكتيكي فقط واستطاع شفارتسنبرغ الانسحاب دون صعوبة كبيرة نحوا الجنوب عبر الجبال .

بعد ذلك بشهر بدات الجيوش الحليفة الثلاثة الضغط على نابليون ، وكان جيشه قد ضعف من توالي المعارك ، فانسحب من دريسدن الى قرب ليبزغ . وكان شفارتسنبرغ في الجنوب وبلوخر في الشمال ، أما برنادوت فكان يناور حول وخلف جناح نابليون الشمالي دون ان يدري نابليون شيئا عن حركاته ، وقرر نابليون القيام بهجوم مباشر يعقبه هجوم غير مباشر ، وذلك لسحق بلوخر اولا ثم قطع مواصلات شفارتسنبرغ مع بوهيميا بعد ذلك .

اذا نظرنا الى تسلسل العمل بهذا الشكل على ضوء التجربة التاريخية وجدنا انه تسلسل خاطىء لان الحركة المباشرة نحو بلوخر لم تستطع اجباره على القتال، ولكن كان لها نتيجة غريبة غير متوقعة لانها كانت في حد ذاتها ، ودون ان يدري نابليون ، حركة غير مباشرة على مؤخرات برنادوت افقدته شجاعته ودفعته الى الانسحاب بسرعة نحو الشمال فاتحا بذلك طريق الانسحاب امام نابليون ، وهكذا انقذت الحركة المباشرة الفاشلة ضد بلوخر جيش نابليون وخلصته من كارثة محققة بعد عدة ايام عندما ضغط بلوخر وشفارتسنبرغ عليه في ليبزغ واشتبك معهما في قتال هزم على أثره ، ولكنه وجد ممرا ساعده على القتال التراجعي والانسحاب نحو فرنسا .

في عام ١٨١٤ اصبح الحلفاء متفوقين عدديا ، فاتجهوا نحو فرنسا واجتاحوا اراضيها . ووجد نابليون تعداد جيشه قليلا لكثرة خسائره التي نجمت فسي الماضي عن فرط ثقته الامبراطورية بقوة الكتل البشرية الكبيرة ، فاضطر السي الاستعانة بسلاحيه القديمين المفاجأة والحركة ، واستخدمهما بشنكل ناجح . ولكنه كان شديد الرغبة في الاشتباك مع الغزاة في معركة ، الامر الذي منعه مسسن استخدامهما بمهارة كما كان يفعل هانيبال او سيبيون .

ومع ذلك فانه استخدمهما في نهاية مصيره ، اذ عرف كيف يوفق بدقة بين غاياته وبين امكانياته ، لقد عرف ان امكانياته اصبحت محدودة وغير كافيسة للحصول على نصر عسكري حاسم فقرر تحطيم تعاون الجيوش المعادية واستخدم الحركة بمهارة تدءو الى الدهشة اكثر من اي وقت مضى ، فاستطاع تأخيير العدو بشكل ملحوظ ، وكان في مقدوره الحصول على نتائج اكبر وابعد اثرا لو لم تصب وسائله اللازمة لمتابعة هذه الاستراتيجية بالضعف لكثرة محاولاته في تتويج كل نجاح استراتيجي بنجاح تكتيكى .

ومع ذلك قام بسلسلة من الهجمات خمس منها على شكل مناورة على مؤخرات المعدو تمت ضد مفارز معادية منعزلة والحق بها سلسلة من الهزائم المتكررة ، الى ان تهور وقام بهجوم مباشر ضد بلوخر وهاجمه فمني بهزيم المكانياته .

عندئذ قرر استخدام قوته الباقية المؤلفة من ٣٠ الف رجل للقيام بضربية اخيرة والتحرك نحو الشرق في اتجاه سان ديزييه ، وجمع كل الحاميات التي

يصادفها وتأليب البلاد ضد الغزاة . وكانت هذه في الواقع حركة خطيرة قادرة على قطع مواصلات شفارتسنبرغ ولكن تنفيذ كل ذلك كان متعلقا بضرورة الوصول الى مؤخرات العدو والتمركز هناك ، وتجميع الجيش من المنطقة ، وهذه امور معقدة زاد من صعوبة تنفيذها عدم توفر الوقت والإمكانيات الكافية لذلك ، ولسوء حظه وقعت اوامره في يد العدو وفقد بذلك عامل المفاجأة والزمن . ومع ذلك سببت مناورته هذه صدمة استراتيجية قوية لاعدائه لدرجة عطلت تفكيرهم فلم يتخذوا قرارا بالزحف نحو باريس بدلا من العودة لاحباط مناورته ، الا بعسد مناقشات حامية . ولكن حركتهم نحو باريس كانت ايضا ضربة قاضية لمنويات نابليون وقضيته .

في ١٨١٥ عاد نابليون من جزيرة البا وجمع امكانيات كبيرة الهبت خياليه وملأته حماسا. ولكنه استخدم مع ذلك المفاجأة والحركة بطريقته القديمة وتوصل بذلك الى نتائج قربته من النصر . وعلى الرغم من ان هجومه على جيش بلوخر وويلنغتون كان مباشرا من الناحية الجفرافية ، فان تطوره مع الزمن كان مفاجأة واستطاع بخططه الجديدة فصل جيشي العدو عن بعضهما . ولكن الجنرال ني لم يستطع في موقعة ليني متابعة القيام بدوره حتى النهاية على شكل هجوم غييم مباشر تكتيكي ، واستطاعت جيوش البروسيين تحاشي الهزيمة الساحقة . ولما عاد نابليون نحو ويلينغتون في واترلو كان هجومه مباشرا بحتا ، ففقد بذلك وقتا وجنودا مما زاد من سوء الموقف الذي سببه غروشي بعجزه عن تثبيت بلوخير بعيدا عن ميدان المعركة . وظهر بلوخر على مجنبة نابليون بشكل غير متوقع وكان بعيدا عن ميدان المعركة . وظهر بلوخر على مجنبة نابليون بشكل غير متوقع وكان ذلك بمثابة هجوم غير مباشر معنوي وحاسم .

الفصّل التاسِع

1918 - 1408

في عام ١٨٥١ بدا عهد جديد في الصراع وكانت اول جروب هذه المرحلة غير حاسمة عسكريا او سياسيا ، ولكنها تنطوي على دروس سلبية نستنبطها من الصراع الاحمق في حرب القرم ، وأهم هذه الدروس هي عقم الهجوم المباشر .

وكان الجنرالات في ذلك الوقت تنقصهم الفطنة ، ولهذا لم يكن من المستغرب ان يدفع احد ضباط اركان الحرب لواء خفيفا مباشرة في وجه المدفعية الروسية . وكان مبدا الضربة المباشرة يسيطر في الجيش البريطاني على كل مجالات العمل بصورة اذهلت القائد العام للجيش الفرنسي «كانروبي» ، الى ان حضر حفلة والقصة في البلاط ، ولما بدا الرقص برقت الفكرة في ذهنه وقال لنفسة : «ان البريطانيين يقاتلون كما ترقص الملكة فيكتوريا» ولم يكن الروس اقل من البريطانيين تشبعا بهذا المبدأ ، ولما اضطروا في احد الايام الى المناورة مخالفين بذليات مبادئهم ، سار احد الالوية طوال النهار ثم وجد نفسة في المساء بعد هذه الحركة عند نفس المواقع التي كان يحتلها في الصباح امام سيباستيبول .

ان دراسة حرب الآم تدعو الى خيبة الامل ، ولكن هناك حقيقة يجب ان نذكرها ، وهي ان الجييس الاوربية غدت خلال الاربعين سنة التي مرت بعسل واترلو جيوشاً محترفة ، وليس في هذا انتقاص لقيمة الجيوش المحترفة ولكن

المقصود هو اظهار الاخطار الكامنة في الاوساط العسكرية المحترفة المتقوقعة على نفسها ، تلك الاخطار التي تزداد بازدياد الرتبة وسنوات الخدمة الا اذا عدل من تأثيرها الاطلاع الدائم على الافكار الخارجية . ولقد ابدت المراحل الاولى للحرب الاهلية الامريكية ضعف الجيوش غير المحترفة ، لان التدريب هو اساس الجيوش التي يستخدمها القادة بشكل فعال . وان الحرب الطويلة ، او السلم القصيم يوفران افضل الظروف لخلق مثل هذه الجيوش . واذا تفوقت قيمة الاداة على قيمة الاداة على قيمة الاداة على قيمة القائد اصاب الخلل الجهاز كله .

لهذا أو لاسباب أخرى كانت الحرب الأهلية الأمريكية ١٨٦١ ـ ١٨٦٥ متنافضة مع حرب القرم وظهرت فيها حركات استراتيجية محلية .

وازداد هذا الاتجاه مع تطور السكك الحديدية التي اعطت الاستراتيجية المكانيات اكبر في سرعة الحركة . الا ان هذه السرعة لم نكن تتمتع بالمرونة التي تعتبر عاملا رئيسيا ثانيا للحركة الحقيقية . لقد كانت الحرب الاهلية الامريكية اول حرب تلعب فيها السكك الحديدية دورا هاما لتأمين حركة النقل ، لذا ادت شبكتها الصلبة الى تثبيت الاستراتيجية على خطوط صلبة .

وغدت الجيوش خلال هذا الصراع وبعده معتمدة تماما على السكة الحديدية لمتابعة حياتها دون ان تحس بأهمية ذلك . وشجعت سهولة التموين القادة على نكديس عتادهم في نهاية الخط الحديدي دون ان يتساءلوا عن نتائج مثل هذا الاجراء على امكانيات العمل . وهكذا ادت وسائط النقل الجديدة الى انقياص امكانيات الحركة بدلا من زيادتها . وزادت السكة الحديدية في ميل الجيوش الى التوغل بالعمق والابتعاد عن القواعد ما دامت قادرة دائما على نقل الرجيال والعتاد بمقادير تزيد عن حاجة المعركة . وزاد القطار من جاجيات الجنود . وغدت الجيوش مرتبطة بالمحطات ومعتمدة في حياتها المادية على شريط رفيسيع سهل الكسر .

وكان هذا كله واضحا في بداية الحرب الاهلية الامريكية وازداد وضوحا في عام ١٨٦٤ . فقد كانت جيوش الشمال معتادة على حياة مادية تتسم بالرخاء لذا كانت مهددة بالشلل اكثر من خصومها . وكانت جيوشها الموزعة في حقلل العمليات في الفرب حسب مخطط شبكة السكك الحديدية تحت رحمة هجمات خيالة الجنوب التي يقودها قادة مثل فورست ومورجان . ووجد الشماليون في قائدهم شيرمان استراتيجيا قادرا على تشخيص اسباب العلة بادراك يفوق ادراك معاصريه ومن جاؤوا بعده ، الى ان اتى مفكرو المدرسة الحديثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الاولى والتي كانت نواة حرب الحركة الآلية . واستطاع العدو ضرب شيرمان عندما ضرب سككه الحديدية ، ثم رد شيرمان الضربة فيما بعسد بنفس الاسلوب بعد ان غطى نفسه وادرك ان من واجبه التخلص من خطلوط مواصلاته الثابتة والاستقلال عنها اذا اراد الحصول على امكانيسسات المناورة الاستراتيجية دون التعرض لخطر الشلل . وكان بخلصه من السكسك الحديدية

يعني تخفيض حاجات جيوشه لى الحد الادنى الضروري . وتحرر من تبعيته لمواصلات السكك الحديدية وسار نحو الباب الخلفي الاتحاديين ليقطع خطهوط تموين جيوشهم الرئيسية وتجفيف جهاز امدادهم من منابعه . وكانت النتيجة حاسمة بصورة مؤثرة .

الحرب الاهلية الامريكية:

كان الخصمان المتحاربان يحاولان في البداية الاستباك مع بعضهما بعمليات هجوم مباشر . وكانت النتيجة غير حاسمة في فيرجينيا وميسوري . وفي عام المحربة عين ماك كليلان قائدا عاما لجيوش الشمال ففكر في الاستفادة من السيطرة البحرية لينقل جيوشه الى مجنبة العدو الاستراتيجية ، وفتحت هذه الخطسة آفاقا أوسع بكثير من الهجوم المباشر . وقد وضع هذه الخطة في الحقيقيية لاختصار الهجوم المباشر نحو ريتشموند عاصمة العدو ، لا ليجعل منه هجوما غير مباشر بمعناه الحقيقي . ولم يتم تنفيذ هذه الخطة لان الرئيس لنكولن رفيض تعريض الجيوش لاخطار محتملة ، واحتفظ بغيلق ماكدويل لتغطية واشنطن ، فحرم بذلك ماك كليلان من جزء من قواته كان ينبغي تخصيصه لمناورة العيسدو لضمان نجاح الخطة .

وأضاع ماك كليلان شهرا كاملا امام مدينة يورك تاون بعد نزوله على الشاطىء، ثم عدل المخطط وأعطاه شكل هجوم من عدة جبهات نحو نقطة واحدة ، وذلسك بالتعاون مع ماكدويل الذي كلف بالسير برا من واشنطن الى ريتشموند في هجوم مباشر . ولكن العمليات غير المباشرة التي قام بها جيش الجنوب بقيادة ستونوول جاكسون في وادي شينان دوا كان لها تأثير معنوي بالغ على حكومة واشنطن ، فأوقفت من جديد حركة ماكدويل التي كانت تهدف الى مساعدة القسوات الرئيسية . ومع ذلك وصلت قوات ماك كليلان الى حوالي } أميال من ريتشموند واستعدت للوثبة النهائية قبل ان يستطيع الجنرال لى تجميع قوات كافيسة للتدخل . وفشل ماك كليلان في معركة السبعة ايام فشلا تكتيكيا ولكنه احتفظ بتغوق استراتيجي كبير الاهمية . لان ايقاف مسيره نحو المجنبة لم يمنعه من دفع قواعده نحو الجنوب على نهر جيمس ، مؤمنا بذلك مواصلاته ومهددا مواصلات العدو المهندة من ريتشموند نحو الجنوب .

ولكن تبدلا في الاستراتيجية قضى على هذا التفوق ، وذلك عندما اصبح هاليك رئيسا لماك كليلان ، وأمر بسحب الجيش وركوب البحر للعودة الى الشمال والتجمع مع جيش بوب للقيام بهجوم مباشر بري . وأدى تجميع القوة العددية كما يحدث كثيرا في التاريخ الى اقلال القوة بصورة عامة لانها أدت الى نقيص خطوط التقدم المحتملة نحو العدو .

لقد كانت استراتيجية هاليك تنفيذا حقيقيا لمبدأ تجميع القوى ، ولكنهسا

كشفت الاخطار الناجمة عن تطبيق هذا المبدأ بشكل روتيني للوصول الى الهدف الحربي ٤ وظهر عجز استراتيجية الهجوم المباشر المطبقة خلال النصف الثاني من عام ١٨٦٣ عندما فشلت فشلا داميا في فريدريك سبورغ ١٣ ديسمبر (كانون اول) . ولم تؤد هذه الاستراتيجية الى هجوم قوي على ريتشموند بل ادت على العكس الى اجتياح جيش الجنوب لاراضي الشمال بعد أن منني جيش الشمال بفشله الذربع .

وكان الاجتياح الذي قام به جيش الجنوب غير مباشر استراتيجيا وماديسا ومعنويا ، ولكن ضاعت كل مكاسبه عندما قام الجنرال لي بانقضاض مباشر على مواقع الجنرال ميد في جيتسبورغ . وكان انقضاضه عنيدا دون مناورة فخسر فيه نصف جنوده خلال ثلاثة ايام . وفي نهاية هذا العام عاد الجيشان المتحاربان الى قواعد انطلاقهما الاساسية وقد انهكتهما الخسائر الدامية . وتمركزا دون عمل جدى وهما يواجهان بعضهما .

وهكذا كان الفوز في معارك الهجوم المباشر لمن يتمسك بالدفاع ويمنع تقدم الآخر . لان للدفاع في مثل هذه الظروف الاستراتيجية ميزة عدم القيام بجهر عقيمة .

يقول البعض ان فشل الجنرال لي في جيتسبورغ كان نقطة التحول في هذه الحرب ، ولعل في هذا القول بعض المبالغة . أذ يؤكد التاريخ المجرد أن النتائج الحاسمة الحقيقية جاءت من الفرب .

وكانت اولى هذه النتائج في ابريل (نيسان) ١٨٦٣ عندما تغلب الاسطـول الشمالي على الحصون التي تحرس مصب نهر المسيسيبي واحتل ميناء نيواورليانز دون سفك دماء ، وكانت هذه عملية جريئة واستراتيجية انتزعت من الاتحاديين خط المسيسيبي الحيوي .

اما النتيجة الثانية فقد تم الحصول عليها بعد ذلك في } يوليو (تموز) في نقطة تقع على نفس النهر والى الشمال قليلا عندما بدأ الجنرال لي في التراجع من ميدان معركة جيتسبورغ واحتل جرانت بذلك مدينة فيكسبورغ مما أعطى قوات الشمال السيطرة التامة على هذا الشريان الحيوي . ووجد الجنوبيسون انفسهم في معزل تام عن مصادر نجداتهم التي تمدهم بالرجال والمتاد وكانت تقع على ضفاف النهر اليمنى .

ثم وقعت في فبراير ومارس (شباط وآذار) من عام ١٨٦٣ اربع محاولات فاشلة للوصول الى الهدف بمناورات التفاف محدودة المدى، وفي ابريل (نيسان) قام جرانت بهجوم غير مباشر حقيقي يذكرنا بمناورة وولف النهائية امام كيبيك بما فيها من شجاعة وجرأة ، وذلك عندما اخترق قسم من اسطول الشماليين المحمل بالجنود مواقع بطاريات فيكسبورغ ليلا دون ان يحتل المدينة واتجه الى مكان يقع على بعد ٣٠ ميلا جنوبي المدينة ، بينما تابع قلب الجيوش البرية زحفه على ضفة نهر المسيسيبي الغربية ، ثم عبر الى الضفة الشرقية دون مقاومسسة

تحت تفطية عمليات المساغلة التي قام بها شيرمان في الشمال الشرقي مسسن فيكسبورغ . ولما اجتمع شيرمان مع جرانت قرر الاخير القيام بمخاطرة كادت تعزله عن قاعدته المؤقتة فسار نحو الشمال الشرقي ودخل ارض العلو والدفع في اتجاه مؤخرة فيكسبورغ ، ثم تمركز على خطوط مواصلاتها مع ولايات الاتحاد الرئيسية في الشرق . فرسم بمناورته هذه دائرة كاملة تقريبا ابتداء من نقطة انطلاقه. وبدأ تقدمه الدفاعا بين فكي كماشة العدو المتجمع في مدينتي قيكسبورغ وجاكسون التي تقع على يعد . } ميلا الى الشرق (كاتت جاكسون نقطة تجميع الخطوط الحديدية القادمة من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب) ولكنه كان ينبغي بعمله هذا احباط عمل الكماشة .

وهنا لا بد لنا من ان نذكر ان وصول جرانت الى هذا الخط الحديدي دفعه الى التفكير في ضرورة دفع كل جيشه في بادىء الامر تحو الشرق بقصد ارغام العدو على اخلاء جاكسون ، وهذا يدل على تأثير تطور السكة الحديدية عليه المهطيات الاستراتيجية . ولو كان تابليون مكان جرانت لاستخدم خطا طبيعيسا كنهر او سلسلة هضاب واقام عليه سدا استراتيجيا ، ولكن جرانت اقام هذا السد في نقطة واحدة هي نقطة تجمع السكك الحديدية . ولما سيطر على هذه النقطة غير اتجاهه وسار نحو فيكسبورغ التي تم عزلها وسقطت بعد ٧ اسابيع ونجم عن ذلك ان اصبح الباب الاستراتيجي مفتوحا حتى جورجيا مخزن تمويس الاتحاديين ، ومنها نحو بقية ولابات الشرق .

مند ذلك الوقت اصبحت قوات الاتحاديين معرضة للهزيمة ، ولكن الشماليين اضاعوا فرصة ذهبية للانتصار عندما ظهر عليهم التعب في عام ١٨٦٤ بسبب تأثرهم معنويا بعد ان طالت مدة الحرب . وكانت عودة الجنود متعبين مسسن الحرب تزيد من عدد الراغبين في السلام ، ولكن اقتراب موعد انتخابات الرئاسة التي كان من المقرر ان تجري في نوفمبر (تشرين الثاني) ورغبة انصار لنكولن في الحصول على بشائر النصر حتى لا ينجح مرشح آخر ينادي بسلم مشروط، دفعهم الى استدعاء جرانت من الغرب وتعبينه قائدا عاما . فكيف حصل جرانت على النصر في هذا الوقت القصير لا لقد حصل عليه باستخدام الاستراتيجية التي يطبقها خيرة العسكريين ، والتي تقوم على استخدام التفوق في الامكانيات لسحق يطبقها خيرة الهاكه «بضربات متلاحقة» ولقد رأينا كيف طبق في فيكسبورغ الهجوم غير المباشر بعد فشل مجموعة من عمليات الهجوم المباشر المتالية . ولقد نجح في هذا العمل بمهارة وشجاعة . ولكن الدرس الذي استفاده من هسفه المركة لم يؤثر كثيرا على تفكيره .

وعندما اصبح جرانت قائدا عاما عاد الى طبيعته ، وقرر العمل حسب الخطة القديمة والقيام بهجوم مباشر بري في اتجاه الجنوب ابتداء من راياهانوك حتى ريتشموند . وكان هدفه في هذه المرة مختلفا لانه كان موجها نحو جيشي العدو وليس نحو عاصمته . واعطى مرؤوسه الجنرال ميد الامر «بالذهاب الى حيث يوجد الجنرال لي» وهكذا قام جرانت بهجوم مباشر ولكنه لم يكن هجوما جبهيا ،

لانه كان يحاول دائما الالتفاف على جناح خصمه ، حتى لو كانت المناورة على مستوى صغير . كما كان يحترم كل المبادىء العسكرية ويحتفظ بجيشه متجمعا، ولا ينحرف عن هدفه ويغير اتجاهه لمتابعة اهداف جانبية . وكانت «رغبته في النصر» كبيرة لدرجة تفوق رغبة المارشال فوش . والعسكريون الذين طبقسوا طريقته خلال حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ حسدوه ولا شك على ثقة رؤسائه بسبه ومساندتهم له . ومن النادر توفر ظروف ملائمة كهذه لتطبيق استراتيجية الهجوم التقليدية .

ومما يدعو الى السخرية ان جرانت قاد جنوده المتفوقين عدديا بكل حماسة، ثم تناقص عدد رجاله بشكل مربع بعد المعارك الطاحنة دون أن يتمكن من سحق العدو او الوصول لنتبجة حاسمة . بينما جاءت الثمرة الرئيسية والمكاسب الجفرافية التي تم الحصول عليها من العمليات قرب وحول ريتشموند كنتيجة لمناورات تمت دون سفك دماء . وهكذا قنع جرانت في النهاية بنتيجة متواضعة هي العودة الى المواقع التي كان ماك كليلان قد احتلها في عام ١٨٦٢ بعد أن تكبد خسائز فادحة . وجاء الإنقاذ على بد شيرمان الذي حل محل جرانت في قيادة القوات بالفرب بعد أن استلم جرانت مهمة القائد العام ، وكانت أهدا فهمسسا متناقضة ، اذ كان هدف جرانت الرئيسي هو جيش العدو بينما كانت طريقة شيرمان مبنية على تهديد النقاط الاستراتيجية بشكل يرغم العدو على كشسف نفسه عند محاولة تغطية هذه النقاط ، او يضطره الى اخلائها للمحافظة علسى قواه . وكان لشيرمان دائما هدفان متناوبان ، يحتل واحدا منهما فقط اثنـــاء التنفيذ لتنفتح امامه اتجاهات ومجالات وأهداف آخرى . وكانت اتلانتا قاعدة جيش العدو فهي نقطة التقاء اربعة خطوط حديدية هامة ، كما أنها مستودع تموين حيوي وهي مملوءة بأفران صهر الحديد ومعامل الاسلحة علاوة على أنها رميز معنوي کبير .

ومهما اختلفت النظريات حول اهداف جرانت وشيرمان فان هدف شيرمان كان اقرب للنفسية الديمو قراطية واكثر توافقا معها . اذ لا يستطيع اعتبار «القوى المحاربة» المعادية هدفا عسكريا الا قائد يتمتع بالسلطة المطلقة ، والمركز الوطيد ، وهو قد يستطيع حينئذ ان يتصرف بذكاء وحكمة ، ويطابق بين الهدف وحقيقة الموقف بعد ان يكون قد وزن امكانيات تحقيق الهدف . ولكن الرجل العسكري الذي يعمل في خدمة الدولة الديموقراطية لا يملك مثل هذه الجرية لاعتمساده على تأييد وثقة رؤسائه ، ويظل عمله ضمن حدود زمنية رمادية اضيق من الحدود المتاجة للرجل العسكري «المطلق التصرف» ، كما انه يكون اكثر تعجلا للحصول على النتائج بسرعة . وهو لا يستطيع تأخير اعلان مكاسبه الحقيقية مهما كانت على الاهداف المطلوبة ، كما انه يضطر احيانا الى الابتعاد فترة ما عن هدفه الاولي او على الاقل اظهاره بشكل آخر ، مع تبديل خط العمليات . واننا لنتساءل امام الحقيقة التي لا يمكن تجنبها الا ينبغي ان تكون النظرية العسكرية آقوى بنيانا هذه الحقيقة التي لا يمكن تجنبها الا ينبغي ان تكون النظرية العسكرية آقوى بنيانا

بحيث تستطيع الملاءمة بين هدفها وبين الواقع الاليم ؟ ان جهدها العسكري يعتمد على القاعدة الشعبية ، ويتوقف دعمها بالرجال لمتابعة القتال على ارادة رجسل الشارع ، ويستطيع الرجل العسكري ان يحصل على ما يريد اذا استطاع ان يقنع الشعب بالموافقة على خططه العسكرية .

ومما يزيد قيمة مبدأ الاقتصاد في القوى الذي طبقه شيرمان بفضل المناورة مقارنته بمناورة جرانت العقيمة في فيرجينيا وملاحظة ارتباطها عمليا بالخسط الحديدي في عمليات التموين . ولم يشتبك شيرمان في هجوم مباشر ، بل قطع نفسه عن خطوط مواصلاته لمدة محدودة وعمل مناورة مدتها ثلاثة اسابيع لم يقم خلالها الا بهجوم جبهي واحد في جبل كينساو ، بعد ان اضطر للقيام به ليوفر بهزيمة خفف من نتائجها توقفه عن الهجوم عند ظهور اول بادرة من بــــوادر الفشيل . ولقد زحف خلال مناورته ١٣٠ ميلا في منطقة جبلية كثيرة الانهار ، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي زج فيها برجاله في معركة هجومية ، لانه كان يستعيض عن الهجوم بالمناورة الماهرة التي خدعت الاتحاديين عدة مرات ودفعتهم الى القيام بهجمات فاشلة كثيرة الخسائر ، خاصة وأن حركات شيرمان الهجومية كانت متوافقة دائما مع اسلوب جيد في بناء التحصينات الميدانية بسرعة . وكان كل فشيل بصاب به خصومه بعني بالنسبة له ربحا استراتيجيا جديدا متمثلا في احتلال نقطة هامة . وهكذا فان ارغام عدو مشغول بالدفاع الاسترانيجي على على القيام بسلسلة هجمات تكتيكية فادحة التكاليسسف يعتبر نموذجا رائعا للفسين الاستراتيجي النادر المثال . ويزيد من اهمية هذا المثال أن شيرمان كان يعتمد على خط مواصلات واحد . وإذا ما نظرنا إلى هذا العمل من الوجهة العسبكرية البحتة ، ولم ندخل في حسابنا نتائجة المعنوية والاقتصادية الهامة ، وجدنا انه تعتبر نصرا كبيرا لانه سبب للعدو خسائر اكبر من الخسائر التي تحملها شيرمان. بعد احتلال اتلانتا قام شيرمان بمغامرة اكبر أثارت انتقاد كثير من المعلقين المسكريين ، لقد فكر في أن تدمير شبكة السكك الحديدية في جورجيا (مستودع حبوب الجنوب) واختراق كارولينا قلب الجنوب يؤديان الى ضغط معنوى كبير ، والى وقف التموين المتجه نحو ريتشموند في الشمال وجيش لى الاتحادي في الجنوب مما يسبب حتما انهيار مقاومة الاتحاديين .

وهكذا تجاهل جيش هود الذي انسحب من اتلانتا ، وقام بزحفه المشهور نحو البحر عبر جورجيا متمونا من المدن الواقعة على طريقه ، ومدمرا السكك الحديدية التي تصادفه ، لقد ترك اتلانتا في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٦٤ ووصل الى سافانا في ١٠ ديسمبر (كانون اول) حيث اعاد تنظيم مواصلاته بحرا. وهنا يجدر بنا ان نذكر حكم المؤرخ الاتحادي الجنرال الكسندر الذي كتب « لا يمكن الشك في ان التأثير المعنوي لهذا الزحف عبر كل البلاد ... كان اكبر من تأثير أي انتصار .» ثم توجه شيرمان نحو الشمال عبر كارولينا متجها نحسو مؤخرات الجنرال لي وحرم الاتحاديين من الموانىء الرئيسية الباقية لهم .

ان الاساليب التي استخدمها شيرمان في عملياته تستحق دراسة عميقة . لانه عزل نفسه عن قواعده عند تقدمه عبر كارولينا ، كمسل استغنى عن جميسع التجهيزات الزائدة حتى غدا جيشه قوة سريعة الحركة مؤلفة من وحدات خفيفة تعدادها ٦٠ الف رجل . وكانت فيالقه الاربعة مستقلة عن بعضها وتعمل معها مفارز من الخيالة التي تقوم بأعمال الاستطلاع والتدمير وبث الذعر وتسير كشتارة المام جبهة التقدم وعلى مجنبات الوحدات .

وبالإضافة الى ذلك فقد ادخل شيرمان اثناء التقدم تحسينات في طريقت الاستراتيجية، ذلك أنه لم يكن قد نسي الضرر الذي لحقه في معركة اتلانتا من جراء توجهه نحو هدف جفرافي واحد الامر الذي سهل مهمة خصمه التي اقتصرت على وقف تهديد واحد ، ولقد تدارك شيرمان فيما بعد هذا النقص بعبقريته واوقع الخصم في شك دائم ، ولقد اختار شيرمان بالفعل خط هجوم يضع الاتحاديين دائما في شك وحيرة ، كالخط المؤدي الى كل من ماكون او اوغوستا على أن يتم الاختيار بين الهدفين خلال التنفيذ ، لقد كان له دائما هدف مفضل ، ولكنه كان قادرا على التوجه نحو الهدف الآخر اذا تطلب الوقف ذلك ، وهكذا استطاع بغضل اتجاهه المخادع القاء الحيرة في نفوس اعدائه بحيث لم يضطر مرة واحدة الى التخلى عن هدفه الاصلى .

ولقد برهن شيرمان بزحفه عبر جورجيا كيف يمكن تحريك الجيش بسهولة وجعله خفيفا الى اقصى درجة . وحاول اثناء تقدمه في بادىء الامر نحو الشمال عبر كارولينا ان يقلب جيشه الى «آلة متحركة حسب الطلب ، وقادرة علي الانطلاق في طرفة عين والعيش على أقل الوجبات» . ورغم حلول الشتاء فان الجنود وضباطهم كانوا قادرين على الاقامة تحت قطع من القماش ممدودة فسوق اعمدة او أقواس خشبية بعد الاستغناء عن الخيام ومهمات المسكرات .

ثم اخذ شيرمان اتجاها جديدا سبب حيرة الاعداء بين هدفين محتملين ، فلم يستطيعوا اتخاذ قرار لتغطية مدينتي اوغوستا او شارلستون ، وانتهى بهم الامر الى توزيع قواتهم ، ولكنه تجاهل كلتا المدينتين وتوغل بينهما نحو كولومبيا عاصمة كارولينا الشمالية ومركز افضل قواعد تموين الجنرال لي ، وزادت شكوك الاتحاديين واصبحوا عاجرين عن مهرفة هدفه الحقيقي ، اهو شارلوت ام فاييت فيل ، ولما ترك فاييت فيل وقعوا في حيرة بين هدفين آخريسين هما راليبت وجولدسبورو ، وكان شيرمان نفسه يفكر في الاختيار بين هدفين هما جوليد سبورو وويلمنغتون .

لذا يمكننا اعتبار التأثيرات المعنوية والمادية لاختيار محور هجوم مفاجييء تفسيرا معقولا لتقدمه بدون توقف مسافة ٢٥ ميلا في منطقة مليئة بالحواجز الطبيعية كالانهار والمستنقعات ، وضد عدو لديه الامكانيات الكافية للقيام بمقاومة جدية . وجاءت مرونة شيرمان نتساعده على تنويع اختيار الهدف وجعلت تقدمه لا يقاوم . ولقد كان يتقدم على جبهة عريضة غير منتظمة بقوات مؤلفة من اربعة

الى ستة ارتال يغطى كل واحد منها ستارة من مفارز الخيالة للاستطلط والتخريب وبث الذعر . فاذا ما توقف احد أرتاله كان الثاني قادرا على متابعة السير الى الامام . وكانت اساليب عمل أرتاله ونتائج تقدمها مشابهة لعملسل القوات المدرعة التي اجتاحت فرنسا في عام .١٩٤ . وكانت الوحدات المعادية تضطرب وتفقد توازنها وتتحطم معنوباتها فتنسحب قبل وقوع اي ضغط مادي. واصبحت الافكار مشغولة بمناورة شيرمان لدرجة دفعت الاعداء الى التفكير في القتال التراجعي بمجرد تمركزهم على مواقعهم الدفاعية . لقد كانت الثقة قادرة على كسب نصف المعركة ، كما كان تحطيم ثقة العدو قادرا على اكتساب اكثر من النصف ، لان ثعراته تأتي بدون معركة . وكان شيرمان اهلا لان يقول كما قال ناطيون في النمسا : «لقد دمرنا العدو بمجرد تقدمنا» .

في ٢٢ مارس (آذار) وصل شيرمان الى جولد سبورو جيث اتصل مع جيش شوفيلد وتمون واستعد للمرحلة النهائية المؤدية الى اشتباكه مع الجنرال لي اللهي بقي في ريتشموند حتى ذلك الوقت ، ولم يتابع جرانت زحفه الا في بداية ابريل (نيسان) وحصل آنذاك على نصر كبير ، وسقطت مدينة ريتشموند تسم اعقبتها هزيمة جيش لي بعد اقل من اسبوع واحد ، فاذا ما نظرنا الى هده الانتصارات نظرة سطحية رايناها تؤيد استراتيجية جرانت المباشرة وهدفه في البحث عن «المعركة» ولكن النظرة العميقة تدلنا على ان انهيار الاتحاديين امسام جرانت يعود الى خواء بطونهم وتأثير ذلك على روحهم المعنوية ، والى الاخبسار السيئة التي كانت تنهال عليهم من عائلاتهم حتى ان جرانت كتب قبل وصسول شيرمان الى جولد سبورو : «لقد فقد جيش لي الان معنوياته ويمكن الان تحطيمه بسهولة » .

وكان الهجوم غير المباشر على مؤخرات العدو الاقتصادية والمعنوية حاسما في المرحلة الاخيرة ، كما كان حاسما من قبل في مختلف المراحل المتعاقبة التي ادت الى تحقيق النصر في مناطق الغرب .

وتبدو هذه الحقيقة بوضوح لكل من يدرس تلك الحرب بعمق وفطنة . ولقد توصل الحنرال ادموندز الى الاستنتاج التالي في نهاية كتابه عن تاريخ الحرب الاهلية الامريكية «لقد كانت عبقرية القادة الاتحاديين العسكرية مثل في وجاكسون، وقدرة جيش فرجينيا الشمالية على القتال ، وتقارب العواصم المتعادية اسبابا رئيسية في جذب الانظار نحو حقل العمليات الشرقي . ولكن الضربات الحاسمة تمت في الغرب ، ان احتلال فيكسبورغ وبورت هدسون في يوليو (تموز) ١٨٦٣ كان نقطة تحول هامة في الحرب ، كما أدت عمليات شيرمان في الغرب السيى انهيار الاتحاديين واستسلام الجنرال لي في الشرق» .

ممارك مولتكه:

هناك اختلاف متعدد النواحي بين الحرب الاهلية الامريكيسة وبين الحربين الاوربيتين اللتين وقعتا بعدها مباشرة .

ويعود الاختلاف الاول الى استعداد كلا المسكرين في عام ١٨٦٦ وفي عام ١٨٧٠ للقيام بالحرب على الاقل على الورق .

كما يعود الاختلاف الثاني الى ان القوات المتحاربة في أوربا كانت نظاميسة محترفة . اما الاختلاف الثالث فهو ارتكاب القيادة العليا الكلا المسكرين اخطاء فاحشة تفوق ما وقع في الحرب الاهلية الامريكية . ويعود الاختلاف الرابع الى فقدان عنصري المهارة والفن في الاستراتيجية الالمانية خلل هاتين الحربين . والاختلاف الخامس والاخير هو الحصول على نتائج سريعة رغم كل هذه العيوب.

كانت استراتيجية القائد الالماني مولتكه عبارة عن هجوم مباشر مع بعسض الخدع . وكان يعتمد على عامل الصدمة الناجم عن تجميع قوى متفوقة . فهل يمكن اعتبار هاتين الحربين بمثابة استثناء يؤيد القاعدة ؟ لقد كانتا غريبتين فعلا ولكنهما لا تؤثران على القاعدة التي حصلنا عليها بعد سلسلة طويلة من دراسسة الحالات الواقعية . اذ ليس في هذه الحالات حالة واحدة اجتمع فيها ضعسف الافكار مع ضعف الامكانيات لدى المغلوب بهذه الصسورة التي أثرت علسى ميزان القوى .

في عام ١٨٦٦ كانت امكانيات النمساويين ضعيفة نظيرا لسوء تسليحهم . وكان البروسيون يملكون بندقية ذات مغلاق للتلقيم تمتاز عن البندقية النمساوية التي يتم تلقيمها من الفوهة . وبدا هذا التفوق بكل وضوح في حقل المركة رغم المحاولات التي تمت بعد ذلك للاقلال من قيمته . وفي عام ١٨٧٠ كان ضعيف الفرنسيين ناتجا عن قلة تعدادهم وضعف تدريبهم المسكري .

أن هذه المعطيات كافية لتفسير هزيمة النمساويين النكراء في عسام ١٨٦٦ وهزيمة الفرنسيين في عام ١٨٧٠ وليس في العالم رجل عسكري استراتيجي واحد يستعد للحرب ويبني مخططاته مفترضا ضعف العدو ماديا وفكريا كما كان النمساويون في عام ١٨٦٦ والفرنسيون في عام ١٨٧٠ و

كما ان الاستراتيجية الالمانية المباشرة في بدايتها انقلبت اثناء التنفيسية واصبحت غير مباشرة نسبيا ، واظهرت قدرا كبيرا من المرونة ، ونجحت فسي تحقيق النصر ، ولكن بعض الاستنتاجات السطحية عزت النصر بعد ١٨٧٠ للهجوم المباشر ولم تر الحقيقة السافرة ، وامتد الخطأ بعد ذلك حتى سبطر على الحرب الروسية اليابانية .

الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ :

كان القادة اليابانيون يقلدون القادة الالملان ولهذا جاءت استراتيجيتهم على

شكل استرانيجية هجوم مباشر ، ولا نجد فيها محاولة فعلية للافادة من اعتماد اعدائهم الروس على خط حديدي واحد يسير عبر سيبريا . لقسد كان الجيش الروسي يتنفس بقصبة طويلة ضيقة بشكل لم يعرفه التاريخ العسكري من قبل، وزادت ابعاد روسيا الشاسعة من صعوبة هذا التنفس ، ولكن الاستراتيجيين اليابانيين تجاهلوا هذا ووجهوا ضرباتهم مباشرة نحو الجيش الروسي وجمعسوآ قواتهم في جبهة أضيق من جبهة مولتكه في عام ١٨٧٠ . وحاولوا مع ذلك احيانا القيام بهجوم من جهات مختلفة للالتقاء في نقطة واحدة قبل لياو ـ يانغ. كما حاولوا بعد شن الهجوم القيام بعدة عمليات التفاف حول الروس . ولكسن مناورات الالتفاف هذه كانت كبيرة على الخريطة وضيقة جدا اذا ما نظرنا اليها على مسنوى الجيوش . ولم يكن اليابانيون يملكون جيشا مستقلا كما كان يملك مولتكه ، كما لم توفر لهم الظروف طعما غير متوقع مثل ميتز ، أو قائدا يبتلع الطعم كما ابتلمه ماكماهون (لانهم ابتلعوا طعمهم بأنفسهم عندما احتلسسوا بورت آرثور) . كان القادة اليابانيون يحلمون بالقيام بمعركة تشبه معركة سيدان . ولكنهم قاموا بدلا من ذلك بمجموعة من المعارك الدامية غير الحاسمة . وكانت النتيجة انهاك جيوشهم بعد المعركة الاخيرة غير الحاسمة في موكدن لدرجة دفعتهم الى توقيع الصلح مع عدو لا يرغب في القتال ، ولم يدفع في المعركة حتى ذلك الوقت سوى عشر قواته .

اذا نظرنا للمعلومات العسكرية نظرة عامة نجد ان التأمل والتفكير ينطويان على فائدة كبيرة في معظم الاحيان . ولهذا فاننا اذا ابتعدنا قليلا عن خط هذا الكتاب، وجدنا شبها كبيرا بين بورت آرثور ومانتوا مع الاخذ بعين الاعتبار العقبات التي واجهها اليابانيون بسبب ضعف مواصلاته وصعوبة الاراضي في كوريا ومنشوريا . ومع الاعتراف بأن الظروف كانت قاسية بالنسبة نهم في بعض الاحوال فانها كانت طيبة في احوال اخرى ، وكان جهازهم الحربي افضل وأكثر إعدادا . وهذا يدفعنا الى التساؤل باستغراب لماذا لم تقم الاستراتيجية اليابانية باستخدام طعم بورت آرثور في المرحلة الاولى للحرب كما فعل بونابرت في مانتوا ! ولماذا لم تقطع قصبة تنفس الجيش الروسي التي تربسط بين خاربين وموكدن ؟

الفضلالعتاشِر

استنتاجات مستنبطة من دراسة خمسة وعشرين قرناً

لقد تناولت هذه الدراسة الـ ١٢ حربا التي أثرت على سير التاريخ الاوربسي القديم بشكل حاسم . كما تناولت الـ ١٨ حربا رئيسية في التاريخ الحديث حتى عام ١٩١٤ وقد اعتبرت كل القتال الذي دار ضد نابليون بعثابة حرب واحدة ، هذا القتال الذي لم يكن يهدا في مكان الا ليبدا من جديد بصورة اعنف في مكان آخر . وتشمل هذه الحروب الثلاثين اكثر من ١٨٠ حملة ، تم في ستة منها فقط النصر الحاسم بتطبيق مخطط استراتيجي يعتمد على الهجوم المباشر ضد جيش العدو الرئيسي في معارك ايسوس وغوغامل وفريدلاند وفاغرام وسادوفا وسيدان . كما أن زحف الاسكندر المقدوني في الحملتين الاولى والثانية كان قد العد على اساس الهجوم غير المباشر على مستوى الاستراتيجية العليا فمهد بذلك الى تدمير ثقة الفرس وحلفائهم بانفسهم . وفضلا عن ذلك فان النجاح في ميدان المركة كان مضمونا نتيجة امتلاك جهاز حربي تكتيكي ذي قدرة عالية واستخدم في هجوم غير مباشر تكتيكي او فني .

مباشر ، ثم تركها واستخدم الهجوم المباشر لنفاد صبره واعتماده على تفوق جهازه الحربي المبني على استخدام المدفعية بكثافة وتركيز النيران على نقطة حساسسة رئيسية . وجاء النصر في فريدلاند وفاغرام كثمرة لهذه الطريقة التكتيكيسسة الجديدة . ولكن ثمن هذين الانتصارين وتأثيرهما السيء على مصيير نابليون لا يشجع على استخدام هذه الطريقة المباشرة حتى بعد الحصول على نفوق تكتيكي مشابه .

وفي معركتي سادوفا وسيدان كان الهجوم مباشرا ولكنه تطور بشكل غسير ارادي واصبح هجوما غير مباشر زاد من تأثيراته تفوق التكتيك البروسي بغضسل البندقية ذات المغلاق في سادوفا ومزايا المدفعية في سيدان .

ان تحليل هذه الحملات الست لا يبرر مطلقا استخدام الطريقة المباشرة في الاستراتيجية ، هذا مع ان استخدام طريقة الهجوم المباشر خلال التاريخ كان اكثر حدوثا ، واستخدام الهجوم غير المباشر نادر الوقوع . ومن المفيد معرفة ان القادة لم يستخدموا الطريقة غير المباشرة كاستراتيجية اساسية بل كحل اخير لا مناص منه . ولقد اعطتهم هذه الطريقة الحل المناسب في الوقت الذي فشنل فيسه الهجوم المباشر ووضعهم في موقف ضعيف نسبيا ولا يساعد تعاما على تطبيسق الاستراتيجية غير المباشرة . والحصول على نجاح حاسم في مثل هذه الظروف غير المواتية يتسم اذن باهمية خاصة .

ولقد اظهرت الدراسة ان عددا كبيرا من المعارك تتصف بهجوم غير مباشر واضح وضوح نتائجها الحاسمة، ونذكر معارك ليزاندر (٥٠٤) ق.م) واببامينونداس في بلاد البيلوبونيز (٣٦٦ ق.م) وفيليب في بيوسيا (٣٣٨ ق.م) والاسكنسسدر المقدوني (٣٠٦ ق.م) ومعارك هانيبال عند ترازيمين ، وسيبيون في افريقيا في معركتي اوتيك وزاما ، ومعركة لييردا التي قام بها يوليوس قيصر ، كما نذكر في التاريخ الحديث معارك بريستون ودومبار ووورسيستر التي قام بها كرومويل ، ومعارك تورين في الالزاس ١٦٧٤ – ١٦٧٥ ، ومعركة الامير اوجين في ايطاليسا عام ١٧٠١ ومعركة الفلاندر التي قام بها مارلبورو في ١٧٠٨ وفيلار في ١٧١١ ومعركة كيبيك التي قام بها وولف ، ومعركتي الموزيل والرين اللتين قام بهمسا الارشيدوق شارل في عام ١٧٩١ ومعارك بونابرت في ايطاليا ١٧٩٦ – ١٧٩٧ – ١٧٩٠ ومعركة شيرمان في اتلانتا ، كما كشغت الدراسة عددا لا يحصسى من المعارك ومعركة التي كانت فيها صفتا الحسم والهجوم غير المباشر اقل وضوحا ،

ان هذا العدد الكبير من المعارك الحاسمة التي تتميز بقلة حالات الهجسوم المباشر فيها يؤيد استنتاجنا بأن الهجوم غير المباشر هو الشكل الاستراتيجسي الافضل للوصول الى الهدف .

ونستطيع الان استنباط استنتاجات اكثر دقة من دراسة التاريخ ومنها أن القادة الذين كان النصر معقودا بلوائهم ، باستثناء الاسكندر المقدوني ، لم يهاجموا ابدا بصورة مباشرة عدوا متحصنا في موقع قوي من الوجهة المادية او الطبيعية .

وعندما كانت الظروف ترغمهم على القيام بالهجوم فانهم كانوا يغشلون فشلام يشوه قائمة انتصاراتهم، والتاريخ يثبت أن القائد العظيم كان يترك الهجوم المباشر ليسلك سبيل الهجوم غير المباشر مهما بلغت خطورته حتى لو اضطره الامر الى اجتياز الجبال أو الصحاري أو المستنقمات ، مستخدما جانبا صغيرا من قوات فقط ، وعازلا نفسه أذا لزم الامر عن خطوط مواصلاته ، لقد كان يفضل مجابهة الظروف الطبيعية القاسية عن التعرض لخطر الفشل الكامن في كل هجوم مباشر ، أن مفاجآت الطبيعية أقل خطرا وتقلبا من مفاجآت القتال ، والمعطيات الطبيعية كلها يمكن حسابها ، واجتياز الحواجز الطبيعية أسهل من التفلب على حدود المقاومة البشرية لان الاعداد والتخطيط الجيدين يساعدان على اجتياز هذه الحواجز في اللحظة المحددة ، وقد استطاع نابليون في عام ١٨٠٠ اجتياز جبال الالب حسب المخطط الموضوع ، ولكن مقاومة حصن بارد الصغير عرقلت جديا حركة جيشه ووضعت مخططه بكامله في كف القدر .

واذا نظرنا الى الموضوع من زاوية آخرى ، وفحصنا كل معركة حاسمة في التاريخ لوجدنا ان المنتصر جذب خصمه في معظمها ووضعه في موقف يضعف روحه المعنوية قبل الدخول في المعركة . وهذا ما حدث في ماراتون وسالامين وأيغوس بوتاموس وماتتينيه وكيرونه وغوغامل (على مستوى الاستراتيجية العليا) وايداسب وايبسوسي وترازيين وكان وزاما وتريكاميرون وتاجيناي وهاستينفر وبريستون ودومبار ووورسيستر وبلنهايم واودونارد ودونان وكيبيك وفلوروس وريفولي واوسترليتز ويبنا وفيكسبورغ وسادوفا وسيدان .

فاذا ربطنا التحليل الاستراتيجي بالتحليل التكتيكي وجدنا ان معظم هـــذه الامثلة تدخل في احد الشكلين التاليين : اولهما يتعلق باستراتيجية دفاع مون وتراجع مدروس يتوج بهجوم تكتيكي ، وثانيهما يتعلق باستراتيجية هجوميـــة تهدف الى اتخاذ موضع يفقد الخصم توازنه وتتوج بدفاع تكتيكي «مع توجيــه ضربة الى المؤخرة» ، أن هاتين الصورتين هما من صور الهجـــوم غير المباشر واساسهما النفسي يمكن التعبير عنه بكلمتي «طعم» و«فخ» .

ويمكننا ان نقول بشكل اوسع واعمق من مفهوم كلوز فيتس ، بأن الدفاع هو شكل الاستراتيجية الاقوى والاكثر اقتصادا . ومع ان الشكل الثاني الناجم عن الاستراتيجية الهجومية يتصف بصورة عامة بصفة المناورة الهجومية فان لسبه هدفا مستورا هو دفع العدو الى القيام بحركة خاطئة لاستغلال قوتسه ذاتها ، كرافعة تساعد على سقوطه .

ان الهجوم غير المباشر في الاستراتيجية الهجومية عبارة عن حركة عسكرية وإدارية ضد هدف اقتصادي هو مركز تموين الدولة المعادية او مركز تمويسين جيشها . ولقد كان لبعض الحركات هدف نفسي بحت كما كان الحال في عمليات بيليزير ، ومهما كان الشكل المستخدم فان الهدف المنشود هو زعزعة افكيار ومواقع العدو وهذه النتيجة هي حجر الزاوية في استراتيجية الهجوم غيير المناشر .

وهناك استنتاج آخر ينبثق من دراستنا ويدعو الى التأمل والتفكير وهسو ضرورة تجميع القوى عند الاشتباك مع عدة دول او عدة جيوش ضد العسدو الاضعف بدلا من محاولة تدمير العدو الاقوى بدافع الفكرة القائلة بأن تدمير القوي يؤدى حتما الى انهيار الآخرين .

ويلاحظ في حربين من اهم الحروب في العصور القديمة ان هزيمة الفرس امام الاسكندر المقدوني وهزيمة قرطاجة امام سيبيون جاءتا بعد تدمير «جذورهم». ولم تخلق هذه الاستراتيجية العليا في الهجوم غير المباشر الامبراطوريتين المقدونية والرومانية فحسب ، ولكنها خلقت ايضيا فيما بعد الامبراطوريسية البريطانية ، كما قامت عليها قوة امبراطورية نابليون ، وقوة بناء الولايات المتحدة

الامرىكية بعد ذلك .

ان من المتعدر فهم استراتيجية الهجوم غير المباشر وتقديرها حق قدرها الا بعد دراسة تاريخ الحروب كله . ولكن يمكن تركيز الدراسات في مثالين بسيطين: الاول سلبي والثاني ايجابي . ويقول الاول ان ليس في التاريخ قائد له العدر في دفع قواته الى هجوم مباشر ضد عدو متمركز بشدة في مواضع معينة . ويقول الثاني انه يجب تدمير توازن العدو قبل القيام بالهجوم الحقيقي بدلا من القيسام بهذا الهجوم بقصد تدمير هذا التوازن .

ولقد أصاب لينين عندما قال : «ان افضل استراتيجية في الحرب تتمثل في تأجيل العمليات الى ان يسمح لنا تفكك العدو المعنوي بتوجيه الضربة القاضية اليه بسهولة» . وليس هذا الامر ممكنا دائما ، ولكن يمكن تعديله ليصبح كمسايلي : «ان افضل استراتيجية في الحرب تتمثل في تأجيل المعركة . وافضل تكتيك هو تأجيل الهجوم وذلك الى ان يسمح تفكك العدو المعنوي بتوجيه ضربة حاسمة له » .



القِسِمُ الثاني

الاستراتيمية خلال المرب العالمية الأولى

الفصلاكحا ديعشر

المخططات و نتائجها في مسرح العمليات الغربي في عام ١٩١٤

ان المخططات التي وضعت قبل الحرب العالمية الاولى يمكن ان تكون نقطة الطلاق لدراسة العمليات الحربية التي دارت في الجبهة الغربية . لقد كان طول الجبهة الغرنسية ـ الالمانية ٢٥٤ كيلومترا فقط ، ولم تكن هذه المسافة الصغيرة لتسمح للجيوش الكبيرة التي عبثت واعدت للحرب باجراء مناورات . وكانت نهاية الجبهة الجنوبية الغربية تستند الى سويسرة ، فاذا ما سرنا بحو الشميل واجتزنا مسافة صغيرة في المناطق المستوية قرب بيل فورت وجدناها تسير خلال من الحصون المستندة على مواقع ابينال وتول وفيردان لتصل الى حسدود من الحصون المستندة على مواقع ابينال وتول وفيردان لتصل الى حسدود لوكسومبورغ وبلجيكا . وكان المخطط الفرنسي الموضوع بعد كارثة عام ١٨٧٠ مبنيا على دفاع رئيسي يعتمد على حصون الحدود ويتحول في النهاية الى ضربة ماسمة ضد العدو . لذا انشأ الفرنسيون بناء على هذه الفكرة الاستراتيجية جهاز تحصينات كبير على طول الالزاس واللورين وتركوا فيه ثغرات (كثغرة شارم بهن تول وابينال) بقصد جذب اندفاع تيار الهجوم الالماني في اتجاه معين بشكل

يؤمن القيام بالضربة المضادة بشكل دقيق وفعال .

ولقد كان هذا المخطط ينطوي على نوع من الاستراتيجية غير المباشرة في نطاق الميادين التي توفرها جبهة القتال الضيقة ، كما كان يحترم بشدة حياد البلدد المجاورة .

ولكن ظهرت في السنوات العشر التي سبقت ١٩١٤ مدرسة جديدة يراسها العقيد الفرنسي دوغران ميزون وبدات بمناقشة ومهاجمة هذا المخطط لانه لا يتلاءم مع العقلية الفرنسية ، ويتضمن تجاهلا تاما تقريبا للفكسرة الهجومية . ووجد انصار الهجوم المتحمسين في جوفر الذي عين رئيسا لاركان الحسسرب الفرنسية في عام ١٩١٢ شخصية تناصر فكرتهم . فما أن وصلوا إلى مراكسن القيادة في الجيش الفرنسي حتى أهملوا المخطط القديم ، ووضعهوا المخطط المشهور رقم «۱۷» الذي لم يكن سوى استراتيجية مباشرة عادية بشكل هجوم عميق تقوم به «كل القوى مجتمعة» ضد مركز القوات الالمانية . وللقيام بهــــذا الهجوم الجبهي على طول الجبهة افترض الفرنسيون وجود تعادل في القوى مع عدو يعتمد على منطقة حدوده الحصينة بينما يحرم التوغل في العمق الفرنسيين من مزايا حدودهم وحصونهم . وكانت الناحية الوحيدة الذكية المتلائمة مـــع دروس التاريخ والعقل في هذا المخطط هي عدم مهاجمة حصن ميتز والاكتفاء بنثبيته ، على أن يتم الهجوم في اللورين إلى شماله وجنوبه . وكان على الجناح الايسر مد الهجوم ضمن اقليم اللوكسمبورغ البلجيكي اذا خسرق الالمان الارض المحايدة . وهكذا كان المخطط الفرنسي مستمدا من نظريات المفكر الالمانيي كلوزفيتس بينما كان المخطط الالماني يتشابه مع آراء نابليون وافكار هانيبال.

ولم يكن اشتراك الوحدات البريطانية في المخطط الفرنسي وليد الدراسة السابقة وانما جاء نتيجة «للفكرة الاوروبية» التي نشأت عند الانكليز خلل السنوات العشر التي سبقت الحرب ، ودفعتهم الى قبول القيام بدور «حلقة السنوات العشر التي سبقت الحرب ، ودفعتهم الى تبعلج الطريقة التي مارستها بريطانيا خلال تاريخها كله ، وهي الطريقة التي تعتمد على سرعة الحركة التي توفرها لها السيطرة البحرية ، وفي الاجتماع الحربي الذي عقد يوم اعلان الحرب اظهر جون فرينش قائد الحملة البريطانية شكا في المخطط وطلب الذهاب الدهاب الى انفرس لدعم مقاومة البلجيكيين وتهديد مؤخرة الجناح الايمن للجيوش الالمانية الى انفرس لدعم مقاومة البلجيكيين وتهديد مؤخرة الجناح الايمن للجيوش الالمانية الحربية تعهد بأن تعمل القيادة البريطانية العامة دائما بالتعاون المباشر مسع الفرنسيين ، وهكذا ادت الاتفاقيات العسكرية التي استمرت من عام ١٩٠٥ الى البريطانية التقليدية المطبقة خلال عدة قرون ،

ولكن اضطر الجميع امام الامر الواقع الى رفض فكرة فرينش وتجاهل رغبة هيج الذي كان يود تأخير انزال القوات البريطانية من السفن حتى يصبع الموقف اكثر وضوحا . كما لم يؤخذ في الاعتبار اقتراح كيتشنر بعدم تجميع القسوات

البريطانية في مكان قريب من الجبهة .

وساعد المخطط الفرنسي الجديد المخطط الالماني الاساسي الذي وضعب شليفن في عام ١٩٠٥ على طريقة هجوم غير مباشر حقيقي ، ولم يجد الالمام المام السد الفرنسي المنيع القائم على طول الجبهة المحصنة سوى حل وحيسد منطقي هو الاستدارة حول الحاجز باجتياز بلجيكا ، واختار شليفن هذا السبيل وقرر القيام بحركة التفاف واسعة ما امكن ، ولكن القيادة الفرنسية لم تدرك ذلك وظلت تفترض حتى عندما اجتاح الالمان بلجيكا في شهسر اغسطس ١٩١٤ ان الجيوش الالمانية ستسلك السبيل الاقصر شرقي نهر الموز وتزحف في جبهة اضيسق .

كان مخطط شليفن يقضي بتركيز الجزء الاكبر من القوات الالمانية عند جناحها الايمن الذي كان عليه ان يجتاز بلجيكا وشمال فرنسا بسرعة ثم يبدل اتجاهسه وينحرف نحو الشرق قليلا . على ان يقوم الطرف الايمن لهذا الجناح باجتيساز نهر السين قرب روان ، ويتجه الى الجنوب تحو باريس ويدفع الفرنسيين اماسه في اتجاه نهر الموزيل ويحصرهم ويوجه اليهم الضربات المتلاحقة وهم محصورون بين الحدود السويسرية وحدود اللورين .

ان قيمة هذا المخطط الحقيقية مبنية على القيام بهجوم غير مباشر لا يعتمد على الحركة الجغرافية مثل اعتماده على فكرة توزيع القوى . ولقسسد تم تأمين المفاجأة الاساسية باضافة وحدات احتياطية الى التشكيلات الفعلية لانشاء الكتلة الهجومية الرئيسية . وكان لدى الالمان اتذاك ٧٢ فرقة وضع المخطط منها ٥٣ فرقة في اتجاه الجهد الرئيسي للصدمة بينما وضع ١٠ فرق في مركز الحركة المام فيروان و٩ فرق فقط على الجناح الايسر المام الجبهة الفرنسية . ولقد تسم اضعاف الجناح الايمن وتشجيع الفرنسيين على دفع الجناح الايسر الالماني بعنف في اللورين في اتجاه نهر الرين بحيث يتعدر عليهم التدخل لمنع التقدم ، حتى يصبح الوضع كباب يدور حول محور ، اذا دفع الفرنسيون جناحا دار الجناح الآخر وضربهم في ظهرهم ، وتزداد شدة الضربة كلما زادت قوة الدفع .

أدى كبر تعداد القوات المشتركة في القتال وصغر المساحة المستخدمة الى جعل مناورة شليفن عبر بلجيكا من الناحية الجغرافية هجوما غير مباشر نسبيا اما من الناحية النفسية فان تجميع قواته ضد جناح العدو الايسر قلب هسدا التقرب الى هجوم غير مباشر تماما . وجاء المخطط الفرنسي مساعدا للمخطط الالماني على الوصول الى ذروة المثالية ، لانهم لم ينتظروا احدا ليجذبهم الى الفخ بل اندفعوا اليه بمحض ارادتهم ، ولكن مخطط شليفن لم يطبق بحدافسيره لان القائد مولتكه الشاب عدله وافقده قوته اثناء التحضيرات التي سبقت الحرب ثم اهمله بالتدريج خلال التنفيذ .

قام مولتكه في الفترة الواقعة بين ١٩٠٥ و١٩١٤ بدعسه الجناح الايسر باستمرار بقوات جديدة ، فافقد التوزيع المقرر سابقا كل معناه وجعل حسسط الخطط في النجاح ضعيفا ، ثم واصل بعد ذلك تهديم قواعده حتسسى سبب أنهياره .

عندما انطلق الهجوم الفرنسي في اغسطس (آب) ١٩١٤ فكر مولتكه في الرد على التحدي بشكل مباشر والبحث عن النصر في اللورين مؤخرا بدليك حركة جناحه الايمن الالتفافية ، ولم تعط هذه المحاولة نتيجة رغم زج ست فرق مشكلة حديثا ومعدة لتقوية الجناح الايمن . وادت هذه القوة الجديدة الى دفع القادة الالمان في اللورين الى الشعور بالغرور وتجاهل مهمتهم الاساسية ، وبدلا من ان ينسحب الجناح الايسر ويجذب الفرنسيين الى مدى ابعد قانه توقيف واستعد للاشتباك في المهركة ، ولما رأى تأخر الهجوم الفرنسي اتفق مع القوات المجاورة له على المباداة بالهجوم ، وكان الجيشان الالمانيان يضمان ٢٥ فرقية مقابل ١٩ فرقة فرنسية ، واضعف من قيمة هذا التقوق العددي وضع الالمان الاستراتيجي السيء فلم يؤد رد الفعل الى نصر حاسم ، واقتصر على دفيي الفرنسيين الى مواضعهم المحصنة مما زاد مقاومتهم وجعلهم قادرين على ارسال وحدات الى الغرب للاشتراك في معركة المارن .

وهكذا أنسد نشاط الالمان في اللورين مخطط شليفن اكثر مما أنسسده الاقلال المستمر لدور الجناح الايمن وتعداده ، مع أن الانهيار جاء على هسلا الجناح رغم أنه أضعف بشدة بمختلف السبل ، كنقل ست فرق الى اللوريسين وسحب سبع فرق أخرى لاحتلال بعض المدن ، ثم سحب أربع فرق لدعم الجبهة في بروسيا الشرقية . وعندما تقدم جيش كلوك في أقصى اليمين قبل الوقت المحدد بناء على طلب جاره وبعد موافقة مولتكه وجدت حامية باريس في هسله الحركة فرصة ملائمة لضربه من مجنبته . ولم يستطع الالمان على هذا الجناح تخصيص أكثر من ١٣ فرقة مقابل ٢٦ فرقة أنكلو _ فرنسية وهذا يدل بوضوح على مدى إضعاف هذا النجاح الذي كان شليفن قد خصصه لحسسم المعركة . وهكذا زال التفوق الالماني بعد تخفيض الوحدات في جناحه الايمن وازداد وهكذا زال التفوق العرنسي بسبب سوء تصرف الجناح الالماني الإيسر .

ولو أن الجناح الفرنسي استطاع التوغل بعمق في اللورين لتعدر نقل الفرق الفرنسية من اليمين إلى اليساد ، ولكن هل كان الجناح الالماني الابمن قادرا على المحافظة على اندفاعه لو لم تسحب منه كل هذه الفرق ؟ والجواب مشكواء فيه لان تدمير البلجيكيين لجسور نهر الموز عرقل مواصلات الالمان ، ولم تستطمع قطاراتهم العبور إلى ما وراء لييج الا بعد ؟٢ اغسطس (آب) . وكان مسيرهما يتخذ شكل استدارة طويلة ، الامر الذي منع الالمان من تقوية جناحهم الايمن كما كان منوقعا . كما كان تموين جيوشهم الثلاثة على هذا الجناح يتطلب المرور في هذا الشريان شبه المقطوع ، خصوصا وان تدمير الفرنسيين والانكليز المنسحبين لطرق المواصلات عرقل عملية التموين بشكل كبير .

عندما وصل الالمان الى المارن كان شكلهم مشابها لشكل وحدات منهزمة نظرا لقيامهم بزحف صعب وبطونهم خاوية ، ولو لم يقم مولتكه بعملية سحب بمنش

القوات من جناحه الايمن ، تلك العملية التي شرحناها وانتقدناه بسببها ، لضم هذا الجناح وحدات اكبر ، ولاصبحت حالة الوحدات بعد هذا الزحف أسوأ . وتكرر درس الحرب الإهلية الامريكية القائل بأن تطور السكك الحديدية وتعلق الجيوش بها في المواصلات الجامدة السريعة التأثر بالصدمات يمنعان انتشسار الوحدات الكبيرة التي لا يمكنها العمل في عمليات واسعة المدى دون التعسرض لخطر الانهيار المفاجىء .

وتقودنا معركة المارن التي غيرت مجرى الحرب الى خط تحديد غير واضح بين الاستراتيجية والتكتيك ولكنها تلقي ضوءا على مشكلة «الهجوم» ، وهي مشكلة تستحق الدراسة ، لذا يجب ذكرها مع الحوادث المحيطة بها .

كان الجناح الايمن للقائد الفرنسي قد صد في الآردين بعد معركة تلاقي . وانسحب جناحه الايسر الذي انتشر متأخرا وتملص من تطويق خطير بين نهري السامير والموز . عندها استنبط جوفر من المخطط «۱۷» المحطم مخططا جديدا، وقرر سحب جناحه الايسر وقلبه مرة اخرى الى الوراء معتمدا على فيردان كنقطة دوران ، على أن يسحب من ميمنته الصامدة بشدة وحدات تشكسسل الجيش السادس الذي يضعه على مجنبته اليسرى .

وجاءت التقارير الاولى لقادة الجيوش الالمانية من معارك الحدود تحمل بعض المبالغة ، واعتقدت القيادة العليا الالمانية انها على ابسواب الانتصار الحاسم ، ولكن قلة عدد الاسرى نسبيا اثارت شكوك مولتكه ودفعته الى دراسة الوضيع بشكل أوضع ، وادى تشاؤم وتفاؤل قادة جيوشه الى احداث تغيير جديد في خطتهم ، وكان هذا التغيير يحمل في اعماقه بذور الهزيمة ، وعندما هزم الجناح الايسر البريطاني في ٢٦ اغسطس (آب) وانسحب من كاتو نحو الجنوب انحسرف الجيش الالماني بقيادة كلوك من جديد نحو الجنوب الغربي ، ولقد جاء اختيار هذا الاتجاه نتيجة خطأ في تقدير خطر انسحاب البريطانيين ، ولكنه توافسق صدفة مع الخط المعطى اصلا لكلوك الذي كان عليه ان يتقدم راسما خطأ منحنيا كبيرا ، وقادته هذه الحركة الى منطقة أميان وبيرون فوصلها مع وصول العناصر الاولى للجيش الفرنسي السادس المشكل حديثا ، وقابلها عند نزولها من القطارات القادمة من اللورين ، فاضطرت للانسحاب بسرعة وفشلت خطة جوفر للقيسام بهجوم ضد الالمان .

ولكن ما أن انحرف كلوك نحو الجنوب الغربي حتى اضطر الى تعديل خط سيره من جديد . لان جوفر أمر جيش لانروزاك الفرنسي بمهاجمة الجيش الالماني الثاني بقيادة بولوف لتخفيف الضغط الواقع على البريطانيين مما اضطر بولوف لطلب النجدة من كلوك ، وتمكن الجيش الالماني الثاني من أيقاف هجوم لانروزاك في ٢٩ أغسطس (آب) قبل تدخل نجدات كلوك ، ومع ذلك أصر بولوف على طلب المساعدة من جاره لقطع طريق الانسحاب على الجيش الغرنسي ، ولكن كلسوك طلب موافقة مولتكه على ذلك ، وجاء الطلب في ألوقت الذي كان مولتكه يشعر

خلاله بقلق مبهم من طريقة الفرنسيين في التخلص من قبضته كما كان منشغل الفكر بسبب ثفرة مفتوحة بين جيشيه الثاني والثالث ، فوافق على تبديل الاتجاه الذي اقترحه كلوك مما أدى الى اهمال حركة الالتفاف الواسعة المقررة حسول باريس ، ومرت مجنبة الجناح الالماني المتقدم قرب العاصمة وامسام دفاعاتها . وهكذا تقلصت الجبهة ، وغدا العمل مباشرا ، وضحى مولتكه لتأمين الحيطسة بأوسع الامكانيات والآمال التي تتضمنها خطة شليفن الالتفافية الواسعة . ولكن هذا العمل لم يؤمن الحيطة أو يقلل الخطر بل كان سببا لقيام العدو بهجسسوم مضاد ساحق .

واتخذ مولتكه قرارا بترك المخطط الاساسي نهائيا فيسي للمستجبر (ايلول) واستبداله بالتفاف ضيق على قلب الفرنسيين وجناحهم الايمن للمونفي للقلب الالماني المؤلف من الجيش الرابع والخامس نحو الجنوب الشرقي للوقيام جناحه الايسر المؤلف من الجيش السادس والسابع بمتابعة الهجوم في اتجساه الجنوب الفربي للمع محاولة خرق الخط المحصن بين تول وإبينال بحيث يتم اغلاق فكي الكماشة من طرفي فردان . وفي هذا الوقت كان على الجناح الايمن المؤلف من الجيش الاول والثاني الوقوف في اتجاه الغرب ومنع كل مناورة هجومية مضادة يقوم بها الفرنسيون من مواضعهم الامامية قرب باريس .

ولكن بدات مناورة الفرنسيين المضادة قبل أن يوضع المخطط الالمانسيي موضع التنفيذ .

وبدت اللحظة الحاسمة امام جوفر الذي كان قد امر بالانسحاب بعد ان تدخل غالبيني حاكم باريس العسكري . ففي ٣ سبتمبر (ايلول) لاحظ غالبيني اتجاه كلوك نحو مركز الجبهة ، ففهم معنى ذلك ، واعطى الامر لجيش مونوري بالاستعداد لضرب مجنبة الالمان المكشوفة .

واستمرت المناقشات طيلة النهار التالي في القيادة العامة لجوفر ، وكان قائد مكتبه العسكري الرائد غاملان متحمسا للقيام بهجوم مضاد مباشر ، وعارضه الجنرال بيرتواو ، ولم تؤد المناقشة الى نتيجة ، ولم يتخذ جوفر قراره الا عندما تدخل غالييني الذي كلمه بالتليفون في المساء . وما أن اقتنع جوفر بالفكرة حتى تصرف بشكل حاسم وأمر الجناح الفرنسي الايسر بايقاف الانسحاب والقيسسام بالهجوم العام في ٦ سبتمبر (ايلول) .

كان مونوري قد تحرك منذ ٥ سبتمبر (ايلول) وتزايد ضغطه على نقطية حساسة في جبهة الالمان ، فوجد كلوك نفسه مضطرا لمجابهته بقسم من جيشه ثم زج الجيش كله ليدعم المجنبة المهددة ، وانفتحت ثغييرة عرضها ٣٠ ميلا بين الجيشين الالمانيين الاول والثاني ، ولم يعد امام هذه الثغرة سوى ستارة مين الخيالة لحمايتها ، وتشجع كلوك من انسحاب البريطانيين الذين كانوا يقابلون هذه الثغرة ، ولم يعد الانكليز على اعقابهم في ٥ سبتمبر (ايلول) بل تابعيدوا انسحابهم خلال يوم كامل متجهين نحو الجنوب ، وادى هذا الانسحاب صدفة الى خلق سبب غير مباشر او غير متوقع الى النصر ، لان عودتهم بعد ذلك وانتشار

أخبار دخولهم في الثفرة أجبرت بولوف في ٩ سبتمبر (ايلــــول) على سحب الجيش الثاني . وانعزل الجيش الاول وضاعت مكاسبه التي حققها ضد جيش مونورى . واضطر كلوك الى الانسحاب في اليوم نفسه .

وفي ١١ سبتمبر (ايلول) تم انسحاب جميع الجيوش الالمانسسة ، وفشلت محاولة تطويق فردان كما قحطمت كماشة الجيش السادس والسابع على دفاع الجبهة الفرنسية الصلب ، ومن الصعوبة تصور الشكل الذي كانت القيادة الالمانية قادرة به على انتزاع النصر بهجوم جبهي غير محضر مع العلم ان فرصة نجاحها في حالة تطبيق مخطط العمليات الرئيسي المحضر كانت قليلة اصلا ، لقد كان امام الالمان حل واحد قبل الحرب للحصول على نتائج افضل وهو اجتياح بلجيكا .

ويمكننا القول باختصار بان نتيجة معركة المارن جاءت بعد حدوث صدمسة وثغرة . اما الصدمة فهي نتيجة هجوم مونوري على مجنبة الجبهة الالمائية اليمنى الذي ادى الى احداث ثغرة في نقطة اتصال ضعيفة . ثم نجم عن هذه الثفسرة المادية ثغرة معنوبة في القيادة الالمائية .

لقد كانت حركة كلوك غير المباشرة المتمثلة في التفافه خارج الجبهة بعد كاتو مفيدة جدا للالمان ، ولكن حركته التالية نحو داخل الجبهة في اتجاه العسدو مباشرة كانت ضارة . لقد قلبت الحركة الاولى مخطط جوفر الذي كان قد اتخل قرارا بالعودة بسرعة الى الهجوم، وعملت على تعجيل الانسحاب الانكلو _ فرنسي، ولنذكر هنا مرة ثانية أن هجوم مولتكه الاستراتيجي غدا مباشرا بشكل متزايد ، كما أن هجوم الجناح الابسر الالماني جبهيا كان فشلا غالي الثمن دون أي كسب استراتيجي .

ان من الخطأ اعتبار انسحاب جوفر بمثابة حركة غير مباشرة ، لان فرصة المارن ظهرت صدفة دون سابق دراسة او توقع ، وتمت صدمة غالبيني في الوقت الملائم قبل ان يستطيع الجيشان الالمانيان الاول والثاني اخذ مواضعهما الجديدة على المجنبة ، ولكنها كانت صدمة مباشرة بحتة فلم تعطر نتائج حاسمة واو هاجم غالبيني جنوب المارن حسب تعليمات جوفر لكان هجومه اكثر مباشرة واقل نجاحا ، ولقد جاء النصر الحقيقي من الحركة التي اجبرت الالمان علي الانسحاب ، وهي حركة غير مباشرة ، ولكنها لا ارادية بشكل يجعلها فصلا من مهاذل التاريخ ، ونقصد بهذه الحركة انسحاب القوات البريطانية واختفاؤها ثم طهورها في الوقت المناسب صدفة امام نقطة الاتصال الضعيفة في الجناح الالماني الايمن ، ولقد انتقد الفرنسيون بطء حركة القوات البريطانية في العودة ، ولو عادت هذه القوات بسرعة اكبر كما كان يرغب الفرنسيون لما وجدت نقطة الاتصال ضعيفة لهذه الدرجة ، ولما نجح هجوم مونوري في تحقيق النصر ، ومن حسن خط هذه القوات انها تأخرت فوصلت امام الثغرة بعد سحب فيلقين المانيين منها، وكان وصولها متوافقا مع حركتهما فلم يستطيعا التدخل بشكل فعال .

الكثيرون ، وهو تأثر القيادة الالمانية باستمرار من التقارير المؤكدة لاحتمال القيام بعمليات انزال بريطانية على الشاطىء البلجيكي ، تشكل خطرا على مؤخسرات ومواصلات جيوشها ، لدرجة انها اعدت عملية تراجعية قبل بدء معركة المارن . وفي ٩ سبتمبر (ايلول) تلقى الجيش الاول من القيادة العليا اوامر وتعليمات تقول بأن «المعلومات سيئة ، والجيشين السادس والسابع متوقفان امام نانسسي وابينال ، كما يلاقي الجيشان الرابع والخامس مقاومة شديدة . وهناك قوات فرنسية يتم نقلها بالسكك الحديدية من جناح الفرنسيين الايمن الى باريس ، على حين يقوم الانكليز بانزال قوات جديدة على الشاطىء البلجيكي ، وينتظر وصول قوات روسية الى نفس المنطقة . وخلاصة الموقف ان الانسحاب غدا محتوما» . ولقد تأثرت القيادة الالمانية بفكرة الانزال البريطاني لدرجة نصورت معهسسا نزول . } الف رجل ، بينما كانت القوات الحقيقية القادمة ثلاث كتائب بحريسة نزلت في اوستاند وبقيت فيها ٨ ساعة فقط . يقال ان فكرة قدوم الروس كانت وليدة تخيلات مهووس انكليزي يعمل في السكك الحديدية ، ويستحق ان يقام وليدة تخيلات مهووس انكليزي يعمل في السكك الحديدية ، ويستحق ان يقام له نصب تذكارى، ولقد أكد المؤرخون فيما بعد ان زيارة الكتائب الثلاث لاوستاند

وشائعة الفزو الروسي كانتا من الاسباب الاساسية للنصر في المارن .
عندما نقارن التأثير المعنوي الذي سببته هذه القوات الوهمية مع بقاء الوحدات
الالمانية في بلجيكا خوفا من انطلاق البلجيكيين من حصن انفرس (ذلك الامسر
الذي وقع في ٩ سبتمبر «ايلول») نجد انفسنا مرغمين على تأييد الاستراتيجية
التي طالب جون فرينش بتطبيقها دون جدوى . ولو طبقت هذه الاستراتيجية
لكان للحملة البريطانية تأثير ايجابي حاسم على الصراع بدل اقتصارها علسسى
التأثير السلي .

ثم حل قالكنهاين محل مولتكه ، واحس بالتهديد الدائم المتمثل في الشاطىء البلجيكي على مؤخرات الجيش الالماني فقام بمحاصرة انفرس . ومن هنا ظهرت اول عملية فيها بعض الهجوم غير المباشر ، ولكن التنفيذ لم يتلاءم مع الفكرة ، وانقلب الى هجوم مباشر بحت ، الا انه كان كافيا لدفع الحلقاء الى حافة الهزيمة . وتو قفت ملاحقة الحلفاء الجبهية نهائيا عند نهر إين . وفي ١٧ سبتمبر (ايلول) لاحظ جوفر فشل محاولة مونوري في الالتفاف حول المجنبة الالمانية ، فقرر تشكيل جيش جديد بقيادة كاستلتو بغية محاولة القيام بالتفاف في الشرق، ولكن الجيوش الالمانية تماسكت في ذلك الوقت ، ووجدت القيادة العليا نفسها قادرة على مجابهة مناورة صغيرة كهذه تتم ضمن خط الانتظار المتوقع .

وفي الشهر التالي قام كلا الطرفين بسلسلة من المحاولات المتوقعة للالتفاف حول جناح الخصم الفربي ، وفشلت كل هذه المحاولات المسماة «السباق نحو البحر» . وتعب فالكنهاين في هذه المرحلة قبل جوفر ، وفي ١٤ اكتوبر (تشرين أول) جهز فالكنهاين فخا استراتيجيا ضد محاولات الحلفاء المتوقعة ، واعطيى الاوامر للمجنبة المشكلة مؤخرا بتجنب الصدام مع العدو ، على ان يقوم جيش مؤلف من الوحدات التي انتهت مهمتها بعد سقوط انفرس مع } فيالق حديثة

بالهجوم بسرعة على طول الشاطىء البلجيكي واختراق مجنبة قوات الحلفياء المهاجمة ، والالتفاف حولها وضربها من الخلف . كما أوقف مؤقتا حركة الوحدات المكلفة بمتابعة الجيش البلجيكي المنسحب من انفرس كيلا يعطي قيادة الحلفساء تحذيرا مسبقا .

ولكن الملك البيرت الحذر رفض طلب فوش الذي كان يريد اشتراك البلجيكيين في حركة التفافية ، اذ لم يكن يود الابتعاد عن منطقة الشاطىء . لذا كان الجيش البلجيكي جاهزا لصد الهجوم الالماتي القادم من الشمال او تعطيله على الاقسل باغراق الاراضي الواطئة على الشاطىء . ووجد فالكتهاين نفسه مضطرا للقيام بهجوم مباشر على مجنبة الحلفاء . وتقدم قلب القوات البريطانية وجناحها الايمن فوصلا قبل الاوان مما ادى الى توقفهما . ولكن جون فرينش اعطى الاوامسسو لجناحه الايسر بقيادة هبج للقيام بالالتفاف الذي فكر فيه جوفر ، ولعب الحظ الى جانب الحلفاء ، اذ اتفق هجومهم في الزمن مع هجوم الماني الطلق قبل اوانه وفشل هجوم الحلفاء فانتقلوا الى الدفاع . ولما فقد فالكنهاين كل أمل في طسرد العدو من الشاطىء البلجيكي حاول انتزاع النصر بهجوم مباشر . وانتصر دفاع الحلفاء رغم ضعفه ، كما هي الحالة في كل هجوم مباشر ، وهكذا امتد سسلد الخنادق من الحدود السويسرية حتى البحر . وتوقفت بذلك مختلف العمليسات والمناورات .

مسرح العمليات الغربي ١٩١٥ - ١٩١٧ :

اقتصرت عمليات الحلفاء الانكلو _ فرنسيين خلال سنوات الحرب التي تلت ذلك على محاولات متعددة للخروج من المأزق باختراق السد او بالبحث عن مخرج يظهر صدفة للالتفاف حوله .

واصبحت الاستراتيجية على الجبهة الفربية امام هذه الخطوط المتوازيـــة اللامتناهية من الخنادق مجرد تابع للتكتيك . ولم يكن التكتيك سوى آلـة بلا تفكير . وكانت استراتيجية الحلفاء في سنوات ١٩١٦ ــ ١٩١٧ عبارة عـــن استراتيجية هجوم مباشر ولكنها كانت عاجزة عن اخراجهم من المأزق ولا تستحق كبير دراسة او تحليل . ومهما كان لحرب الانهاك من قيمة ومهما قدم البعض من حجج وبراهين لاظهار هذه المرحلة كمعركة مستمرة فان محاولة تتطلب بـــذل الجهود لمدة } سنوات للحصول على النصر لا يمكن اخلها مثالا يحتذى .

وفي مدينة نوف شابيل قامت محاولة الهجوم الاول في عام ١٩١٥ ، وكان الهجوم مباشرا ولكن المفاجأة التكتيكية كانت محققة . وكان الهجوم على شكل رمي تمهيدي طويل الامد بالمدفعية يعقبه انقضاض المشاة جبهيا «وصدورهـم مكشوفة» لرصاص العدو ، وفي مايو عام ١٩١٥ قام الفرنسيون بهجوم مماثل في آراس ، كما قام الانكليز والفرنسيون بعدة هجمات مشابهة في سبتمبر (ايلول)

في مقاطعة شمبانيا وفي شمال آراس ، ومن يوليو (تموز) حتى نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٦ في مقاطعة السوم ، وفي ابريل (نيسان) ١٩١٧ على نهر اين وفسي آراس . واستمرت فترة نزع الجيش البريطاني داخل مستنقعات باسشاندائيل من يوليو (تموز) الى اكتوبر (تشرين أول) ١٩١٧ . وفي ٢٠ نوفمبر (تشريسن ثاني) ١٩١٧ ظهرت المفاجأة التكتيكية الجديدة باستخدام الدبابات التسي دخلت المعركة فجأة وعلى شكل مجموعات لتحل محل القصف التمهيدي بالمدفعية بالاسلوب التقليدي . ولكن من المتعدر وضع هذا الهجوم الصغير المدى الناجع في بدايته والمتعشر في نهايته ضمن وسائل الهجوم غير الباشر الاستراتيجي .

اما استراتيجية الالمان فكانت دفاعية بحتة باستثناء معركة فردان عام ١٩١٧ التي يمكن اعتبارها هجوما مباشرا عاديا الا اذا ادخلنا في نطاق الهجوم فسير المباشر فكرة «استنزاف» دم العدو حتى يؤدي النزيف الى موته بفضل سلسلة كبيرة جدا من قرصات «دود ألعلق» المحلية ، ولكننا نلاحظ هنا أن التبذير في استخدام الدود أدى إلى افلاس الدولة .

وكانت اقرب العمليات الالمانية الدفاعية للهجومغير المباشر انسحاب لودندورف في ربيع ١٩١٧ الذي تم تخطيطه وتنفيذه بمهارة ، وتم بغضله سحب قسم من الجيوش الالمانية الى خط هندنبورغ . ولايقاف اي هجوم انكلو ـ فرنسي على السوم جهز خطا جديدا من الخنادق المحصنة بشدة بمواضع دفاعية . وكان هذا الخط يستند الى وتر القوس المشكل من مدن لانس ونوايون ورانس ، ثم دمسر المنطقة المحصورة بين القوس ووتره وانسحب بصورة متقطعة وعلى مراحل متتالية حتى وصل الى الخط الجديد الاقصر من الخط السابق . وتظهر هذه المناورة شجاعة لودندورف وثقته اللتان دفعتاه الى عدم التردد في ترك الارض بغيسة احباط مخطط الحلفاء الهجومي المحضر المتنفيذ في الربيع . وكسب الالمان بذلك سنة من الراحة بعيدا عن كل خطر وفي مأمن من كل هجوم مشترك يقوم بسنة الحلفاء . كما كان لهذه السنة تأثير سيء على روسيا القيصرية التسسي انهارت وخرجت من الحرب . واستطاع لودندورف بذلك زج قوات اكبر في هجومه النهائي في الفرب عام ١٩١٨ ، وهو الهجوم الذي كان يهدف من ورائه السي

الفصّل الشاين عشر

مسرح العمليات الشمالي ــ الشرقي

كانت مخططات المعارك على الجبهة الشرقية اقل دراسة ودقة وتحضيرا من مخططات الجبهة الغربية . ولكنها مرت خلال التطبيق بأخطاء ومفامرات سيئة ومشاكل متنوعة كما حدث في الجبهة الغربية . وكانت المعطيات الجغرافيسسة قابلة للحساب بعكس العامل الرئيسي المتعلق بتركيز وتجميع القوات الروسيسة الذي لم يكن يدخل في اي تقدير .

وكانت بولونيا الروسية تشكل بروزا كبيرا في غرب روسيا نفسها ، وكانت محاطة من ثلاث جهات بمناطق المانية ونمساوية . فعلى مجنبتها الشمالية بروسيا الشرقية ثم بحر البلطيق ، وعلى مجنبتها الجنوبية مقاطعة غاليسيا النمساوية المستندة على جبال الكاربات التي تسيطر على مداخل السهول الهنغارية ، اما من الفرب فتوجد مقاطعة سيليزيا .

وكان في مقاطعات الحدود الالمانية شبكة واسعة من السكك الحديديسية الاستراتيجية التي لم تكن متوفرة في بولونيا او روسيا . وكان الالمان وحلفاؤهم قادرين على التجمع وايقاف كل تقدم روسي بدفاع ناجح ، ولكن قيامهم بالهجوم وتوغلهم في بولونيا وروسيا يعني فقدان كل هذه الميزات . وتدلنا دروس التاريخ المتعددة على ان احسن استراتيجية يطبقها الالمان في هذه الحالة وضع طعسم

الروس يجذبهم الى موضع يسمح بالقيام ضدهم بهجوم مضاد كبير بدلا من أن يبدأ الالمان انفسهم بالهجوم . ولكن هذه الاستراتيجية كانت تنطوي على سيئة كبيرة هي اعطاء الروس وقتا كافيا لتحضير وتحريك جهازهم الحربي الثقيل العتيق .

وهنا ظهر اختلاف في الراي بين فيينا وبرلين . لقد اتفقت الحليفتان مبدئيا على ضرورة ايقاف الروس واحباط محاولاتهم خلال ٦ اسابيع ريثما يسحق الالمان الفرنسيين بسرعة، ثم يجمعوا قواتهم على الجبهة الشرقية ويقوموا مع النمساويين بضرب الروس ضربة حاسمة . وكان الاختلاف فقط على طريقة التنفيذ . وقد دفعت فكرة تحقيق النصر في فرنسا القيادة الالمانية الى وضع ستارة بسيطة في الشرق ، ولولا خوفها السياسي من ان تتعرض اراضي الوطن لخطر الغزو لما ترددت في الجلاء عن بروسيا الشرقية والوقوف عند نهر فيستولا . وقد قام رئيس الاركان في القيادة النمساوية هوتزندورف باقناع النمساويين بفكسرة تعطيل الجهاز الروسي بهجوم فوري قوي . ووجد مولتكه ان هذه الفكرة تسمح بمشاغلة الروس حتى تنتهي معركة فرنسا فوافسق عليها . وكانت فكسسرة هوتزندورف هي القيام بهجوم في بولونيا في اتجاه الشمال الشرقي ينفذه جيشان يغطي مجنبتهما جيشان آخران يعملان في اتجاه الشرق .

وكانت الاستراتيجية لدى الحلفاء مختلفة وتتعدد فيها الآراء . اذ كانت القيادة الروسية العسكرية ترغب لاسباب عسكرية في تركيز جميع قواتها ضد النمساويين وتجاهل الالمان حتى يتم تجنيد كل القوى في روسيا . ولكسن الفرنسيين أحسوا بضغط الالمان وأرادوا تخفيفه عن جبهتهم فطلبوا من الروس الهجوم على الالمان معهم . وقام الروس بهجوم غير محضر من ناحية التنظيسم والقوات . ووجهوا الى جبهتهم الجنوبية الفربية مجموعتين من الجيوش في كل واحدة منها جيشان مهمتهما الالتقاء في غاليسيا ضد القوات النمساوية . كما وجهوا الى الجبهة الشمالية الفربية جيشين للالتقاء في بروسيا الشرقية ضد القوات الالمانية . وكادت روسيا ان تتخلى عن استراتيجيتها التقليدية البطيئة الناجمة عن التنظيم البدائي ، وعدم المرونة وسرعة الحركة وذلك بالقيام بهجومين مباشرين سريعين .

عندما اندلعت الحرب عجل القائد العام الروسي الغراندوق نيقولا باجتياح بروسيا الشرقية بغية تخفيف ضغط الالمان على حلقائه الغرنسيين ، وفي ١٧ اغسطس المسطس (آب) عبر جيش ريننكامبف الحدود ، ثم قابل في ١٩ ـ . ٢ اغسطس الحيش الثامن الالماني بقيادة بريتفتس وصده في غومبينن ، وفي ٢١ عليم بريتفتس ان جيش سامسونوف الروسي دخل من الجنوب في بروسيا الشرقية مهددا مؤخراته التي لم تكن تحرسها الا ثلاث فرق اميام عشر فرق روسية . فأخذه الهلع وقرر الانسحاب الى وراء نهر الفيستولا ، فعزله مولتكه وعين بدلا منه الجنرال المتقاعد هندنبورغ على ان يساعده رئيس اركانه لودندورف .

اخذ لودندورف مخطط العقيد هوفمان احد ضباط اركان الجيش الثاميين

ووسع مداه وأبعاده، وجمع حوالي ٦ فرق ضد جناح سامسونوف الايسر ، ولكن جيشه الضعيف عدديا كان غير قادر على تحقيق النصر الحاسم . ولما علسسم لودندورف ان ريننكاميف لا يزال موجودا قرب غومبينن ، خاطر وسحب مسن هذه المنطقة بقية الوحدات الالمانية تاركا امام العدو ستارة بسيطة من الخيالة ، ودفع هذه الوحدات ضد جناح سامسونوف الايمن . واستفادت هذه الحركة الجزئية من نقص الارتباط بين القائدين الروسيين ومن سهولة حل شيفسسرة الاوامر الروسية المنقولة باللاسلكي . وحطم هذان الهجومان المتلاقيان مجنبسة سامسونوف ووقع قلب قواته في الحصار وافني جيشه تقريبا . ويمكن اعتبار معركة تاننبرغ هذه مثالا كاملا لاستخدام «الخطوط الداخلية» في الهجوم غسير المباشر .

وما ان تلقت القيادة الالمانية فيلقين قادمين من الجبهة الفرنسية حتى الستدارت نحو ريننكامبف المتقدم ببطء ناجم عن خسائره في غومبينن ونقص المعلومات عنده ، وطردته من بروسيا الشرقية ، وترك الروس على ارض المعارك . ٢٥٠ الف رجل ، كما خسروا خسارة اكبر لا تعوض عبارة عن كمية كبيرة مسن العتاد الحربي ، ولكن اجتياح بروسيا الشرقية خفف العبء عن الحلفاء فسي الغرب لانه ارغم الالمان على سحب فيلقين من جبهتهم ، الامر الذي ساعسلا الفرنسيين على استعادة نشاطهم في المارن .

وفقدت نتائج معركة تاننبرغ جزءا من قيمتها لعجز الالمان وحلفائهم في عاليسيا عن الحصول على النصر ، لقد تقدم الجيشان النمساويان الاول والرابع في بولونيا في بادىء الامر ، ثم ضاعت فائدة هذا التقدم عندما قام الجيشان الروسيان الثامن والثالث بهجوم ضد الجيشين النمساويين الثانيسي والثالث القائمين بحماية المجنبة اليمنى للجبهة النمساوية ، وكان التفوق العددي لصالح الروس ، وهنزم الجيشان النمساويان هزيمة ساحقة في ٢٦ ـ . ٣ اغسطس (آب) وتم دفعهما الى ما وراء ليمبرغ ، وهدد تقدم الجناح الايسر الروسيي مؤخرات الجناح الايسر النمساوي المنتصر ، وحاول هوتزندورف الالتفاف حول الجناح الروسي بجزء من جناحه الايسر ، وصد الروس الضربة والدفع جناحهم الايمن بتقدم جديد ، مما اجبره على اعطاء الامر بتراجع تم بدون نظام في ١١ سبتمبر (ايلول) ، وارتدت الجبهة النمساوية حتى اصبحت في نهاية سبتمبر قرب كراكوفي .

وغدا موقف النمسا حرجا ، واضطر الالمان الى ارسال النجدات فشكلوا من معظم قواتهم الموجودة في بروسيا الشرقية جيشا اسموه الجيش التاسع ، ونقلوه بسرعة الى الزاوية الجنوبية الغربية من بولونيا ، ومنها اتجه نحو فارسوفيسا بالتعاون مع جيش تمساوي جديد . وهنا كان الروس قد جهزوا كل قواتهسم وجمعوا معظم جيوشهم وقاموا بهجوم مضاد كبير اوقف تقدم العدو ثم اندفسع محاولا اجتباح سيليزيا .

وشكل الفراندوق نيقولا مجموعة كبيرة مؤلفة من ٧ جيوش موزعة كما يلى : ٣ جيوش في النسق الاول وجيشان يحميان كل مجنبة . وكان الجيش الروسي العاشر يجتاح بروسيا الشرقية ويقاتل القوات الالمانية الضعيفة . وهنا اجتمع هندنبورغ ولودندورف وهو فمان لايجاد حل يوقف الخطر الروسى . وتوصيل هؤلاء الثلاثة الى فكرة بارعة تعتمد على سهولة الانتقال الناجمة عن توفر السكك الحديدية في بلادهم بشكل متواز مع الجبهة ، وكان الجيش التاسع الالمانسي ينسحب امام تقدم الروس مخربا سبل المواصلات القليلة في بولونيا تخريبا كاملا لعرقلة حركة العدو . ولما وصل الى حدود سيليزيا دون أن يشتبك جديا مع العدو ، توجه اولا نحو الشمال في منطقة ثورن ـ بوزن . وفي ١١ نوفمبـر (تشرين ئاني) اندفع نحو الجنوب الشرقي في اتجاه منبع نهر الفيستولا ، وسار على ضفته البسرى في نقطة الاتصال بين الجيشين الروسيين القائمين بتغطية المجنبة الروسية اليمنى . واستطاع تفريق هذين الجيشين عن بعضهما كإسفين يفوص تحت ضغط المطرقة ، وأجبر الاول على التراجع ، وحقق ضد الثانسي انتصارا يشبه النصر في تانبرغ ، وكاد ان يحاصره في لودز لو لم يحضر الجيش الخامس لنجدته . ونتيجة لهذه المناورة كاد قسم من الالمان القائمين بحركسة تطويق أن يقع هو ذاته في الطوق ، ولكنه نجح في فتح ممر نحو قلب القوات الالمانية . ولم يحصل هندنبورغ على نصر تكتيكي حاسم ، ولكن هذه المنساورة اثبتت قدرة الجيش الصغير على شل تقدم عدو متفوق عليه عدديا اذا استخدم امكانياته الحركية بمهارة ليقوم بهجوم غير مباشر على نقطة حساسة في تشكيلة العدو . وتعطل الجهاز الروسي الضخم ولم يعد بعد ذلك قادرا على تهديسه الاراضى الالمانية .

وخلال اسبوع واحد جاءت اربعة فيالق المانية جديدة من الجبهة الغربيسة حيث فشل هجوم الإيبر. وكان قدومها متأخرا بحيث اصبح متعذرا تحقيق نصر حاسم ، ولكن لودندورف استخدمها مع ذلك ودفع الروس حتى خط بزورا للفكا امام فارسوفيا . وعندئذ بدأ التمركز في الشرق داخل الخنادق بشكل مشابه للجبهة الغربية ، ولكن بخطوط اضعف . وكان الروس قد بددوا مخزونهم من الذخيرة ، لدرجة عجزوا معها عن تجديدها .

القصة الحقيقية في عام ١٩١٥ على الجبهة الشرقية عبارة عن صراع بين فكرتي قائدين كبيرين ، اولاهما فكرة لودندورف التي تهدف الى الحصول على النصر باستراتيجية الهجوم غير المباشر جغرافيا على الاقل ، وثانيهما فكرة فالكنهاين التي تعتمد على توفير الوسائط الالمانية وشل قدرة روسيا الهجومية باستراتيجية الهجوم المباشر ، وكان فالكنهاين في مركز لودندورف فاستطياع فرض رايه ، ولكن استراتيجيته عجزت عن تحقيق اي هدف مناهدافه المنشودة ، ولاحظ لودندورف أن تقدم الروس الخريفي نحو سيليزيا وكراكوفي دفعهم ألى زج قلب قواتهم في بولونيا ، وبينما كانوا يحاولون في الجنوب الغربيي

ضربة شلتهم . ولما استعادوا قواهم وجدوا الشبكة النمساوية من جديد قوية متماسكة . وقام الروس من يناير الى ابريل (كانون الثاني _ نيسان) بعردة محاولات غير مجدية على السغوح الشمالية لجبال الكارابات ، وادت جهودهم الى تبعثر معظم قواتهم الكبيرة داخل الشبكة .

هنا اراد لودندورف استغلال الفرصة والقيام بهجوم كبير غير مباشر حول جناح الاعداء الشمالي قرب البلطيق عبر كوفنو وفيلنا بقصد الوصول الىمؤخراتهم والتمركز على خطوط مواصلاتهم الضعيفة نحو بولونيا . وتردد فالكنهاين امام هذا المخطط الجريء الذي لا يحتاج الى استخدام جزء كبير من قواته الاجتياطية، ولم يوافق عليه ولكنه طبق طريقة كلفته فيما بعد قوى اكثر . واضطر لايقاف كل عمليات الانقضاض الرامية لخرق خطوط الخنادق في الفرب ، واضعاف قواته الاحتياطية الخاصة لدعم حلفائه النمساويين واستخدام هذه القوات في عملية محدودة استراتيجيا وغير محدودة تكتيكيا بقصد اضعاف روسيا بشكل يستطيع معه العودة الى الهجوم في الفرب دون التعرض لاي ازعاج .

واقترح هوتزندورف مخططا طبقه فالكنهاين في الشرق . ويتضمن هدا المخطط خرق مركز الجبهة الروسية بين الكارابات ونهر الفيستولا . وفي ٢ مايو (مارس) بدأ الهجوم ، وكانت المفاجأة كاملة ، وتم استثمارها بسرعة . وفي ١٤ مايو قام الخط الروسي كله على طول جبال الكارابات بتراجع لمسافة ٨٠ ميلا حتى وصل الى سان .

وهنا نزى مثالا واضحا للفرق بين الهجوم غير المباشر والمفاجأة . وتمت في هذه المعركة مفاجأة في الزمان والمكان والقوى . وتكبد الروس خسائر فادحية ولكنهم اندفعوا اثناء تراجعهم ككرة من الثلج تزداد تماسكا وكبرا بازدياد تدحرجها . وتم انسحابهم نحو مراكز تموينهم وسككهم الحديدية ، فعوضوا ما ضاع منهم . ولم يؤد هذا الهجوم المباشر رغم خطورته الى الانهيار التام .

وادرك فالكنهايان عندئذ انه تقدم في غاليسيا بشكل لا يسمح له بالتراجع ، كما لاحظ فشل هجومه الجزئي في تأمين الحيطة على الجبهة الشرقية ، ووجد نفسه مضطرا الى سحب وحدات جديدة من فرنسا للوصول الى هدفه . ولكنه اختار الهجوم المباشر مرة اخرى ، فغير اتجاه هجومه من الشرق الى الشمال الشرقي ، وأعطى الى لودندورف الذي كان يتميز غيظا في بروسيا الشرقية امرا بالهجوم في الوقت نفسه في اتجاه الجنوب الشرقي . واعترض لودندورف على هذا المخطط لانه يشبه الهجوم الجبهي رغم ان له شكل حركة جيشين يزحفان من اتجاهين مختلفين للالتقاء عند نقطة واحدة ، ولان الجناحين الالمانيين عاجزان عن محاصرة الروس وتحطيمهم ، واصر على تطبيق مناورة فيلنا التي اقترحها من قبل ، ولكن فالكنهاين رفض ذلك من جديد .

وجاءت النتائج مؤيدة لفكرة لودندورف ، عندما انطبق طرفا المقص الالمانسي وطردا الروس دون التوصل الى قطعهم ، وجاء هذا الطرد لمصلحة الروس اذ قصر المسافات بين مواقعهم ، وفي نهاية سبتمبر (ايلول) كانت مواقعهم ، وفي نهاية سبتمبر

خط مستقيم من ريغا على بحر البلطيق حتى الحدود الرومانية . ولم تعسد القوات الروسية تشكل خطرا مباشرا على المانيا ، ولكنها كانت كافية لتجميسه قوات المانية كبيرة وازعاج النمسا ماديا ومعنويا .

عندما اوقف قالكنهاين العمليات على مستوى كبير سمح للودندورف بكسل فتور بالقيام بتجربة مناورة فيلنا بالوسائط القليلة المتوفرة لديه . وكانت الموافقة متأخرة ، ومع ذلك استطاعت هذه الضربة المنعزلة قطع السكة الحديدية بين فيلنا ودفينسك ووصلت حتى خط مينسك شربان المواصلات الروسية الحيوي . وكان هذا برهانا واضحا على قدرة هذه المناورة على اعطاء اكبر النتائج لو انها نفذت قبل ذلك وبقوات اكبر ولاسيما عندما كان الجيش الروسي مشتبكا بشدة في بولونيا . بعد ان انهى الالمان وحلفاؤهم الهجوم في الشرق ، وثبتوا الدفاع في الفرب ، قرروا تخصيص الخريف لمعركة في بلاد الصرب . ويمكن اعتبار هذه العملية من وجهة النظر العامة للحرب هجوما غير مباشر محدود الهدف . واكنهسسا كانت حاسمة في اطارها المحلي ونتائجها الخاصة . ولقد دارت هذه المعركة في ظروف سياسية وجغرافية خاصة مما يسلط ضوءا جديدا على نتائج هذه الظريقة . وكان المخطط مبنيا على تدخل بلغاريا في المعركة الى جانب الالمان وحلفائهم ، ولقد فشل الفزو الالماني _ النمساوي المباشر في اللحظة التي دخل فيها البلغاريون بــــلاد الصرب من الشرق . واستمر الصربيون في الدفاع مستفيدين من طبيعة بلادهم الجبلية حتى استطاع الجناح الايسر البلغاري دخول البلاد من الجنوب والاستدارة حول مؤخراتهم وعزلهم عن النجدات الانكلو _ فرنسية القادمة من سالونيك . وانهارت مقاومتهم ولم يبق من جيشهم الا وحدات متفرقة تتراجع نحو الغرب عبر البانيا في ظروف الشبتاء القاسية للوصول الى شواطىء الادرياتيكي . ولقد ادى هذا التجمع السريع لسحق دولة صفيرة من دول الحلفاء الى تحرر النمسا من كل خطر قادم من هذا الاتجاه . كما سمح للالمان بالسيطرة على اوروبسا الوسطى وتنظيم خطوط مواصلاتهم فيها .

ان العمليات التي وقعت في ١٩١٦ - ١٩١١ على الجبهة الروسية لا تستحق كثيرا من التعليق ، فقد كانت دفاعية من جهة الالمان والنمساويين وهجوميسة بشكل مباشر من قبل الروس ، وتظهر هذه العمليات فقر الاستراتيجية المعتمدة على تطبيق القوة بهجوم مباشر وتأثيرها المعنوي الذي يشبه تأثير سلاح يرتد الى صدر صاحبه ، وعندما اندلعت الثورة في عام ١٩١٧ وعجلت بالهيار مقاومة روسيا القيصرية كانت القوات الروسية احسن تسليحا وتجهيزا من قبل ، ولكن الخسائر الكبيرة دون جدوى حطمت الرغبة في القتال لدى الشعب الروسسي الذي كان يتمتع بروح تضحية لا مثيل لها في اوروبا كلها ، كما حدث النسساء عمليات التمرد التي بدات تظهر في الجيش الفرنسي بعد هجوم الربيع عسمام عمليات التمرد التي بدات تظهر في الجيش الفرنسي بعد هجوم الربيع عسمام الخنادق .

وكان هجوم بروسيلوف قرب لوك في يونيو (حزيران) عام ١٩١٦ العمليـة

الوحيدة غير المباشرة التي قام بها الروس . ولقد تم الحصول على هذه النتيجة لان العملية كانت بدون هدف جدي ثابت ، كما كانت عملية مشاغلة وخداع نفذت بناء على طلب ايطاليا ، ثم تركت قبل الاوان ، ومن الجدير بالذكسر انها تمت بدون تحضير خاص او تجميع قوات كبيرة ، ولكنها سببت تأثيرا كبيرا عندمسا وقعت صدفة على دفاع نمساوي غير مستعد وسببت وقوع ٢٠ الف نمساوي في الاسر خلال ثلاثة ايام .

ولقد كان لهذه الصدمة المفاجئة نتائج استراتيجية متعددة ، اذ انها اوقفت الهجوم النمساوي في ايطاليا ، واجبرت فالكنهاين على سحب وحدات مسين الجبهة الغربية والتخلي عن معركة الانهاك في فيردان ، ودفعت رومانيا السي الدخول في الحرب ضد المانيا وحلفائها ، وسببت سقوط فالكنهايسين وتعيين عندنبورغ ولودندورف مكانه ، ويظن البعض ان دخول رومانيا في الحرب هيو سبب عزل فالكنهاين ، ولكن السبب الحقيقي هو فشل استراتيجيته المباشرة الضيقة الاهداف والابعاد في عام ١٩١٥ ، والتي ادت الى تجدد تماسك الروس وظهورهم على مسرح العمل من جديد في عام ١٩١٦ .

ولكن نتائج تقدم بروسيلوف غير المباشر لم تدم طويلا . اذ دفعت القيادة الروسية الى تركيز ثقلها على خط مقاومة واحد يتقوى مع الزمن يؤدي السي استنزاف القوى المهاجمة ، وهكذا اضاع الروس معظم قواتهم الاحتياطية دون جدوى . وترك بروسيلوف مليون رجل على ارض المعركة ، وكان اصلاح الخسائر ممكنا رغم فداحتها ولكن انكشاف افلاس القادة الفكري امام الجنود ادى الى انهيار معنويات القوات العسكرية الروسية .

وتابع الروس بذل هذا الجهد بعناد ، فاستفاد هندنبورغ ولودندورف مسن هذا الموقف للقيام بهجوم غير مباشر آخر «مع تبديل سريع» في الهدف بشكل يشبه الهجوم الذي وقع عام ١٩١٥ في بلاد الصرب ، وكانت رومانيا هدفهما . وكانت القوات الرومانية مؤلفة من ٢٣ فرقة سيئة التجهيز مقابل ٧ فرق معادية، وكانت الحكومة الرومانية تأمل ان يؤدي ضغط بروسيلوف ، وضغط الانكليز في السوم وضغط وحدات الحلفاء في سالونيك إلى منع العدو من زيادة قواته الوجهة ضدها . ولكن اعمال الحلفاء كلها كانت مباشرة فلم تمنع المانيا وحلفاءها من سحب قوات كافية من الجبهات للقيام بسحق رومانيا .

كانت الارض الرومانية محصورة بين ترانسلفانيا وبلغاريا وتعتمد عنسك طرفيها على موانع طبيعية هي جبال الكارابات ونهر الدانوب . ولكنها كانت معرضة بشكل كبير للهجوم غير المباشر ، كما ان منطقة دوربرودجا المكونة مسن شريط ضيق على شاطىء البحر الاسود كانت تشكل صيدا يسهل على الخصام الماهر اقتناصه .

كما أن رغبة رومانيا في القيام بهجوم نحو الفرب عبر ترانسلفانيـــا جعلت خصومها يردون عليها بهجوم غير مباشر لم يكن في نيتهم القيام به اصلا . بدأ التقدم الروماني في ٢٧ اغسطس (آب) ١٩١٦ وتقدمت ثلاثة ارتـــال رئيسية يتألف كل واحد فيها من ٤ فرق تقريبا نحو الشمال الغربي عبر جبال

الكارابات مشكلة بذلك هجوما مباشرا نحو السهل الهنغاري ، وعهد بحراسة الدانوب لثلاث فرق لتعزيزها . وكان تقدم الارتال الرومانية حذرا وبطيئا ، ولا يعود ذلك الى مقاومة العدو بل الى التدمير الشامل لمجموعة الجسور . ولم تكن الغرق النمساوية الخمس الضعيفة التي تغطي الحدود حاجزا امام التقدم وبقيت تحرس الحدود وحدها حتى دعمت بخمس فرق المانيسة وفرقتين نمساويتين جديدتين . ووضع الالمان تحت تصرف ماكنزن } فرق بلغارية مع مدفعية المانية ووحدات جسور نمساوية بغية تنفيذ النصف الثاني للمخطط الذي وضعسه فالكنهاين قبل تركه القيادة وهو المخطط الذي ينضمن اجتباح دوبرودجا .

وبينما كانت الارتال الرومانية تتقدم ببطء نحو الغرب عبر ترانسلفانيا قام ماكنزن بانقضاض مفاجىء احتل به في ٥ سبتمبر (ايلول) رأس جسر فسي تورتوكائيا وحطم ثلاث فرق رومانية كانت تحرس نهر الدانوب . ثم استنسد بجناحه على النهر وتقدم نحو الشرق في اتجاه دوبرودجا ، ولم يتجه السسى بوخارست كما كان متوقعا ، ومع ذلك كان تأثير الصدمة المعنوية كبيرا وناجحا ، لان النتيجة الفورية لاستراتيجيته كانت في ترانسلفانيا حيث فقد الهجسوم الروماني كل قوته الدافعة .

وكان فالنكهاين يتولى حينذاك قيادة الجيوش الالمانية في هذه المنطقة فقام بهجوم مضاد مباشر مع كثير من الاندفاع . وكان يضرب بوحداته المتماسكة جيدا ارتال الجنوب والمركز بينما تقوم مفارز صفيرة اخرى بايقاف الخصوم الآخرين وكانت نتيجة هذه العمليات صد الرومانيين الذين ظلوا مع ذلك مرابطين قلب الجبال . وكاد المخطط الالماني ان يتعرض للفشل لان القوات الرومانية المسيطرة على المهرات الجبلية آتذاك صدت بشدة كل المحاولات الاولى للعبود في اقصى الفرب . ثم نجحت محاولة اخرى قبل ظهور ثلج الشتاء . واستدار فالكنهايين نحو الغرب فدخل رومانيا من بابها الحقيقي . وتلا ذلك هجوم مباشر يتضمن احتياز سلسلة من الانهار ، ولما اضطر للتوقف على طول نهر الآلت تدخل ماكنزن لاصلاح الموقف .

سحب ماكنزن بسرعة معظم قواته من دوبرودجا نحو سيستوفو وفيي ٣٣ نوفمبر (تشرين ثاني) عبر نهر الدانوب . واتاح هذا الانسحاب دعم قيدوات فالكنهاين ومساعدته على عبور نهر الآلت ولكنه ساعد الرومانيين ايضا عليخدام مواضعهم المركزية الواقعة على مقربة من العدو لتوجيه ضربات خطيرة الى ماكنزن الذي كانت مجنبته شبه مطوقة . ولما ذال الخطر اشترك فالكنهاين وماكنزن في دفع الجيش الروماني الى الوراء حتى بوخارست ، ثم انسحب منها بعد ذلك الى خط سيرس ـ البحر الاسود .

واحتلت المانيا منذ ذلك الوقت معظم رومانيا ووضعت يدها على قمحها وبترولها . ولكنها لم تدمر الجيش الروماني الذي نمت معنوباته ، وازدادت قدرته على المقاومة خلال صراعه ضد هجوم الالمان الاخير ، حتى وقعت روسيا البلشفية معاهدة الصلح مع المانيا في ١٩١٧ ، ووجدت رومانيا نفسها منعزلة ومضطرة لعقد معاهدة صلح مماثلة .

الفصالكالشعشر

مسرح العمليات في الجنوب الشرقي او في البحر الابيض المتوسط

مسرح العمليات في ايطاليا:

في عام ١٩١٧ كانت ايطاليا هدف القيادة الالمانية ومسرح عملياتها خسلال الخريف . وكان شكل الجبهة ملائما لقيام الالمان بهجوم غير مباشر من الوجهة الجغرافية والمادية ، وغير ملائم لقيام اعدائهم بمثل هذا الهجوم .

كانت مقاطعة البندقية الايطالية تشكل بروزا داخل الاراضي النمساوية ، يحده من الشمال التيرول النمساوي واقليم ترنتين ومين الجنوب البحير الادرياتيكي ، الذي يشكل شاطئه شريطا ارضيا منخفضا نسبيا . وكانت الحدود حينئذ تحاذي جبال الالب وترسم قوسا كبيرا في الشمال الشرقي يمتد حتى بحيرة غارد . ولم تجد ايطاليا هدفا حيويا في الشمال حيث كانت طبيعة المنطقة جبلية وعرة فلم تندفع للقيام بهجوم في هذا الاتجاه . واكتفت بالتفكير فييا القيام بحركة مباشرة على شكل هجوم في اتجاه الشرق ضد النمسا ، ولكنها ظلت مهددة بهجوم نمساوي قد ياتي على مؤخراتها عبر اقليم ترنتين . ولم تجد

ايطاليا بدا من اختيار هذا السبيل لعدم وجود حل آخر .

واستمرت ايطاليا في هجومها المباشر مدة سنتين ونصف سنة . وفشلت جيوشها في ١١ معركة ولم تتقدم عن نقاط انطلاقها رغم تكبدها خسائر قوامها مليون و.١٠ الف رجل مقابل ٦٥٠ الف رجل فقدتهم النمسا . وقسد قامت النمسا خلال هذه الفترة بهجوم واحد في عام ١٩١٦ عندما حاول القائسد النمساوي هو تزندورف الحصول على مساعدة فالكنهاين المادية بعصد تدمير العدو بضربة حاسمة جنوب ترنتين على مؤخرات الجيش الإيطالي المشتبك حيئذ في ليزونزو . ولكن فالكنهاين اتخذ موقفا حذرا من هذا المخطط ومن «الضربات الحاسمة» التي يحلم بها هو تزندورف وكان ينوي الاستمرار في حرب الانهاك أمام فردان فرفض اعطاء هو تزندورف و فرق المانية لدعم فرقه النمساوية على الجبهة الشرقية . لذا قرر هو تزندورف المفامرة بالعملية بامكانيات الخاصة ، فسحب من الشرق افضل فرقه وعرض جبهته الشرقية لتقدم بروسيلوف دون ان يستطيع جمع وحدات كافية في الالب للقيام بهجوم فعال ضد الإيطاليين .

وكادت المناورة ان تنجع ، ولم يأخذ هذا الهجوم خط انتظار غير متوقع ولكنه حمل في طياته رغم ذلك بعض الصفات غير المتوقعة ، اذ لم تكن القيادة الإيطالية تعتقد بوجود قوات كافية مع هوتزندورف للقيام بعملية واسعة المدى . وكسان الهجوم على مستوى واسع حقا ولكنه لم يكن كبيرا بشكل كاف . وتم الحصول على انتصارات ، ومكاسب سريعة خلال عدة ايام . ولكن القائد الإيطالي كادرونا استطاع ان يسحب قواته الاحتياطية من قطاع ليزونزو واستعد لسحب اللخيرة والمدفعية الثقيلة ، وبقيت المعركة سجالا ، وكاد الهجوم النمساوي ان يصل الى السهل ولكن نقص قواته الاحتياطية حد من اندفاعه . وجاء تقدم بروسيلوف الروسي على الجبهة الشرقية فتوقف كل شيء في هذا القطاع .

بعد سبعة اشهر فكر لودندورف في القيام بضربة مشتركة مع النمسا ضد ايطاليا ، الا أن الوضع كان أقل ملائمة بسبب خطورة موقف النمسا . ولم يكن قادرا على تقديم أكثر من ست فرق تسحب من الاحتياطي العام لدعم حليفسه المنهوك ماديا ومعنويا . ولنقص الامكانيات اقتصر المخطط على القيام بهجوم أكثر مباشرة وأقل أتساعا في أتجاه الزاوية الشمالية الشرقية لجبهة ليزونزو حيث ينعطف الهجوم نحو جبال الالب . وقد تم اختيار نقطة الهجوم آنداك بناء علسى مبدأ يطبق لاول مرة على هذه الجبهة ويقول بضرورة البحث عن أقل الخطسوط التكتيكية مقاومة .

وكانت الخطة الاساسية عبارة عن عمل ثغرة في كابوريتو للاحاطة بالجبهسة الايطالية في ليزونزو ، ثم عدلت هذه الخطة بغكرة اكثر جراة مع بقاء الامكانيات على حالها دون زيادة . وارتكب لودندورف في كابوريتو نفس الخطأ المميسق الاستراتيجي الذي ارتكبه البريطانيون في نفس الوقت في كامبري وهو خطسا اساسه «تفصيل النياب دون مراعاة كمية القماش الموجودة» . وكان خطسسا لودندورف عكس خطأ فالكنهاين الذي كان يطلب دائما قليلا من القماش نظسرا

لسوء تقديره لقاس الثياب ، ثم يضطر لطلب مزيد من القماش لتوسيع حجم الثياب بواسطة الترقيع .

وفي ٢٤ اكتوبر (تشرين اول) انطلق الهجوم الالماني النمساوي بشكل مجهسز جيدا ودون ان يذاع عنه شيء حتى آخر لحظة . ودق بذلك اسفينا بين الجيوش الايطالية ، وبعد ٨ ايام وصل الى تاغليامنتو . ولكن ما ان قام الايطاليسون بسحب وجمع وحداتهم المبعثرة (المتناقصة باستمرار) حتى تابع الهجوم تقدمه نحو الشمال على شكل هجوم مباشر بحت ، ودفع الايطاليين حتى نهر بيساف الذي يعتبر حاجزا قويا يمكن الاستناد عليه . وفكر لودندورف بعد فوات الوقت في توجيه قواته الاحتباطية نحو ترنتين ، وفشلت هذه المناورة لضعف شبكة السكك الحديدية في هذه المنطقة . وحاول الجيش النمساوي الهجوم في ترنتين بامكانياته الضعيفة دون جدوى ، لانه لم يعد قادرا على العمل بشكل فعال ضد مؤخرات عدو سحب وحداته وقواته الاحتياطية الى الخلف مسافة كبيرة .

وانقضت لحظة المفاجأة الاساسية ، وأصبح الهجوم النمساوي _ الالمانيي عبارة عن مناورة التقاء مباشرة جعلت الإيطاليين يتراجعون نحو قواتهم الاحتياطية ومراكز تموينهم وبلادهم ونجدات حلفائهم . وكانت النتيجة الحتمية سلبية ، ولكن مدى النجاح الذي تم الحصول عليه بوسائط ضعيفة كهذه يشكل مع ذلك ردا تهكميا على تصرف فالكنهاين الذي رفض في بداية عام ١٩١٦ قبول مخطط هوتزندورف الذي كان ينطوي على آمال عريضة .

مسرح العمليات في البلقان:

لنحاول قبل دراسة مخطط لودندورف لعام ١٩١٨ ان نتذكر الطريقة التي تصرف او حاول ان يتصرف بها خصومه خلال السنوات الثلاثة السابقة باستثناء عملياتهم في الجبهتين الروسية والفرنسية .

فبينما كانت القيادة العامة الفرنسية والبريطانية تؤمن ايمانا لا يتزعزع بمزايا الهجوم المباشر ، فقد كان هناك من يشك ، ابتـــداء من شهر اكتوبر ١٩١٤ ، في قيمة هذه المزايا ، وكان بعض هؤلاء الذين ساورهم الشك بعيدين عن الجبهة، وبعضهم قريبين منها ، ومن هؤلاء الناس غالييني في فرنسا ، وكيتشنر في الجلترا ، ولقد كتب كيتشنر في لا يناير (كانون ثاني) ١٩١٥ الى سير جــون فرنش : «يمكن اعتبار خطوط الالمان في قرنسا حصنا لا يمكن احتلاله بانقضاض مباشر ، كما لا يمكن الاستدارة حوله تماما ، لذا يجب تثبيته بقوات معينـــة والاستمرار في العمليات في مكان آخر» .

وقد زعم البعض ومنهم ونستون تشرشل انه يمكن اعتبار مجموع السدول المعادية كتلة واحدة ٤ وان التقدم الحديث قد طور جذريا طريقة تقدير المسافات

وقدرة الحركة ، وان ضربة على مسرح عمليات مجاور تشكل هجوما استراتيجيا على مجنبة العدو في المسرح الاصلي . كما أن عمليسة كهذه تبدو ملائمسسة للاستراتيجية البرمائية التقليدية في بريطانيا ، وتسمح لها باستثمار التفوق الناجم عن سيطرتها البحرية والتي لم تستغلها حتى ذلك الحين ، وفي ينايسر (كانون ثاني) 1910 دعم كيتشنر المخطط الذي يطالب بقطع الطريق الرئيسسي لمواصلات تركيا مع الشرق بالنزول في خليج اسكندرونة . ولقد دلت تعليقات هندنبورغ وانور باشا بعد الحرب على أن عملا كهذا كان قادرا على شل حركة تركيا رغم عجزه عن تحقيق نتيجة حاسمة .

واقترح لويد جورج نقل معظم القوات البريطانية الى بلاد البلقان ، واختراق بلاد العدو ومن «الباب الخلفي» ولكن القيادتين الفرنسية والبريطانية الواثقتين بصعوبة من اقتراب النصر في الجبهة الفرنسية قاومتا هذه الفكرةبشدة محتجتين بصعوبة المواصلات والتعوين وسهولة ارسال وحدات المانية الى البلقان لمجابهة هذا التهديد. وهذه اسباب وجيهة ولكن حماسة القيادتين الفرنسية والبريطانية دفعتهما الى المبالغة في تقدير اهمية هذه الاسباب ، ولكن هاتين القيادتين كانتا اقل معارضة لمخطط غالبيني في البلقان ، وكان هذا المخطط يهدف الى انزال قوات في سالونيك ، وجعل هذه المدينة قاعدة انطلاق لجيش قوي يزحف في اتجساه القسطنطينية ويرغم اليونان وبلغاريا على الانضمام للحلفاء ، على ان يتبع احتلال العاصمة التركية تقدم مشترك مع الرومانيين على طسول نهر الدانوب حتسى امبراطورية النمسا وهنغاريا ، وفي سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ رات القيادة العسكرية الالمانية في هذا المخطط حركة خطيرة وحاسمة ضدها ، وكان هذا التهديد الذي برز. في الاسبوع الاول من نوفمبر (تشرين ثاني) عاملا من العوامل الرئيسيسة التي عجلت باستسلام المانيا .

ومن الجدير بالذكر ان قيادة الحلفاء المسكرية تجاهلت في يناير (كانون ثاني) 1910 كل الاقتراحات التي كانت ترمي الى القيام بعمليات مشاغلة ومنع تجميع كل الجهود على الجبهة الغربية ، ولكن بقيت الفكرة كامنة حتى وجد الحلفساء انفسهم في وضع يسمح لهم ببعث مخطط الشرق الادنى بشكل جديد وعلسسى مستوى اصغر ،

في ٢ يناير (كانون ثاني) طلب الفراندوق نيقولا من كبتشنر القيام بعمليسة مشاغلة لتخفيف ضغط تركيا على الجيوش الروسية في القوقاز . ولم يكن لدى كبتشنر قوات كافية ، فاقترح القيام بمظاهرة بحرية امام الدردنيسل . ورأى تشرشل النتائج الاقتصادية الاستراتيجية الهامة التي قد تنجم عن هذه المظاهرة فاقترح تحويلها الى عملية اقتحام لمضيق الدردنيل نظرا الى انه ليس من المكن تقديم المساعدات التي طلبها الروس . وجنمعت قوة بحرية معظمها من السفسا القديمة بالتعاون مع الغرنسيين . وفي ١٨ مارس (آذار) دخلت السفن الحربية في مضيق الدردنيل بعد قصف شديد بالمدافع . ولكن الالغام البحرية العائمة التي ذرعت منذ وقت طويل في مكان غير متوقع اغرقت بعض السفن وفشلت

المحاولة .

ويمكن هنا أن نتساءل عن أمكان نجاح مثل هذه العملية لو أنها تكررت مرة نانية بسرعة وخاصة بعد نفاد الذخيرة التركية ، الامر الذي بسهل عملية اجتياز الالغام العائمة . ولكن القائد الجديد للقوات البحرية الاميرال دوروبيك اعترض على ذلك المشروع الا اذا تم دعمه برا . وكان المجلس العسكري قد قرر قبل ذلك بشبر القيام بهجوم مشترك ، وارسل وحدات بقيادة بان هاملتون . وترددت الفيادة في ارسال الوحدات اللازمة . ولما أرسلت هذه الوحدات بأعداد قليلة غير كافية انساع الحلفاء عدة اسابيع في الاسكندرية لتنظيم نقلها حسب متطلبات العمل التكتيكي . وزاد الطين بلة سياسة التردد التي اضاعت فرصة المفاجأة ، وكانت القوات التركية خلال القصف المبدئي في فبرآير (شباط) عبارة عسسن فرقتين ، ولما بدأت المحاولة البحرية زيدت هذه الفرق الى اربع ، وعندما وجد هاملتون نفسه جاهزا للقيام بعملية انزال الجنود بلغ عدد الفرق التركيسة ست فرق ، وكانت قوات هاملتون المؤلفة من } فرق بريطانية و فرقة فرنسيمسة واحدة أضعف في مجموعها من قوى العدو الذي يتمتع علاوة على ذلك بالميزات التي يملكها الدفاع في مواجهة الهجوم ، وزادت هذه الميزات بسبب صعوبة الارض . وأضطر هاملتون نظرا لضعفه العددي واقتصار مهمته على دعم عبدور الاسطول الى انزال الجنود في شبه جزيرة غاليبولسي بدلا من انزالها على ال الشاطيء الآسيوي .

وفي ٢٥ ابريل (نيسان) انطلق البريطانيون من الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة قرب غابات تيبة على بعد ١٥ ميلا من شاطىء بحر ايجه وقاموا بقفزة اولى الى الامام ، ونزل الفرنسيون المكلفون بالقيام بعملية مشاغلة وخداع مدة من الزمن في كوم كاليه على الشاطىء الآسيوي ، ولما انتهى تأثير المفاجأة الاساسية استطاع الاتراك جلب قواتهم ، ولم يعد المهاجمون قادرين على توسيع راس جسرهسم المهدد باستمرار .

وفي يوليو (تموز) قررت الحكومة البريطانية ارسال خمس فرق جديدة لدعم الفرق السبع الموجودة آنذاك في شبه الجزيرة ، وعندما وصلت هذه القوات وجدت عدد الفرق التركية قد بلغ ١٥ فرقة . وقرر هاملتون القيام بعملية معقدة تهدف الى القيام بضربة ضد غاباتيبة بمجموعة من قوارب الهجور ، في الوقت الذي تم فيه انزال مفرزة من الجنود على بعد عدة أميال الى الشمال في خليج سو فلا للسيطرة على أواسط شبه الجزيرة وتأمين المرتفعات المسيطرة على المضيق وقد تبدو هذه الصدمة مباشرة اكثر مما لو تم انزال القوات في بولايير او على الشاطىء الآسيوي ولكنها تمت في اتجاه لا يتوقعه العدو الذي كانت قواتما الاحتياطية متجمعة في مكان آخر بعيد عنه . ولم تكن القوات التركية التي تدافع عن المر تتجاوز خلال ذلك ٣٦ كتيبة ونصف من الجنود ، ثم وصلت النجدات وضاعت الفرصة من يد الحلفاء . وهنا ادى نقص خبرة وحدات النزول ، وعدم براعة قادة الهجوم ، وضياع الامل الناجم عن الفشل ، واستمرار مقاومة من براعة قادة الهجوم ، وضياع الامل الناجم عن الفشل ، واستمرار مقاومة من

كانوا ضد فكرة هذا المشروع من البداية ، الى الجلاء عن شبه الجزيرة ، ويقول القائد الالماني فالكنهاين في هذا الصدد : «لو كانت المضائق الواقعة بين البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود مفتوحة امام قوافل الحلقاء لنقصت فرصة ربح الحرب امامنا ، ولتخلت روسيا عن عزلتها التي نستفيد منها لمسات تقدمه لنا من ضمانات تفوق ضمانات النجاح العسكري» .

ولم يكن الخطأ كامنا في تنظيم المخطط بل في تنفيذه ، ولو زج البريطانيون منذ البداية ببعض القوات التي اضطروا الى ارسالها فيما بعد على دفعات متتالية لكان نجاحهم محتملا . ويمكن اعتبار معركة الدردنيل ، هجوما مباشرا ضد تركيا وغير مباشر ضد معظم الجيوش التركية التي كانت تقاتل حينئذ في جبال القوقان، كما يمكن اعتبارها على المستوى الاكبر هجوما غير مباشر ضد الالمان وحلفائهم في وسط أوربا . ولو قارنا نتائج الصراع العقيم في فرنسا حيث اشتبكت قسوات كبيرة على مساحات صغيرة بشكل يمنع تحقيق اختراق حاسم ، مع فكرة الغزو في الدردنيل ، لوجدنا هذه الفكرة متلائمة في الاصل مع المبدأ القائل بغرورة مطابقة الهدف مع الواسطة ، ولو أن هذا المبدأ لم يحترم خلال التنفيذ .

حقل العمليات في فلسطين وما بين النهرين :

لا يمكننا ادخال الحملات في الشرق ضمن هذه الدراسة لانها كانت بعيدة عن مسرح العمليات الرئيسي بحيث لا تستطيع القيام بتأثير استراتيجي حاسم واذا اعتبرناها عمليات مشاغلة استراتيجية وجدناها تمتص عددا من القسوات البريطانية يزيد عما وضعه العدو لمجابهتها .

ويمكننا أن نقر هنا بوجود النتيجة السياسية ، لان بريطانيا عدلت من قبل بشكل مستمر هزائم خلفائها في القارة الاوربية باحتلال مواضع العدو فيما وراء البحار ، وتشكل مثل هذه العمليات اوراقا رابحة في مباحثات الصلح ، اذا كان الموقف في حقل العمليات الرئيسية سيئا او غير ملائم ، كما انها تبعث الحماس في نفوس المقاتلين طوال مدة الصراع (۱) .

1 ــ ان الذين عانضوا بعد الحرب فكرة اعادة جزء من المستعمرات لالمانيا واثاروا فكرة الخطر الذي تشكله هذه المستعمرات في المباشرة الذي تشكله هذه المستعمرات في المباشرة بالنسبة للبريطانيين في حرب مقبلة ، اذ يعرف البريطانيون ان احتلال هذه المستعمرات في المستقبل والحصول على نجاح أولى فيها بفضل تفوق القوى البحرية البريطانية يعوض التأثير المعنوي السيء وققدان الهيبة بسبب الهزيعة في أوربا ، كما ان خصول دولة قارية على مناطق وراء البحار يسهل قطع مواصلاتها معها ويرغمها على الاعتدال والحد من نواباها العدوانية ، ولقد بدا ذلك واضحسا عندما ترددت ايطاليا طويلا في دخول الحرب عام 1971 خوفا على مستعمراتها ، ولم تدخلها الا بعد ان تأكدت من انتصار حليفتها ، هذا مع العلم ان مجموعة قواعد منتشرة فيما وراء البحار قد تخفف الرغبة في الحرب ولكنها لا تقضي عليها نهائيا .

وتستحق الاستراتيجية المحلية في فلسطين رغم ذلك شيئا من الاهتمام . لقد كانت في البداية خليطا من الهجوم المباشر وغير المباشر ، واستخدمت الخط المتوقع من قبل العدو الذي كان اطول الطرق واصعبها للوصول الى مركز القوة التركية الحيوي ، وفي مارس (آذار) وابريل (نيسان) ١٩١٧ ، وبعسد فشلين متتاليين في غزة التي كانت حصنا يحمي طريق الهجوم المباشر بين مصر وفلسطين بمحاذاة الشاطىء ، جرب البريطانيون هجومسسا اقل مباشرة مع كافة القوات الموجودة .

ووضع شيتوود مخططا وافق عليه اللبي ، وكان هذا المخطسط غير مباشر جغرافيا ضمن الحدود التي تسمح بها امكانية التموين بالماء وضيق المنطقسة المحصورة بين البحر والصحراء . وكانت مواقع الاتراك الدفاعية في غزة تمتد مسافة عشرين ميلا داخل البلاد ، بينما كانت بئر السبع الواقعة على بعسد . اميال تشكل منطقة امامية تغطي الجزء الشرقي من منطقة الهجسوم المحتمل . واستطاع اللنبي جذب انتباه الاتراك نحو غزة بغضل مجموعة من الخدع مسع الاحتفاظ التام بسرية الخطة ، ثم احتل بلدة بئر السبع بهجوم عنيف مفاجىء على الجزء غير المحصن منها . واستفاد بذلك من منابع مياهها . وكانت الخطة عبارة الجزء غير المحصن منها . واستفاد بذلك من منابع مياهها . وكانت الخطة عبارة البزء غير المحسن منها . واستفاد بدلك من منابع مياهها . ولانت الخطة عبارة التفاف خيالة بئر السبع بسرعة حول مؤخرة الاتراك . ولكن صعوبة التموين بالماء وهجوم الاتراك المضاد شمالي بئر السبع اوقفا هذه المناورة . وتم اختراق الجبهة التركية دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، ووجدت القوات التركية نفسها مطرودة التي كان البريطانيسسون بهما .

ولقد تأخرت عمليات التطويق والابادة بعد ذلك سنة كاملية حتى سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ . وفي ذلك الوقت جرت في الصحراء الشرقية والجنوبية عمليات غريبة ساعدت على إضعاف القوات المحاربة التركية ، وسلطت الاضواء عليسي استراتيجية خاصة للهجوم غير المباشر ، وهذه العمليات هي عمليات الشورة العربية التي نشبت بمساعدة لورانس ، ويمكن اعتبارها في مجموعها من عمليات حرب العصابات التي تعتبر بطبيعتها من اعمال الهجوم غير المباشر ، ولكسسن استراتيجيتها المدروسة علميا كان لها تأثيرها الاكيد على الحرب العادية .

ولقد كانت هذه العمليات صورة صادقة للهجوم غير المباشر ، لذا نراها تؤدي الى نتائج فعالة قليلة التكاليف ضمن حدود امكانياتها البسيطة . وكان العرب اكثر حركة وأقل تحملا للخسائر من الجيوش النظامية ، اما الاتراك فلم يبسدوا اي اهتمام لفقدان الرجال على عكس تأثرهم الواضح بفقدان العتاد الذي بدا يتناقص عندهم بسرعة . وكانوا يصمدون بصورة رائعة اذا ما هوجموا في خنادقهسسم ويسددون نيرانهم باحكام على الاهداف المتجهة نحوهم مباشرة ، ولكنهم كانسسوا يعجزون عن الاستمرار في بذل جهد طويل الامد في العمليات العسكرية التسبي

تحتاج الى مرونة وحركة كبيرتين ، وكانوا يأخذون على عاتقهم احتلال مساحات كبيرة من الارض بامكانيات لا تكفي لتشكيل شبكة فعالة من المراكز الدفاعيــــة المتباعدة التى تحمى مواصلات طويلة تمتد في مناطق غير مأمونة .

وكان العرب يتحاشون القتال في الظروف التي يسعى اليه فيها اي جيش عادي : وكانوا يبحثون عن تدمير عتاد العدو في النقاط غير المحروسة بدلا من محاولة تدمير قوات العدو كما تفعل عادة الجيوش التقليدية. وذهبت استراتيجية لورانس الى ابعد من ذلك ؛ فلم يحاول طرد العدو بقطع التموين عنه بل حاول تثبيته في موقعه بالسماح لكمية قليلة من التموين بالوصول اليه ، بصورة يزداد معها ضعف العدو المادي والمعنوي كلما طال بقاءه . ولو قام لورانس بهجمات جدية قوية لاضطر العدو الى التجمع مما يسهل على العدو مشكلتي التموين والحيطة . ولكنه فضل القيام «بوخزات» تزغم العدو على بعثرة قواته . وسارت استراتيجيته على خط القاومة الاضعف . ولقد شرحها لورانس بقوله : «لم يحاول الجيش العربي الاحتفاظ بالنصر او استثماره ، ولكنه كان يتحرك دائما ليضرب من جديد في نقطة اخرى . لقد استخدم اقل القوي في اصغر زمن وفي أبعد مكان . ولو استخدم طريقة اطالة مدة العمليات لدرجة تدفع العدو الى تبديل تكتيكه الخاص بالقتال بقصد الاستمرار في المقاومة لخالف القاعدة الاساسية التي ترمي الى عدم اتاحة الغرصة للعدو لتنفيذ اغراضه» .

فما هو وجه الخلاف بين هذه الاستراتيجية ، وتلك التي طبقت في عام ١٩١٨ على الجبهة الفربية ؟ انهما في الحقيقة متشابهتان ولكن احداهما اكثر تطورا من الاحرى ، وتطبيقها في الحرب العادية مشروط بعوامل الزمن والامكانيات وسعة حقل العمل . لقد كانت عبارة عن نوع سريع وفعال من انواع الحصار ، ولكن نتائجها ابطأ من نتائج استراتيجية التدمير . ان استخدام استراتيجية التدمير بصبح ضروريا اذا تطلب الموقف انتصارا سريعا بسبب السياسة الوطنية ، وقلد تكون ابطأ واكثر كلفة وخطرا من استراتيجية لورانس الا اذا لجأت لسبيل غير مباشر مباشر للعمل ، وقد يعرقل العمل كثافة الوسائط المستخدمة وصغر مساحة حقل العمليات ، وكقاعدة عامة يجب علينا في الحرب العادية اختيار هجوم غير مباشر يؤدي الى النصر السريع الحاسم بإيقاع العدو في فخ ، فاذا تعدر مثل همذا الهجوم او فشل بعد قيامه وجب استخدام هجوم غير مباشر يهدف الى تحقيق النصر عن طريق استنزاف قوى الخصم وسحق ارادته ، وتظل كافة الحلسول افضل من الهجوم المباشر .

ولم تسنح الفرصة امام الاستراتيجية العربية لمتابعة اهدافها ؛ ففي سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ ادت هذه الاستراتيجية الى شل حركة الجيش التركي المنتشر على طول الخط الحديدي في الحجاز وقام اللنبي بضربة حاسمة في فلسطين لعبت فيها القوات العربية دورا هاما ، وانهارت القوات التركية الرئيسية انهيارا تاما. وهنا نتساءل : هل يمكن النظر الى العمليات التي انهت الحرب في فلسطين

اشتباك بين الطرفين منذ بداية الصراع ، وقد تحقق النصر قبل انتهاء القتسال بحيث ان هذه العمليات تبدو بالاحرى كأنها معادك . ولكن النصر جاء قبل كل شيء بطرق استراتيجية ، ولم يكن للقتال فيها دور هام .

وهذا ما ادى في الحقيقة الى الاقلال من قيمة نتائجها في نظر من يؤمنون بمبدأ كلوزفيتس القائل بأن الدم المراق هو ثمن النصر . وبالرغم من تفوق قوات اللنبي عدديا (٢ او ٣ ضد ١) فان احتمالات نجاحه كانت اقل من احتمالات نجاح النقدم البريطاني الاول في فلسطين الذي انتهى الى الفشل . وليس التفوق العددي كل شيء فكثيرا ما فشلت الهجمات في الحرب العالمية وفي الحروب التي سبقتها رغم هذا التفوق .

ومما يقلل من انتصار اللنبي وقوعه بعد ان انخفضت قوة الاتراك المعنوية . ولكن رغم الشروط الملائمة في سبتمبر (ايلول) ١٩١٨ يمكن اعتبار هذا الانتصار من روائع التاريخ الحربي لما تميز به من بعد نظر . اننا نعترف بأن المهمة كانت سهلة ولكننا نعترف ايضا بأن هذه المعركة في خطوطها الرئيسية هي اللوحسة الوحيدة تقريبا لفكرة حسنة نفذت بشكل ممتاز .

ومخطط معركة فلسطين يتلاءم جيدا مع تعريف الاستراتيجية الذي قدمه ويليش والقائل بأنها: «دراسة المواصلات» ، كما يتلاءم مع قول نابليون «يكمس سر فن الحرب في السيطرة على المواصلات» . لان هذا المخطط كان يهدف الى تحقيق سيطرة البريطانيين على جميع المواصلات التركية بمختلف اشكالها . ويعني قطع مواصلات جيش ما شل تنظيمه المادي ، أما قطع خط انسحابه فيعني شل تنظيمه المعنوي ، كما أن قطع خطوط الاتصالات الداخلية التي يتم بواسطتها نقل الاوامر والتقارير فيعني شل جهازه العصبي الذي يصل المخ بالاعضاء العاملة في الجسم . وكان الطيران في هذه المعركة مكلفا بتنفيذ المهمة الثالثة أذ طرد مسن الجو كافة الطائرات المعادية ، فأصبحت القيادة التركية عاجزة عن الرؤية ، ثم قصف المراكز اللاسلكية والتلفونية في العفولة فأفقد هذه القيادة امكانية النطق والسمع . ويعود الفضل في تنفيذ المرحلة الثانية للعملية الى العرب الذين قطعوا السكة الحديدية الرئيسية في درعا مما أدى الى نتيجة مادية نمثلت في توقف عيار التموين التركي بعض الوقت وهذا أمر كبير الاهمية . كما أدى الى نتيجة معنوية دفعت القيادة التركية الى أرسال جزء من قواتها الاحتياطية الى أمكنة الحوادث .

كانت الجيوش التركية الثلاثة مرتبطة مع دمشق بطريق حديدي واحد . وكانت درعا نقطة التقاء الخط الحديدي الذاهب الى الجنوب في اتجاه الحجاز . والخط الآخر الذاهب الى الفرب نحو العفولة على الضفة الثانية لنهر الاردن حيث يتفرع الى فرعين يتجه احدهما الى الغرب نحو حيفا كما يتجه الثاني الى الجنوب نحو المنطقة التي يحتلها الجيشان التركيان السابع والثاميس . وكان الجيش التركي الرابع في شرق الاردن يعتمد على الخط الحديدي الحجازي . وكسان احتلال العفولة ونقطة اجتياز الخط الحديدي على نهر الاردن قرب بيسان يعني

قطع مواصلات الجيشين التركيين السابع والثامن واغلاق خط انسحابهما العادي السهل ، مع بقاء سبيل انسحاب واحد صعب نحو الاراضي الوعسرة في شرق الاردن . اما احتلال درعا فكان بمثابة السيطرة على مواصلات الجيوش التركية الثلاثة وقطع افضل طرق تراجع الجيش الرابع .

كانت درعا بعيدة عن الجبهة بشكل يمنع البريطانيين من الوصول اليهسا بسرعة للتأثير على النتيجة النهائية . ولكن العرب انطلقوا من الصحراء كأشباح اسطورية وقطعوا الخطوط الحديدية الثلاثة . الا ان طبيعة الارض وموقع درعا ونوع التكتيك العربي كل هذا لم يسمح بعمل سد استراتيجي على مؤخرة الاتراك، وكان اللنبي يبحث عن مكان اقرب لعمل هذا السد والحصول على نصر سريع ، فوجد ان مفترق طرق العفولة والجسر الموجود على نهر الاردن قرب بيسسان واقعان في منطقة تبعد . ٢ ميلا عن الجبهة ، اي ضمن مدى قفزة استراتيجية تقوم بها الخيالة والعربات المدرعة ، على ان يتم الوصول الى هاتين النقطتين الحيويتين دون ملاقاة اي حاجز . وكان من الضروري ايجاد طريدة هجوم لا يستطيع العدو اغلاقه في الوقت المناسب ، والتحقق مقدما من عدم وجسود تحضيرات بهذا الصدد .

فكيف تم حل المعضلة ؟

يشكل سهل شارون الساحلي ممرا الى سهل مرج ابن عامر ووادي بيسسان الذي توجد فيه العفولة وبيسان ، وكان هناك باب واحد لسد هذا المم ، وكان هذا الباب بعيدا او غير محروس ومؤلفا من خط الجبال الصغير الذي يفصل سهل شارون الساحلي عن سهل بيسان في الداخل ، وكان مدخل المر مغلقا بخنادق الاتراك .

وهنا استخدم اللنبي طريقة تعتمد على الاستعاضة عن قدف القنابل بمجموعة من الخدع والحيل حتى توصل الى ابعاد انظار العدو عن الشاطىء نحو وادي الاردن . وساعده على ذلك فشل هجومين قام بهما في الربيع في شرق الاردن . وفي شهر سبتمبر (ايلول) كان الاتراك ينظرون نحو الشرق عندما تقدمت وحدات اللنبي خفية في الغرب حتى وصلت الى الشاطىء وارتفع تفوقها العددي البالغ كاضد احتى بلغ ه ضد ا . وفي ١٩ سبتمبر (ايلول) تقدمت المشاة بعد تمهيد كثيف بالمدفعية لمدة ربع ساعة واحتلت دون صعوبة الخندقين التركيين المجهزين بشكل بدائي . ثم استدارت نحو الشرق وغيرت اتجاهها الى الداخل واندفعت الخيالة من الباب المفتوح ودخلت المر مع العربات المدرعة ودخلت عبر المصرات الجبلية حتى سهل مرج بن عامر . وبعود معظم الفضل في هذا النجاح السمى نشاط الطيران البريطاني الذي جعل القيادة التركية صماء عمياء بكماء .

وفي اليوم التالي تم عمل السد الاستراتيجي على مؤخرة الاتراك . ولم يعد المامهم سبيل سوى واحد للخلاص في الشرق على الطرف الثاني لنهر الاردن ، وكانوا قادرين على الوصول اليه لولا تدخل الطيران البريطاني . وكانت مشاة اللنبي يتقدمون ببطء بسبب مقاومة مؤخرات العدو الشديدة . وفي صباح ٢١

سبتمبر (ابلول) اكتشف الطيران البريطاني رتلا معاديا كبيرا يضم تقريبا كل ما بقي من الجيشين التركيين المنسحبين ؛ متجها نحو الاردن ، فقام بهجوم جوي دام اربع ساعات وبعثر الرتل وزال الجيشان التركيان السابع والثامن من الوجود.

أما في شرق الاردن فكان الوضع غير ملائم لعمل مثل هذا السد . وتمت تصفية الجيش الرابع بسرعة بواسطة وخزات متتالية غير متقطعة بدلا مسن استخدام التدمير العنيف . وسقطت دمشق نتيجة لذلك . ثم تم استغلال هذا النصر بالسير نحو حلب على بعد ٢٠٠ ميل من دمشق وعلى مسافة ٣٥٠ ميل من قواعد الانطلاق التي غادرها البريطانيون قبل ٣٨ يوما . وتم خلال هذا التقدم أسر ٧٥ الف جندي تركي ، وخسر البريطانيون اقل من خمسة آلاف رجل .

عندما وصل اللّنبي الّى حلب كانت تركيا مهددة باحتمال انهيار بلغاريا وتقدم جيش الجنرال ميلين المنطلق من سالونيك في اتجاه استنبول ومؤخرات البلاد، فاضطرت الى الاستسلام في ١٣ اكتوبر (تشرين اول) .

نلاحظ عند نحليل النصر الحاسم في فلسطين ان الاتراك كانوا قادرين على ايقاف المشاة البريطانيين حتى لحظة انتشار نبأ السد الاستراتيجي الذي تم على مؤخراتهم ، اذ ادى هذا النبأ الى نتيجة معنوية حاسمة . لقد كانت المساة ضرورية لاقتحام الخنادق في هذه المعركة ، وما ان تم ذلك حتى تم تحقيق النصر بواسطة عناصر متحركة لم تكن تشكل سوى جزء من القوى الرئيسية .

وتمتاز هذه الحالة من الهجوم الغير مباشر بأن تحضيرها كان جيدا ، وكان تنفيدها يعتمد على سرعة حركة المهاجم التي تفكك قوى العدو وتفقده معنوياته . وكانت هذه السرعة في الحركة مفاجأة قوية للعدو لدرجة أثرت فيه تأثيرا شديدا.

وكان هناك ميدان عمليات آخر يستحق الملاحظة هو ميدان سالونيك في الجنوب الشرقي من الميدان الاوربي ، وقد تم ارسال قوات الحلفاء اصلا الى هذا الاتجاه للقيام بمحاولة دعم قوات الصرب في خريف عام ١٩١٥ ، وبعد ٣ سنوات انطلق من نفس المكان هجوم كانت له نتائج كبيرة ، ولكن رغم وجيود اسباب سياسية واستراتيجية هامة تقتضي التمسك بنقطة ارتكاز في البلقان فان من الضروري التساؤل عن الحكمة في تكريس عدد كبير من الوحدات البريطانية لهذه الغابة حتى بلغت حوالي نصف مليون رجل ، فيما أسماه الالمان بكل تهكم اكبر معسكر اعتقال .

الفصل *البع عنثر*

الاستراتيجية في عام ١٩١٨

تتطلب دراسة الاحداث العسكرية في السنة الاخيرة لهذه الحرب معرفة وضع البحرية قبل عام ١٩١٨ بسبب تأثير ذلك على الاحداث بشكل عميق ، ان هذه البحرية لم تقم بمعركة حاسمة معركة الطرف الأغر ولكنها اشتركت اكثر من اي عامل آخر في تحقيق النصر للحلفاء ، لقد كانت البحرية أداة الحصار ، ولمسا درس هذا الحصار بعد انتهاء الحرب ظهرت آثاره الهامة الخطيرة لدرجة اعتبره البعض اول عامل ادى الى حسم نتيجة الحرب .

يؤدي العجز غالبا الى فقدان الامل ، ويؤكد التاريخ ان للامل اثرا اكبر مسن فقدان الرجال . ولا يمكن لاي مؤرخ تجاهل قيمة التأثير المباشر الذي اصلاب الشعب الالماني بسبب حالة «نصف الجوع» التي كان يعاني منها وكيف ادى ذلك الى انهيار «الجبهة الداحلية» . فاذا ما تركنا جانبا موضوع تأثير الثورة على الفشل العسكري وبالعكس ، وجدنا ان عامل الحصار قد تدخل جديا في كهل التقديرات العسكرية .

وكان الخطر الكامن في الحصار سببا من الاسباب التي دفعت الالمان الى اول هجوم بالغواصات في فبراير (شباط) ١٩١٥ الامر الذي دفع بريطانيا الى الغاء اتفاقية لندن ، وتقوية الحصار بايقاف وتفنيش كل السفن التي تعتقد انها تقوم

بتموين المانيا . واتاح حادث اغراق الباخرة لوزيتانيا (١) بطوربيد غواصة المانية للولايات الامريكية سببا وجيها لدخول الحرب ضد المانيا ، وقضى على الخلافات في وجهات النظر الانجلو ـ امريكية حول موضوع الحصار .

وبعد مضي عامين دفعت الازمة الاقتصادية الناتجة عن الحصار القسادة العسكريين الالمان الى مضاعفة حرب الفواصات . وكانت بريطانيا تعتمد علسي البحر لتموين شعبها وجيشها ، وهذه في الحقيقة نقطة ضعفها ، وكان هجوم الغواصات الالمانية على مواصلاتها البحرية بمثابة هجوم غير مباشر على مستوى الاستراتيجية العليا وله نتائج محتملة حاسمة . ورغم بعض اخطاء الالمان وجدت بريطانيا نفسها في وضع حرج فعلا . وارتفعت الخسائر البحرية من ..ه الف طن في شهر قبراير (شباط) الى ٥٧٥ الف طن في ابريل (نيسان) . وهنا بادر البريطانيون باتخاذ تدابير مضادة للفواصات ، وكان عدد الغواصات الالمانية غير كاف ، فقل عدد سفن الحلفاء التي تفرقها هذه الغواصات ، ولم يكن عند بريطانيا الذاك من المؤن ما يكفيها الالمدة ستة اسابيع فقط .

لقد كانت آمال القادة الإلمان كبيرة في الحصول على النصر عن طريق الضغط الاقتصادي ضد بريطانيا ، فلما فشل هذا الضغط بداوا يشعرون بالخوف مسن وقوع انهيار اقتصادي في بلادهم ، اذا ما طبق العدو ضدهم هذا النوع مسن الضغط . لقد بداوا حرب الغواصات وهم يعلمون خطورة هذا العمل واحتمال دخول الامريكيين الحرب بسببه ، وفي ٦ أبريل (نيسان) تحقق هذا الخطر ، ورغم تأخر دخول الامريكيين في المعركة واستفادة الالمان من هذا الوقت الضائع فقد ادى مجرد اعلان الحرب الى زيادة ضغط الحصار البحري ضد المانيا . وما ان دخلت الولايات المتحدة الحرب حتى بدات باستخدام هذا السلاح الاقتصادي ان دخلت الولايات المتحدة الحرب حتى بدات باستخدام هذا السلاح الاقتصادي اعتراض المحايدين ، وانقلب الحصار بعد دخول امريكا الى خنق دائسم تراخت المانيا بسببه باستمرار لان القوة العسكرية تقوم على الوضع الاقتصادي ، وهذه حقيقة هامة يتجاهلها الكثيرون .

ويمكن اعتبار هذا الحصار استراتيجية عليا لا يمكن مقاومتها وكان خطرره ناجما من بطء تأثيره ، وتزايد هذا التأثير بتزايد مدته ، وفي نهاية عام ١٩١٧ شعر الالمان وحلفاؤهم به بشكل مرير ، فاضطروا للقيام بمحاولة يخلصون منها انفسهم من انهيار اقتصادي محقق ، وكانت هذه المحاولة عبارة عن هجروم عسكري قاموا به في عام ١٩١٨ ، وما ان فشل هذا الهجوم حتى بدت الكارثة

ا باخرة ركاب انكليزية ضربتها غواصة المانية بالطوربيد قرب شواطئ، ايرلندة في ٧ مايو
 (مايس) ١٩١٥ مما ادى الى مقتل ١٣٨٠ شخصا منهم ١٢٤ امريكيا وكان هذا الحادث سببا فسي
 دخول الولايات المتحدة الحرب ضد المانيا ، «المرب»

بشكل مفجع ،

ولو طبقت المانيا بعد معركة المارن في عام ١٩١٤ او بعد ذلك بقليل خطسة دفاعية في الجبهة الفربية وهجومية على الجبهة الشرقية لامكن تغيير نتيجسسة الحرب . لانه كان في استطاعتها حينئذ تحقيق حلمها في السيطرة على اوروبا الوسطى ، دون التأثر بالحصار بشكل فعال ما دامت امريكسا خارج الحرب ، والسيطرة على اوروبا الوسطى تعني اخراج روسيا من المعركة ، وعندئلا فان فرنسا وانكلترة وايطاليا لم تكن لتستطيع اكثر من دفع المانيا الى اخلاء بلجيكا وشمال فرنسا كبديل عن مكاسب المانيا في الشرق ، ولاصبحت المانيا بعد هذه المكاسب كبيرة وقوية وقادرة على الاكتفاء بما حصلت عليه ، والتخلي عن النصر في الفرب على الحلفاء ، وفي الحقيقة يمكن اعتبار التخلي عن الجهد غير المجدي عملا بميز الاستراتيجية العليا عن الحماقة الكبرى .

ولم تعد الفرصة ملائمة لذلك في عام ١٩١٨ لان قوة المانيا الاقتصادية غدت ضعيفة ، وكان ازدياد ضغط الحصار يؤدي الى خفض قوة مقاومتها بسرعسسة تفوق سرعة استفادتها من المنابع الاقتصادية التي استولت عليها في رومانيسا واوكرانيا .

في هذه الظروف انطلق الهجوم الالماني النهائي للحصول على نصر عسكري ينقذ الوطن . وكانت الوحدات الالمانية العائدة من الجبهة الروسية قد اعطت المانيا تفوقا عدديا ، ولكنه اقل من التفوق العددي للحلفاء بالنسبة لالمانيا خلال هجماتهم السابقة . ففي مارس (آذار) ١٩١٧ كان لدى الحلفاء ١٧٨ فرقة مقابل ١٢٨ فرقة المانية ، بينما كانت قوات الالمان في مارس (آذار) ١٩١٨ تبلغ ١٩٢ فرقة مقابل فرقة مقابل في دلك اربع فرق امريكية ونصف فرقة وصلت حديثا وتعادل كل واحدة منها عدديا فرقتين من الحلفاء) .

وكان الالمان قادرين على جلب قوات اخرى من الشرق لزيادة التفوق ، ولكن دخول امريكا الى جانب الحلفاء قلب بسرعة توازن القوى بسبب تدفق قواتها تحت ضغط الموقف الحرج . وكان لدى الالمان ٨٥ فرقة من «فرق الانقضاض» موضوعة في الاحتياط ، كما كان لدى الحلفاء في الاحتياط ٢٦ فرقة ولكنها لم تكليل موضوعة تحت امرة قيادة واحدة . وفشلت فكرة تشكيل الاحتياط العام من ٣٠ فرقة ووضعه تحت قيادة المجلس التنفيذي العسكري في فرساي عندما صرح الجنرال هيج بعجزه عن تقديم الفرق السبع المطلوبة منه ، وفشل اتفاق التعاون المتبادل بين الفرنسيين والانكليز عندما وضع موضع التنفيذ العملي . ولكين الكارثة عجلت باتخاذ اجراء كان من الواجب عمله قبل ذلك فقد كلف فوش بتأمين التعاون بين الجيوش الحليفة ثم كلف بعد ذلك بقيادتها .

كان مخطط الالمان يهدف الى القيام بمفاجأة تكتيكية افضل واوسع من جميع المخططات التي تم وضعها خلال العمليات الاولى في هذه الحرب . وادركت القيادة الالمانية ان الهجوم على خط الانتظار المتوقع يؤدي الى مساوىء عديدة لا يستطيع التفوق العددي تعديلها . كما ان تحقيق المفاجأة الفعالة في حاجة الى مجموعة

قوية من عوامل الحدعة . هذا فضلا عن ان اختراق جبهة متماسكة حيدا يتطلب كافة هذه الموامل مجتمعة .

كان العامل الرئيسي في الهجوم الالماني عبارة عن قصف قصير وكثيسية المدفعية مع استخدام قنابل الغاز . ولم يدرك لودندورف اهمية الدبابات بسرعة كافية لكي يزيد استخدامها . وكان التكتيك الجديد عند المشاة مبنيا على التسرب بحيث تبحث وحدات المقدمة عن نقاط الضعف في دفاع العدو وتتوغل فيها شم تأتي قوات الاحتياط لاستغلال النصر . على ان تأخذ فرق الهجوم مكانها ليلا ، وتضع المدفعية مجموعاتها في اماكن مستورة قرب الجبهة وتفتح النار دون إحكام رمي مسبق . كما ان القيام بهجمات متتالية على نقاط اخرى بساعد في خداع ومتساغلة المدافعين ويسمع بتوسيع نطاق الهجوم .

واستنتج لودندورف من هجمات الحلفاء الفاشلة السابقة «ضرورة التفكير في التكتيك قبل الإهداف الاستراتيجية البحتة حتى لا تعطى محاولة تنفيذها اية فائدة اذا كان النجاح التكتيكي قبلها متعذرا» . وكان هذا التفكير صحيحا لعدم وجود امكانيات تسمع بالهجوم الاستراتيجي غير المباشر . ورافق التكتيك الالماني الجديد في المخطط استراتيجية جديدة لان هذين العاملين يؤثران على بعضهما تأثيرا متبادلا ، ويستندان على مبدأ القيام بالجهد على خط المقاومة الاضعف . ولكن ظروف عام ١٩١٨ في فرنسا كانت تعيق حربة استخدام خط المقاومية الاضعف ، ولم يحاول لودندورف القيام بهذا العمل اصلا . كما ان اجراء صدمة الاختراق بسرعة يؤديان حتما الى هدف لا يمكن الوصولاليهعادة الا باستخدام اقل الخطوط توقعا للهجوم عليها . وأدت الصدمة الى اختراق خطوط الحلفاء وتـــم استغلال هذا الاختراق بدون انتظار ، ومع هذا فشل المخطط فأين كان الخطأ ؟ تقول الانتقادات التي ظهرت بعد الحرب إن ميول لودندورف نحو التكتيك دفعته الى تبديل الاتجاه وبعثرة القوى وتوجيه الجهود لتأمين النجاح التكتيكي على حساب الهدف الاستراتيجي . ولكن دراسة الوثائق الالمانية التي ترجع الى ذلك العهد وأوامر وتعليمات لودندورف تلقى ضوءا مختلفا على الموضوع ، وتظهر ان الخطأ الحقيقي كان في عدم تطبيق لودندورف للمبدأ الذي تبناه نظريا ، وعدم ادراكه للمعنى العميق لهذه النظرية الاستراتيجية الجديدة . لقد ابدى لودندورف حقا تبذيرا شديدا في استخدام قواته الاحتياطية لاصلاح الفشــل التكتيكي ، وكان يتردد كثيرا في اتخاذ القرار اللازم لاستغلال نجاحه التكتيكي .

وكان اختيار قطّاع الهجوم اول خطأ وقعت فيه القيادة الالمانية ، فقد حددت جبهة عرضها ٦٠ ميلا بين آراس ولافير لتهجم بها الجيوس ١٧ و١٥ و٢ ، ودرست فكرتين مختلفتين تقول اولاهما بضرورة الهجوم على منطقية فردان البارزة داخل الجبهة ، ثم اهملت هذه الفكرة نظرا لصعوبة الارض ووعورتها ، ولان اختراق هذه الجبهة لا يحقق نتيجة حاسمة ، هذا فضيلا عن ان الجيش

الفرنسي كان قد استعاد قواه وتنظيمه خلال سنة خلت من المضابقات . وتنادي الفكرة الثانية بضرورة الهجوم بين إيبر ولائس . وأيد فيتسيل المستشمار الاستراتيجي للودندورف هذه الفكرة كما وافق عليها الامير روبريخ قائد الجبهة بين سان كانتان والبحر . ولكنها أهملت رغم ذلك لان مثل هذا يعنى الاصطدام بالقوات الرئيسية للجيش البريطاني فضلا عن ان الاراضي الواطئة كانت مليئة بالمياه ولا ينتظر أن تجف قبل مضي وقت طويل . وأخيرا وقع الاختيار على القطاع بين آراس ولافي ، لان الارض هناك صالحة ولضعف هذا القطاع مسن ناحية التحصينات وقلة وجود المدافعين والقوات الاحتياطية به ، فضلا عن أنه كسان نقطة الاتصال بين الجيوش الفرنسية والبريطانية . وكان لودندورف يبغى تحطيم هذا الاتصال وسحق البريطانيين الذين ضعفت قواتهم بعد أن طال صراعهم في إيبر . لقد كان هذا القطاع ضعيفا نسبيا في الواقع ، ولكن حكم الالمان كــان سطحيا وتعوزه الدقة اذ كان ثلث الخط الشمالي صلبا ومتماسكا ، ويرابط فيه الجيش الثالث البريطاني المؤلف من ١٤ فرقة منها ٤ فرق في الاحتياط . كما كانت معظم القوات الاحتياطية البريطانية تعزز هذه المجنبة التي كان من السهل تدعيمها بسرعة بواسطة الجيوش البريطانية الاخرى الموجودة في الشمال (وهذا ما حدث اثناء القتال) . وكان الثا القطاع الآخران يرابط فيهما الجيش الخامس البريطاني المؤلف من خمس فرق تقف في مواجهة الجيش الالماني الثاني) أما الطرف الجنوبي المقابل للجيش الالماني ١٨ فكانت ترابط فيه سبع فرق بريطانية منها فرقة في الاحتياط .

ولكن لودندورف اعطى للجيش ١٧ المتمركز قرب آراس ١٩ فرقة للهجسوم الرئيسي الذي كلف به جناحه الايسر فقط على جبهة عرضها ١٤ ميلا . وتقسر عدم مهاجمة القطاع البريطاني الذي يبلغ طوله خمسة اميال في اتجاه كامبري بل الضغط عليه بشدة فقط . وكان في مواجهة هذا القطاع فرقتان المانيتان مسن الجيش الثاني الذي كان مؤلفا من ١٨ فرقة ومعدا لمهاجمة الجناح الايسر للجيش البريطاني الخامس (خمس فرق) على جبهة عرضها ١٤ ميلا . وفي اقصى الجنوب جاء الجيش ١٨ من طرفي سان كانتان ، ولم يعطه لودندورف سوى ٢٤ فرقة ليهاجم على جبهة عرضها ٢٧ ميلا . وخالف لودندورف افكاره ووزع قواته حسب قوات خصمه بدلا من ان يجمعها على اضعف النقاط .

واكدت تعليماته هذا الاتجاه الذي اتخذه ، وكان محور الجهد الرئيسيي للقوات الالمانية يتركز شمالي السوم ، وبعد اختراق الجبهة المعاديسة طارد الجيشان الالمانيان ١٧ و٢ البريطانيين نحو الساحل ، وكان الجيش ١٨ والنهر يغطيان مجنبتهما ، ثم اجرى تعديل المخطط اثناء التنفيذ تعديلا جذريا لانه نجح في الامكنة التي لم تكن تهم لودندورف رغم كونها على خط المقاومة الاضعف ولم ينجح في الاتجاه الذي كان يرغبه اشد الرغبة .

انطلق الهجوم في ٢١ مارس (آذار) وساعد ضباب الصباح على تحقيــــق المفاجأة وفتحت عملية اختراق جبهة الحلفاء جنوبي السوم بنجاح لنقص الوحدات

المدافعة . وفشل الهجوم قرب آراس ، واثر هذا الفشل على الهجوم شمالي النهر كما كان متوقعا وخالف لودندور في مبداه مرة ثانية وامضى الابام التالية وهو يحاول تجديد الهجوم على موقع آراس المنيع واعتبر هذا الاتجاه محور جهلده الرئيسي . وفي هذا الوقت كان الجيش الالماني ١٨ يتقدم نحو الجنوب دون ان يقابل مقاومة جدية . وفي ٢٦ مارس (آذار) ارسل له امرا بعدم اجتياز نهر آفر، والسير بخطى تلائم سير القوات المجاورة المؤلفة من الجيش الثاني الذي كلن مضطرا بدوره الى ابطاء حركته بسبب النجاح البسيط الذي صادف الجيش ١٧ قرب آراس . وهكذا نجد ان لودندورف كان يريد ضرب الجيش البريطاني بأي ثمن وذلك بتدمير افضل مواقعه الدفاعية بواسطة هجوم مباشر ، بدلا من ان يندفع على الخط الاقل مقاومة جنوبي السوم .

وني ٢٦ مارس (آذار) ضعف الهجوم شمالي السوم ، وكان ثمن المكاسب غالبا . وفي جنوب النهر وصل الجناح الايسر للجيش الثاني الى هدفه ، ولكن تقدمه صادف صعوبات لانه كان يزحف في اراضي السوم التي سادها الدمار والتخريب ، اما الجيش ١٨ فكان يندفع الى الامام دون عراقيل .

وفي خلال هذا الموقف اتخذ لودندورف مخططا جديدا دون ان يهمل المخطط القديم نهائيا ، واعطى الامر في ٢٨ مارس (آذار) للجناح الايمن للجيش ١٧ للقيام بهجوم آخر مباشر على المرتفعات قرب آراس ، واندفع هجوم الجيش السادس في الشمال بين فيمي ولاباسييه ، وبدا الوضع جنوبي السوم ملائما فكلف الجيش الثانى بمهمة رئيسية هي الوصول الى أميان ، واصدر تعليماته للجيش الثامن عشر بعدم الاندفاع الى الامام والاستدارة حول مجنبة المقاومة في أميان ، الا اذا تلقى امرا جديدا . وحددت مدينة أميان كهدف رئيسي ثانية ، وكان احتلالهسا يقتضى القيام بهجوم مباشر على ارض غير ملائمة .

وفي ٢٨ مارس (آذار) انطلق هجوم اراس دون الاعتماد على المفاجأة او على سقارة الضباب ، وفشل امام مقاومة الجيش الثالث . وعندئذ تخلى لودندورف عن فكرته الاساسية ووجه نحو أميان معظم ثقله ودعمه ببعض القوات الاحتياطية الموجودة لديه . ولكنه أمر حينئذ الجيش الثامن عشر بالتوقف في مكانه مسدة يومين ، وعندما تجدد الهجوم في ٣٠ مارس (آذار) كانت الوحدات المهاجمة غير كافية عدديا فلم تحقق سوى نجاح قليل أمام مقاومة توفر لها الوقت الكافي لكي تستعد وتقوي تحصيناتها بالاسمنت الفرنسي الاحتياطي الذي استخدم في تلك المنطقة بكميات ضخمة لتقوية التحصينات . ووصلت المدفعية الالمائية في ذلك اليوم لاول مرة بعد المشاة وتدخلت في المعركة بعنف . وفي } ابريل (نيسان) قامت ١٥ فرقة المائية (منها } فرق جديدة) بهجوم آخر لم يؤد الى نجاح يفوق نجاح سابقه .

وترك لودندورف أميان بدلا من الاندفاع في قتال بنهك قوى جيوشه ، ولم يحاول مطلقا الاستفادة من قدرته الهجوميسة لتوسيع الثغرة بين الجيشين

الفرنسي والبريطاني . وقد ابلغ القائد الفرنسي بيتان القائد الانجليزي هيج انه اذا استمر التقدم الالماني على هذا الخط فينبغي اعادة القوات الاحتياطية الفرنسية نحو الجنوب الفربي لتفطية باريس ، وكان أقل جهد أضافي حينئذ يكفي لتحويل هذه الثغرة الصغيرة الى فجوة هائلة .

ويقدم لنا هذا الوضع شاهدا جديدا على أن نقطة الاتصال بين جيشين هي افضل موقع يمكن توجيه الهجوم ضده بنجاح . ويكون هذا الهجوم اشد خطورة اذا كان هذان الجيشان ملتصقين ببعضهما اكثر مما لو كانا بعيدين عن بعضهما، ثم قرر لودندورف القيام بهجوم جديد في الشمال بمعظم قواته الاحتياطية التي تواجه آراس ، رغم عدم تأكده من نجاح هذا الهجوم . وفي ٢٥ مارس (آذار) امر بالقيام بعملية صغيرة بين لاباسيه وارمانتيير لتوسيع نطاق الاحتراق . وكان قد وضع هذا المخطط بعد فشيل الهجوم على آراس في ١٨ مارس (آذار) ، وكان من المفروض أن يأتي بعد الهجوم جنوب ارمانتيير هجوم جديد من شمالها بعدد ٢٤ ساعة يضغط عليها بشكل اقرب . ولقد تقرر هذا الهجوم متأخرا ولم يكن جاهزا الا في ٩ ابريل (نيسان) واعتبر حتى ذلك التاريخ عمليسة مشاغلة . واستفاد الهجوم من ضباب الصباح وحصل على نجاح غير متوقع في بداية الامر ضد قطاع ضعيف مما دفع لودندورف الى تحويله الى عملية واسعة النطاق ، وفي ٩ ابريل (نيسان) هاجمت ٩ فرق المانية نسندها خمس فرق احتياطية جبهسة عرضها ١١ميلا جنوبي ارمانتيير حيث كانت تدافع فرقة برتغالية وفرقتان بريطانيتان. وفي اليوم التالي هاجمت } فرق المانية اخرى تحت ستار الضباب شماليسي ارمانتيير على جبهة عرضها ٧ كيلومترات . وعندما اخذت المقاومة شكلا قويا زج الالمان بفرق اخرى على شكل وحدات صغيرة . وفي نهاية الاسبوع الاول مسن مايو بلغ تعداد القوات التي ذهبت الى خطوط النار . } فرقة . ووصل لودندورف في النهابة الى حرب الإنهاك .

ووجد البريطانيون انفسهم مطرودين بلا امل نحو قواعدهم البحرية ولكن بعد ان اوقفت مقاومتهم اندفاع الالمان الذين تقدموا ١٠ اميال في اتجاه ملتقى السكك الحديدية الهام في مدينة كازبروك ، وفي ١٧ ابريل (نيسان) قرر لودندورف القيام بهجوم على شكل كماشة من كلا طرفي مدينة ايبر ، ولكن العدو لاحظ هذه الحركة واستطاع احباطها تقريبا بفضل حركة هيج غير المباشرة التسبي تضمنت تغييرا لخط العملية بثمان واربعين ساعة ، وعاد لودندورف بعد فشل هذه الخطة الى القيام بهجوم مباشر بحت جنوبي ايبر ، حيث وصلت قوات احتباطية فرنسية جديدة لتحتل قطاعا من الجبهة ، ووقع الهجوم في ٢٥ ابريل (نيسان) على نقطة اتصال الحلفاء فمزقها في مونت كيميل ، ولم يستثمر لودندورف هذا الاختراق خوفا من وقوع هجوم مضاد ، وكان يبدو منذ بعض الوقت انه مقتصد فسي استخدام قواته الاحتياطية ، ولكن هذا الاقتصاد كان غير كاف فضلا عن انه جاء متأخرا فلم يحقق له نجاحا حقيقيا ، ولما فشل هجومه الاول اصبح امله في نجاح الهجوم ألثاني ضعيفا ، وبعد محاولة اخيرة اوقف الهجوم في ٢٩ ابريل (نيسان)،

وكانت فكرته عدم ايقاف العمليات قبل التوصل الى جذب القوات الاحتياطيية الفرنسية الى الجبهة بشكل يسمح له بضرب القوات البريطانية في الفلانسدر ضربة قاضية .

وكان لودندورف قد بدأ قبل ذلك في أعداد هجوم في قطاع شومان دي دام بين مدينتي سواسون ورانس على ان يتم التنفيذ في ١٧ ابريل (نيسان) ولكن الاستعدادات استمرت حتى ٢٧ مايو . ويرجع هذا التأخير الى امتداد مـــدة الهجوم الالماني في الفلاندر ، وما ترتب على ذلك من انهاك قوات لودندورف الاحتياطية . واستطاعت شعبة المخابرات في القيادة العامة الامريكية معرفــة مكان وتاريخ الهجوم تقريباً . ولم يؤخذ تحذيرها يعين الاعتبار الا عندما اكدها أسير حرب الماني في ٢٦ مايو بعد فوات الاوان . وكانت فرصة تعزيز الوحدات قد ضاعت فلم يعد امام فيادة الحلفاء سوى انذار الوحدات ، وان كانت قسيد تمكنت من تحريك القوات الاحتياطية رغم ذلك . وفي صبيحة اليوم التالي قامت ١٥ فرقة المانية تدعمها موجة ثانية من ٧ فرق بهجوم ساحق على جبهة عرضها ٢٤ ميلا تدافع عنها خمس فرق فرنسية وبريطانية وأربع فرق احتياطية . وساعد الضباب والدخان هذا الهجوم فحطمه المدافعون عن شومان دي دام وعبر نهر إين بسرعة ووصل في ٣٠ مايو الى نهر المارن . وحصل لودندورف هنا الضا علمي نصر جزئی لم یکن مستعدا له ، کما لم یکن راغبا فیه ، لقد اراد هذا القائسید الاستراتيجي أن يفاجيء فغوجيء ، فقد جذبت هذه البداية الناجحة جزءا كبيرا من قواته الاحتياطية الى ذلك الكان ففقدت بذلك كل تأثير فعال ، لانها عجزت عن مجاراة القوات الاحتياطية للحلفاء في هذا السباق.

وهذا النجاح الاولى الذي حققه الالمان يستحق مع ذلك الملاحظة . اذ يبدو انه يرجع الى ان انتباه العدو ، كان متجها نحو مكان آخر ، والى ان الهجوم اختار خط المقاومة الاضعف ، فضلا عن افتقار القيادة الفرنسية الى الادراك السليم ، فقد اصرت على تكتيل المشاة على المواضع الامامية كأنما كانت تريد ان تجعلهم لقمة سائغة امام مدافع الالمان . وكانت مدفعية الحلفاء والقوات الاحتياطية المحليسة ومراكز قيادة الدفاع قريبة من الجبهة فلما اندفع الالمان ادى اندفاعهم الى انهيار الحلفاء انهيارا تاما . وحصل الهجوم بذلك على المفاجأة التكتيكية التي فقسم بعضها عند انطلاقه ، ولما كان هدف كل مفاجأة هو تحطيم توازن الخصم ، فان التتيجة واحدة ، سواء سقط هذا الخصم في الفخ المنصوب له وهو مغمسض المينين ، ام سمح للآخرين بأن يخدعوه وهو مفتوح العينين .

في هذه اللحظة فتح لودندورف في جبهة الحلفاء جيبين كبيرين وجيبا صغيرا. وحاول بعد ذلك تدمير نقطة الاتصال في منطقة كومبين الواقعة بين مدينة اميان ونهر المارن ، ولكن المفاجأة كانت معدومة ، وفي ٩ يونيو (حزيران) تم الهجوم على جانب هذه المنطقة الغربي ولكنه جاء متأخرا فلم يتوافق مع الهجوم القادم على جانبها الشرقي .

ثم تبع ذلك توقف لمدة شهر ، وكان لودندورف يبغي القيام بضربة حاسمة في بلجيكا ضد البريطانيين ، وهي ضربة كان يفكر فيها منذ مدة طويلة ، وكانت هذه الفكرة تراوده حتى ذلك الحين ، ولكنه قدر ان قواتهم الاحتياطية لا تزال كبيرة فيها ، فقرر القيام بعملية مشاغلة جديدة ، وكان يود القيام بهجوم عنيف في الجنوب لجذب القوات الاحتياطية البريطانية هناك ، ولكن فشله في تدمير نقطة الاتصال في كومبين دفعه الى تطبيق نفس الطريقة في الشرق بمهاجمة مدينة رانس من جهتين ، ولكنه وجد نفسه في حاجة الى استراحة ليسترد قوته ويستعد ، وجاءت هذه الفترة وبالا عليه لانها اعطت الفرنسيين والبريطانيين الوقت الكافي لاعداد الوقت الكافي لاعداد

قد تكون نجاحات لودندورف التكتيكية سببا من اسباب فشله النهائي . اي ان اندفاعه تحت تأثير الانتصارات جعله يستثمر كل انتصار الى مدى اكبر مما يجب ، مع فترات زمنية طويلة تغصل بين الضربة والاخرى . ولم يكن يسمير حسب خط المقاومة الاضعف بل حسب خط تتزايد فيه المساومة بشكل يصبح معه كل هجوم من هجماته بعد انتهاء الاختراق الاساسي عبارة عن هجوم مباشر بحت. لقد غرز في قلب الدفاع ثلاثة اساقين دون ان يدخل اي واحد منها بعمق كاف لقطع شريان حيوي ، وترتب على هذا القشل الاستراتيجي ان اصبح الالمان على جبهة مسننة ذات تعاريج يستطيع الحلفاء فيها القيام بهجوم على المجنبات .

وفي ١٥ يوليو (تموز) اطلق لودندورف هجومه الجديد ولم يكن هذا الهجوم سرا لدى الحلفاء ، وفشل الهجوم في شرقي رانس بفضل الدفاع المرن ، وادى توغل الالمان وراء نهر المارن في الغرب الى تعريضهم لهزيمة كاملة فيما بعد ، ففي ١٨ يوليو (تموز) اطلق القائد الفرنسي فوش هجوما محضرا منذ مدة طويلة ضد المجنبة الثانية لجيب المارن واستخدم ييتان الذي كان يقود هذه المركة مجموعة من الدبابات الخفيفة التي حققت ميزة الهجوم المفاجيء ، واستطاع الالمان رغم ذلك الاحتفاظ بمدخل المنطقة مفتوحا مدة كافية لسحب وحداتهم ووضعها في مأمن وتنظيم خطوطهم ، ولكن وحداتهم الاحتياطية كانت قد نفدت كلها وانتقل عنصر المباداة الى الحلفاء .

ان رد الفعل الذي حققه الحلفاء في المارن يستحق دراسة عميقة . لقد طلب بيتان من فوش اعداد مجموعتين من القوات الاحتياطية بقصد القيام بهجوم مضاد على مجنبة الهجوم الالماني الجديد المحتمل ، واستطاعت المجموعة الاولى بقيسادة مانجان تحطيم الهجوم المعادي في ٩ يونيو (حزيران) ، ثم توجهت بعد ذلك الى موضع جديد غرب بروز المارن ، نظرا لان فوش قرر استخدامه لاهداف هجومية على عقدة مواصلات السكة الحديدية في سواسون . وخلال اعداد هذا الهجوم علمت شعبة المخابرات من مصادر موثوقة ان هجوما المانيا يجهسز قرب رانس علمت شعبة المخابرات من مصادر موثوقة ان هجوما المانيا يجهسز قرب رانس فقرر فوش منع هذا الهجوم ، وليس مقاومته ، وذلك بالقيام بهجوم في ١٢ يوليو (تموز) ، ولكن بيتان اقترح السماح للالمان بالتقدم والتوغل في زحفهم ثم

ضرب مؤخرة جناحهم ، لم تكن القوات الفرنسية جاهزة للهجوم يوم ١٢ يوليسو (تموز) لذا تمت المعركة حسب فكرة بيتان تقريبا ، وليس حسب فكرة فوش ، ونقول «تقريبا» لا تماما لان فكرة بيتان الاساسية كانت تعتمد على اخلاء الموضع الخلفي السليم ثم القيام بهجمات مضادة محلية ترغم العدو على زج قواتيه الاحتياطية في الجيوب الجديدة على طرفي رانس ، على ان ينطلق القائية الفرنسي مانجان بعد ذلك نحو الشرق للقيام بهجوم مضاد حقيقي على طهول المجنبة الغربية لمنظمة المارن البارزة فيصبح بذلك قادرا على اغلاق فتحة الكيس الكبير وسجن القوات الالمانية جنوبي نهر ابن .

وساهمت الحوادث ، وكذلك فوش ، في تعديل هذه الفكرة . لقد فشل الهجوم الالماني شرقي رانس بسبب الدفاع المرن ، وهو نوع من الهجوم غلباشر التكتيكي . وكان قادة الجيوش غرب ريمس يصرون على استخدام الوسائل الدفاعية القديمة الجامدة فاخترق الالمان جبهتهم في عدة نقاط وعبروا المارن ، ولمواجهة هذا الخطر دفع بيتان بمعظم قواته الاحتياطية المحضرة للمرحلة الثانية في العملية . وقرر سحب بعض وحدات مانجان لتشكيل قوات احتياطية جديدة فتأخر بذلك انطلاق الهجوم الذي اعده مانجان بناء على اوامر فوش في ١٨ يُوليو (تموز) . ولما علم فوش بذلك اعطى امرا مضادا وأصر على ان يقوم مانجان بهجومه فأهملت بذلك المرحلة الثانية للعملية ، واستطاعت القوات الاحتياطية الالمانيسة الجاهزة ايقاف هجوم مانجان ، وبقيت فوهة الكيس مفتوحة وانقلب رد الفعل الى ضغط مباشر بحت على الكيس من كل الجهات وهو ضغط يدفع الالمان السبى خارج الجيب .

واصبحت فكرة فوش الرئيسية منذ ذلك الوقت هي المحافظة على المباداة ومنع الخصم من التقاط انفاسه ، وتجميع قوات الحلفاء الاحتياطية من كل صوب ، وكان عمله الاول تحرير خطوطه الحديدية الجانبية بسلسلة من الهجمات المحلية رنفذ هيج الهجوم الاول في ٨ ابريل (نيسان) قرب اميان ، واستطاع الجيش الرابع البريطاني مضاعفة عدد قواته خفية بمن الالمان بفضل استخلام الحيطة والخدعة فقامت ،٥) دبابة بهجوم يعتبر اكبر ضربة مفاجئة في هله الحرب ، ثم اضطرت للوقوف بعد ذلك لان مهمتها الاساسية كانت تأمين الضفط المباشر ، ولكن تأثيرها المفاجيء ادى الى تحطيم معنويات القيادة العليا الالمانية ، وتأكد لودوندورف ان قواته قد انهارت معنويا فاعلن ان السلم لا يعكن تحقيقه الا وتأكد لودوندورف ان قواته قد انهارت معنويا فاعلن ان السلم لا يعكن تحقيقه الا بلفاوضات وقال : «يجب ان يكون هدف استراتيجيتنا في غضون ذلك شلل ارادة الحرب لدى العدو شيئا فشيئا بواسطة الدفاع الاستراتيجي» ،

في هذا الوقت كان الحلفاء يتجهون نحو استخدام طريقة استراتيجية جديدة تعتمد على القيام بسلسلة سريعة من الضربات الشديدة الموجهة ضد مواضسع مختلفة . وكل ضربة من الضربات تتوقف بمجرد ان يضعف اندفاع الهجوم ، وتكون كل واحدة منها وسيلة لفتح الطريق للضربة التالية ، على ان تكون جميعها

متقاربة في الزمان والمكان بحيث تؤثر الواحدة منها على الاخرى بشكل فعال . وهكذا تم وقف حركة لودندورف الذي لم يعد قادرا على تحريك قواته الاحتياطية بسرعة لتفادي الصدمات ، ووجدت هذه القوات نفسها ثابتة وعاجزة عن الحركة مما قدم للحلفاء مزايا كبيرة . ولا تشكل هذه الطريقة هجوماً غير مباشر وحقيقي ولكنها تشبهه إلى حد بعيد . انها لا تستخدم الخط غير المتوقع ولكنها تتحاشى مع ذلك خط الانتظار المتوقع . ولم تكن تستخدم خط المقاومة الاضعف ، ولكنها لا تصر على متابعة الجهد على خط تزداد قوته ، ويمكن اعتبارها شكلا سلبيساللهجوم غير المباشر .

وقد ترتب على الضعف المعنوي والعددي المستمر للقوات الالمانية ان اصبحت هذه الطريقة كافية خلال وقت معين لتأمين تقدم الحلفاء واضعاف المقاوميسة الالمانية . وامام وضوح هذا الضعف وتأكيدات هيج بامكان اختراق خط هندنبورغ الذي تتمركز عليه اقوى وحدات العدو قرر فوش ترك طريقته والقيام بهجزم عام في كل مكان في وقت واحد .

وتضمنت خطته القيام بضغط مباشر على شكل كماشة حول البروز الكيسير الذي تشكله الجبهة الالمانية في فرنسا . وكانت تعتمد على قدرة جناحي الحلفاء المؤلفين من البريطانيين والامريكيين على القضاء خلال تقدمهما على القوات الالمانية المتمركزة داخل هذا البروز . وهكذا يمكن تفادي منطقة الاردين التي تشكل في نظر قيادة الحلفاء جدارا خلفيا لا يمكن اجتيازه وليس فيه سوى مخارج ضيقة على المجنبات . ولكن هذه الفكرة عن الاردين غير صحيحة ولا يقبلها الا الذين لا يعرفون طبيعة هذه المنطقة . فالواقع ان طرقها حسنة ومعظم مناطقها يعكسسن الوصول اليها يسهولة .

كان المخطط في البداية يحوي بعض الهجوم غير المباشر بناء على اقتراح بيرشينغ القائل بضرورة استخدام جيشه لاستثمار النصر المحلي بغية السيطسرة على مواصلات الالمان في اللورين ، وتهديد خطوط انسحابهم نحو نهر الرين ، ورفض هيج هذه الفكرة لانها تبعد الهجوم عن بقية الهجمات الحليعة بدلا من ان تتلاقى معها . عندها عدل فوش خطته ورفض اقتراح بيرشينغ ، وكان على الجيش الامريكي ان يبذل جهوده في الغرب ويجهز في مدة تقل عن سبعة ايام هجوما في قطاع الموز _ ارغون ، وادى الضغط المستمر على خط المقاوم المتزايدة الى اضطرابات وخسائر فادحة دون ان يسهل تقدم هيج عبر خصط هندنه وغ .

هنا اثبتت الوقائع ان هجوما مباشرا مدعوما بتفوق ساحق بالمدفعية ضد عدو ضعيف المعنويات يمكن ان يتوغل في مواقع العدو ولكنه غير قادر على تدميره . وفي ١١ نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩١٨ وهو يوم الهدنة كانت القوات الالمانيسسة باستثناء وحدات المؤخرة في مأمن خارج الجيب ومتمركزة على خط اكثر استقامة وأقل طولا . وتوقف تقدم الحلفاء بسبب صعوبة التموين في منطقة مخربسسة تماما . ولقد ادى الهجوم المباشر في هذه الظروف الى انسحاب الالمان بسرعة

اكبر من سرعة مطاردة الحلفاء .

لم يكن للمرحلة الاخيرة لهجوم الحلفاء العسكري الا اهمية ثانوية . والواقع ان الصدمة المعنوية التي اصابت القيادة الالمانية من مفاجأة ٨ اغسطس (آب) قد استكملت تأثيرها بهجوم غير مباشر حدث في حقل عمليات بعيد ، وهو هجروم الحلفاء في سالونيك الذي اختار قطاعا من الارض كثير التضاريس ضعيف الحراسة وتقدم بفضل ذلك بسرعة . ولم يستطع العدو جلب قواته الاحتياطية بسرعية لايقاف تقدم الحلفاء نحو مجنبته على خط المقاومة الاضعف . ووجد البلغاريون المتعبون من الحرب جيوشهم مقسمة الى قسمين فطلبوا الصلح . وادى ذلك الى خروج قوات اوروبا الوسطى من الحرب وفتح الطريق امام ضربة بارعة وجهت ضد مؤخرة النمسا .

وظهر الخطر بكل وضوح عندما انطلق هجوم ايطالي على الجبهة النمساوية المحطمة ماديا ومعنويا فاخترقها . وباستسلام النمسا استفاد الحلفاء من ارضها وشبكة خطوطها الحديدية واستخدموها كقاعدة لعملياتهم ضد مؤخسرة المانيا . وكان الجنرال الالماني فون غالفيتس قد ابلغ مستشار المانيا في شهسسر سبتمبر ان استسلام النمسا سيقرر مصير الحرب .

ان الحصار البحري والتأثير المعنوي المتزايد الناجم عنه هو بمثابة هجوم غير مباشر في مجال الاستراتيجية العليا ضد شعب قاسى بسببه الجوع وفقد الامل، مما ادى في النهاية ، الى استسلام الحكومة الالمانية . لقد كان هذا الحصال عبارة عن مهماز يخز الحصان ليعدو بسرعة ، ثم جاء سقوط بلغاريا كضربة سوط دفعته للجري بسرعة اكبر وخاصة لمجيئها في لحظة وصول اول التقارير عليا متابعة هجوم الحلفاء على الجبهة الفربية في فرنسا .

وفي ٢٩ سبتمبر (ايلول) قرر هندنبورغ ولودندورف فجأة طلب الصلح لان انهيار بلغاريا قلب الموقف كله . فقد كانت الضرورة تقضي بارسال وحدات معدة للجبهة الغربية نحو الجبهة الجديدة .

وكانت التدابير تتخذ كلها لمواجهة الهجوم العام للقائد الفرنسسي فوش لان الهجوم الامريكي الذي بدأ في ٢٦ سبتمبر (ايلول) في قطاع الموز ـ ارغون لم يكن يشكل خطرا حقيقيا وان كان مزعجا . ولكن في صباح يوم ٢٩ سبتمبر قام هيج بهجوم على خط هندنبورغ وكانت الانباء الاولى تدعو الى القلق . وفي هذه الظروف الحرجة دعى الامر ماكس دوباد ليبدأ مفاوضات الصلح بكل شرعسة لان خطورة الوقف العسكري لا تسمح بأي تأخير .

وهكذا طلب الالمان في ٣ اكتوبر (تشرين اول) ١٩١٨ الهدنة مباشرة مسسن الرئيس الامريكي ويلسون ، وكان هذا الطلب ينطوي على اعتراف صريح بالهزيمة امام الرأي العام العالمي . ومن الغريب ان مثل هذه الفكرة كانت كافية قبل يومين لكي تثير اعتراضات شديدة في القيادة العامة الالمانية ، وخاصة عندما عرضت في احد الاجتماعات على رؤساء كل الاحزاب السياسية .

و فتح الرجال عيونهم على الحقيقة المرة بعد ان تجاهلوها طويلا ، فأعماهـــم

نورها المفاجىء واصابهم الذهول ، وبدأت تظهر عوامل الخلاف الكامنة والرغبة الخفية في السلام .

وبعد بضعة ايام استعادت القيادة العامة الالمانية بعض هدوئها ، وشعسرت بشيء من التفاؤل نظرا لان اختراق خط هندنبورغ لم يتبعه اختراق كامسل لجبهتهم . ثم جاءتهم الشجاعة من التقارير التي تصف هجمات الحلفاء بالتخاذل في استثمار الفرص الملائمة . وكان لودندورف يرغب في الهدنة ليعطي قوات بعض الراحة ويؤمن انسحابها نحو خط دفاعي اقصر على حدود بلاده . وشعر في الا اكتوبر (تشرين اول) بأنه قادر على الاستغناء عن هذه الراحة . بعد ان رأى الموقف قد تبدل . ولم يكن الوضع سيئا كما تصوره من قبل في ٢٩ سبتمبر (ايلول) ولكن انطباعه الاول انتشر في الاوساط السياسية وبين الجماهير الالمانية وانهارت الجبهة الداخلية قبل جبهة القتال .

وفي ٢٣ أوكتوبر (تشرين أول) رد الرئيس ويلسون على طلب ألالمان ردّا يحمل في طياته المطالبة بالاستسلام دون قيد أو شرط . وكان لودندورف يريد متابعة القتال لاعتقاده بأن الاستمرار في الدفاع على الحدود الالمانية يؤدي ألى الحد من طلبات الحلفاء . ولكن الموقف خرج من يده ، ولم تعد كلمة القيادة العامسسة مسموعة ، فقدم استقالته في ٢٦ أوكتوبر (تشرين أول) .

وفي ٣ نوفمبر (تشرين ألثاني) قررت تركيا والنمسا الاستسلام مما جعل باب المانيا الخلفي مفتوحا ، واشتعلت الثورة في المانيا وانتشرت في طول البلاد وعرضها ، واتسع نطاقها بسبب طول امد المفاوضات ، واستلم السلطة الزعيم الاشتراكي ايبرت ووقع شروط الصلح في ١١ نوفمبر في الوقت الذي كانت به الفوات الالمانية قادرة على متابعة القتال .

ويمكن اعتبار الحصار من اسباب نصر الحلفاء لانه خنق الاقتصاد الالمانسي وعجل بالثورة الشعبية ، كما أن المجهود الحربي الذي قام به الحلفاء يعتبر عاملا اساسيا في التعجيل باستسلام المانيا والحيلولة دون امتداد الحرب حتى عسام ١٩١٩ . ولا يعني هذا أن القوات المسكرية الالمانية كانت عند توقيع الهدنة محطمة بصورة حاسمة ، أن دراسة الوثائق المتعلقة بآخر «مائة يوم» تؤكد أن هسدف الحرب الحقيقي هو روح قادة الاعداء لا أجساد جنودهم ، وأن الهزيمة والنصر يتقرران تحت تأثير الضغط المعنوي وبصورة غير مباشرة تحت تأثير الضربسات المادية . ولم يهتز لودندورف في الواقع أمام خسارة الرجال أو المدافع والارض قدر اهتزازه عند وقوع المفاجأة وشعوره بالعجز عن صد حركة استراتيجيسة محتملة .



الغسالمثالث

الاستراتيجية خلال الحرب العالمية الثانية

الفصل كخامِس عشر

استراتيجية هتلر

ان الحملات التي قام بها هتلر قبل وبعد نشوب الحسرب عام ١٩٣٩ تبرز بوضوح اهمية الطريقة التي شرحت في الاجزاء السابقة من هذا الكتاب . فقد قدم هتلر في المرحلة الاولى ابعادا جديدة لاستراتيجية الهجوم غير المباشر مسن الناحيتين النفسية والمادية وعلى الصعيدين المدني والعسكري . ولكنه اتاح بعد ذلك لاعدائه فرصا كثيرة ليستخدموا ضده مثل هذا النوع من الهجوم .

يقتضي المنطق والعقل خلال الحرب عدم الاقلال من شأن العدو ، ومعرفة طريقة عمله واسلوب تفكيره ، وهذا اساس كل عمل جدي يهدف الى التكهيب بأعماله ومناوراته واعتراض سبيلها . وكم ضاعت فرص من الحنفياء بسبب تباطؤهم في توقع واكتشاف الضربة التالية التي يستعد هتلر للقيام بها ضدهم ان من مصلحة كل دولة ان يكون في اداراتها الحكومية «قسم للعدو» مهمته الاهتمام بكل قضايا الحرب ودراسة مشاكلها من وجهة النظر المعادية وتوقيع نوايا العدو ومخططاته مقدما على اساس منطقي . ولا شك ان المؤرخين سيصابون في المستقبل بدهشة كبيرة عند دراسة اسباب عجز دول الحلفاء عن معرفية اهداف هتلر ، لان التاريخ لم يعرف رجلا طموحا مثله كشف بكل وضوح طريقته الخاصة وتسلسل تنفيذها للوصول الى هدفه . ويلقي كتابه «كفاحي» وخطبه الخاصة وتسلسل تنفيذها للوصول الى هدفه . ويلقي كتابه «كفاحي» وخطبه

وظواهر اخرى غيرها نورا ساطعا حول الجاهه العام وتسلسل اعماله المقبلة . لقد كشف بنفسه افكاره بكل جلاء مما يثبت ان نجاحه لم يكن وليسد الصدفة او استغلال الظروف . ان نابليون نفسه لم يبد ابدا مثل هذه الاستهانة بخصومه او بالاحطار التي يمكن ان تترتب على كشف نواياه . ولكن اهمال هتلر الواضح في هذا الصدد يبين كيف تعمى ابصار بعض الناس عن رؤية الحقيقة المائلة امام عيونهم ، ويؤكد ان الصراحة التامة قد تكون افضل طريقة للمحافظة على السر ، وان الهجوم المباشر يكون في بعض الحالات اقل توقعا من غيره . وان فن السرية يعتمد في كثير من الاحيان على التحدث بصراحة تامة في عدد كبير من الوضوعات بشكل يبعد الشك عن بعض الامور الاخرى الهامة فعلا .

لقد درس هتلر طرق الثورة البلشفية واستفاد منها ، ثم تعمق في هسذه الدراسة واستخدمها على نطاق واسع ، واقتبس حكمسة لينين القائلة ان «الاستراتيجية السليمة تقوم على تأخير العمليات حتى تنهار معنويات العسسرب بشكل يسمح بتوجيه ضربة قاضية له ، وخرج منها بقوله : «تبدأ الحسسرب الحفيقية قبل بدء العمليات الحربية» ، وتقرأ في كتاب «هتلر قال لي» حديث هتلر مع روشنينغ حول هذا الموضوع : «يهمني أن أعرف كيف يمكن تحقيسق انهيار العدو قبل اعلان الحرب ، أن كل شخص خاض غمار تجربة الحرب في جبهات القتال يأمل أن يقلل ما أمكن من الدم المسفوك» ،

لمد ركز هتلر كل تفكيره في هذا الموضوع فابتعد بذلك عن النظرية الالمانيسة التقليدية العميقة الجلور ، التي سادت خلال قرن مليء بالمعارك ودفعت اكثر الشعوب للسير على الطريق الضيق لهذه النظرية العسكرية . لفد أدى اتباع المسكريين في ذلك الوقت لتعاليم كلوزفيتس فيلسوف الحرب الى تقبل أفكار عسرة الهضم مثل «أن حل الازمة بالدماء . والجهود التي تبذل لتدمير القلوي العسكرية للعدو هي الولد البكر للحرب» . و«ان المعارك الكبيرة هي وحدها التي تؤدى الى نتائج كبيرة» و«الدم ثمن النصر» و«لا تحدثونا عن قادة ينتصرون دون سفك دماء» . وكان كلوزفيتس يستهجن الفكرة القائلة بأن «هناك طريقة بارعة لنزع سلاح العدو واخضاعه دون سفك كثير من الدماء، وهذا هو الاتجاه الاساسى لفن الحرب» . وقد رفض هذه الفكرة واعتبرها وليدة أفكار «الانسانيين» ولم يؤمن بأنها خلاصة تقدير سليم وتحقق نهاية سعيدة لمجموع الشعب . ولقسسد تقبل تعاليم كلوزفيتس أناس متعصبون ذوو أفق ضيق فاعتبروا «المعركة» عاملا رئيسيا ، ولم يبحثوا عن عناصر اخرى افضل لخلق الظرف الملائم للحصول على نتائج كبيرة . لذا كان فن الحرب في فترة ١٩١٤ ــ ١٩١٨ قاصرا على المذابح في كلا المعسكرين . ولكن هتلر تجاوز هذه الآراء التقليدية . ويذكر روشنينغ قول هتلر: «أن الناس لم يلجأوا إلى القتل الا عندما عجزوا عن الحصول على هدفهم بطريقة اخرى . . . ان هناك استراتيجية اوسع تقودها أسلحة فكرية . . . فهل أحطم معنويات العدو بوسائط عسكرية اذا كنت استطيع ذلك بوسائط اخسرى

افضل واقل نفقة ؟» وقوله: «إن استراتيجيتنا تقوم على اساس تدمير العدو من الداخل وقهره بتحطيم معنوياته» . اعطى هتلر لنظرية الحرب الالمانية اتجاهسا جديدا . وساعده لودندورف في وضع مخطط ١٩٣٢ الذي فشل في الاستيلاء على السلطة .

ولكي نفهم افكار هتلر جيدا لا بد لنا من مقارنتها مع نظرية «الحرب الشاملة» التي وضعها لودندورف بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى بعشرين عاما امضاها في تحليل دروس هذه الحرب . فبدأ بهجوم شديد على نظريات كلوزفيتس التي كانت اساس النظرية الالمانية في الحرب العالمية الاولى . واخذ على كلوزفيتس عدم سيره في طريق العنف الى آخر مداه ، واعطاء اهمية كبرى للسياسة . كما انتقد فكرته القائلة «بأن الهدف السياسي يشكل الغاية ، والحرب هي وسيلة تحقيقها ولا يمكن تصور الوسيلة ان لم تكن الغاية محددة بدقة» . واعتبرها فكرة قديمة بالية ، لان مبدأ الحكم المطاق يتطلب من الوطن ان يضع في زمن الحرب كل شيء لمسياء المسلم للتحضير لحسرب كل شيء لمي اعتبار ان الحرب فكرة سامية لتحقيق «ارادة الحياة» الوطنية وما السياسة سوى تابع لها .

ويبدو من قراءة مؤلف لودندورف اختلافه الواضح مع كلوزفيتس اذ ان لودندورف يعتبر الحرب وسيلة لغاية محددة ويرغب في جعل الشعب كله جيشا هو في حد ذاته غاية . وليس هذا الراي جديدا كما اعتقد لودندورف ، لقسد جربته اسبارطة من قبل في حكمها ثم انهارت من الشلل الذي جرته على نفسها. وكان لودندورف يسعى جاهدا لتوثيق «أواصر وحدة الشعب النفسية» وخليق عقيدة وطنية تؤمن فيها النساء بدورهن المقدس في انجاب ابناء قادرين على تحمل اعباء الحرب الشاملة ، كما يؤمن جميع رجالها بضرورة زيادة قدراتهم للمشاركة في تنغيد هذا الهدف ، عقيدة تؤمن بضرورة التناسل من اجل تزويد «المذبح» بالضحايا ، اما فكرة لودندورف الثانية الخاصة بتحقيق الوحدة النفسية للشعب فأنها تعني ببساطة اضطهاد وقمع اي شخص يعارض او يفكر في معارضية القيادة العليا .

ويؤكد لودندورف ضرورة تحقيق شرط آخر هو ايجاد نظام اقتصادي وطني يعتمد على الاكتفاء الذاتي ويتلاءم مع متطلبات الحرب الشاملة . ومن هنا يبدو قهمه لفكرة اعتماد القوة العسكرية على الامكانيات الاقتصادية . الا إن تحليله واعترافه بالصعوبات الهائلة التي عانتها المانيا من حصار الحلقاء الاقتصادي في الحرب العالمية الاولى لم يؤد الى تعديل فكرته التي تعتبر مصير الحرب متعلقا الحرب العالمية الاولى لم يؤد الى تعديل فكرته التي تعتبر مصير الحرب متعلقا فقط بمعارك القوات المسلحة . وهو بمتدح في هذا الصدد استاذ المانيا القديم قائلا : «لم يفكر كلوزفيتس الا في ابلاة حيوش العدو في المعركة» . وتظل هذه العسكري هو ارغام جيوش العدو على الاستسلام دون الاشتباك في آية معركة . العسكري هو ارغام جيوش العدو على الاستسلام دون الاشتباك في آية معركة . ولم يكن وصف لودندورف لشكل الحرب القبلة سوى تضخيم للهجمات التي

قام بها في عام ١٩١٨ ، وهي الهجمات التي كانت رائعة في بدايتها وعقيمة في نتائجها . وهو يرى في الهجوم مشاة تتقدم تحت دعم المدفعية والرشاشسسات ومدافع الهاون والدبابات حتى تسحق العدو في الالتحام المباشر ، وتقود كافية المناورات حسب وجهة نظره الى «المعركة» . وما استخدام الآليات الا لسسرج الوحدات في المعركة بسرعة اكبر .

ولم يكن لدى لودندورف اي اعتراض نفسي او عسكري على تطبيق هسذا النوع من الحرب على نطاق واسع . فهو يذكر ان ضرورات الحرب الشاملة «لن تعترف بالرغبات النظرية التي ترمي الى الغاء حرب الغواصات بدون قيسد او شرط» . بل على العكس فقد قال ان «الطائرات يجب ان تتعاون مع الغواصسات لاغراق جميع السفن المتجهة الى موانىء العدو حتى ما كان منها تحت علم محايد». ولقد قال عن الهجوم على المدنيين العزل في المدن: «سيأتي يوم نرى فيه اسرابا من الطائرات تهاجمهم بعنف دون شفقة» . ومع ذلك تبقى الاهداف العسكرية بالنسبة له اكثر اهمية لذا نراه يفضل استخدام الطيران قبل كل شيء للاستراك في تحطيم جيش العدو ، على ان ينطلق بعد ذلك لتدمير بلاد هدا العدو .

واذا كانت وجهات نظر هتلر ولودندورف قد اتفقت حول فكسرة الجنس والدولة ، وحق المانيا في السيطرة على العالم ، فانها قد اختلفت بصفة خاصة فيما يتعلق باساليبهما وطرقهما في العمل . فقد طالب لودندورف بشيء يبدو غريبا ، وهو ان تقوم الاستراتيجية بالاشراف على السياسة ، اي ان تختسار الاداة بنفسها نوع عملها ، وقد توصل هتلر الى حل المشكلة بادماج كلتا الوظيفتين في شخص واحد ، واستفاد من المزايا نفسها التي استمتع بها الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر في التاريخ القديم، وفردريك الكبير ونابليون في التاريخ الحديث، مما اعطاه امكانية تحضير وزيادة وسائطه للوصول الى هدفه ، دون ان يستطيع استراتيجي آخر ايقافه . لقد ادرك مبكرا ان العسكري المحترف لا يستطيع ان يعترف بسهولة ان السلاح العسكري ليس الا واسطة من الوسائط التي توضع في خدمة الحرب ، وسلاحا من ضمن الاسلحسة التي توضع الاستراتيجية الكبرى .

ان الدولة قد تدخل الحرب لاسباب مختلفة كثيرة ، ولكن هدف الحسرب الاساسي هو تأمين استمرار سياسة الدولة ، رغم ارادة دولة معادية تطبيق سياسة مضادة . فاذا رغبت دولة ما في الحصول على ما تريد عن طريق الحرب، فانه يجب عليها ان تضغط على ارادة الخصم لتجبره على تطبيق سياستها ، فاذا ما تم ذلك ، ادركنا خطأ المبدأ العسكري الذي يدعو الى «تدمير القوات المسلحة الرئيسية عن طريق المعركة» ، وهو المبدأ الذي رفعه تلاميذ كلوزفيتس الى المكان الأول ، واستطعنا اعادته الى المكان الذي يستحقيه بين مختلف وسائسيل الاستراتيجية الكبيرة التي تشمل كل الاشكال المكملة للعمل العسكري ، كالضغط الاقتصادي والدعاية والعمل الدبلوماسي . ومن الافضل اشراك جميع العواميل

الفعالة القليلة التكاليف ، الملائمة للموقف ، بقصد تحطيم ارادة العدو بأقل ثمن ودون تعريض كل مشروعات الوطن في المستقبل للخطر ، بدلا من تركيز الاهتمام كله على وسيلة واحدة قد تعاكسها الظروف فتفشل ، او يقدر لها النجال بتكاليف كبيرة تستنزف معظم قوات الوطن .

ان هدف هذه الاستراتيجية هو اكتشاف واصابة «عقب اخيل» اي اصابة النقطة الحساسة لقدرة العدو الحربية ، والبحث عن نقطة الضعف في درع العدو بقصد خرقه ، لان تركيز جهد المهاجم على اقوى نقاط العدو قد يضعفه ، ولكن بشكل لا يتلاءم مع النتائج المرجوة ، والصدمة المثالية هي الصدمة التي تقع على نقطة . الضعف ، ان نزع سلاح العدو اجدى من محاولة تدميره في المعركة واقل كلفة . وشل قدرته قبل المعركة توفر الجهود الكبيرة التي تبدل لتدمسيره كما تجنب الهاجم احتمال الفشل .

ان الاستراتيجي البارع يعمل على شل العدو وليس على قتله . ان قتــل جندي من جنود العدو ، يعني انقاص عدد الاعداء واحدا ، اما تحطيم معنوياته فيعني بذر بذور الخوف والهلع بين زملائه . واذا طبقنا هذه الفكرة على مستوى اعلى ، وجدنا ان إضعاف روح القائد المعنوية يعطل فعالية وحداته بشكل ملحوظ . اما على المستوى الاستراتيجي ، فيكفي التأثير النفسي على حكومة بلد ما لتجميد كل وسائل الحرب في مصادرها .

ان تحليل الحرب يوضح ان القوة المادية لبلد ما تتوقف على عدد سكائيه ومجموع المكانياته ومنابع قدرته ، وتعتمد دائما على حالة اعضائه الداخليية وجهازه العصبي ، واستقرار اجهزة قيادته ومراقبته وحالته المعنوية . ويؤدي الضغط المباشر الى زيادة مقاومة العدو، ولكن الهجوم غير المباشر في الاستراتيجية والسياسة هو افضل السبل واكثرها قدرة على قلب توازن العييد المادي والنفسى بشكل يسهل عملية تدميره .

ان هدف الاستراتيجية الحقيقي هو تغتيت امكانيات مقاومة العدو ، ومسن هنا جاء المبدأ القائل بضرورة تحديد اهداف تبادلية بغية الوصول الى الهدف المعين ، بحيث لا يهدد الهجوم احد الاهداف الا اذا كان قادرا على التحول نحو هدف آخر . وهكذا يحقق الاستراتيجي فرصة اكبر بنجاحه في الحرب ويقلل احتمالات فشله .

وقد عرف هتلر هذه الحقائق الاستراتيجية الشي تخفى على كثير مسسن المسكريين ، وطبئق هذه الاستراتيجية النفسية خلال حملته التي مهدت له السبيل لحكم المانيا ، فاستغل نقاط الضعف في سياسة جمهوريسة فايمر (١) واستفاد من تضارب مصالح الراسماليين والاشتراكيين واخذ يقترب من هدفه باضطراد وعلى مراحل وبمجموعة من الاعمال غير المباشرة .

إ - جمهورية فايمر هي الجمهورية الالمانية قبل الحكم النازي والرابخ الثالث .

فما ان اصبح سيد المانيا في عام ١٩٣٣ حتى اعطى لهذه الطريقة أبعادا جديدة واسعة . فقد عقد في عام ١٩٣٤ معاهدة عدم اعتداء مع بولونيا لتغطيه جناحه الشرقي ، واعقب ذلك بأن اعلن في عام ١٩٣٥ رفض القيود المفروضة على تسليح المانيا حسب معاهدة فرساي . وفي عام ١٩٣٦ اعاد تسليح منطقة الرين وبدا «حربا خفية» في اسبانيا حيث اشترك مع ايطاليا في مساعدة فرانكو على قلب حكومة الجمهورية الاسبانية . وادى هذا الهجوم غير المباشر على مؤخرة فرنسا وبريطانيا الاستراتيجية الى اضطلسراب في التوازن على مستسوى الاستراتيجية العليا ، لانه اضعف موقفهما في الغرب في الوقت الذي عزز فيه هتلر جناحه الغربي بتحصين منطقة الرين ، واصبح قادرا على الالنفات السبي الشرق ليقوم بمناورات كانت نتائجها البعيدة بمثابة ضربات غير مباشرة لاستراتيجية الدول الفربية .

وفي مارس (آذار) ١٩٣٨ دخل النمسا فهدد بذلك تشيكوسلوفاكيا وحطسم النطاق الذي احكمته فرنسا حول المانيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٣٨ استرد اقليم السوديت وشل حركة تشيكوسلوفاكيا استراتيجيا، وفي مارس (آذار) ١٩٣٩ احتل تشيكوسلوفاكيا التي شل حركتها من قبل وهدد بذلك مجنبة بولونيا .

وهكذا حطم السيطرة الفرنسية في اوربا الوسطى وقك الحصار الاستراتيجي المضروب حول المانيا وقلب الوضع الى مصلحته ، وذلك بفضل سلسلة مسن المناورات السلمية دون سفك دماء ، تحت ستار من الدعاية البارعة التي تهدف الى اقناع الراي العام العالمي بشرعية اعماله . ويمكن اعتبار هذه الطريقة تطبيقا عصريا واسعا لفن المناورات للوصول الى وضع افضل قبل بدء المعركة . وبفضلها زادت قوة المانيا زيادة مباشرة بتقوية التسليح ، واخرى غير مباشرة باضعاف قوة الاعداء الرئيسيين بعد حرمانهم من حلفائهم وقطع جذورهم الاستراتيجية .

وفي ربيع ١٩٣٩ لم يعد هتلر يخشى الصراع المكشوف . وساعده في هذه الفترة الخطأ الذي ارتكبه البريطانيون عندما ضمنوا فجأة بولونيا ورومانييا المعزولتين استراتيجيا والمحرومتين من اي ضمان للامن مسن جانب روسيا ، فضلا عن تعذر مساعدتهما من جانب اية دولة. وقلب هذا الخطأ الجسيم سياسة التعايش والتفاهم المطبقة حتى ذلك الحين ، وبدأ الضمان البريطاني كعمليسة متعمدة للاثارة والتحدي . وكانت هذه الاثارة عاملا مغريا لهتلر نظرا لتعسسدر وصول القوات البريطانية والفرنسية الى هذين البلدين ، وهكذا نسفت الدول الغربية بيدها قواعد الاستراتيجية الملائمة لوسائطها الضعيفة بالنسبة لوسائطه ، وقدمت لهتلر جبهة ضعيفة ليخرقها ويحقق نصرا أوليا بدلا من أن تجبره على مهاجمة جبهة دفاعية قوية في الغرب .

كان هتلر يعتمد في سياسته على ضرب البلاد المنعزلة او الضعيفة بصــورة مفاجئة وبشكل يلقى عبء الهجوم الاكبر على عاتق العدو نفسه . وكان يحتــرم

القوة الدفاعية الحديثة ويؤمن بها اكثر مما يؤمن بها الرجال المسكريون في دول الحلقاء . ولقد سنحت له الفرصة للعمل كما يرغب دون صعوبات كبيرة ، فدفعته استراتيجيته الى عقد حلف مع روسيا لضمان حيادها ، وما ان تم عقد الحلف حتى أصبح مستعدا تماما . فاذا أعلن الحلفاء الحرب ضده للوفاء بالتزاماته وتعهداتهم فسيجدون أنهم فقدوا ميزات الدفاع واندفعوا مرغمين في استراتيجية هجومية في ظروف غير ملائمة وامكانيات غير كافية . واذا وقفوا أمام خسط سيجفريد عاجزين ظهر ضعفهم وضاعت هيبتهم ، وان تابعوا هجومهسم زادت خسائرهم وضعف أملهم في مقاومة الهجوم الالماني الذي سيتجه نحو الفرب بعد تأمين الجبهة الشرقية .

ولم يكن امام الحلفاء للخلاص من هذا المأزق مع عرقلة حرية عمل هتلر سوى استخدام سياسة «العقاب» والحصار الاقتصادي والسياسي ؛ بالاضافة السدى امداد الدول المعتدى عليها بالسلاح . وكانت هذه الطريقة حيثنًا أفضل من اعلال الحرب وتشكل حلا مفيدا لازمة بولونيا مع تعريض مخططات الحلفاء وهيبتهم الى أفل ضرر ممكن .

ولقد اثبتت الوقائع ذلك ، اذ لم يؤثر هجوم الفرنسيين على خط سيجفريد، وادت الطريقة السيئة التي نفذ بها هذا الهجوم الى اضعاف هيبة الحلفاء ، وترتب على هذا الهجوم الغاشل ، والانتصارات الالمانية السريعة في بولونيا ازدياد خوف الدول المحايدة من المانيا وإضعاف ثقتها بالحلفاء .

اصبح هتلر منذ ذلك الوقت قادرا على دعم مكاسبه العسكرية واستخدام تغوقه السياسي الناجم عن تغطية جناحه الغربي بتحصينات عجز الحلفاء القادمون لنجدة بولونيا عن اختراقها . وكان قادرا على مواصلة الدفاع الى ان يتذمسر الشعبان الفرنسي والانكليزي من الحرب ، وقرر ساسة الحلفاء الهجوم قبسل استكمال الوسائط اللازمة للتنفيذ فالقوا بأنفسهم في اوضاع تقيسد حركتهم ، واعطوا هتلر بذلك امكانية المبادأة بتوسيع حقل العمل . ولما كان الفرنسيسون والانكليز يفكرون في استخدام الدول الصغيرة المجاورة لهتلر كطريق يهاجمون به مجنبته استدار هتلر حول جناح الحلفاء واكتسح خمس دول واظهر بذلك عدم اكترائه بالقواعد الدولية .

وافق هتلر خلال شهور الحرب الاولى على حياد النرويج التي تغطي جناحه وطريقه البحري المتجه الى السويد والذي يعر بالمرفأ النرويجي نارفيك ، ولكن عندما اظهر الحلفاء بشكل سافر انهم عازمون على مراقبة المياه والموانىء النرويجية فكر هتلر في القيام بعملية وقائية باحتلال هذه البلاد ، ولم تكن هذه الفكرة جديدة عنده ، فقد شرح في عام ١٩٣٤ لروشنينغ وآخرين غيره كيف يعكسن احتلال الموانىء الرئيسية للبلاد السكندنافية فجأة بسلسلة من العمليات فسي مواضع متعددة تعتمد على الهجمات البرمائية مع تغطية جوية كافية ، وبعساعدة الوالين لالمانيا في هذه البلاد ، وقال ان هذه العملية يمكن تبريرها بحجة حماية هذه البلاد من أحتلال تنوي البلاد الاخرى القيام به ضدهسسا ، وقال هتلر :

«سيكون هذا عملا جربنًا وهاما وليس له مثيل في تاريخ العالم» .

تم تنفيذ هذه الفكرة في ٦ ابريل (نيسنان) 195 ونجحت نجاحا منقطسع النظير. لقد كانمن المتوقع الفشل في بعض المواضع والتجاح في المواضع المهامة الاخرى ، ولكنه احتل كل النقاط دون ان تصاب خطته بأقل فشل رغسم وجود اهداف بعيدة مثل نارفيك .

اوقف هذا النجاح الباهر السهل رقية الحلفاء في اجتياح النرويج ، ودفع هتلر الى القيام يالفرية التي اعدها واعتبرها اكثر اهمية . لقد كان رأيه في حالة اندلاع حرب كبرى انخاذ موقف الدقاع في الجبهة الغربية وانتظار الخطوات الهجومية الاولى للاعداء ، ثم الاندفاع نحو البلاد الاسكندنافية والبلاد الواطئة لتقوية موقف الاستراتيجي واعطاء القوات الغربية فرصة لعقد الصلع «وليجربوا طردي اذا لم يرغبوا ذلك ، وسيتحملون عندئذ عبء الهجوم الاكبر» . لقد كان هذا تفكيره السابق ، اما الان فان الظروف كأنت مختلفة ، لقد عرض الصلح على الحلقاء بعد احتلال بولونيا فرفضوه ، فقرر ارغام فرنسا على الركوع ، وحسرك جيوشه نحو الغرب القيام بهجوم في الخريف ، وتأجل هذا الهجوم لسسوء الجيوش الجيوش الجيوش النصر الذي الانكلو _ قرنسية ، وزاد الانتظار من شوق هتلر ورغبته ، ودفعه النصر الذي حققه في النرويج الى التحرر من نصائح جنرالاته الذين كانوا يشيرون عليسسه بالتربث ،

لقد قال من قبل عندما ناقش امكانيات القيام بمثل هذا الهجوم: «سأناور ضد فرنسا خارج خط ماجينو دون ان أفقد جنديا واحدا» وهذه مبالفة بدون شك ولكنه حققها في عام . ١٩٤ بخسائر قليلة جدا بالنسبة لما حققه من مكاسب. كان محور الجهد الرئيسي الالماني حسب المخطط الاول ينطلق من ناحية الجناح الايمن حيث تعمل مجموعة جيوش فون بوك . ثم تغيرت الخطة تغيرا جدريا في مطلع عام . ١٩٤ ، وانتقل محور الجهد بناء على حجج واسباب قدمها الجنرال فون مانشتاين رئيس اركان مجموعة جيوش فون بوك الذي طالب بالقيام بحركسسة اختراق عبر منطقة الاردين على اقل الاتجاهات توقعا مما يزيد فرص النجاح .

امتازت المعركة في الغرب بتجنب القيادة الالمانية كلل القضاض مباشر ، وباستخدام الهجوم غير المباشر باستمرار رغم تفوقها في الوسائط الهجوميسسة الحديثة . ولم يحاول هتلر اختراق خط ماجينو ، ولكنه تظاهر بهجوم مشاغلة مخادع على هولندا وبلجيكا فنجح في اخراج الطفاء من مواقعهم الدفاعية على الحدود البلجيكية ، وجذبهم للسير ناحيته ، ولم يتعرض سلاح الطيران الالماني لهذه الحركة وتركهم يتقدمون ، فما أن توغلوا في بلجيكا حتى هاجمهم من الخلف وضرب جناح الهجوم الفرنسي المكشوف .

لقد قام بهذا الهجوم المدمر جزء صغير من الجيش الالماني ولكنه مؤلف مسن فرق مدرعة . وفهمت القيادة الالمانية بسرعة أن الحصول على نصر سريع يعتمد

على استخدام القوات الميكانيكية اكثر من اعتماده على الكتل البشرية . وكان راسن الرمح الالماني ضيقا للارجة دفعت بعض الجنرالات الالمان الى الشك في امكسان النجاح . ولكن عناصر النجاح توفرت بسبب اندفاع القيادة الفرنسية بحماقة الى تطبيق الاتفاقيات العسكرية المعقودة دون تبصر ، فدفعت الجزء الاكبر مسسن جناحها الايسر في تقدم واسع عبر بلجيكا بحثا عن المعركة ، وابقت فرقا مسسن الدرجة الثانية للدفاع عن نقطة ارتكاز المناورة «منطقة الآردين» الكثيرة التضاريس والمفطاة بالفابات بصورة جعلت البعض يعتقدون انه من المتعدر تقدم الفرق الآلية فيها . هذا في الوقت الذي استخدم فيه الالمان عنصر المفاجأة واظهروا تفهمهم للمبدأ القائل بأن جهد الانسان وامكانياته اقدر على تأمين الدفاع القوي من الموانع الطبيعية .

وتقدم الالمان بعد سيدان بسرعة مستفيدين من تهديد اهداف مختلفة الامسر الذي كان يضع الفرنسيين في حيرة لا يعرفون معها اتجاه الجهة الرئيسي للهجوم، وهكذا لم يعرفوا في بادىء الامر اذا كان الالمان ينوون الزحف نحو باريس ام في اتجاه مؤخرة الجيوش الموجودة في بلجيكا . ولما استدارت الفرق المدرعة الالمائية نحو الفرب تساءلوا هل ستتجه نحو أميان ام نحو ليل . واتخذت هذه الفسرق الضباب ستارا لها وغيرت اتجاهها عدة مرات حتى وصلت اخيرا الى سواحل المانش .

وسارت جيوش الالمان بتكتيك يتلاءم مع استراتيجيتها ، فتجنبت الانقضاض المباشر ، وبحثت باستمرار عن النقاط الضعيفة لتتسرب منها وتستفل النجاح على خط المقاومة الاضعف ، وعندما كان ساسة الحلفاء العاجزون عن فهم فن الحرب الحديث يطلبون من جيوشهم صد الغزو الالماني «بهجمات عنيفة متلاحقة» كانت المدرعات الالمانية تلتف حول وحدات المشاة المشلولة وتجتازها دون ان تهاجمها لتتابع تقدمها في العمق ، ولو لم تلغ جيوش الحلفاء نظام الدفاع على جبهة مستمرة لكان حظها في الدفاع اكبر ، أما هجماتها المضادة فكانت عديمة الجدوى ، وبينما كان قادة الحلفاء يفكرون في التحضير للمعركة ، كان القادة الشبان الالمان يتحاشونها ويعملون على شل عدوهم استراتيجيا باستخصدام القاذفات المنقضة والمظليين الذين زادوا الفوضى والاضطراب في مواصلات العدو وكانت النتيجة مذهلة .

ولا يمكن تفسير الانتصارات الالمانية الرائعة بأنها ترجع فقط الى استخدام الامكانيات الحديثة والتكتيك والاستراتيجية الجديدين . فقد كان من راي هتلر ان فن الحرب يتطلب استخدام الهجوم غير المباشر على مستوى واسع ، لقد اخذ في هذا المجال درسا من الثورة البلشفية واستفاد من اساليب الحرب الآليسة التي وضع الانكليز اسسها ، وكانت طريقته في الحرب صورة لما فعله المفسول بقيادة جنكيزخان ،

كان هتلر يعتمد على الانصار الموالين له في البلاد المعادية ليمهدوا له الطريق ويساعدوه على بلوغ هدفه باضعاف مقاومة البلاد وتوزيع جهودها مع اعداد حكومة

جديدة ممائة جاهزة لاستلام الحكم ، ولم يكن يعتمد على المال في أيجسساد العملاء في الطبقة الحاكمة في الدول التي يحتلها قدر اعتماده على اثارة الطموح الشخصي وتنمية الرغبة في تولي السلطة ، وكان يفتح الطريق في الوقت الملائم بعناصر تتسرب عبر الحدود قبل بدء الحرب تحت ستار التجارة او السياحة او متنكرة بنباس العدو العسكري اذا لزم الامر ، وكان دور هذه العناصر تخريب المواصلات وبث الذعر بنشر الشائعات الكاذبة وخطف زعماء البلاد اذا امكن ، ثم يبدل هذه العناصر الاستطلاعية بعد ذلك ويرسل وحدات محمولة جوا .

وهكذا كان يستخدم الهجوم الجبهي في الحرب لمجرد الخسداع والتمويه ، ويعطى الدور الاساسي للهجوم على المؤخرات بكل اشكاله . ولم يكن يقسسر الانقضاض ، بل يعتمد في فنه العسكري على تحطيم المعنويات وتفتيت التنظيم وكسب الحرب بتدمير العدو بالكلام اكثر من السلاح، والدعاية اكثر من القذائف. وكما كانت المدفعية تضرب العدو فيما مضى ، للتمهيد لالحاق الدمار به قبسل هجوم المشاة ، فان القصف المعنوي لا بد من استخدامه لبلوغ نفس الهدف . وكان يرى ضرورة استخدام كل انواع الذخائر وخاصة الدعاية . وكان يسعى دائما لشل ارادة الخصم بدلا من قتله ، لان عملية القتل والتدمسير اصعب واكثر نفقة .

هذه هي نظرية هتلر الحربية التي اثبتت قيمتها العملية الاكبدة ، وبدت عملية شل الجهاز العصبي العسكري المعادي اقل كلفة من تقطيم وصاله . وظهرت قيمة اعماله السياسية بنتائجها لا بمحتواها . ويتساءل الكثيرون : هل نجح هتلر في تحطيم معنويات ومقاومة الخصم بهذه الامور فقط ام استعلى بالتفوق الساحق لجيوشه الحديثة التي تستخدم اساليب هجومية جديدة ؟ وهل كان التفوق العسكري الالماني كافيا لدفع فرنسا الى الانهيار ، دون حاجة لتفكيك وحدتها الوطنية سياسيا ومعنويا ؟ والجواب على ذلك ، ان القوة تستطيع ان تسيطر على قوة اخرى اذا تغوقت عليها في مجال القيمة النوعيسة او الجراة . ولكنها تبقى عاجزة عن التغلب على الافكار ، لانها غير ملموسة ومتغلغلة بعمق في ولكنها البشرية بشكل يؤرق اجفان انصار القوة المجردة . وانصار القوة فسي التاريخ كثيرون ، وقد كان هتلر اكثرهم اهتماما بالقوة الايديولوجية .

لقد ادخل هتلر اساليب جديدة في فن الهجوم الاستراتيجي حتى تفوق على جميع خصومه في المرحلة الاولى من الاستراتيجية العليا ، التي تتضمن تطوير وتنسيق جميع الوان النشاط الحربي ، وجميع الوسائل التي يمكن استخدامها للتأثير على ارادة العدو . ولكنه اخطأ كنابوليون في فهسم المخطط الاعلسسي للاستراتيجية العليا ، ذلك المخطط المتعلق بالادارة العامة للحرب والذي يهتسم ايضا بحالة السلم التي لا بد ان تعقب الحرب، والاستراتيجية تتعارض مع الاخلاق لانها تستخدم الخداع على نطاق واسع بينما تنسجم الاستراتيجية العليا مسع الاخلاق لانها تتدخل كمبدا توجيهي يحافظ به الاستراتيجي على الهدف الاصلي للجهود التي بذلها ، لقد ادت محاولة الالمان لاثبات قوة هجماتهم الى إضعساف

مقاومتهم في مجالات اخرى ، استراتيجية واقتصادية ومعنويسة ، اذ اشاعت جيوشهم المنتشرة في طول اوربا وعرضها ، البؤس دون ان تحقيق السلام ، فبدرت بذلك بدور حقد انطلقت منها المقاومة ضد الايديولوجية التي يبشرون بها . وشعرت وحداتهم بآثار هذا الحقد باحتكاكها مع الشعوب المحتلة فتأثرت من جراء ذلك وضعفت عندها جذوة الحماس الحربي التي كان هتلر يذكيها باستمرار .

وهكذا اعطى هثلر ، بتوسيع رقعة هجومه ، الغرصة لاعدائه الباقين ليناضلوا ويتفوقوا في النهاية عليه ؛ ولكن جاء تفوقهم متأخرا ، وكان الحصول عليه يمكن ان يصبح اسهل واسرع ، لو انهم فهموا بشكل اوسع ، فكرة الاستراتيجيسة العليا . وزاد بقاء بريطانيا غير محتلة من فرص النجاح ، لان هتلر كان عاجزا عن فرض ارادته بدون الحصول على نصر كامل يشمل احتلال بريطانيا . وكان توغله في البلاد المعادية يزيد حجم وصعوبة مشاكله الناجمة عن قهر الشعوب المحتلة، واصبحت كل خطوة يخطوها الى الامام تحمل في طواياها احتمالات الخطسسر والفشل . اما موقف بريطانيا فكان ابسط واقسى في وقت واحد . لقد كان عليها ان تقاوم بعنف الى ان يرتكب هتلر ، كما ارتكب من قبله نابليون ، خطا فاحشا لا يمكن اصلاحه . ولعب الحظ الى جانبها ، فجاء هذا الخطأ مبكسرا وقبل ان تضعف الى درجة حرجة . وما ان وقع الخطأ حتى تعذر تداركه ، لان هتلر لم يفهم الاستراتيجية الدفاعية بالشكل الرائع الذي فهم به الاستراتيجية الهجومية .

كما أن انتصاراته الساحقة الأولى دفعته إلى الاعتقاد كما فعل نابليون بسيان الهجوم يحل كافة المشاكل .

الفصلاليسِّادس عشر

طريق النصر الذي سار فيه هتلر

يعتبر احتلال الالمان لبولونيا عام ١٩٣٩ واجتياحهم اوربا الغربية في عسام ١٩٤٠ مثلا رائعا في التاريخ العسكري على قيمة نظرية الحرب السريعة الآلية ، ان هذه النظرية وضعت في انكلترا ، ثم استخدمها الالمان بفضل جهود الجنسرال جودريان مؤسس الجيش المدرع الالماني ، هذا السلاح الجديد الذي كان ثورة في فن الحرب وعاملا على تعديل مجرى التاريخ وتغيير خارطة اوربا واعادة توزيع القوى في العالم بعد هزيمة المانيا بين امريكا والاتحاد السوفييتي .

ان الحملات التي ادت الى هذه الثورة المزدوجة في فن الحرب وفي توازن القوى العالمي ، تشكل ايضا أمثلة ذات دلالة عظيمة بالنسبة لاستراتيجية الهجوم غير المباشر . كما يدل تحليل العمليات التي تمت في الغرب على ان الجيش الآلي الحديث كان عاجزا عن الانتصار بمثل هذه السهولسسة لو لم يستخدم هسذه الاستراتيجية . وكانت التأثيرات في الواقع متبادلة لان مرونة الوحدات الآلية وقدرتها على الحركة اعطيتا الهجوم غير المباشر قدرة اكبر وامكانيات متزايدة .

كان الموقف في بولونيا يسمح بالقيام بالعملية بشكل كامل ، اذ كان طسول حدودها مع المانيا .١٥٥ ميلا . ثم زادت حوالي .٥٠ ميل بعد ان احتل الالمان تشيكوسلوفاكيا . وهذا يعني تعرض مجنبة بولونيا الجنوبية لنفس خطر الغزو

الذي تتعرض له مجنبتها الشمالية الواقعة مقابل بروسيا الشرقية . ولم تكن بولونيا في الحقيقة سوى بروز كبير بين فكي الكماشة الالمانية .

وزاد شكل انتشار القوات البولونية خطورة الموقف ، اذ كان قاب جيوشها مدفوعا بعمق داخل البروز ، وذلك بسبب الرغبة الطبيعية في تغطية القطاعات الصناعية الهامة غربي نهر الفيستولا ، والكبرياء القومي ، وثقيه العسكريين المفرطة .

كان تعداد الجيش البولوني زمن السلم يعادل تعداد الجيش الفرنسي واقل بقليل من الجيش الالماني . وكان يتألف من ٣٠ فرقة مشاة و١٢ لواء فرسان . ولكن الموارد الصناعية البولونية المحدودة عجزت عن تعوين الموارد البشرية وتجهيز الوحدات العاملة بشكل ملائم . وعندما اعلنت بولونيا التعبئة العامة زادت عدد فرقها بمقدار الثلث فقط بينما استطاعت المانيا مضاعفة فرقها باستثناء الفيرق المدرعة . ولم يؤد هذا الاستثناء الى اي تبديل في النتيجة لان الوحدات المدرعة البولونية كانت محدودة جدا .

وأتاحت السهول البولونية ارضا ملائمة لفزو سريع وأن تكن أقل ملاءمة من الارض الفرنسية نظرا لندرة الطرق الجيدة في بولونيا ، وكثرة البحسيرات والفابات في بعض المناطق . ولكن الالمان اختاروا زمن الهجوم بشكل يقلل هذه المساوىء .

وقد بدأ الفزو من الشمال بمجموعة جيوش فون بوك ، وكانت عبارة عسن الجيش الثالث بقيادة كوشلر والجيش الرابع بقيادة كلوغ . وكان الجيش الثالث يهاجم في اتجاه الجنوب منطلقا من بروسيا الشرقية ، بينما كان الجيش الرابع يندفع في اتجاه الشرق عبر الممر البولوني ليتصل مع كوشلر ويحيط بالجنساح الايمن للعدو .

اما الدور الاساسي فكان لمجموعة جيوش روندشتيدت التي قامت بالفزو من الجنوب وكان عدد جنود المشاة فيها ضعف مشاة مجموعة قون بوك كما يزيد تعداد مدرعاتها عن ذلك . وكانت تشمل الجيش الثامن بقيادة بلاسكو فيتنز والجيش العاشر بقيادة كليست . وكانت مهمة جيش بلاسكو فيتز الواقع على الجناح الايسر الزحف نحو المركز الصناعي الكبير في لوتز والاشتراك في عزل الجيوش البولونية الموجودة في جيب بوزنان مغطيا في الوقت نفسه مجنبة جيش رابخناو . وكان على كليست الواقع على على الجناح الايمن الاندفاع نحو كراكو في والاستدارة حول المجنبة البولونية في جبال الكارابات مستخدما فيلقا مدرعا لاجتياز مهرات جبلية . على ان يقوم رابخناء المجهز بمعظم القوات المدرعة بالصدمة الحاسمة .

بدأ الغزو في اول سبتمبر (ايلول) ١٩٣٩ . وعندما دخلت انكلترا وفرنسما الحرب في ٧ سبتمبر تنفيذا الماهدتهما مع بولونيا كان كلوغ قد قطع المسلل البولوني ووصل الى الحوض السفلي لنهر الفيستولا . بينما ازداد ضغط كوشار القادم من بروسيا الشرقية نحو نهر ناريف . والاهم من ذلك كله وصول قوات

رابخناو المدرعة الى نهر فارتا وعبوره ثم تقدم جناحي كليست للاحاطة بكراكوفي على شكل كماشة . وفي } سبتمبر عبر رأس حربة رابخناو نهر بيليكا على بعد . ه ميلا من الحدود .

واصدر براوخيتش القائد العام للجيوش الالمانية امرا بالتقدم مباشرة نحو الشرق وعبور نهر الفيستولا . ولكن روندشتيدت ورئيس أركان حربه مانشتاين اجريا بعض التعديل في المخطط الموضوع عندما قدرا ان الجيوش البولونيسة الرئيسية لا تزال موجودة غرب نهر الفيستولا ، ويمكن ايقاعها في الفخ هناك . وتقدم جناح رابخناو الايسر يسبقه فيلق مدرع وتوجه نخو الشمال على مؤخرات التجمعات البولونية الهامة المتكتلة حول لادز ، ثم تلقى الامر باحتلال موقع يغلق مخارج البزورا بين لودز وفارسوفيا . وكانت هذه الحركة غير منتظرة فلسم تصادف مقاومة كبيرة ، ونتج عن ذلك عزل القوات البولونية المتجمعة ومنعها من الانسحاب وراء نهر الفيستولا .

وحصل الالمان على هذا التفوق بفضل توغلهم الاستراتيجي بعمق على الخط الاقل توقعا ومقاومة ، وازدادت قيمة ذلك التفوق باستخدام مزايا الدفسياع التكنيكي . وكان على الالمان المحافظة على الارض المحتلة امام هجمات منعزلة يقوم بها جيش يقاتل بجبهة معكوسة ويعاني من انقطاعه عن قواعده وتناقص مؤنسه باستمرار ومن ضغط الالمان المتزايد عليه من الشرق والامام والمؤخرات بفضل التقدم الذي كان يقوم به بلاسكوفيتز وكلوغ للتلاقي في نقطة واحدة . وقاتل المجيش البولوني بضراوة وشجاعة اعترف بهما الالمان ولكنه لم يستطع فك الحصار والانضمام الى موقع فارسوفيا الا بأعداد صغيرة .

وفي ١٠ سبتمبر (ايلول) اعطى القائد العام البولوني المارشال سميغلي ريدز الامر بالانسحاب العام لجميع القوات الباقية نحو جنوب بولونيا الشرقي • وكان يأمل تنظيم الدفاع على جبهة اصغر نسبيا لاطالة مدة المقاومة ، ثم ضاع هذا الامل لأن عملية التطويق غربي الفيستولا تزايدت واستعد الالمان للتوغل بعمق شرقسي النهر والقيام بمناورة كماشة اكثر اتساعا تلتف حول الخطوط الدفاعية المحتملة على نهرى سان وبوغ •

ولقد تم الوصول الى خط بوغ في داخل البلاد والاستدارة حوله بهجوم غير مباشر على نطاق واسع وكان فيلق جودريان المدرع يقوم في بداية الغزو واثناء عبور ممر دانزيغ بدور راس الحربة للجيش الرابع ، فتقدم بسرعة واستطساع الوصول الى بروسيا الشرقية التي كانت منعزلة ، وزاد سرعته في اراضي هذه المقاطعة الالمانية ووصل الى اقصى اليسار على المجنبة الشرقية لجيش كوشلر ثم اتجه نحو الجنوب واجتاز نهر ناريف في ٩ سبتمبر (ايلول) وتابع تقدمه حتسى وصل الى برست ـ ليتوفسك على نهر بوغ في ١٤ سبتمبر بعد تقدم يبلغ ١٠٠ ميل في اتجاه قاعدة البروز البولوني الكبير . ثم تقدمت طلائع رتله . ٤ ميلا نحو فلودافا بغية تأمين الاتصال مع فك الكماشة الجنوبي المؤلف من فيلسق ليست

المدرع . وهكذا اصبح تدمير القوات البولونية اكيدا .

ولم يكن للمعركة الالمانية التي كللت بالنصر في الغرب بعد تسعة اشهر صغة الهجوم غير المباشر المادي التي رأيناها في بولونيا . ولكنها كانت عبارة عن هجوم غير مباشر سيكولوجي قام على فكرة تحطيم توازن الخصم باستخدام طرق مختلفة كالمفاجأة الناجمة عن اختبار اتجاه الصدمة ، او الهدف او طريقة العمل ، على ان تسبقها عملية مشاغلة ويتبعها استثمار سريع للنصر يتم على خط المقاومـــة الاضعف ويصل الى أبعد مدى . ويعود النجاح في مثل هذا العمل الى استخدام فخ وطعم . في بداية اكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٩ وبعد انتهاء عملية بولونيا اعطى هتلر أوامره الاولية للهجوم على الغرب . ولما تأكد أن يربطانيا وفرنسا لا تنوبان عقد الصلح أسرع في العمل «لان فترة انتظار طويلة تعنى تقوية قدرة اعدائنـــا العسكرية الى درجة كبيرة» ، الامر الذي قد يدفع المحايدين الى جبهة الحلفاء. ولقد عرف أن الزمن ضده ، فإذا انتظر كما ينصحه مساعدوه حصل الحلفاء على التفوق . كما ان حربا طويلة قد تؤدي الى جفاف الموارد الالمانية المحسدودة وتعرضها بعد ذلك لهجوم حاسم روسي على مؤخراتها ، خاصة وأن المعاهدة مع ستالين لا تضمن حياد روسيا مدة طويلة الا اذا كان ذلك في صالح ستالين . ودفعت كل هذه المخاوف هتلر الى التفكير في ارغام فرنسا على عقد الصليح بتأثير هجوم ينطلق مبكرا ، لاعتقاده بأن هزيعة فرنسا سترغم الكلترا على الاعتقار والانسحاب بهدوء .

لقد كان لدى هتلر في هذا الوقت من القوة والعتاد ما يسمع له بالتغليب على فرنسا ، وكانت المانيا متفوقة في مجال التسليح الحديث ، وقد « بلسخ سلاحها المدرع وسلاحها الجوي درجة عالية من الكفاءة لم تيلفها أية دولة اخرى في المجالين الهجومي والدفاعي . وكانت أمكافياتها الاستراتيجية في العمليات تقوم على تنظيم جيد وقيادة محنكة لم يعرفهما بلد آخر» . ورغم الاعتراف بتقوق فرنسا في التسليح التقليدي وخاصة المدفعية الثقيلة فلم يكن لاسلحتها اي تأثير حاسم في حرب الحركة . هذا علاوة على أن تفوق الاسلحة الالمانية الحديثة كان كافيا ليموضها عن تفوق فرنسا المددي في حالة التعبئة العامة .

وشارك قادة الجيش الالماتي هتلر مخاوفه فيما يتملق بالنتائج البعيدة المدى ولكنهم لم يشاطروه آماله القريبة ، أذ كانوا يعتقدون أن قوتهم غير كافية للتغلب على دفاع الفرنسيين ، وكانوا يرون أن من الحكمة اتخاذ أما موقف الدفاع الى أن تتجه فرنسا وبريطانيا بالتدريج نحو السلم ، أو القيام بهجوم يدفع الحلفاء الى القيام بتدابير يردون عليها بهجوم مضاد .

ورفض هتلر كل هذه الاعتراضات وحدد تاريخ الهجوم في الاسبوع الثاني من شهر نوفمبر (تشرين ثاني) ثم تأخر مرات متتالية حتى مايو (ايار).

ولقد تلقى المخطط خلال هذه الفترة الطويلة تعديلات كبيرة . وكان المخطط الذي وضعته هيئة الاركان العامة برئاسة هالدر يعتمد على القيام بهجوم رئيسي عبر بلجيكا الوسطى كما حدث في عام ١٩١٤ ، على ان يتم ذلك بمجموع....ة

الجيوش (ب) بقيادة بوك، بينما تقوم مجموعة الجيوش (۱) بقيادة روند شتيدت بهجوم ثانوي الى اليسار عبر منطقة الآردين الصعبة المغطاة بالفابات دون انتظار ايسة نتيجة من هذا الاتجاه ، واعطيت الفرق المدرعة كلها للجنرال بوك لان منطقسة الآردين وعرة جدا ولا تصلح لهجوم المدرعات .

ووجد الجنرال مانستاين رئيس اركان حرب الجنرال روندشتيدت هسدا المخطط محدودا ويكرد بشكل دقيق مخطط عام ١٩١٤ لانه يسلك محود الجهسة الذي يتوقعه الحلفاء ، علاوة على ان محود الجهد فيه يصطللم مع الجيش البريطاني وهو اشد عنادا من الجيش الفرنسي ، كما ان هذه انعملية ستدفسع عند نجاحها الحلفاء بشكل جبهي نحو سواحل بلجيكا ولن تؤدي الى نتائج حاسمة كنتائج هجوم غير مباشر يقطع مواصلات وخطوط انسحاب الحلفاء في بلجيكا .

واقترح مانشتاين نقل مركز الثقل من اليمين الى المركز ، ووضع الجهد الرئيسي في الآردين وهو الخط الاقل توقعا ، وكان يعتقد انه يمكن استخدام الوحدات المدرعة هناك بنجاح رغم صعوبة الارض ، وأيد وجهة نظره خبسي المدرعات الجنرال جودريان .

وقد اثارت هذه الفكرة الجريئة اعجاب هتلر . ولكنه لم يتخذ قرار تغيير المخطط الاساسي الا بعد حادثة غريبة مؤداها ان ضابطا من هيئة اركان الحرب الالمانية كان ينقل في طائرته في ١٠ يناير (كانون ثابي) وثائق تتعلق بالمخطط ، وقد ضل هذا الضابط طريقه بسبب عاصفة ثلجية وهبط خطأ في الاراضي البلجبكية ، وخشيت القيادة العامة الالمانية من سقوط الوثائق بيد الحلفاء ، ورغم هذه الظروف تردد القائد العام ورئيس هيئة الاركان العامة في تعديل الخطة تعديلا جدريا كما يرغب مانشتاين ، وعندئذ تجاوز مانشتاين رؤساءه وقابل هتلر شخصيا وحصل على تأييده الحاسم لخطته الجريئة .

وني خلال ذلك الوقت قام الالمان بعمليات انذار وهمية بقصيد المخادعة ، دفعت الحلفاء الى كشف خططهم بشأن اعتزامهم الهجوم على المانيا عن طريق بلجيكا مما عزز موقف هؤلاء الذين يؤيدون تعديل المخطط الالماني حسب فكرة مانشتان .

وقد اثبتت الحوادث بعد ذلك ان المخطط الاساسي لم يكن يستطيع تحقيق نتيجة حاسمة مثل انهيار فرنسا ، لان التقدم الالماني المباشر كان سيصطدم بأقوى اجزاء الجبهة الانكلو لل فرنسية واكثرها تجهيزا ، ويضطر الى شق طريقه في منطقة مملوءة بالحواجز كالانهار والقنوات والمدن الكبيرة ، وقد تبدو منطقة الآردين اكثر صعوبة ، ولكن اذا استطاعت القوات الالمانية ان تجتاز بسرعة هذا النطاق المفطى بالفابات والتضاريس الذي يقع جنوبي بلجيكا دون ان تشعيسر القيادة الفرنسية بالخطر ، فان سهول فرنسا تصبح مفتوحة امام تقدم الجيوش الالمانية وتشكل ارضا مثالية لعمليات واسعة النطاق تقوم بها القوات المدرعة . لقد توقع مانشتاين رغبة الحلفاء في الزحف عبر بلجيكا ، وكان يأمل الاستفادة

من مثل هذه الحركة . وكانت تقديراته كلها صحيحة لان دور الجنساح الايسر للحلفاء في مخطط القائد العام المسمى الخطة (د) كان التوغل في بلجيكا منذ بدء الغزو الالماني والاندفاع نحو الشرق حتى نهر ديل او أبعد من ذلك اذا أمكن . ولقد برهنت الوقائع بعد ذلك على ان الخطة (د) كانت قاتلة للفرنسيين . اذ أنها جعلت من هجوم الالمان هجوما مضادا على المجنبة ، وجعلت الحلفاء يتوغلون في بلجيكا بشكل يساعد عمليات الالمان في الآردين على الوصول بسهولة الى مؤخرات الحلفاء وعزلهم عن جناحهم الايمن .

وغدت النتيجة حاسمة تماما عندما دفع غاملان بمعظم قواته المدرعة فسي عملية بلجيكا ولم يترك لحراسة المركز الذي تدور حوله المناورة مقابل الآردين الا ستارة ضميفة من وحدات قليلة . ولما قام الالمان باختراق هذه النقطة لم يفقد غاملان توازنه فحسب ، بل اصبح عاجزا عن تعديل الموقف نظرا لوجود قواته القادرة على تحسين الوضع وسد الثغرة بعيدا داخل بلجيكا . وهكذا فقد غاملان مرونته الاستراتيجية نتيجة لدفعه قواته بسرعة اكثر مما ينبغي الى الامام .

غطى تهديد منطقة الأردين في بادىء الامر الضربات الأولية التي قام بها الالمان في البلاد الواطئة والتي شغلت العدو ولفتت انظاره بشكل فعال . واصيب الجيش الهولندي ببلبلة شديدة من جراء اغارة قوات المانية أنزلت من الطائرات على مؤخراته في نفس الوقت الذي تعرض فيه لهجوم جبهي عنيف واضطر الى الاستسلام بعد خمسة ايام . كما تم اختراق مواقع الجيش البلجيكي الامامية في اليوم الثاني فانسحب على خط انفرس ـ نامور حيث انضمت اليه القسسوات الفرنسية والبريطانية .

وفي فجر يوم ١٠ مايو (ايار) ١٩٤٠ قامت الوحدات الالمانية المحمولة جوا بإغارة مفاجئة في هولندا على العاصمة لاهاي وعلى مدينة روتردام مركز المواصلات الهام ، وذلك في نفس الوقت الذي قامت فيه القوات الالمانية بهجوم على الحدود على بعد ١٠٠ ميل نحو الشرق ، فانتشرت الفوضى ودب الهلع في البلاد من جراء هذه الصدمة المضاعفة على الجبهة والمؤخرة ، وزادت خطورة الوقف نتيجة لنشاط الطيران الالماني الذي اثبت وجوده في كل مكان ، واستغلت فرقة المانيه هذه الفوضى فاندفعت في ثغرة مفتوحة على المجنبة الجنوبية وانضمت بعد ثلاثة ايام الى الوحدات المحمولة جوا في روتردام ، ورغم ان الهولنديين كانوا يتخذون موقف الدفاع الاستراتيجي ، فقد وجدوا انفسهم مرغمين على التحول الى الهجوم التكتيكي ، من غير استعداد ، وفي اليوم الخامس استسلمت هولندا رغم ان حبهتها الرئيسية كانت لا تزال سليمة .

كان للغزو المباشر الذي قامت به القوات الالمانية ضد بلجيكا صفة هجوم غير مباشر من الناحية السيكولوجية ، وذلك بفضل الصدمة الاوليسة التي فتحت الطريق امام المهاجمين ، لقد كان الجيش الالماني السادس القوي الذي يقسوم بالهجوم الرئيسي بقيادة رابخناو مضطرا لاجتياز حاجز مائي كبير قبل ان يستطيع الانتشار ، فأرسلت القيادة العامة ، ، ه رجل من الوحدات المحمولة جسوا

لمساعدته في مهمته . وكلفت هذه القرة باحتلال جسرين على قناة البرت وحصن إبين وهو احدث حصن في بلجيكا ويقع على مجنبة القناة على الحدود ، وكان لهذه الوحدات رغم صغرها دور حاسم في العملية كلها . وكان الهجوم على الحدود البلجيكية في هذا الكان مضطرا لعبور ارض هولندية على شكل بروز هي اقليم ماستريخت ، وكان امام الحراس البلجيكيين الوقت الكافي للانسدار ونسف الجسور قبل ان يتمكن الالمان من اجتياز الحدود .

ولكن الوحدات المحمولة جوا نزلت بسكون في ظلام الليل واحتلت الجسور سليمة ، كما تم شل حصن ايبن بمفرزة مؤلفة من ٨٠ رجلا هبطوا على بروجه واستطاعوا تجميد ١٢٠٠ رجل لمدة ٢٤ ساعة حتى وصلت قوات المانية اكسسر واحتلت الحصن واندفعت في السهل وراء الجسور . واضطرت الجيسوش البلجيكية امام هذا الخطر الى التراجع نحو نهر ديل حيث كان الفرنسيسسون والانكليز قد وصلوا منذ وقت قليل .

ان العمليات التي قامت بها في هولندا وبلجيكا القوات المحمولة جوا كانت من وحي هتلر نفسه . وقد نفذها الجنرال الجريء شتودنت بمهارة نادرة بينمسا كانت الوحدات المدرعة في مجموعة جيوش روندشتيدت تجتاز اللوكسمبورغ ، واللوكسمبورغ البلجيكي ، مندفعة نحو الحدود الفرنسية . وكانت هذه الوحدات المؤلفة من خمس فرق دبابات و إلى فرق مصفحة تحت قيادة الجنرال فون كليست وكان رأس حربتها ، وهو فيلق الجنرال جودريان المؤلف من ٣ فرق مدرعة ، قد زحف سبعين ميلا في الآردين بعد سحق مقاومات ضعيفة ، وعبر الحسدود الفرنسية ووصل الى ضفاف نهر الموز في صبيحة اليوم الرابع للهجوم .

لقد كان من المفامرة دفع كتلة كبيرة من المدرعات والعربات المصفحة في منطقة وعرة يعتبرها الاستراتيجيون التقليديون منذ أمد طويل منطقة غير صالحة لتقدم هجوم مدرع كبير . ولكن هذا الاعتقاد زاد من تأثير المفاجأة كما ساعدت الغابات على الحفاء التقدم ومنعت الحلفاء من كشف حجم العملية الحقيقى .

ولكن بعد زوال تأثير المفاجأة كان على المدرعات اجتياز نهير الموز ، وكانت نتيجة العملية تتوقف على مدة العبور . وظن الفرنسيون ان الالمان بحاجة لخمسة او سنة ايام لجلب المدفعية قبل العبور .

وكان توقيت الفرنسيين لهجوم الالمان مشابها تمامًا لتوقيت القيادة العليا الالمانية . ولكن جودريان كان قد اقترح في فبراير (شباط) ان تقوم الوحدات المدرعة بمهاجمة الموز بأقصى سرعة ممكنة دون انتظار وصول المشاة والمدفعية . ولقد انتقد هالدر آنذاك هذا الاقتراح واعتبر ان فترة ٩ أو ١٠ أيام هي اقصر فترة يمكن بعدها القيام بالهجوم المنشود . ولكن هتلر وافق على فكرة جودريان . فلما وصل فيلق جودريان الى نهر الموز قرب سيدان في ١٣ مايو اندفع فسي الهجوم الى الضفة الاخرى بعد ظهر اليوم نفسه . وفي المساء تم عبور النهسر واستطاعت مقدمة أرتال الفرقة السادسة المدرعة التي يقودها رومل عبور النهر واستطاعت مقدمة أرتال الفرقة السادسة المدرعة التي يقودها رومل عبور النهر

في ١٣ مايو عند مدينة دينان على بعد .؟ ميلا الى الشمال . فشتت بذلك انتباه العدو وخلقت الفرصة الملائمة للقيام فيما بعد بعمليات تفتيت المواقسية بعد اختراقها .

وفي يوم ١٤ مايو بعد الظهر عبرت فرق جودريان المدرعة الثلاث كلها نهسر الموز ، وبعد ان صدت هجوما مضادا متأخرا قامت بتغيير مفاجىء في اتجاهها وزحفت نحو الفرب ، وفي مساء اليوم التالي اخترقت آخر خط دفاعي خلف نهر الموز ، واصبحت طرق الغرب المؤدية الى شواطىء المانش الواقعة على بعسد 11. ميلا مفتوحة امام دبابات البانزر .

وفي ليلة ١٥ مايو تلقى جودريان امرا من كليست الحدر بأن يتوقف ويقوي المواقع المحتلة الى ان تلحق به قوات المشاة لتحتل هذه المواقع . وبعد مناقشة حامية عدل الامر ونال جودريان الموافقة على ان يمد راس جسره بعمق محدود . ولكنه فهم هذه الموافقة كما يريد فاندفع نحو الغرب مسافة ، ه ميلا ووصل الى نهر الواز في اليوم التالي ، ثم لحقت به بقية الوحدات المدرعية التي وسعت الثغرة حتى بلغت ، ٦ ميلا واندفعت كسيل على الطرق الواقعة على مؤخرات جيوش الحلفاء الموجودة في بلجيكا .

ولقد تم الدفاع هذا السيل بسرعة اكبر نظرا لعجز القيادة العليا الفرنسية عن تحديد اتجاه التقدم المقبل ، لان اختراق موقع سيدان حدث على محسور مركزي يمكن استغلاله في اي اتجاه ويمكن ان يؤدي الى اهداف متعددة . ولم يستطيع الحلفاء التكهن بمعرفة الهدف النهائي اهو باريس ام شواطىء المانش . وزادت المرونة الاستراتيجية للخطة الالمانية بفضل قدرة الاداة المنفذة على الحركة، وادى اجتماع هاتين الميزتين الى جعل العدو عاجزا عن حل المشكلة .

وضاعت ردود الفعل الفرنسية كلها في الهواء لان تنفيذها كان بطيئا جدا ولا يتلاءم مع سرعة تطور الموقف ، ويعود ذلك الى ان مناورة الالمان كانت اسرع من مناورة خصومهم ، بالاضافة الى عجز الفرنسيين الذين دربوا حسب الطسرق القديمة للحرب العالمية الاولى عن فهم اهمية سرعة العمليات او التلاؤم معها ، فانتهى الامر الى شل حركتهم ، وكان ضعف الفرنسيين الاساسي كامنا فسي تفكيرهم وليس في كمية او نوع عتادهم ، لان تقدمهم الفكري بعد الحرب العالمية الاولى كان أقل من تقدم خصومهم .

اما القيادة العليا الألمانية فكانت تخشى حتى ذلك الوقت من خطر تنفيسة استراتيجية تتطلب مثل هذا التوغل العميق بواسطة مجموعة من الفرق المدرعة. وكان هتلر نفسه متوتر الاعصاب . ودفعه قلقه على مصير المجنبة الجنوبية الى ايقاف التقدم نحو الغرب مدة يومين الى ان يصل الجيش الثاني عشر الى نهر إين بحيث يشكل درعا يحمي المجنبة على طول النهر . ولقد اثر هذا التوقف على الخطة الالمانية وكاد ان يؤدي الى فشلها لو لم تكن حالة الشلل الفرنسية كاملة ، ثم تردد هتلر بعد اسبوع مرة اخرى بصورة كلفت القوات الالمانية الشيء الكثير، ولكن مكاسب الإلمان السابقة وضعف العدو قلل من خطورة هذا التوقف على نهر ولكن مكاسب الإلمان السابقة وضعف العدو قلل من خطورة هذا التوقف على نهر

الواز ، ومع ذلك ظهر بين الالمان اختلاف في تقدير مفهوم الزمن ، وكان الاختلاف بين المحاربة المحرستين الالمانيتين القديمة والحديثة أوضح من الاختلاف بين أفكار الالمان والفرنسيين .

واحتج جودريان على توقف ١٧ مايو وطلب اعفاءه من منصبه ولكنه عساد بعد قليل الى قيادته وطلب منه القيام «باستطلاع قوي» وفهم من ذلك ان لديه صلاحيات تحوله دفع قواته الى الامام بالقوة التي يريدها . وعندما اعطي له الامر بالتقدم كان تقدمه اسرع . وفي ١٠ مايو احتل أميان ووصل الى البحر وراء آبفيل فقطم بذلك مواصلات جيوش الحلفاء الباقية في بلجيكا .

وفي ٢٢ مايو اضطر لقبول توقف جديد مدة ٢٤ ساعة بناء على اوامسسر قيادته ، ثم سار نحو الشمال في اتجاه موانىء بحر المانش على مؤخرات الجيش البريطاني الذي كان لا يزال يرابط في بلجيكا وليصد تقدم مشاة بوك الجبهي . ولما كان جودريان متجها نحو الشمال كان على يمينه فيلق رينهارد المدرع المأخوذ من مجموعة كليست . وفي يوم ٢٢ مايو تم عزل مدينة بولوني ، ثم عزلت كاليه في اليوم التالي . واستمر التقدم حتى غرافلين على بعد ١٠ أميال من دنكرك ووصلت مدرعات رينهارد الى خط لير _ سان اومير _ غرافلين وشكلت بعد ذلك راس جسر . ثم توقف التقدم نحو دنكرك (باب انسجاب الانكليز الاخير) بناء على اوامر هتلر ، وهذا ما انقذ الجيش البريطاني بعد وقوعه في الفخ ، مسن المصير الذي لقبته الجيوش البلجيكية ومعظم الجيوش الفرنسية الثلاثة الموجودة على الجناح الاسر . ثم اعطي الامر بمتابعة الهجوم بعد يومين ، وكان الدفاع قد اشتد وانتظم ، فاستطاعت مفارز التفطية ايقاف الالمان وقتا كافيا لانسحاب البحر . ولكن هذا لم يمنع الالمان من ان يأسروا مليون رجل دون ان يفقدوا اكثر من ٦٠ الف رجل ، ويعود هذا الى هجومهم الواسع غير المباشر .

ولا يمكن حتى الان معرفة الاسباب التي دفعت هتلر الى أيقاف قواته غربي دنكرك ، ولكننا اذا بحثنا عن الحقيقة ، وجدناه يعلن بنفسه عن مخاوفه من أن تغوص دباباته في اراضي الفلاندر المليئة بالمستنقعات ، وهي ذكرى ظلت عالقة في ذهنه متذ أن كان عريفا في الجيش في الحرب العالمية الاولى ، وقد يكون السبب رغبته في الاحتفاظ بجيش مدرع سليم يقوم بالضربة الحاسمة فسي فرنسا ، أو اقتناعه بالمعلومات التي أبلغها له غورنغ بأن الطيران الالماني قادر على منع السحاب الجيوش الانكليزية الواقعة في الغخ عن طريق البحر ،

بدات المرحلة التالية والاخيرة للمعادك في ٥ يونيو (حزيران) اي في اليسوم التالي الدخول الالمان دنكرك . وانطلق الهجوم بصورة تثير الذهول ، اذ أن القوات الالمانية التي انهت عملياتها الهجومية في اتجاه الشمال الغربي ، استدارت نحو الجنوب لتقوم بالضربة الجديدة ، ويمكن اعتبار هذا التجمع السريع للزحف في اتجاه جديد دليلا آخر يؤكد التطور الثوري الذي ادخل على الاستراتيجيسية بواسطة سرعة حركة الوحدات الميكانيكية ، وانطلق الهجوم الجديد على الجبهسة

الجديدة المؤلفة من بقايا الجيش الفرنسي على نهري السوم وإين ، وكانت جبهته اطول من الجبهة السابقة ، وذات امكانيات اقل . وكان الفرنسيون قد فقدوا حتى ذلك الوقت ٣٠٠ فرقة بما في ذلك معظم القوات الحليفة ، باستثناء فرقتين بريطانيتين ، فجمع الجنرال الفرنسي ويغان ، الذي حل محل غاملان ، ٢٦ فرقة وضع منها ١٧ فرقة في خط ماجينو وانشا بما تبقى خطا دفاعيا على نهسري السوم وإين .

قامت جيوش بوك بالهجوم في ٥ يونيو (حزيران) ، وبعد اربعة ايام فقيط قام روندشتيدت بهجومه ، ولم ينجح الجهد الرئيسي في هجوم بوك بشكل جيد وبعمق كاف الا في اتصى اليمين ، عندما اخترقت فرقة البانزر بفيادة رومل في اليوم الثالث للهجوم خطوط الدفاع الفرنسية ، وقد امكن اتمام هذا الاختراق السريع بفضل جرأة رومل التي لم يستطع اعداؤه توقعها بسبب تفكيرهم التقليدي الضيق ، وذلك عندما احتل جسرين سليمين على نهر السوم ، ودفع دباباته الى الضفة المقابلة دون تردد .

وفي مساء اليوم الاول كانت قواته قد تغلغلت مسافة ثمانية أميال داخسل مواقع العدو ، وفي اليوم الثاني توغلت . ٢ ميلا ، وفي اليوم الثالث . ٣ ميلا ، منتشرة في مختلف الاراضي خارج الطرق ، وملتفة حول مفارق الطرق التسيي راقبها العدو ويدافع عنها . وادى هذا الاختراق العميسق الى تفتيت الجيش الفرنسي العاشر وتدميره ، وعندئذ اندفعت فرق المانية اخرى في التفسيرة المغتوحة . وفي مساء يوم ٨ يونيو (حزيران) وهو اليوم الرابع للهجوم ، وصل رومل الى نهر السين شمالي مدينة روان ، بعد تقدم صاعق مسافة . ٤ ميلا عبر خطوط العدو الدفاعية المضطربة التي نظمت على عجسل قرب روان والسين . واستطاع رومل عبور النهر قبل ان يتمكن الفرنسيون من جمع الوسائط اللازمة للدفاع جيدا عن هذا الحاجز العريض الفعال . وفي اليوم العاشر قامت فرقته بحركة التفاف طولها . ٥ ميلا ، وقطعت طريق الانسحاب امام الجنساح الاسر للجيش العاشر المؤلف من خمس فرق منها الفرقة ١٥ الانكليزية . ولما احست هذه الفرق بأنها اصبحت محاصرة استسلمت في ١٢ يونيو (حزيران) فسسي سان فالم ي .

وفي خلال ذلك اصطدم الهجوم الرئيسي الذي قام به الجناح الايمن للجيوش الالمانية على السوم بمقاومة اكبر . وكان هذا الهجوم على شكل كماشة يقوم به فيلقان مدرعان بقيادة كليست ابتداء من رؤوس الجسور المقامة على نهر السوم في بيرون واميان . واخترق طرف الكماشة الايمن المنطلق من أميان الدفساع الفريسي في ٨ يونيو ، وتقدم نحو الجنوب في اتجاه حوض نهر الواز الاسفل، بينما لاقى الطرف الايسر مقاومة عنيدة شمالي كومبين .

في هذه الاثناء كانت مجموعة روندشتيدت تهاجم على طول نهر ابن ، وفي وينيو (حزيران) اخترقت الدفاع الفرنسي بسرعة . وعندئذ قررت القيادة الالمانية العليا ان تسحب فيلقي كليست المدرعين وترسلهما للزج بهما في الثفرة العريضة المفتوحة على دفاع نهر ابن بقصد استغلال هزيمة الفرنسيين في شمبانيا، وتقدم هذه المناورة السريعة التي تمت في جبهة عريضة وعرة مثالا جديدا على مرونة السلاح المدرع وقدرته على الحركة .

وقام جودريان مرة اخرى بالضربة الحاسمة ونفذ بشكل رائع استراتيجية الاختراق بعمق المتسمة بالهجوم غير المباشر . وذلك عندما عين قائدا للمجموعة المدرعة التي يراسها الجنرال روندشتيدت . وكان فيلقاه على نهر أين قرب مدينة ريتل بعد أن قاما بحركة طولها ٢٠٠ ميل أبتداء من الشواطىء الفرنسية لبحــر المانش . فبعد أن احتلت مشاة الجيش الثاني عشر ثلاثة رؤوس جسور صفيرة وراء نهر إين ومدينة شاتوتيري دفع جودريان فرقة المقدمة المدرعة خلال الليل وعبر من رؤوس الجسور . وفي صبيحة اليوم التالي اكتسح بسرعة الاراضي المنبسطة امامه ملتغا حول القرى والغابات التي يدافع عنها الفرنسيون ، وتدخلت المدرعات الفرنسية في القتال ، وقامت سلسلة من معارك الدبابات . ومع ذلك استطاعت المدرعات الالمانية التوغل خلال يومين مسافة ٢٠ ميلا . وفي اليوم الثالث وصل جناح جودريان الايمن الى مدينة شالون سيرمارن ثم وصل في اليوم الرابع الى مدينة فيترى لوفرانسوا على بعد ٦٠ ميلا من قاعدة الانطلاق . وتقدم جناحــه الايسر ليصبح في مستوى الجناح الايمن بعد ان صد هجمات مضادة جانبية . ثم اندفع جودريان بسرعة اكبر على هضبة لانغر وتوغل في مؤخرات خط ماجينسو وتابع تقدمه نحو الحدود السويسرية . ووصل الى مدينة شومون في اليسوم الخامس ١٤ يونيو (حزيران) بعد وثبة بلغ طولها ٥٠ ميلاً . وقسى صبيحة ١٧ يونيو احتلت فرقة المقدمة مدينة بونتارليبه على الحدود السويسرية وعلى بعد ٦٠ ميلاً من نهر السون . وقطعت هذه الوثبة الاخيرة مواصلات الحصون الفرنسية الهامة التي تدافع عن خط ماجينو واستعدت فرق جودريان الاخرى لتتحسرك شمال نهر موزيل لتقطع طريق انسحاب القوات الفرنسية . ولكن الحكومسة الفرنسية كانت قد قررت الاستسلام قبل ذلك بعدة ساعات ، وطلبت الصلع نظرا لانهيار حيوشها .

ورغم ذلك فان هذا النصر الحاسم من الوجهة الاستراتيجية في القسسارة الاوربية لم يكن حاسما على مستوى الاستراتيجية العليا ، نظرا لفشل هتلر في احتلال الجزر البريطانية . وهنا دفع ثمن الخطأ الذي ارتكبه بوقف التقسدم الالماني نحو دنكرك . فلو أنه منع الجيوش البريطانية من الانسحاب لوجسدت انكلترة نفسها ضعيفة وعاجزة عن الدفاع لدرجة تجعل احتلالها ممكنا بغزو يعد على عجل . ولكن افلات الجيش البريطاني من فخ دنكرك جعل السيطرة علسى بريطانيا غير ممكنة الا بعد اعداد حملة قوية لغزوها ، ولكن ذلك كان متعسفرا انذاك .

وقام هتلر بمحاولات للتمهيد لغزو بريطانيا ولكن هذه المحاولات جاءت متأخرة. وكانت عروض هتلر لعقد الصلح غير مشجعة ، ولما حاول تحقيق السيطرة الجوية فوق البحر باءت محاولاته بالفشل في «معركة بريطانيا» وأرجئت خطة غسزو

بريطانيا الى ما يعد .

وقد استمر هتار يسير في طريق النصر في السنة الناطية في بلاد البلقان وروسيا حتى هزمته مساحة البلاد الروسية الشاسعة . القد كان في حاجة الى وسائل كبيرة جعا للحصول على النتائج التي يريدها . ورغم انتصاراته اللباهرة في عام ١٩٤١ فقد بدأ نجمه بالأقول منذ فشله في «معركة بريطانيا» وهو الفشل الذي يرجع قبل كل شيء الى تردده ووقوقه بلا عمل المام دنكرك في الوقت الذي كانت فيه عله اللهيئة تحت رحمته .

الفصل كتيابع عشر

أفول نجم هتلر

في نهاية شهر يونيو (حزيران) ١٩٤٠ كانت المانيا تسيطر على كهل اوربا الغربية والوسطى والجنوبية الشرقية باستثناء الجزر البريطانية في الطهروف الغربي لأوربا . وبالاضافة الى هذه العقبة القائمة خلف البحسر كانت روسيها السوفياتية تشكل ظلا قاتما على مجنبته الشمالية الشرقية . وكانت انتصارات هتلر الباهرة حينئذ تؤهله للسيطرة المطلقة على اوربا او على المالم اجمع .

لقد أفل نجم هتلر على مستوى الاستراتيجية العليا لان اخطاءه القاتلة كانت على هذا المستوى ، ولو عرف كيف يهدىء المخاوف التي ترتبت على احتلاليه للبلاد الاخرى ، وأمن الشعوب المجاورة باقناعها بأن «النظام الجديد» سيكون مغيدا لها ، لاستطاع النجاح حيث فشل نابليون وتمكن من تحقيق الوحسدة الامربية بقيادة المانيا بصورة لا يمكن معها تحطيمها من الخارج . ولكن افتقاره الى الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف منعه من الوصول الى الفاية المنشودة . لقد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف منعه من الوصول الى الفاية المنشودة . لقد كان هجومه السياسي مباشرا اكثر مما يجب ، ورغم مهارته في خلق الاختلافات بين الدول التي كان يهددها ، فقد كان أقل مهارة في تخفيف مقاومة هذه الدول. ولقد استخدم كلمتي «الوطن والاشتراكية» بكثرة ، ولكن تطرفه في العصبية الوطنية أزال الآثار الحسنة التي تحملها كلمة الاشتراكية بين جماهير الشعب في

البلاد الاخرى . وكانت قيضته الحديدية مخبأة قليلا تحت قفاز من القطيفة يثير الشك . واصبح هتلر في النهاية عبدا لانتصاراته ، وأصبحت محاولاته لعقدد الصلح مع الآخرين قليلة غير مشجعة . وازدادت اخطاؤه بسبب كثرة ما ضحى به من رجال وعتاد طوال مدة الصراع ، وجاء فشله الاول عندما عجز عسسن السيطرة على بريطانيا ، ولم يستطع عقد صلح معها بعد انهيار بقية البلاد الغربية، وكان بقاء بريطانيا يعني عدم السيطرة التامة على الفرب ، ومنعه من قطف ثمار انتصاراته . واستطاعت مقاومة بريطانيا التأثير على الارادة الالمانية وارغامها على المساومة في مسألة الصلح وتقديم تساهلات متزايدة ولكنها غير كافية . وبدأ ذلك واضحا عندما وجد هتلر نفسه في يونيو (حزيران) ١٩٤١ عاجزا عن تحقيق السيطرة الكاملة في الغرب ، فاستدار نحو الشرق ليهاجم روسيا السوفييتية . ويعتبر هذا القرار الخطير الذي كان سبب دماره بداية تخليه عن الهجوم غير المباشر في حقل الاستراتيجية العليا . وقد دفعه قلقه وعدم صبره ورغبته الملحة في الحصول على النصر الى ترك الهجوم غير المباشر حتى على مستسوى الاستراتيجية العادية . وهذا التبدل يثير الاهتمام لانه كان حتى ذلك الوقت حريصا على استخدام الهجوم غير المباشر في كل الظروف ، حتى عند هجومه ضد حواجز ضميفة نسبيا كما هي الحالة مع اليونان التي اجتاحها في أبريــل (نيسنان) ١٩٤١ بعد أن أنزل البريطانيون في سالونيك جيشا صغيرا لمساعسدة الجيش اليوناني .

الفزو الالماني لروسيا:

استخدم الالمان في بداية غزو روسيا عمليات هجوم غير مباشر ، فحصلوا بذلك على نتائج باهرة كان الفضل يرجع في بعضها الى الظروف الجغرافية الملائمة. وقد أتاح امتداد الجبهة بطول ١٨٠٠ ميل وندرة الحواجز الطبيعية ميزات كبيرة للمهاجم وسهلت له عملية التسرب والمناورة ، وبالرغم من ضخامة الجيش الاحمر فقد كانت النسبة بين قواته وسعة حقل العمليات ضعيفة بحيث اعطت الوحدات الميكانيكية الالمانية فرصا ملائمة للقيام بعمليات مناورة غير مباشرة على مؤخرات الروس ، كما ان المدن المتباعدة بشكل كبير والتي تشكل عقد الطرق والسكك الحديدية اعطت المهاجم الفرصة للعمل ضد اهداف متناوبة وساعدته على خدع العدو عن الاتجاه المهدد فعلا ووضعه في مشاكل متبالية .

ولكن بعد أن حصل الآلمان في البداية على انتصارات كبيرة بدأوا يفقد ولا الميزات التي كسبوها بسبب عجزهم عن اتخاذ القرار الملائم حول الاتجاه الذي ينبغي أتباعه لاستغلال انتصاراتهم الاولى .

كان هتلر يعتبر ليننفراد هدفا جوهريا يسمح له بدعم مجنبته على بحسر البلطيق وفنلندا ، ويعتبر موسكو هدفا أقل قيمة الولكن احساسه المتزايد

بقيمة العوامل الاقتصادية دفعه الى التفكير في احتلال مراكز ألثروة الزراعية في اوكرانيا والمنطقة الصناعية في حوض نهر الدينيبر الاسفل . وكان الهدفان متعارضين ويتطلب كل منهما خط عمليات مستقل تماما ، مما جعل القسسوات الالمانية تفتقر الى حرية المناورة على خط واحد لعمليات مركزية تسمح بتهديد أو مهاحمة اهداف اخرى بصورة متناوبة .

اما براوحيتش وهالدر فكانا يرغبان في تركيز امكانياتهما على محور الجهد الؤدي الى موسكو ، لاحتلال العاصمة الروسية ولتدمير اكبر قسم من الجيوش الروسية التي كانا يتوقعان الالتقاء بها على طريق موسكو ، وكان هتلر يعارض هذه الفكرة لانها ستجبر الروس على القيام بانسحاب عام نحو الشرق يخلصهم من قبضة الالمان المطبقة عليهم .

واتفق براوخيتش وهالدر مع هتلر في فكرة عدم السماح للروس بالانسحاب، ووافق هتلر على ضرورة تدمير معظم القوات المعادية، الإمر الذي بدأ مع عمليات «معركة التطويق» . وتم الاتفاق على التريث في اختيار الاهداف المقبلة الى ان تنتهى مرحلة الغزو الاول .

وتم الاتفاق في منتصف المرحلة الاولى على تركيز نقل القوات المشتبكة في القطاع الذي تعمل فيه مجموعة جيوش بوك ، شمالي مستنقعات بريبيت وعلى طريق مينسك موسكو . وهنا تم زج معظم القوات المدرعة في المعركة ، وقسل ساهمت مجموعة جيوش الجنرال ليب في البداية على تغطية تقدم مجموعسة جيوش الجنرال بوك الرئيسية وذلك بانطلاقها من قواعدها الاساسية في بروسيا الشرقية والتقدم عبر البلطيق . كما أدى تقدم مجموعة جيوش روندشتيدت على مجنبة بوك الاخرى جنوبي مستنقعات بريبيت الى وضع القيادة الروسية فسي حيرة وشك حول الخط الاساسي لعمليات المهاجمين .

وكان المخطط في قطاع بوك يهدف الى ايقاع معظم الجيوش المعادية في الفخ بفضل مناورة تطويق مضاعفة تقوم بها مجموعتان مدرعتان بقيادة جودريان وهوت بحيث تتقدمان من الجناحين لتطويق مينسك والالتقاء خلفها لمتابعة التقدم الى الامام ، بينما تقوم فيالق مشاة الجيش الرابع والتاسع بعمليات كماشة داخل الجيب الذي تخلفه المدرعات وذلك بغية تطويق بياليستوك .

بدأ الفرو الالماني لروسيا في يوم ٢٢ يونيو (حزيران) وقامت القوات المدعة بقيادة الجنرال جودريان والجنرال هوت باختراق الخطوط الروسية اختراقيا عميقا ثم التقيا في اليوم السادس للهجوم في مينسك على بعد ٢٠٠ ميل مين الحدود ، وأطبقت كماشة المشاة على المدو من الخلف ولكن عملها جاء متأخرا فلم تستطع اسر معظم الجيش الروسي الذي بدأ ينسحب من جيب بياليستوك، ثم تمت محاولة تطويق جديدة قرب مينسك كللت بنجاح اكبر اذ سقط حوالي ثم تمت محاولة تطويق وي الاسر رغم نجاة مفارز كبيرة من التطويق . ونشر هذا النصر روح التفاؤل بين الالمان .

ثم بدأ سير العمليات يتعثر . وتلقت الوحدات المدرعة امرا بالتوقف الى ان يكون التطويق كاملا ، بينما كان عليها حسب المخطط الاساسي ان تتابع تقدمها دون انتظار الى ما وراء مينسك تاركة بعض الوحدات لدعم قوات المشاة المكلفة باتمام التطويق .

ثم تم تدارك الوقت الضائعبالحركة الجريئة التي قام بها جودريان عندما عبر نهر الدنيبر قبل وصول مشاة الجيش الرابع وقبل ان يجمع الروس قواتهم ولقد تم عبور النهر يوم ١٠ يوليو من ثلاث نقاط غير محروسة بعد ان جمع قواته الاساسية تحت ستار الظلام وخلف ستارة عريضة من القوات المنتشرة . ثم الدفع بعد العبور نحو سمولنسك فبلفها في ١٤ يوليو ، وهكذا قطع الهاجمون الدفع بعد العراضي الروسية ولم يكن يفصلهم عن موسكو سوى ٢٠٠ ميل.

ومع وصول قوات الجنرال هوت الى شمال سمولنسك بدأت عملية تطويق جديدة لعزل الجيوش الروسية الهامة الموجودة بين نهري الدنيبر ودسنا بعد ان تجاوزت الوحدات المدرعة الالمانية هذه الجيوش والتقت حولها . وكاد الفخ يغلق ولكن الاراضي والطرق الوعرة جعلت تقدم القوات الالمانية بطيئا . واستطاع معظم الروس النجاة من خطر التطويق . ولكن ذلك لم يمنع من اسر ١٨٠ الف جندي روسى في منطقة سمولنسك .

وادرك جودريان اهمية ملاحقة الروس دون هوادة حتى لا يترك لهم الوقت الكافي لالتقاط انفاسهم . وكان هوت وبوك يشاطرانه هذا الراي . وهنا تدخل هتلر ، الذي كان يعتقد ان الفرصة اصبحت ملائمة لتطبيق فكرته الاساسية التي تعتبر ليننفراد واوكرانيا هدفين رئيسيين نظرا لاهميتهما الاقتصادية والسياسية. ويبدو انه فكر في القيام بمناورة تهدف الى تهديد موسكو لجذب القصوات الاحتياطية الروسية الى هذا القطاع مما يسمح للاجتحة الالمانية بالوصول بسهولة اكبر الى الهدفين الجانبيين في اوكرانيا وليننفراد ، على ان تنطلسق الجيوش الالمانية بعد ذلك من هذين الموقعين الجانبيين لتلتقي في موسكو التي يمكن ان تسقط حينئذ كثمرة يانعة . وكانت هذه الفكرة حكيمة طموحة ، ولكنها لم تأخذ عامل الزمن بعين الاعتبار .

وفي ١٩ يوليو (تموز) ارسل هتلر تعليماته المتعلقة بالمرحلة الثانية ، وامسر بانهاء عمليات التطهير بين نهري دنيبر ودسنا فورا . وكان على بوك ان يرسسل جزءا من قواته المدرعة نحو الجنوب لتساعد روندشتيدت في تدمير الجيسوش الروسية التي تقاومه ، وان يرسل جزءا آخر لمساعدة ليب في الشمال النساء هجومه على لينغراد ولقطع مواصلات هذه المدينة مع موسكو ، ويتابع بمشاته فقط التقدم الجبهي ما امكن نحو العاصمة الروسية .

وتساهلُ براوخيتش مرة اخرى بدلا من الاصرار على اتخاذ خطة جديدة ، ثم طالب ايقاف القوات المدرعة مؤقتا قبل البدء في العمليات بغية اعادة تنظيمها واستكمال استعدادها الفني . ووافق هتلر على هذا الطلب ، وعادت المناقشات خلال التوقف حول سير العمليات في المستقبل واستمرت هذه المناقشات حتى شهر اغسطس (آب) . ورفض هتلر طلب براوخيتش وهالدر للقيام بهجوم نحو موسكو ، واعطى تعليمات جديدة تطابق تعليماته الصادرة في الشهر السابق مع تعديل بسيط يتضمن انقاص الوحدات المخصصة لجبهة ليننفراد وتوجيه معظم الامكانيات لتطويق وإبادة الجيوش المعادية في منطقه حيف على جبهسة روندشتيدت . ثهم تابع بوك تقدمه نحو موسكو بينما زحف روندشتيدت نحو الجنوب ليعزل الروس عن بترول القوقاز .

وهنا تبين انه في الامكان القيام بعمل جديد يتضمن تقدم كليست نحو الشمال في الوقت الذي تتحرك فيه قوات كبيرة من جبهة بوك نحو الجنوب القيام بهجوم مضاعف من المجنبتين يدمر المقاومة الروسية حول كييف نهائيا ويدفعها السي داخل الشبكة دون التعرض لخطر هجوم مضاد يأتي من مناطق الدنيبر الجنوبية كما قد يحدث عند التقدم في اتجاه موسكو . ولقد اثرت هذه الفكرة على هتلر بشكل واضح وجعلته يصر على ضرورة انهاء عملية كبيف قبل التقدم نحو موسكو . وشارك روندشتيدت هتلر في وجهة نظره ، وتحمس لفكرة الدعم القادم من الشمال لمساعدته على حل المشاكل الصعبة في جبهته ، كما تقبل بكل ترحيب فكرة الحصول على النصر بتطويق واسع النطاق ، لان هذه هي فكرة كسيل رحل حرب .

يمكننا ان نتحدث طويلا عن الفكرة الاستراتيجية التي تحبذ تفضيل الجناح الجنوبي للجيوش الالمانية والوقوف في وجه كل هجوم مضاد محتمل على هسنده المجنبة بعملية اولية تسبق الزحف نحو موسكو . وزاد بطء حركة القسوات الروسية من ميزات الاستراتيجية الالمانية القائمة على نقل جهد القوات الميكانيكية من محور لآخر بقصد الحصول على نتائج حاسمة متعاقبة . ولكن الزمن المخصص

لمثل هذه العملية كان قصيرا جدا . ولم يكن الجيش الالماني مستعدا حينئذ لمركة الشتاء الذي كان على الابواب .

لقد كان تطويق كييف في حد ذاته نصرا عظيما ، ويمكن اعتباره اكبر انتصار حصل عليه الالمان حتى ذلك الوقت ، ولقد تمت العملية بأن هاجمت جيوش المشاة بقيادة رابخناو وفيكس الروس جبهيا بينما قام جودريان بالهجوم على مؤخسرات الروس ، وقام كليست بالهجوم ابتداء من مصب نهر دنيبر والتقت المجموعتان المدرعتان الالمانيتان على بعد ،١٥ ميلا شرقي كييف فأغلقت بذلك الطوق على مؤخرة الروس فلم ينسحب منهم الا القليل وبلغعدد الاسرى اكثر من ،٦٠ الفرجل ، ولكن المعركة لم تنته الا في شهر سبتمبر ، اذ تضافر الطقس السيىء مع الطرق الصعبة على عرقلة حركة التطويق .

وهكذا اصبح الانتصار في أوكرانيا هذف هتلر الاول وأصبحت ليننغراد هدفا النويا رغم استمراره في مهاجمتها بقوات كافية لتطويقها ولكنها غير كافية لتدمير الجيوش الروسية فيها بعد أن سحب هتلر من هذا القطاع بعض القوات ، دون أن يدعم بها محور موسكو حسب فكرة براوخيتش وبوك لانه قرر أعطاء موسكو الافضلية الاولى بمجرد الانتهاء من معركة تطويق كييف .

شجع هذا الانتصار الباهر هتلر وجنرالاته وتم الاتفاق في جو من التفاؤل على القيام بجهدين متباعدين . فقد قرر هتلر الاتجاه نحو موسكو من جديد في الخريف ثم اتخذ قرارا جديدا سبب متاعب فيما بعد واساء لمبدا تجميع القوى . لقد عجز عن مقاومة الرغبة في استغلال النصر في الجنوب وكان يفكر ايضا في احتلال موسكو ، فكلف روندشتيدت بمهمة جديدة تتسم بالجسراة والطموح وتهدف الى تطهير شواطىء البحر الاسود من القوات الروسية واحتلال حسوض نهر دونيتز الصناعى والوصول الى القوقاز .

انطلقت العملية المتأخرة نحو موسكو بفوات مؤلفة من ثلاثة جيوش مشاة وثلاث مجموعات كانيكية من بينها مجموعة جودريان المؤلفة من جيش مسدرع كامل . وفي ٢١ اكتوبر (تشرين اول) انطلق الهجوم حسب مخطط عمليات على شكل كماشة . وتم التطويق بنجاح باهر وسقط ١٠٠ الف روسي في الشبكة قرب فيازما ، وهنا جاء الشتاء وتأخر استغلال النصر على طريق موسكو بسبب الاحوال الحولة القاسية .

وكان معظم قادة الجيوش الالمانية المهاجمة يرغبون في التوقف وتنظيم خط قوي للصمود فيه خلال الشتاء . وكانوا يذكرون ما حل بجيش نابليون ، ولكنه كان لدى القادة على المستويات العليا (بعيدا عن منطقة القتال والوحل) وجهة نظر مفايرة تماما . وكانت موسكو في نظرهم هدفا له اغراء سحري لا يقاوم ، يدفعهم الى القيام بأية محاولة للوصول اليه ، وكان بوك مسحورا بفكرة احتلال موسكو واصر على متابعة الهجوم وكان من رايه أن كلا الخصمين منهك بحيث تستطيع الارادة القوية وحدها تحديد نتيجة المعركة . وأيد هالدر وبراوخيتش فكرة بوك لكونهما أول من نادى بضرورة بذل الجهد الرئيسي على هذا الهدف ، ولعجزهما

عن الظهور بمظهر التردد بعد أن دفعا هتلر إلى توجيه أهتمامه نحو موسكو . واقترح روندشتيدت وليب أيقاف الهجوم كما طالب روندشتيدت بالانسحاب الى المواقع الاساسية على الحدود البولونية ، ولم يؤخذ رأيهما بعين الاعتبار لعدم اشتراكهما في الهجوم على موسكو .

وهكذا قام الالمان بجهد جديد في نوفمبر (تشرين ثاني) ولكن نجاح الروس في التكهن بالاهداف المهددة وفي صد الهجمات الالمانية سهلت لهم مهمتهم وسمحت لهم بتركيز قواتهم الاحتياطية في اماكن ملائمة لاحباط كل محاولة خطرة . وفي بداية ديسمبر (كانون اول) توقف الهجوم الالماني ثم اعقب ذلك انسحاب سريمع تحت صغط الهجمات المضادة ، فقرر هتلر عزل براوخيتش وتولى بنفسه قيادة الجيش الالماني فحقق بذلك هدفين شخصيين هما تملصه من مسؤولية الفشل السابق وإلقائهما على عاتق براوخيتش ثم ضمان الحصول لنفسه على سلطة اكبر في المستقبل .

وصلت موجة الغزو الالماني في الجنوب الى ذروتها في يوم ٢٣ نوفمبر (تشرين ثاني) عندما احتل الالمان مدينة روستوف باب القوقاز على نهر السدون الاسفل . ثم تعثرت الوحدات الالمانية المنهكة في الوحل واضطرت بعد اسبوع الى اخلاء المدينة والانسحاب تحت ضغط هجوم مضاد جانبي على طرق مواصلاتها. يقول الكثيرون ان فشل الالمان في معارك عام ١٩٤١ يرجع إلى اسباب مادية فقد كانت امكانياتهم مبعثرة على محاور جهد متباعدة بسبب اختلاف اعضاء القيادة فكريا وبسبب الانتصارات التي تم الحصول عليها في بادىء الامر على مختلف الاتجاهات . ولم يحتفظ الالمان بخط عمليات واحد يسمح باحتلال اهداف متعاقبة بل اضطروا الى الاحتفاظ بخطوط عمل مختلفة يؤدي كل منها الى هدف واحد واضح يستطيع المدافعون الروس تغطيته بسهولة . وكان اتجاه الهجوم في كل مرة معروفا من قبل الروس ، فما ان تنطلق القوات الالمانية المهاجمة مسن عقالها حتى يحدد الروس وهم في اماكنهم خطوط مواصلاتها المقبلة .

معركة عام ١٩٤٢ في روسيا:

لم يعد لدى الالمان في عام ١٩٤٢ الامكانيات التي تتطلبها سعة سمليات الهجوم التي تقررت في العام السابق . ولكن هتلر رفض مشورة بعض قواده بالخساذ موقف الدفاع ورفض الاكتفاء بتقوية الاراضي المكتسبة . لقد نصحه روندشتيدت وليب مثلا بالانسحاب نحو بولونيا . ولكن هذا الاجراء السليم اسنراتيجيا كان ينطوي على اعتراف من الالمان بأن طموحهم اكبر من امكانياتهم . وكان هتلسر ينطوي على اعتراف من الملان بأن طموح لا يرتوي وخوف من ضياع الهيبة وشعور يبحث عن حل هجومي مدفوعا بطموح لا يرتوي وخوف من ضياع الهيبة وشعور غريزي بأن الهجوم هو افضل الوسائل لمعالجة المشاكل ، ولكن وسائطه الهجومية

المحدودة لم تكن لتحقق له سوى نتائج محدودة .

ولما أحس بنقص الوسائط اللازمة للقيام بهجوم جديد على طول الجبهة قرر تركيز جهده الرئيسي على القطاع الجنوبي بقصد احتلال مناطق البترول فيسي القوقاز وحرمان الروس من هذا المصدر الحيوي الهام . وكانت محاولة تنفيذ هذه الفكرة تعني التخلي عن كل المحاولات الجديدة التي ترمي الى سحق قوات العدو الرئيسية .

لقد بدأ الهجوم بنجاخ وزاد من نجاحه شلل تفكير القيادة الروسية بسبب العمليات التي قام بها الالمان على خط يستطيع تهديد اهداف عدة بشكل متناوب. ثم تأثر هذا المسروع عندما انقسم الى عمليتين تهددان في وقت واحسد هدفين مختلفين . وكان هذا الازدواج خطأ قاتلا سببه اختلاف الافكار في القيسسادة الالمانية . لقد صمم رئيس الاركان العامة هالدر مخطط العمليات الاساسي وحدد هدفه بالوصول الى نهر الفولجا عند مدينة ستالينجراد على ان يشكل في ذلك المكان فور الوصول اليه حاجزا استراتيجيا يفصل الجيوش الروسية الرئيسية عن منابع البترول في القوقاز ، ولكن هتلر اراد الاندفاع مباشرة نحو القوقاز بأقصى سرعة دون ان يحاول تفهم روح فكرة هالدر . وشجعه على ذلك عدة قسسواد لاعتقادهم ان هذا الهدف يشكل هدفا رئيسيا ، وترتب على ذلك نقصان الجهود المخصصة لاحتلال موقع ستالينغراد الاستراتيجي . ثم شعر هتلر في المرحلة المتلية بعد ذلك بضرورة احتلال المدينة فبذل كل شيء لحشد جيوشه ضدها .

سهل الروسية بهجوم الربيع ضد خاركوف . لقد كان هذا الهجيوم مباشرا القوات الروسية بهجوم الربيع ضد خاركوف . لقد كان هذا الهجيوم مباشرا لدرجة أدت الى فشله ، وطويلا بشكل استهلك معه كل القوات والمهميات الاحتياطية الروسية . وقد أدى هذا الهجوم في النهاية الى إحداث بروز عميق في خطوط القتال أتاح للقيادة الألمانية الفرصة لمفاجأة القوات الروسية وهي في وضع غير ملائم . لذا كان للهجوم الألماني الذي أعقب ذلك في نهاية شهر يونيو (حزيران) شكل هجوم مضاد قوي ضد عدو ارتكب خطأ فاحشا وتهور فيسي

كان محور الجهد الرئيسي الالماني موازيا للبروز الرئيسي ومضادا له في الاتجاه بعد انطلاقه من قطاع كورسك شمالي خاركوف . وقام الالمان بعمليسة التفاف حول مجنبة الجيش الروسي واجتازوا مسافة ١٢٠ ميلا بكل سرعة حتى وصلوا الى حوض نهر الدون الاعلى قرب مدينة فورونيج وهي مفترق السكك الحديدية الرئيسية من موسكو الى القوقاز . ولما تم اغلاق الطرق قرب فورونيج كان الروس متجمعين وهذا ما سهل قيام الالمان بضربة قوية بكل امكانياتهم في اتجاه الجنوب الشرقي ، وسمح لهم هذا الهجوم باحتلال المر القائم بين نهري الدون والدونية .

وانهارت المقاومة الروسية امام عملية الكماشة ودخلت القوات الميكانيكي...ة الالمانية بسهولة في الممر بين نهري الدون والدونيتز وكانت مجنبتاها مستورتين

بهذين النهرين . ووصلت في اقل من شهر الى الطرف الثاني من الممر وعبرت الدون الاسفل شمالي مدينة روستوف، وفتح هذا الزحف طريق القوقاز وبترولها وادى بالمعركة الى نقطتها الحرجة . وبدا الروس مشلولين تماما بعد انقطاعهم عن منابع وقودهم ، كما اصبحت القوات الالمانية تتمتع بحرية الحركة منذ ذلسك الوقت . وهكذا حصل الالمان على انتصارات باهرة بفضل الطريقة التي اتبعوها في المناورة .

ثم تقدم الالمان وراء نهر الدون ففقدوا المكاسب الاستراتيجية التي حصلسوا عليها من قبل . لقد ناوروا في بادىء الامر بشكل حدر مع البقاء متجمعين على المستوى الاستراتيجي ، وقاموا بجهدهم على محور يسمح بالوصول بصلسورة متناوبة الى اهداف مختلفة ، ووضعوا خصومهم امام مشكلة معقدة مع الاحتفاظ بقدرتهم على توجيه كل قوتهم ضد اضعف نقطة في جبهة العدو . ولكنهسسم اضطروا عقب عبور نهر الدون الى توزيع قواتهم على محورين متباعدين اندفسسع الاول في اتجاه الجنوب نحو القوقاز بينما اتجه الثاني الى الشرق نحو ستالينفراد.

لقد كانت هزيمة الروس في ممر الدون ـ الدونيتز كاملة واصبح الوصول الى ستالينغراد والقولجا والسيطرة عليهما ممكنا وسهلا في يوليو (تموز) لو لـم يغير الجيش الرابع المدرع الالماني الذي يزحف في هذا الاتجاه محور سيره نحو الجنوب لمساعدة الجيش الاول المدرع الذي كان يجتاز نهر الدون الاسفل في طريقه نحو القوقاز ، ولما انحرف الجيش الرابع المدرع مرة اخرى نحو الشمال كانت الجيوش الروسية في ستالينغراد قد بدات في التجمع . وكان دعم هذا القطاع السهل بالنسبة للروس من دعم قطاع القوقاز نظرا لقربه من الجبهة الوسطسي وسهولة تحريك القوات الاحتياطية الروسية بالسكك الحديدية وعلى شبكةالطرق. واصب الالمان بسلسلة من الفشل المتتابع حتى اخذت ستالينغراد اهمية معنوية تفوق اهميتها الاستراتيجية الحقيقية . وركز الالمان اهتمامهم وجهودهم لاحتلال المدينة على حساب الجهود المبذولة للوصول الى بترول القوقاز . وبدات عملية سحب الجيش الاول من القوقاز لدعم القوات الالمانية التي تهاجم ستالينغسراد دون ان تعوض الوحدات بعد سحبها بوحدات جديدة .

بعد أن فدل الهجوم الاول على ستالينغراد في آخر لحظة تعثر ميزان القوى، وبدأت التعزيزات الروسية تفوق التعزيزات الالمانية تجاه هذا الهجوم المباشر، وأصبحت قوة الهجوم الالماني أقل نسبيا من قبل . وكان هذا هو التمسسن الاستراتيجي الذي دفعه الالمان لتجاهلهم فرصة سنحت أمامهم للقيام بعمليسة مشاغلة ولفت أنظار .

وادى نقصان طول الجبهة إلى تسهيل عملية تحريك القوات الاحتياطية على المدافعين الروس الذين اصبحوا قادرين على نقل وحداتهم الى أيه نقطة مسين القوس الذي يدافعون عنه . وقد تمكن الالمان مسين اختراق الدفاع حسول ستالينفراد عنة مرات ولكن الروس تمكنوا من سد الثفرة في كل مرة . وهذا

يثبت صحة المبدأ القائل أن انقاص طول الجبهة مفيد دائما في الدفاع .

وازدادت حسائر المهاجمين بشكل اضعف امكانيات قيامهم بالمناورة وكانت كل خطوة الى الامام تكلفهم اكثر ، ولا تعود عليهم الا بكسب ضئيل ، واوضحت عملية الانهاك الطويل هذه ان الالمان سيفقدون قوتهم المادية التي كانوا يتمتعون بها في عام ١٩٤١ ، وبدا الهبوط يظهر في بادىء الامر على قوة مدرعاتهم ، وبدا عدد دباباتهم يتناقص باستمرار ، ثم اخذت سيطرتهم الجوية تنفص وأدى نقص هذين السلاحين الاساسيين الى تحميل كاهل المشاة الالمان بمهمات اثقل ، واصبح كل انتصار جزئي يحصل عليه المشاة بهجوم كثيف يدفعون له ثمنا باهظا ،

واقترح رئيس الاركان العامة هالدر العمل على تقليل الخسائر بالتوقف مؤقتا والدفاع عن خط متين خلال الشتاء فرفض هتلر هذا الاقتراح وعين بدلا منسه زيتزلر الذي كان اصغر سنا من هالدر وأكثر حماسة . وكان طعم ستالينفراد مغريا جدا بالنسبة لهتلر كما كانت موسكو في الخريف السابق ، ولكن نتأسب هذه المغامرة كانت اخطر لان الجيوش التي تهاجم ستالينفراد توغلت بعمق كبير وعلى جبهة ضيقة جدا فأصبحت معرضة للتطويق .

وبدا الخطر واضحا في نوفمبر (تشرين ثاني) عندما انطلق الهجوم الروسي المضاد ، وكان الالمان في حالة تجعلهم معرضين للهزيمة سواء على الصعيلل المعنوي او في المجال الاستراتيجي ، وكان رد الروس غير مباشر ماديا وادى الى نتائج حاسمة ، وقد استفاد الروس من الصدمة التي وجهوها ضد قطاعات تدافع عنها وحدات رومانية وابطالية استخدمها هتلر لتغطية اجنحته الطويلة ، وادى ذلك الى عزل وحدات كبيرة من الجيوش الالمانية وسقط في الاسر لاول مرة عدد كبير من قوات هتلر .

ولما وجد الروس الباب مفتوحا امامهم استثمروا هذا النصر وقاموا بسلسلة من الضربات نحو الجنوب لتهديد مؤخرات الجيوش الالمانية في القوقاز وطرق مواصلاتها . وقد تعرضت المواصلات الالمانية لخطر كبير نظرا لانها كانت تبعد عن روستوف في شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣ بمسافة .. كميل . واستطاع الالمان المحافظة على فكي الكماشة مفتوحين مدة كافيه اللانسحاب بالتدريج كولكنهم اضطروا تحت ضغط التطويق الى اخلاء القوقهاز وحوض الدونية الصناعي .

وفي فبراير (شباط) ازدادت سرعة الانسحاب الالماني وطارد الروس القوات الالمانية حتى اجتازوا قاعدة الانطلاق التي انطلق منها هجوم اعدائهم في الصيف السابق ، واستعادوا خاركوف واقتربوا من نهر الدنيبر ، ولكن الالمان ردوا في نهاية فبراير (شباط) على ذلك بهجوم مضاد استعادوا به خاركوف وحطموا مؤقتا التوازن الروسي ، ووجد الروس انفسهم في وضع يشبه وضع الالمان خللا الصيف ، اذ كانوا منهكين من المطاردة التي اطالت طرق تموينهم وجعلتها اكشر صعوبة بينما استرد اعداؤهم قوتهم بالسحابهم الى قواعدهم ونحو مسوارد تعزيزاتهم ،

كان هذا الهجوم المضاد في خاركوف احد الامثلة الباهرة للشكل الدفاعي للهجومي ولاستراتيجية الهجوم غير المباشر التي تعتمد على طعم يخدع العسدو ويجذبه الى فخ . وكان الفخ هنا كبيرا . وقد اعد هذا المخطط ونفذه مانشتاين، وكان مانشتاين استراتيجيا ممتازا ولكنه لم يكن يحظى برضاء هتلسر . غير ان استسلام جيش باولوس في ستالينغراد اجبر هتلر على تسليمه قيادة مجموعة جيوش الدون ليتلافى الكارثة . واستطاع مانشتاين ايقاف الروس ومنعهم مسن قطع ممر روستوف مدة طويلة بفية انقاذ جيوش القوقاز . وتظم لهذه الغايسة موقعا دفاعيا على نهر ميوس بين بحر آزوف ونهر الدونيتز .

عند ذلك اخترق الروس الجبهة شمالي نهر الدونيتز في المناطق التي تحتلها الجيوش الإيطالية والهنغارية ، واندفعوا كالموج نحو الغرب من خلال ثغرة عرضها ٢٠٠ ميل بين الدونيتز وفورونيج وتجاوزوا مجنبة مانشتاين . وعبروا نهيد الدونيتز واستعادوا خاركوف ثم اندفعوا نحو الجنوب الغربي في اتجاه منعطف الدنيبر وهي المنطقة التي يعتمد عليها مانشتاين في تموينه . وفي فبرايسسر (شباط) وصلت مفرزة روسية متقدمة قرب زابوروج على منعطف النهر قبل ان يتمكن مانشتاين من نقل قيادته . واظهر القائد الالماني في هذه اللحظة الحرجة ثباتا وهدوءا منقطعي النظير . لقد رفض منذ مدة قريبة المخاطرة بقواتيسه الاحتياطية القليلة لاستعادة خاركوف بضربة مباشرة كما كان يريد هتلر ، وساعده هدوء اعصابه هنا على مقاومة الرغبة في استخدام هذه القوات للقيام بدفياع مباشر عن خط الدنيبر وقال ان تقدم الروس نحو الجنوب الغربي سيعطيه فرصة مباشر عن خط الدنيبر وقال ان تقدم الروس نحو الجنوب الغربي سيعطيه فرصة نادرة لضربهم ضربة مباشرة تكفي لتحطيمهم . وتركهم يتوغلون بعمق كبير فعلا رغم تعرض مؤخراته للخطر نتيجة لذلك .

وفي هذا الوقت جمع وسائطه واستدعى من ميوس فيالقه المدرعة الثلائسة المنهكة وتمركز على جبهة معكوسة في اتجاه الشمال الغربي . وفي ٢٦ فبرايس كان جاهزا للهجوم فانطلق بقوة نحو مجنبة ومؤخرات الروس ، واخلت هسله العملية شكل صدمة على نقطة دوران التشكيلة الهجومية المعادية . وفي اقل من أسبوع بدأت الجيوش الروسية المتقدمة نحو الجنوب الغربي في التراجع فسي فوضى واضطراب واجتازت نهر الدونيتز من جديد بعد أن فقدت أكثر من . . . دمابة وحوالي . . . 1 مدفع وتابع مانشتاين تقدمه ثم انحرف نحو الشمال فسي اتجاه مؤخرات الجناح الروسي السائر نحو الغرب والمنطلق من خاركوف وبيليغورد وارغمه على التراجع واخلاء هاتين المدينتين . وكان نجاح هذين الهجومين غير وارغمه على التراجع واخلاء هاتين المدينتين . وكان نجاح هذين الهجومين غير المباشرين باهرا نظرا لان نسبة جيوش مانشتاين الى الجيوش الروسية كانت الى ٨ . ولكن عدم تناسب القوى بشكل كبير جعل مناورة مانشتاين غير حاسمة . وظهر نقص القوات الاحتياطيسة الالمانية بالنسبة للقوات الاحتياطيسة الروسية . ومال ميزان القوى لصالح الروس .

الحرب في المحيط الهادي:

منذ عام ١٩٣١ مد اليانانيون رؤوس جسورهم على القارة الآسيوية على حساب الصينيين الذين أضعفتهم اختلافاتهم الداخلية ، واجتاحوا منشوريا وضموها الى بلادهم . وفي عام ١٩٣٢ نزل اليابانيون في اراضي الصين ، واصطدمت جهودهم بحرب العصابات الصينية فحاولوا التغلب على هذه الصعوبة بمتابعة التوسع نحو الجنوب لعزل الصينيين عن موارد تموينهم الخارجية . ولما انهارت فرنسا امام قوات هتلر استغل اليابانيون عزلة الهند الصينية واجبروها على قبول «حماية» قوات الاحتلال اليابانية .

ورد الرئيس روزفلت على ذلك في ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٤١ بأن طلب سحب القوات اليابانية من الهند الصينية ، ودعم هذا الطلب بتجميد الارصدة اليابانية في الولايات المتحدة الامريكية في ٢٦ يوليو كما أمر بمنع البترول عن اليابان ، وتحرك تشرشل في نفس الوقت ، كما اتخذت الحكومة الهولندية المشكلة فسيي لندن تدابير مشابهة بعد يومين ، وهذا يعني حسب قول تشرشل «عزل اليابانيين عن موارد تموينهم البترولية» ولم يبق أمام اليابانيين سوى الحرب .

وأجلت اليابان هجومها اكثر من اربعة اشهر وحاولت التفاوض لرفع حظر البترول ولكن حكومة الولايات المتحدة الامريكية رفضت المفاوضة الا اذا سحبت اليابان قواتها من الهند الصينية والصين ايضا ، ولم تكن حكومة اليابسان لتستطيع قبول هذه الشروط واصبح نشوب الحرب منتظرا في كل لحظة ، ثم اندلمت الشرارة في صبيحة يوم ٧ ديسمبر (كانون اول) ١٩٤١ عندما هاجمت وحدة بحرية يابانية مؤلفة من ست حاملات للطائرات ميناء بيرل هاربور الامريكي دون اعلان الحرب .

حتى بداية عام ١٩٤١ كانت خطة اليابان في حالة الحرب مع الولايات المتحدة الامريكية هي ارسال الاسطول الياباني الرئيسي الى المحيط الهادي الجنوبييين ومهاجمة الفيلبين في نفس الوقت وذلك لارغام الامريكيين على القتال عنييون انظلاقهم لنجدة مواقعهم في الفيلبين عبر المحيط الهادي . وكان الامريكيييييين يتوقعون هذه المناورة وأكد ذلك احتلال اليابان للهند الصينية . ولكن الاميرال الياباني ياماموتو وضع خطبة جديدة تتضمن القيام بهجوم مفاجيء على بيرل هاربور . وتقدمت قوة الانقضاض واستدارت في اتجاه جزر كوريل ثم جاءت من الشمال في اتجاه هاواي فلم يتم اكتشافها . وانطلق الهجوم قبل الفجير بر ٣٠٠٠ طائرة تحلق من ٢ حاملات طائرات راسية على بعد ٣٠٠٠ ميل من بيرل هاربور . واغرق الهجوم اربع بوارج من البوارج الثماني التي يملكها الامريكيون ، وحقق اليابانيون لانفسهم في ساعة واحدة السيطرة على المحيط الهادي .

فتحت هذه العملية الطريق امام غزو ماليزيا بينما تحركت القوة الضاربية اليابانية الرئيسية نحو الشمال الغربي في اتجاه هاواي ورافقت وحدات بحرية اخرى القوافل التي تحمل القوات المخصصة للمحيط الهادي الجنوبي . وبدا

انزال الجنود في ماليزيا والفيليبين في آن واحد نقريبا مع الهجوم الجوي على بيرل هاربور . وكانت القاعدة البحرية البريطانية الكبيرة في سنغافورة هي هدف الهجوم في ماليزيا . ولم يتم الهجوم من البحر لان المدافعين كانسوا ينتظرون ذلك ، وانما قام اليابانيون بهجوم غير مباشر يتلخص في القيام بانزال قوات صغيرة في نقطتين على شاطىء ماليزيا الشرقي للمشاغلة واحتلال مهابط الطائرات وانزال القوات الرئيسية قرب حدود سيام على مسافة ..ه ميل شمالي سنفافورة . وتقدم اليابانيون من الشواطىء التي أنزلوا عليها جنودهم في اقصى الشمسال الشرقي عبر شبه الجزيرة والتفوا حول كل الخطوط الدفاعية التي اقامهسال البريطانيون لوقف الهجوم وتسللوا عبر الطرق التي لا يتوقع العدو سيرهم فيها وقدمت لهم الغابات الكثيفة فرصا ثمينة في هذا المجال . وفي نهاية شهر يناير (كانون ثاني) وجد الانكليز انفسهم مضطرين بعد تراجع متواصل دام ستة اسابيع اللانسحاب من القارة الى جزيرة سنغافورة ، وفي ليلة ٨ فبراير (شباط) قام اليابانيون بهجوم عبر مضيق عرضه ميل واحد ونزلوا في مواضع مختلفة وتسربوا على جبهة عريضة الى اللاخل .

كان عدد المدافعين يعادل ضعف عدد المهاجمين ، ولكن الوحدات المهاجمة كانت مختارة ومدربة جيدا للعمل في الادغال والمناطق الصعبة ، بينما كانت القوات البريطانية متوسطة النوع والتدريب غير قادرة على الرد في الوقت الملائم، واظهر سير المعركة ضعف اجتحتها وزاد من هذا الضعف فقدان التغطية الجوية ، وازدياد نشاط الطيران الياباني ، وهكذا تفكك المدافعون وفقدوا توازنهم ، ولم تنجع المحاولات التي قام بها البريطانيون ليستعيدوا تنظيمهم ، نظرا للفوضي المنتشرة في مؤخراتهم ، وفي ١٥ فبراير (شباط) استسلم المدافعون .

اما في جزيرة الفيليبين الرئيسية لوسون فقد تم الانزال الرئيسي شماليي العاصمة مانيلا ثم تبعه انزال آخر خلف العاصمة . وأخلت القوات الامريكيسة معظم الجزيرة تحت تأثير هاتين الصدمتين المتجهتين نحو نقطسة واحسدة ، وانسحبت إلى شبه جزيرة باتان قبل نهاية شهر ديسمبر (كانون أولى) . وهنا لم يكن امام اليابانيين سوى الهجوم الجبهي على قطاع صغير متين وقد استطساع الامريكيون الدفاع عنه حتى شهر ابريل (نيسان) حيث تم سحقهم نهائيا .

ولكن الغزو الياباني امتد عبر مجموعة جزر ماليزيا قبل هذه الحوادث بفترة طويلة . فغي ٢٢ يناير (كانون ثاني) نزل اليابانيون في بورنيو وسيليبيز وغينيا الجديدة. وبعد ذلك بستة اسابيع هاجموا جزيرة جاوة قلب جزر الهند الشرقية بعد ان عزلوا الجزيرة بعمليات تغطي مجنبات الهجوم . وبعد أقل من ثلاثة أسابيع سقظت الجزيرة كلها في أيديهم كثمرة يانعة ، ولكن لم يحدث الهجوم المتوقسع ضد استرائيا واتجه الجهد الياباني منذ ذلك الوقت الى الغرب بغية احتسلال بورما . وكان الهجوم المباشر على جبهة عريضة ابتداء من سيام وحتى رانجون هجوما غير مباشر للاهداف الرئيسية في القارة الآسيوية التي كانت تتمثل في

تدمير المقاومة الصينية ، لان رانجون كانت الميناء الذي يصل منه التموين والامداد الانكلو ــ امريكي لدعم الصين عن طريق بورما . وكانت هذه المناورة تهدف في الوقت نفسه الى اتمام احتلال المنافذ الغربية على المحيط الهادي ، وانشاء حاجز قوي على الطرق الرئيسية التي لا بد لكل هجوم انجلو ــ امريكي كبير مـــن المرور فيها .

وفي ٨ مارس (آذار) سقطت رانجون ، وبعد شهرين تم طرد القــــوات البريطانية من بورما ، وانسحبت الى الهند عبر الجبال ، وهكذا استطـــاع اليابانيون الحصول على مواقع طبيعية قوية للتغطية ساعدتهم على صد كـــل المحاولات التى كانت ترمى الى اعادة احتلالها فيما بعد .

ومرت ايام كثيرة قبل أن يستطيع الحلفاء اعداد الوسائل الضرورية لاستعادة الاراضي التي استولى عليها اليابانيون . وقد بدات تحركاته من الجبهة ، واتخذوا استراليا كقاعدة كبيرة ضد المواقع اليابانية الامامية . ولكنهم أضاعوا من أغسطس (آب) ١٩٤٢ حتى سبتمبر (ايلول) ١٩٤٣ لاسترجاع بضع جزر .

وبدت عملية العودة الى الفيليبين والانطلاق منها الى اليابان مغامرة لا تنتهى، وفي خريف ١٩٤٣ تحسن الموقف باستخدام طريقة الالتفاف التي كانت نوعا من استراتيجية الهجوم غير المباشر ، واهمل الامريكيون في تقدمهم البرمائي سلسلة من الجزر من مجموعات الجزر البعيدة عن المركز وتركوا حامياتها اليابانيسسة معزولة عن منابع تموينها وكانها في سجن استراتيجي .

وفي شهر أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٤ قام الامريكيون بوثبة أكبر أوصلتهم الى الفيليبين ، ولقد سبق هذه العملية هجوم جوي كبير على الموانىء والمطارات في بعض النقاط ، وكان هذا الهجوم يهدف الى اقناع اليابانيين بأن الامريكيين يعتزمون أنزال قواتهم في أحدى هذه النقاط دون أظهار الجزيرة المختارة فعلا كهدف حقيقي ، ثم ظهر أسطول الجنرال ماك آرثر أمام جزيرة ليبت في منتصف الطريق بين الجزيرتين الرئيسيتين لوسون ومينداناو ، ونزلت القوات الامريكية فيها ودقت بذلك أسفينا في قلب الفيليبين يمكن اعتباره أسفينا استراتيجيا بين اليابان ومعظم الاراضي التي استولت عليها في المحيط الهادي وفي جزر الهند الشرقية .

ثم جاءت المرحلة الثانية قبل ان يستعد الامريكيون لتوسيع نطاق هجومهم واستكمال احتلال الفيليبين . ومع ذلك تحقق النصر لهم بفضل طريقتهم التسي تعتمد على عزل الهدف بشبكة بحرية وجوية اثناء القيام باحتلاله . واصبح لدى الامريكيين مواقع قريبة من اليابان نفسها بشكل يحقق السيطرة عليها بهجوم جوي قوي ومستمر . والتف الامريكيون حول جزيرة فورموزا ووصلت وثبتهم التالية الى أوكيناوا في ارخبيل ربو _ كيو في منتصف الطريق بين فورموزا واليابان . ومن المظاهر الغربية في هذه العملية الاخيرة طريقة الالتفاف التي كانت تحتفظ ومن المظاهر العداف متعددة مما يخدع العدو ويحول بينه وبين معرفة الهدف الحقيقي . كما انها استغلت ضعف العدو الناجم عن امتداد قواته على مسافات

واسعة . وهكذا كان لكل مناورة في هذه العملية نتائج مضاعفة نظرا لانها كانت تنطوي على هجوم استراتيجي غير مباشر . وكان التوسع الياباني سببا مسسن اسباب تبعثر اليابانيين على شكل مفارز منعزلة لا تستطيع الصمود امام المناورات البرمائية .

الحرب في البحر الابيض المتوسط:

دارت المعارك الاولى في البحر الابيض المتوسط حول المحاولة الايطاليب الالمانية لاحتلال مصر وقناة السويس . ويسمل سيرها على نتيجة التوسم الاستراتيجي . كما يدل على اهمية الهجوم غير المباشر .

بدا تقدم الماريشال غرازياني من ليبيا الى مصر في سبتمبر (ايلول) ١٩٤٠ وكان نجاحه محتملا نظرا لتفوقه العددي الكبير على القوات البريطانية المعسسلة للدفاع عن مصر . ولكن جيش غرازياني كان بطيء الحركة اثناء تقدمه ، وادى ضعف قواته الميكانيكية وقلتها الى اعاقة المناورة ونقصان عناصر المفاجأة ، شم ازداد هذا الضعف بسبب صعوبات التموين والادارة ، وهذا ما ادى الى توقسف الايطاليين بعد زجفهم ٧٠ ميلا عبر الصحراء الغربية ووصولهم الى سيدي براني وتمركزهم هناك عدة اشهر .

وقرر القائد العام البريطاني للشرق الاوسط الجنرال ويفل القيام بهجسوم مفاجىء بقوات الصحراء الغربية «نواة الجيش الثامن فيما بعد» بقيادة الجنسرال اوكونور ، على ان تتم العملية على شكل اغارة بقوات كبيرة لا على شكل هجسوم تقليدي . ولم يكن يهدف الى اختراق مواقع العدو واستغلال هذا النصر بعد ذلك ، وانما كان كل هدفه هو القيام بإغارة واسعة المدى . وكان يملك فرقتين فقط هما الغرقة السابعة المدرعة والفرقة الهندية الرابعة ، ولقد اضطرت هذه الفرقة بعد العملية الى العوده الى مصر نم الى السودان للمساعدة في صسد الايطاليين في اريتريا والحبشة .

وادت «الإغارة» الى نصر حاسم بغضل الشلل والتغتت اللذين اصابا العدو نتيجة حركة اوكونور المفاجئة عبر الصحراء ضد المؤخرة، وهي حركة من نوع الهجوم غير المباشر ماديا ومعنويا . وقد تمت العملية في ٩ ديسمبر (كانون اول) وحوضر القسم الاكبر من جيش غرازياني واستسلم ٣٥ الف ايطالي ، بينما تراجع القسم الباقي نحو الحدود . واجتاحت الفرقة السابعة المدرعة هذه الحدود المحصنسة خلال المطاردة ، وعزلت مؤقتا القوات الإيطالية المنسحبة عن قواعدها بحركسسة تطويق جديدة .

وكان أنهاء العملية مستطاعا حينئذ لولا اصرار القيادة العامة البريطانية على سحب الفرقة الهندية الرابعة حسب المخطط الاساسي . وحرمت الفرقة السابعة

المدرعة من دعمها فأصبحت عاجزة عن اختراق دفاع الايطالبين في البردية . ومرت عدة اسابيع قبل قدوم الفرقة الاسترالية السادسة من فلسطين لتشترك في المعركة . وفي ٣ يناير (كانون ثاني) تم احتلال البردية واسر فيها .} السف جندي . وفي ٢٢ يناير سقطت طبرق وأسر فيها ٢٥ الف رجل .

وبدات بقية جيش غرازياني في الانسحاب الى ما وراء بنفازي نحو طرابلس، وعرقل هذا الانسحاب مطاردة على شكل هجوم غير مباشر يعد من المناورات الباهرة الجريئة في هذه الحرب . فقد انطلقت الفرقة السابعة المدرعة فللمحراء ووصلت الى البحر جنوبي بنفازي في ٥ فبرايسسر (شباط) وقطعت وحدات مقدمتها ١٧٠ ميلا في حوالي ٣٦ ساعة في منطقة صعبة وغير مطروقة . وقامت مفرزة بقيادة الكولونيل كومب بقطع طريق انسحاب العدو بينما طاردت مفرزة اخرى مؤلفة من اللواء الرابع المدرع حتى اجبرته على الاستسلام . وكان مجموع تعداد المفرزتين ٣ آلاف رجل فقط ، ولكن جراتهما التي دفعت بهمسا داخل خطوط عدو متفوق عدديا ادت الى اسر ٢١ الف رجل .

وانطلقت هذه القوات بعد ذلك بانذفاع كبير نحو طرابلس . وكان استعداد الايطاليين فيها ضعيفا وامكانياتهم لصد الهجوم المدرع قليلة علاوة على تأثرهم المعنوي من هزيمة جيشهم الرئيسي . وكان اوكونور يريد استثمار النصر بسرعة لاعتقاده بامكان القيام بوثبة جديدة الى الامام بعد توقف قصير جدا لاستكمال اوجه النقص في قواته . ولكن الحكومة البريطانية امرت باجراء توقف كبير يسمسح بتجميع الوسائط اللازمة للقيام بحملة اليونان الفاشلة . وتلقى ويفل امسسرا بالاحتفاظ باقل عدد ممكن من القوات في برقة ، وعاد اوكونور الى مصر وسلمت بالاحتفاظ باقل عدد ممكن من القوات في برقة ، وعاد اوكونور الى مصر وسلمت نتائج انتصاراته الى أيد اقل مهارة . وفي هذه الفترة وصلت الوحدات الاولى من الفيلق الافريقي الالماني بقيادة رومل الى طرابلس وكان وصولها متأخرا بشكيل يتعذر معه انقاذ الإيطاليين من الكارثة . ومع هذا ادى قدومها الى اطالة الحرب في شمال افريقيا مدة سنتين ، وتهديد مواقع الانكليز في مصر بشكل خطير .

قام رومل بالرد في نهاية مارس (آذار) بقوة تعادل فرقة تقريبا ، واجسرى مجموعة من الحركات السريعة الليلية على أجنحة البريطانيين ومؤخراتهم واجتاح مواقعهم الامامية وعرض معظم قواتهم للتطويق فاستسلمت في المخبلي . وهذه المفاجأة التامة اعطت هذا الهجوم في مختلف مراحله صفة غير مباشرة كبيرة الاثر . وتم طرد الانكليز في أقل من ١٥ يوما من كافة المناطق التي احتلوها في بوقة باستثناء مفرزة منعزلة لجأت الى طبرق وبقيت شهكة في جنب رومل . ووصل رومل الى حدود مصر ولكنه اضطر الى التوقف نظرا لامتداد خطرط مواصلاته اكثر مما ينبغي .

وفي شهر يونيو (حزيران) قام البريطانيون من جديد بهجوم على حدود ليبيا بعد أن تلقوا امدادات جديدة ، وكان هجومهم واسع النطاق على جبهة عريضة واطلق عليه اسم قديم هو «بلطا الحرب» وصد رومل هذا الهجوم ثم قام بهجوم

مضاد مدرع مستديرا حول جناح الاعداء في التفاف كبير عبر الصحراء وفي نوفمبر (تشرين ثاني) قام الاتكليز بهجوم اكبر بعد ان حسل الجنرال اوكلنك محل ويفل كقائد عام للقوات البريطانية ، والامجت القوات البريطانية المرابطة عند الحدود الليبية وتألف منها الجيش الثامن بقيادة الجنرال كنجهام وانطلق الهجوم في ١٨ نوفمبر بزحف جانبي في الصحراء ، واقترب البريطانيون من مؤخرات الالمان ، ثم ضاعت ميزة هذا التقدم الاستراتيجي غير الباشر بسبب استخدام التكتيك المباشر عندما حاول الانكليز سحق المدرعات الالمانية في معادلك جبهية في اى مكان وجدوها فيه وكان هذا لصالح رومل .

ووجد الآلمان انفسهم امام وحدات بريطانية سريعة الحركة ومتفوقة عدديسا فاستخدموا ببراعة الهجوم غير المباشر ، وبداوا يجذبون المدرعات البريطانية الى كمائن يضعون فيها دباباتهم المجهزة بمدافع ٨٨ ملليمتر القوية . فأثبتوا فعالية الطريقة الدفاعية _ الهجومية ، ونجاح الطريقة التي تتضمن وضع طعم لجذب العدو في الحرب الآلية الحديثة . وفقد البريطانيون من جراء ذلك مكاسبهم الاستراتيجية كما فقدوا تفوقهم العددي في الدبابات ، وتضعضع توازن الجيش الثامن المادي والمعنوي . وفي ٢٣ نوفمبر (تشرين ثاني) اضطر كنجهام الى وقف هجومه والانسحاب الى ما وراء الحدود بغية اعادة تنظيم جيشه .

وفي اليوم التالي وجد رومل الموقف ملائما للقيام بضربة جريئة فزج قواتسه الآلية في مناورة تطويق على مجنبة الجيش الثامن اليسرى المستندة السسى الصحراء . وبعد اجتياز الحدود اتجه الى مواصلات العدو ووصل الى منطقة مؤخرات البريطانيين بشكل مفاجىء فنشر بينهم الفوضى والهلع . ولو استمسر انسحاب البريطانيين كما اراد كنجهام لحلت بهم كارثة حاسمة ، ولكن اوكنلك جاء الى ارض المعركة بنفسه واوقف الانسحاب واصر على متابعة القتال ، ثم عاد الى القاهرة بعد يومين وعين ريتش بدلا من كنجهام . وهكذا أدى تدخل اوكنلك الى انتزاع النصر من برائن الهزيمة ، لانه تمسك ببقية الجيش الثامن على الموقسع الامامى الذى تعرض لاغارة رومل .

وفشل تقدم رومل العميق في آخر لحظة ، وكان عليه ان يدفع فيما بعد ثمنا غاليا لهذا الفشل . وبينما كانت فرقه الثلاث (فرقتان المانيتان وفرقة إيطالية) تعمل وراء الحدود بعيدا عن مناطق دعمها وتموينها ، استعادت القوات البريطانية التي اهملت اثناء التقدم الالماني وتركت على المؤخرات ، هدوءها ، وعادت السبي الهجوم واتصلت بحامية طبرق قبل ان يتمكن رومل من طلب وحدانه غير الآلية وهذا يدل على مدى الاخطار التي تتعرض لها عملية كعملية الاغارة الاستراتيجية المنفذة بجزء فقط من الجيش ، والمستندة على محور مناورة ضعيف بحيث لا يستطيع دعم هذه العملية ، ورغم حصول رومل على السيطرة المؤقتة بعد عدة ايام من القتال المرير والمناورات الصغيرة المدى فقد كان نجاحه ضئيلا كما كانت خسائره اكبر من خسائر المرحلة الاولى ، وفقد من الدبابات عددا اضعف وسائطه المحدودة ، وازدادت خطورة هذا الضعف عندما تلقى البريطانيون نجدات جديدة

كبيرة . وفي ديسمبر (كانون اول) اضطر رومل الى وقف المعركة حسول طبرق والتراجع نحو غزالة ثم نحو حدود طرابلس .

وهنا عاد رومل الى طريقته الدفاعية _ الهجومية فحصل بذلك على انتصارات باهرة . وعندما قام الانكليز بهجومهم في ٢٧ دبسمبر (كانون اول) احبط رومل تقدم وحداتهم المدرعة بالالتفاف حول مجنباتها واجبارها على القتال بجبهسسة معكوسة وتطويقها في نهاية الامر . وتحطم توازن القوات المدرعة البريطانية وزاد من خطورة موقفها وصول قافلة كبيرة تحمل لرومل نجدات هامة لم يتلقها منذ اواسط نوفمبر (تشرين ثاني) . وأراد الالمان الاستفادة من امتداد تقدم الانكليز في الوقت الذي كانوا يعتقدون فيسه فقاموا بهجوم مضاد اخترق جبهة الانكليز في الوقت الذي كانوا يعتقدون فيسه ان الجيش الالماني منهك وغير قادر على الحركة . ثم تم استثمار الفوضى الناجمة عن هذا الاختراق بهجوم على المجنبة من ناحية الصحراء وبالتقدم نحو قواعسد العدو في بنفازي وبعدها نحو غزالة . واستعاد رومل بذلك اكثر من نصف الارض التي احتلها الانكليز .

ثم تجمدت الجبهة عند موقع غزالة مدة ٣ اشهر ، وكانت مراكز الجيش الثامن ملائمة لتكون قاعدة الطلاق لهجوم مقبل ولكنها لم تكن صالحة لدفـــاع متین . وفی مایو (مارس) تحرك رومل قبل اعدائه ، وقامت مدرعاته بمناورة كبيرة على المجنبة خلال ليلة ٢٦ مايو فاجتاحت دفـاع الجيش الثامن ، ولكنها توقفت قبل الوصول الى الشباطيء وانهاء تطويق القوات البريطانية المدافعة عن خط غزالة . فاتخذت وضعا دفاعيا تستند مؤخرته على حقول الالغام الانكليزية واعتقد الانكليز ان قوات رومل وقعت في مأزق ، وأنها حوصرت فقاموا بمناورة مباشرة جدا فسقطوا في الافخاخ الدفاعية التي نظمها رومل بسرعة فور توقفه. ووجد الجيش الثامن أن قواته الاحتياطية مبعثرة ، وأحس بعجزه عن مقاومة التفاف رومل على مجنبته فانسحب قسم منه الى الحدود بينما التجأ القسسم الآخر الى طبرق . وتجاوزت مدرعات رومل مدينة طبرق بسرعة وكأنهـــــا تود احتياز الحدود ثم استدارت فحأة وهاجمت طبرق من الخلف قبل أن تستعلد حاميتها ، وكان هذا هجوما غير مباشر من طراز رائع ماديا ومعنويا . واخترق الالمان الدفاع في احدى النقاط الضميفة واجتاحوا الموقع وأسروا حامية طبرق بأكملها واستولوا على اكداس هائلة من التموين وعربات النقل فأصبحوا قادرين على متابعة التقدم .

ثم طارد رومل ما تبقى من الجيش الثامن عبر الصحراء الغربية واقتسرب بشكل خطير من وادي النيل . ولو انه وصل اليه واحتل قناة السويس لضاعت كل مواقع البريطانيين في الشرق الاوسط . وفي هذه الازمة تدخئل اوكنلك واخذ على عاتقه مهمة قيادة الجيش الثامن المنسحب ، فجمعه في العلمين للدفاع عن موقع يسد الممر الصحراوي المؤدي الى مصر . وتحطمت قوات رومل القليلة العدد المنهكة من طول المطاردة امام مقاومة عنيدة غير منتظرة ومجهزة على خيط

دفاعي جديد . وعندما حاول رومل اختراق خطوط المقاومة بالانقضاض على نقاط مختلفة رد عليه اوكنلك بشكل غير مباشر ، ومع إنه فشل في طرد رومل فقد هز توازنه هزة عنيفة منعته من تحقيق اهدافه .

وجاءت النجدات بعد ذلك من انكلترا ، وعين الكسندر قائدا عاما للجيوش البريطانية في البشرق الاوسط وتولى مونتجمري قيادة الجيش الثامن ، وفي هذه الاثناء بدا رومل هجومه الجديد في نهاية شهر اغسطس (اب) ولكن هذا الهجوم امكن صده بفضل التكتيك الدفاعي البريطاني الجديد ، ودفعت الوحدات المدرعة الالمانية الى اجتياز حقول الالغام التي تغطي النصف الجنوبي للجبهسة الانكليزية ، في قطاع لا تحميه سوى الالغام ، بينما كانت المشاة البريطانية تدافع عن المواقع القوية في النصف الشمالي ، وهكذا تم جذب رومل لمهاجمة الغيلق المدرع البريطاني الاساسي على ارض اختارها الاعداء من قبل ، ففقد عددا كبيرا من دباباته دون جدوى ، وتم تثبيته بين موضعه الجانبي وحقول الالغام ، وعندئذ قامت الفرقة المدرعة السابعة البريطانية بالالتفاف حول مجنبته الجنوبية ، وفقد رومل عامل المباداة ولكن الشبكة لم تطبق عليه بسرعة كافية لمنع انسحابه .

وتبدل الموقف نهائيا منذ ان ترايدت امكانيات مونتجمري . وبعد استراحة طويلة اعيد خلالها تنظيم القوات البريطانية ، قام الجيش الثامن بهجومه في الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر (تشرين اول) وكان يملك تفوقا ساحقا فسي الطيران والمدفعية والدبابات، ومع ذلك استمرت المعركة عنيفة خلال اسبوع كامل ولم تسمع الجبهة الضيقة بالقيام بمناورة واسعة . وكانت قوات رومل منهكة ، ووجدت نفسها مهددة بالشلل بسبب نشاط الغواصات التي اغرقت في البحر الابيض المتوسط ناقلات البترول التي تمونها ، فاثر ذلك على نتيجة المعركة ، وعندئذ لاحت بوادر الهزيمة واصبح الالمان عاجزين عن استعادة قواهم قبسل الوصول الى قواعد تموينهم .

كان رومل في بداية المعركة مريضا واضطر الى الذهاب الى فيينا ، ولما عاد ودرس الوضع قرر سحب جيشه الى فوكه وهي موقع يبعد ٢٠ ميلا غربسي العلمين لتعطيل الاستعدادات الحربية التي وضعها مونتجمري موضع التنفيد . ولكن هتلر احبط رغبة رومل وقرر عدم التخلي عن شبر واحد من الارض ، ولم يؤد ذلك الا الى تأجيل الانسحاب حتى الهزيمة التالية ، ولكن رومل نفسده بمهارته وفطنته المشهورتين فترك اقل وحداته آلية وتدريبا بما في ذلك معظم القوات الإيطالية ليسحب من هذا المأزق وحداته المختارة مستخدما جميست وسائط النقل الموجودة لديه .

وفشلت كل المحاولات التي قام بها البريطانيون لمهاجمته مسن الخلف لان المطاردة لم تكن غير مباشرة . ولم تقم القوات البريطانية بحركة تطويق واسعة النطاق ، فقد انحرفت ناحية البحر قبل الاوان بقصد اسر معظم القوات المنسحبة على الطريق الساحلي . ثم قامت بحركة واسعة قرب مرسي مطروح (١٢٠ ميلا غربي العلمين) ولكنها لم تستطع قطع طريق التراجع لنقص التموين بالوقود وتأخر

التقدم بسبب الامطار الغزيرة . ولو تم القيام بحركة أوسع وأعمق عبر الصحراء لتم الابتعاد عن منطقة الامطار الغزيرة . ولكن انشغال معظم وسائط النقل بنقل اللخيرة على حساب التموين بالوقود أدى الى نقصان هذه المادة اللازمة لاستمرار المطاردة .

ولم يتوقف رومل بعد تخلصه من فكي كماشة المطاردين المدرعة حتى وصل الى العقيلة في طرف برقة الآخر على بعد ٧٠٠ ميل من العلمين . ولقد أحبط خلال هذا الانسحاب الذي استمر ١٥ يوما جميع خطط مطارديه ، وفقد قليلا من الاسرى والعتاد . وكانت هجمات رومل الضادة لمطارديه قد تركت في اذهائهم أثرا لا يمحى . ولكن قوة عدوة الكبيرة الان منعته من التصرف بهذا الشكسل وحرمته حتى من امل الصمود طويلا في موقع العقيلة .

واضطر الجيش الثامن الى التوقف مدة ثلاثة اسابيع ليجمع قواته ويقسوم بمهاجمة العقيلة . وعندما بدأ الهجوم انسحب رومل ، واستطاعت مناورة جانبية عزله عن مفارز المؤخرة ولكنه استطاع شق طريقه قبل أن يتم عمل «السلم الاستراتيجي» على طريق تراجعه . ثم توقف رومل من جديد عند بويرات التي تبعد . . ٢ ميل الى الخلف . واستطاع الدفاع عن هذا الموقع ثلاثة اسابيع . وعندما اقترب الجيش الثامن وقام بهجومه الجديد في منتصف يناير (كانسون اثني) انسحب رومل من جديد انسحابا مستمرا مسافة . ٣٥ ميلا بعيدا عسن طرابلس الى خط ماريت في الاراضي التونسية . وقد اضطر الى اتخاذ هسذا انقرار بسبب ضعف قواته وضياع ناقلات البترول التي تمونه علاوة على الموقف الجديد الذي نشأ بسبب نزول القوات الانكليزية والامريكية في شهر نوفمبر انشرين ثاني) في مراكش والجزائر .

وقع هذا الحادث عقب هجوم العلمين مباشرة على بعد . ٢٥٠ ميل تقريبا من خط القتال في الطرف الثاني من شمال افريقيا ، وكان ذلك هجوما غير مباشر بعيد المدى على مؤخرات رومل في ليبيا ويهدد مواقعه قرب مصر . والسبب في نجاح هذا الهجوم يرجع الى انه كان غير مباشر . لقد كانت الفكرة الإساسية هي القيام بانزال قوات الحلفاء على شاطىء مراكش على المحيط الإطلسي ، ولو حدث ذلك لكان هجوما مباشرا يعطي القوات الفرنسية الموالية للالمان فرصية الدفاع بشكل فعال . وكان انطلاق الحركة من منطقة تبعد . ١٢٠ ميل عن بنزرت مفتاح مسرح العمليات في شمالي افريقيا يعني اعطاء الإلمان الزمن والإمكانيات اللازمة لدعم المقاومة الفرنسية ضد غزو الحلفاء . ثم اضيفت الى الخطة عمليات الزال اخرى على شواطىء البحر الإبيض المتوسط قرب وهران والجزائر ، ومهدت الدبلوماسية الامريكية الطريق لهذه العمليات بعد ان حصلت على موافقة ومساعدة سلطات فرنسية مختلفة . واثرت عمليات نزول القوات بشكل حاسم على مؤخرة القوات الفرنسية التي تدافع عن الشاطىء الشرقي للجزائر ومراكش حيث كانت توجد المقاومة الرئيسية العنيدة .

واضعفت عمليات الانزال قرب الجزائر مقاومة مدينة بنزرت الواقعة على بعد ... كميل الى الشرق . وفي هذه اللحظة كانت الوحدات الآلية للحلفاء قادرة على الزحف في اتجاه بنزرت وتونس دون ان تلاقي اية عقبة سوى صعوبات الطرق الجبلية الوعرة . كما ان عمليات الانزال البحرية والجوية كانت ممكنة ، ولم يكن من المتوقع ان تصادف مقاومة . ولكن القيادة البحرية ترددت ولم تشأ القيسام بعمليات انزال صغيرة متباعدة بهذا الشكل دون تغطية جوية . وكان التقسدم البري بطيئا وحذرا . وعلى العكس كان رد فعل الالمان سريعا رغم مفاجأتهم بنزول قوات الحلفاء ، فوجهوا في اليوم الثالث لوقوع هذه العملية قوات نحو تونس واستخدموا لهذا الغرض جميع طائرات النقل والقوارب الصغيرة الموجودة تحت ايديهم . وكانت القوات صغيرة ولكنها استطاعت صد الوحدات التي انزلها الجيش الاول للحلفاء المتقدم نحو تونس بعد اسبوعين ونصف من نزول قوات هذا الجيش على الساحل .

ترتب على هذا الفشل الذي صادف الحلفاء توقف استمر خمسة اشهر على القوس الجبلي الذي يغطي مدينتي بنزرت وتونس . ومع ذلك كان هذا الفشل لمصلحة الحلفاء في المستقبل ، لانه شجع الالمان على ارسال نجدات متزايدة عن طريق البحر الى تونس ، بينما كان الحلفاء يقطعون مواصلاتهم بتقوية الحصار البحري ضدهم وحرمانهم بالتالي من طريق الانسحاب . واضطر هتلر في النهاية الى ارسال وحدات عديدة للثبات في تونس تفوق الوحدات التي كانت قسد خصصت لاحتلال مصر . وهكذا ارسل وحدات المانية وايطالية عبر البحر الابيض المتوسط فادخلها بذلك في الشبكة وسهل مهمة الحلفاء المقبلة اثناء غزو اوربا ، ولعب شمال افريقيا بالنسبة لهتلر دور الطعم والفخ الاستراتيجيين ، وهذا هو لعس الدور الذي لعبته من قبل اسبانيا بالنسبة لنابليون . وهكذا اصبح هتلر مشدودا بين افريقيا وروسيا ، ولقد عجلت الجهود التي بذلت لتحقيق هذيس الهدفين معا بانهيار هتلر كما عجلت في الماضي بانهيار نابليون .

بدات المعارك في عام ١٩٤٣ في تونس بهجوم الماني مضاد هز الحلفاء بعنف وقد حدث هذا الهجوم عندما كان الجيش الاول للحلفاء القادم من الغرب يسعى مع الجيش الثامن القادم من الشرق لحصر قوات المحود بين فكسي الكماشة وارادت قيادة المحور تلافي الخطر بتحطيم هذين الفكين وكانت الشروط الملائمة لتحقيق هذا المخطط متوفرة تماما . وكانت النجدات المرسلة الى تونس تؤلسف جيشا تحت قيادة فون آرنيم كما كانت بقايا جيش رومل تتلقى دعما جديسدا بالرجال والعتاد بتراجعها نحو الغرب واقترابها من الموانىء التي يأتي التعويسن منها . ونكر رومل في الاستفادة من ميزات القتال على «الخطوط الداخلية» . على ان يستخدم موضعه المركزي بين الجيشين الحليفين المتقدمين نحو نقطسة واحدة وذلك بمهاجمة الواحد بعد الآخر وطردهما وابعادهما عن بعضهما . فاذا استطاع طرد الجيش الاول الانكلو ـ امريكي الذي يهدده من ظهره غدت يداه

حرتين يصرب بهما الجيش الثامن البريطاني المتقدم نحو خطوط تموينه بشكـــل خطير . وهذه في الحقيقة خطة كبيرة تحمل في طياتها آمالا كثيرة ، ولكن تنفيذها تعرض للصعوبات .

كان الفيلق الثاني الامريكي الذي يضم فرقة فرنسية الهدف الاول للهجسوم الالماني المضاد ، وكانت جبهته ممتدة على مسافة . ٩ ميلا ومستندة الى ثلاثية طرق تتجه نحو البحر عبر الجبال . وكانت عناصر راسي الفيلق تحتل الممرات الجبلية الضيقة قرب مدن الفندق _ فايد _ قفصة بشكل متين .

وفي أواخر يناير (كانون ثاني) اندفعت فرقة البانزر الحادية والعشرون فحأة نحو ممر فايد واجتاحت الحامية الفرنسية قبل وصمول النجدات الامريكية . واعتقدت قيادة الحلفاء بأن هجوما مضادا جديدا اكبر لا بد ان يقع على نقطة اخرى ، واعتبرت عملية فايد مجرد مشاغلة وحددت مكان الضربة التالية فــــى مدينة الفندق . وانقلبت هذه الفكرة الى أيمان اكيد أدى الى نتائج قاضية تقريبا. وفي ١٤ فبراير (شباط) بدأ الهجوم الحقيقي على شكل وثبة جديدة منطلقة من ممر فايد بقيادة زيجلر مساعد فون آرنيم . وقد وقع الهجوم في الوقت الذي تقدمت فيه المدرعات الامريكية لملاقاته . فثبتت فرقة البانزر الحادية والعشرون الامريكيين في الجبهة واستدارت على مجنبتهم اليسرى وناورت حول مجنبتهم اليمني لتأخذهم من الخلف . وحسر الامريكيون ١٠٠ ديابة ، واعطى رومل الامر لزيجلر لمتابعة التقدم خلال الليل واستثمار النجاح حتى النهاية . وظل زيجلر ٨٤ ساعة ينتظر موافقة آرئيم ثم اندفع مرة اخرى مسافة ٢٥ ميلا حتى مدىنة سبيتلة حيث تجمع الامريكيون بعد هزيمتهم . وكان يستطيع دفعهم الى الوراء بمعارك اصبحت اكتر ضراوة رغم وصول الامريكيين الى ممر القصرين . وفسي هذا الوقت سحب رومل من خط ماريت مفرزة مدرعة وانطلق بعمق نحو الجنوب عبر ممر جفصة بحركة طولها ٥٠ ميلا كان من نتيجتها سقوط مطارات الامريكيين الواقعة جنوب غربي القصرين بين يديه في ١٧ فبراير .

ودخل في المعمعة الجنرال الكسندر الذي كان قد عبن حديثا لقيسادة الجيشين الحليفين ، فوجد الوضع حرجا وقوات الحلفاء في فوضى والتعساون معدوم ، ولو تدخل رومل لما صادف تقدمه سوى بعض الحواجيز الطبيعية . ولادى ذلك الى اختراق الجبهة في تونس مما يضطر العلقاء الى الانسحاب او الوقوع في كارثة .

وكان رومل يود استثمار الفوضى والهلع في صفوف الحلفاء بمناورة مشتركة تقوم بها جميع الوسائط الآلية الموجودة لديه عبر تيبسه والزحف نحو مواصلات الحلفاء الرئيسية التي تربطهم بقواعدهم في الجزائر . وكانت الاستطلاعات الجوية تدل على احتراق مستودعات الحلفاء في تيبسة . ولكن آرنيم رفض الاشتراك في هذه المغامرة ، مما اضطر رومل لاخذ موافقة موسوليني الذي وافق على الحركة شريطة الاتجاه الى طحلة لا الى تيبسة .

ويمكن اعتبار هذا التعديل حسب راي رومل دليلا على ضيق التفكير وقصر

النظر ، لان العمليات تمت على مقربة من الجبهة في اماكن تستطيع وحسدات الحلفاء الاحتياطية القوية التدخل فيها .

واثبتت النتائج بشكل قاطع صحة راي رومل . ووقع الهجوم في المكان الذي كان يتوقعه الكسندر والذي استعد لاستقباله فيه ، فأعطى الامر لقيادة الجيش بتجميع المدرعات لتأمين الدفاع عن طحلة . وجلبت القوات الاحتياطية البريطانية في الشمال نحو هذا القطاع . ولو استطاع رومل أن يناور كما كان يريد لأوقع في صفوف الحلفاء من جديد اضطرابا كبيرا .

وتمركز الامريكيون ايضا بكل قوة في اتجاه طحلة ودافعوا بعناد عن ممسر القصرين . ولم يستطع الالمان المرور قبل مساء يوم ٢٠ فبراير ، وفي اليسوم التالي دخلوا مدينة طحلة وهم منهكين ، ثم طردتهم القوات الانكليزيسة منها ، وهكذا ادرك رومل في ٢٢ فبراير ان الحظ قد تخلى عنه ، فأوقف الهجسوم وبدا في الانسحاب على مراحل ، وفي اليوم التالي تلقى امرا جديدا من روما بعد فوات الاوان يخوله قيادة كل جيوش المحور في شمال افريقيا ،

ان تحليل هذا الهجوم المضاد يعطي درسا هاما حول العمسل غير المباشر ، ويظهر بوضوح كيف يؤدي ضياع الوقت الى فقدان المكاسب ، كما يدل علسى ضرورة اجراء المناورة غير المباشرة ماديا على نطاق واسع لكي يستولي الشك على العدو في معرفة الهدف المهدد فعلا .

ولقد ادى تأخير اعطاء رومل القيادة العامة لقوات المحور في شمال افريقيا الى عجزه عن اصدار الاوامر في الوقت المناسب الى آرنيم لوقف الهجوم المني يقوم به في الشمال ضد مواقع الحلفاء امام مدينة تونس ، ولم يكن هذا الهجوم الا هجوما مباشرا فاشلا كثير التكاليف افقد الالمان فرقا عديدة ضرورية لقيام رؤمل بضربة جديدة ضد مونتجمري ، وقد قلب هذا التأخير خطط رومل كلها ، ان مونتجمري لم يكن قد ارسل حتى ٢٦ فبراير (شباط) سوى فرقة واحدة فسي اتجاه خط ماريت ، وكانت هيئة اركان حربه تحاول تأمين توازن القوى قبسل انطلاق الهجوم الالماني ، وعندما هاجم رومل في مارس (آذار) كانت قسسوات مونتجمري قد ازدادت اربع مرات ، واصبح لديه .. } دبابة و.. مدفع مضاد اللدبابات ، وترتب على ذلك ضياع التفوق الذي كان يتمتع به رومل حتى ذلك الوقت . ولم يستطع الهجوم متابعة التقدم ، وفقد الالمان بعد الظهر . و دبابة وأثر ذلك عليهم بشكل جدي في المرحلة التالية للمعركة . وسقط رومل مريضا فاستدعى الى اوروبا .

وفي ١٧ مارس (آذار) رد الحلفاء بهجوم قام به الفيلق الثاني الامريكي بقيادة الجنرال باتون في اتجاه خط انسحاب الفيلق الافريقي الالماني نحو تونس . وكان من اهداف هذا الهجوم تخفيف الضغط عن جبهة تونس ، ولكن التقدم كسان بطيئا وحذرا ثم توقف امام الممرات الجبلية التي تغطي الحدود . وشجع هسذا التوقف الالمان على القيام بهجوم جديد فشل في اختراق الدفاع الامريكي . وفقد

الالمان . ٤ دبابة فضعفت قوتهم الهجومية وازداد تفوق الحلفاء في الدبابات مما أضعف مقاومة الالمان الدفاعية أمام تقدم مونتجمري .

واعتمد الطفاء في انتزاع النصر على هجمات الالمان المستمرة اكثر مسن اعتمادهم على هجماتهم ، وأصبح من الممكن قلب الموقف عندما انهكت قوى الالمان كثيرا بسبب هجماتهم ، وكان الالمان قادرين حتى ذلك الوقت على تغيير موقف القتال ولكنهم أسرقوا في استخدام الوسائل المتبقية لديهم في محاولات غسير مجدسة .

بدأ هجوم الجيش الثامن على خط ماريت في ليلة ٢٠ مارس (آذار) . وكان محور الجهد الرئيسي يهدف الى اختراق الدفاع الالماني قـــرب البحر بحيث تتفلفل الفرق المدرعة داخل الثفرة ٤ على ان يقوم الفيلق النيوزيلندي في نفس الوقت بحركة تطويق واسعة في اتجاه مدينة الحمة على مؤخرات العدو لتهديد قواته الاحتياطية المتمركزة في هذا القطاع . ولم ينجح الهجوم الجبهي فـــي اختراق خطوط الالمان . وبعد قتال دام ثلاثة ايام غير مونتجمري خطته ودفع الفرقة الاولى المدرعة مع النيوزيلنديين نحو مؤخرات العدو ٤ ولكن الدبابات قامت بهجومها في واد تدافع عنه قوات المانية لديها مدافع مضادة للدبابات ومتمركزة على السفوح ٤ وكادت العملية ان تنقلب ألى كارثة لولا قيام عاصفة رملية انقذت على السفوح ٤ وكادت العملية ان تنقلب ألى كارثة لولا قيام عاصفة رملية انقذت خط ماريت بعد تهديد مواصلاتهم ولكنهم احتفظوا بالباب مفتوحا لينسحبوا منه خون خسائر حديدة .

ثم توقف الالمان على بعد عشرة أميال تقريبا وراء الحمة على وادي العكاريت الذي يشكل موضعا جبهيا ضيقا بين الهضاب ووادي قابس واندفع الامريكيون المهاجمون في اتجاه الجنوب وحاولوا مباشرة تدمير العدو على هذا الموضيع والوصول الى ظهره ما دامت جبهته مثبتة مع الجيش الثامن ، ولكنهم صدوا ولم يستطيعوا اجتياز المنطقة الجبلية ، وفي الساعات الاولى من يوم ٦ ابريل (نيسان) هاجم الجيش الثامن وادي العكاريت تحت ستار الظلام ، وسمح له التكتيك الليلي الجديد باختراق دفاع العدو ، غير أنه فشل في استثمار النصر عند طلوع النهار ، واشتبكت فرقتان من الفرق الالمانية المدرعة الثلاث مسعالامريكيين ، ولكن الالمان لم تكن لديهم القدرة على الاستمرار في المقاومة ، وفي الليل التالي توقف الالمان عن القتال وانسحبوا بسرعة على الطريق الساحلي نحو مدينة تونس ،

وحاول الفيلق التاسع للحلفاء من جديد قطع طريق انسحابهم بخرق ممسر الفندق في ٨ ابريل (نيسان) والوصول الى البحر على مؤخرات الالمان . وفشلت المشاة في شق الطريق امام المدرعات مما دعا الى استخدام الدبابات في السوم التالي بهجوم جريء غالي الثمن عبر حقول الالغام . ولكن هذا الاختراق السذي جاء متأخرا لخطوط الالمان لم يؤد الى تطويقهم خلال انسحابهم على طول الشاطىء. وبعد عدة ايام اتصل الجيشان الالمانيان وأصبحا قادرين على القيام بمقاومسسة

موحدة على قوس الجبال التي تغطى مدينة تونس . وكانا قادرين فعلا على الاستمرار في المقاومة او استخدام المناورة والانسحاب بسرعة لاجلاء قواته الى صقلية .

يعتبر انسحاب جيش رومل في افريقيا من العلمين الى تونس مسافة الفي ميل تقريبا اعظم عمل من نوعه في التاريخ العسكري ويذكرنا هذا الانسحاب بانسحاب مشابه حدث شتاء وتعرض لاخطار مشابهة ولكنه كان أقل طسولا وأكثر صعوبة وهو انسحاب مجموعة جيوش كليست من قلب القوقاز حتى ممر روستوف اثناء تعرضها لتهديد دائم بهجوم جانبي تقوم به الجيوش الروسيسة المتقدمة من نهر الدون .

يدل هذان المثالان على الامكانيات الكبيرة للدفاع الحديث المطبق جيدا ، كما تدل عمليات الهجوم على المؤخرات على ان النجاح في الهجوم يتطلب اشياء كثيرة اخرى غير الهجوم الجغرافي غير المباشر . لقد نجح في كلا الحالتين جزء من قوات المهاجمين في ضرب مؤخرات الجيوش المتراجعة ولكنه لم يستطع اغلاق الشبكة تماما ، وكان خط الخطر دائما طبيعيا ومتوقعا لدرجة ساعدت المدافعين على استخدام وسائطهم لتحاشي هذا الخطر . ولتأمين النجساح التام يجب استخدام الهجوم المعنوي غير المباشر بالاشتراك مع الهجوم الجغرافي بقصسد تحطيم توازن العدو وخلق الظروف الملائمة لتحقيق النصر الحاسم .

ان سرعة انسحاب رومل ابتداء من وادي العكاريت ونجاحه في احبـاط هجمات الحلفاء اعطت القيادة العامة الالمانية فرصة كافية لاجلاء جيوشها نحـو صقلية لو انها حصلت على موافقة بذلك . وكان على الحلفاء ان يتوقفوا 10 يوما قبل البدء بهجوم جدي جديد ضد القوس الدفاعي للعدو من انفيدافيل جنوبسي مدينة تونس الى رأس سيرت غربي ميناء بنزرت . كما ان الضباب ساعد على اخفاء عمليات الاخلاء والنقل ، وكانت معظم الجيوش الالمانية في تونس قادرة على الانسحاب بطريق البحر او الجو .

وفضلت القيادة العامة الالمانية القيام بمحاولة لاطالة أمد الحرب في شمال افريقيا بدلا من سحب القوات إلى قواعدها على سواحل اوربا الجنوبية . وقد انشأت في تونس جبهة اكبر من امكانيات وسائطها (طولها ١٠٠ ميل) رغبة في تغطية مدينتي تونس وبنزرت في وقت واحد ، فأتاحت بذلك للحلفاء فرصية ذهبية لاستثمار مزايا الاختيار بين هدفين متناوبين .

وبدا الهجوم في ١٠ ابريل (نيسان) عندما هاجم الجيش الثامن جناح العدو الايسر ثم تعثر تقدمة في المعر الساحلي الضيق بعد مدينة امفيدافيل حتى اضطر الى التوقف في ٢٣ ابريل . وفي ٢١ ابريل تقدم الفيلق الخامس منطلقا مسن المركز الايسر عبر الهضاب المؤدية الى تونس . وفي اليوم التالي زحف الفيلة التاسع منطلقا من المركز الايمن قرب جبيلات ليستثمر الاختراق الذي قامت به المدرعات ، ولكنه لم يتمكن من تدمير دفاع العدو بل اكتفى باضعاف قوة وحداته

المدرعة . ثم تم التوقف مدة ١٥ يوما في معظم اجزاء الجبهة بينما استمير الامريكيون مع الفيلق الفرنسي في الشمال في التوغل في خطوط العدو حتى وصلوا الى بعد ٢٠ ميلا من بنزرت .

وفي هذا الوقت عدل الكسندر تنظيم قواته ، فترك ستارة من الوحدات في المركز الايمن قرب جبيلات ، ووجه معظم الفيلق التاسع نحو المركز الايسر وجمعه خلف الفيلق الخامس ودعمه بفرقتين مختارتين من الجيش الثامن ، وهما الفرقة السبابعة المدرعة والفرقة الهندية الرابعة . وقام بخدعة لاخفاء تحركات قواته وايهام العدو بأن الهجوم الجديد متجه الى الجنوب الامر الذي دفع آرتيم الى الاحتفاظ بقوات كبيرة في الجنوب . ولم يكن امام آرنيم بعد بدء الهجوم فرصة الكشف الحيلة وتبديل تشكيلته نظرا لسيطرة الحلفاء الجوية القادرة على شهل جميع حركات الوحدات وقوافل النقل على الطرق .

آنطلق هجوم الفيلق التاسع بقيادة الجنرال هوروكس بشكل كثيف وعنيف في الساعات الاولى من يوم ٦ مايو (مايس) في ليلة مظلمة ، وسبق هذا الهجوم ورافقه تمهيد كثيف بنيران المدفعية ، واستخدم . . ٦ مدفع في ضرب جبهة لا يزيد عرضها عن ميلين في وادي مجيردة المؤدي الى مدينة تونس . ثم تابع الطيران نشاطه بعد الفجر والقي كمية هائلة من القنابل ، وشل بذلك قوة المدافعين الذين اجتاحتهم مشاة الفرقة الهندية الرابعة والفرقة البريطانية . وكانت المواقسس الدفاعية طويلة وضعيفة وليس لها عمق كاف ، وانطلقت دبابسات الفرقتين المدرعتين السادسة والسابعة من خلال الثغرة التي فتحتها ، ولكنها اضاعت بعض الوقت لتطهير الجيوب التي صمد فيها الالمان فلم تتقدم حتى المساء سوى بضعة اميال وراء الثغرة واصبحت على مسافة ١٥ ميلا من تونس .

وفي صبيحة اليوم التالي كان الجيش الالماني قد اصيب بالشلسل بسبب المفاجأة الاستراتيجية وصدمة الطيران ، واصبح عاجزا عن الرد بأية حركة مضادة تكتيكية . وتسربت عناصر المقدمة للغرق المدرعة البريطانية بعد الظهر داخسل مدينة تونس وتوجهت الفرقة السادسة نحو الجنوب بينما تقدمت الفرقة السابعة نحو الشمال لزيادة تأثير التفتيت في قوات العدو . وفي ذلك الوقت دخسل الامريكيون والفرنسيون بنزرت واتهارت مقاومة العسسدو في الجزء الشمالي من الحمة .

وكان العدو في الجنوب قادرا حتى ذلك الحين على الاستحاب الى شبه حزيرة رأس بونة والمقاومة هناك طويلا . ثم ضاعت هذه الفرصة بسبب سرعة وصول الفرقة السادسة المدرعة الى مؤخرات العدو وعزل شبه الجزيرة . وهكذا تم الانهيار واستسلم حوالي ٢٥٠ الف رجل من قوات المحور .

كانت قيادة العدو قد فقدت توازنها وتعطل جهازها القتالي بسبب توافسق العمليات الجوية مع هجمات المدرعات على المؤخرات ، وكان انهيار القيادة اول سبب من اسباب الكارثة ، وادى قطع المواصلات الى زيادة التأثيرات المعنوسة الناجمة عن نقص الاحتياطات وفقدان التموين .

وتدخل عامل آخر وزاد من تأثير الصدمة وهو قرب القواعد الالمانية مسسن الجبهة ، ووصول المهاجمين بسرعة اليها ، مما حطم المعنويات ، وشل عمسل الجهاز الاداري ، وانتشر الهلع وزاد من حدته سيطرة الطيران والاسطول علسى مواصلات الالمان البحرية . ونلاحظ ان مخطط الكسندر اعتمد على تثبيت العدو ومهاجمته من الجبهة مع القيام بمناورة على احدى مجنباتة ، ولم تكن هسده المناورة حاسمة ولكنها هيأت الظروف الملائمة لضربة حاسمة اذ اجبرت العدو على توسيع نطاق جبهته لصد الخطر مما سبب ظهور نقطة اتصال ضعيفة فسسي تشكيلته وكانت هذه النقطة هدف الضربة الحاسمة .

ورغم ان هجوم الكسندر صادف بعض العراقيل بسبب عدم وجود جناح مكشوف للعدو فقد امكن تحقيق النصر بتطوير المخطط وتأمين توافق المرونة مع المهارة . لقد جذب كما رأينا وسائط العدو وانتباهه في بادىء الامر الى جناحهم الايسر ثم ضغطهم بقوة من الجناح الايمن والمركز الايمن ثم قام بجهده الرئيسي على المركز الايسر . ولما حاول الالمان صد هذا الهجوم استفاد من هذه المحاولة وتظاهر بتركيز جهوده كلها على جناحهم الايسر وقام بالضربة الحقيقية على المركز الايمن الذي كان الالمان يعتقدون ان مراكزهم فيه قوية ، وأتاح استخدام مختلف وسائل المشاغلة لالكسندر الفرصة لتجميع قواته في النهاية وتكتيلها على افضل وجه، كما انه استغل جميع الامكانيات التي اتيحت له من وجود الاهداف المتناوبة.

الفضال كشام عشر

سقوط هتلر

فقد الالمان بعد كارثة ستالينفراد والانسحاب من القوقاز كل امل في احراز نصر حاسم على الروس ، ودلت التجربة في عامي ١٩٤١ و١٩٤٢ على ان هناك حدودا لا يمكن تجاوزها عند تنفيذ استراتيجية هجومية في مساحات غير محدودة ، وقد بدأت قوى المانيا تتناقص ابتداء من عام ١٩٤٣ بينما كانت القوات الروسية في ازدباد مستمر ، وبينما كان ميزان القوى يشير الى احتمال فشل اي هجوم الماني استراتيجي ، فقد كانت النسبة ايضا بين امكانياتهم والارض التي يحتلونها تجعل من المتعذر عليهم القيام بدفاع ثابت متين ، وكان على الالمان اذا ارادوا الدفاع في مثل هذه الظروف التخلي عن قسم كبير من الاراضي المحتلة بقصد تنفيذ دفاع مرن يقوم على سلسلة من المناورات التراجعية التي تؤمسسن الاستراتيجية المواجهة هجوم العدو ، وكان التخلي عن الارض من مستلزمات الاستراتيجية الدفاعية ـ الهجومية التي تهدف الى خلق الظروف الملائمة لصد هجمات العدو بنجاح .

ومند عام ١٩٤٣ كانت هناك اسباب هامة تدعو الى استخدام الدفاع المتحرك امام هجمات الروس الراغبين بتحرير بلادهم .

وقد أجمع كافة الاستراتيجيين الالمان على أن استخدام مخطط دفاع مرن

امر ملائم لانهاك قوى روسيا وتحطيم ارادتها القتالية ، لما يتيحه من فرص ملائمة للقيام بهجمات معاكسة تستطيع تغيير الموقف .

ولكن تشبع هتلر بالروح الهجومية جعله يصم اذنيه عن سماع مثل هسذه الآراء . لقد كان مؤمنا بأن الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وأن المقاومة الصلبة دون التفكير في التراجع احسن وسائل الدفاع بعد الهجوم . وهذا ما دفعه الى رفض فكرة مستشاريه الذين اقترحوا عليه الانسحاب نحو خط الدنيبر نظرا لقلة القوات الاحتياطية الالمانية وخطورة البقاء على الخط الذي تم الوصول اليه في معركة الشتاء . ولقد اصر يومئذ على ضرورة حل المشكلة بالعودة الى الهجوم في صيف عام ١٩٤٣ .

وفي مارس (آذار) قام مانشتاين بعملية غير مباشرة في خاركوف وعرض على هتلر تكرار هذا العمل بشكل مدروس بدقة مع استخدام طعم وفسخ وكانت الجبهة الالمانية في قطاع ميوس بين نهر الدونيتز وبحر آزوف تشكل بروزا متقدما جدا في الخطوط الروسية بشكل قد يدفع الروس الى مهاجمته في الربيع التالي واقترح مانشتاين تقليل الوسائل المعدة للدفاع عن هذا البروز وسحبها امسام التمدم الروسي وإعدادها للقيام بهجوم مضاد بجميع الوسائل المتوفرة ، على ان يتم هذا الهجوم المضاد في منطقة كييف على مجنبة العدو الشمالية بقصد الالتفاف حول الجبهة الروسية بأكملها وتطويق جيوشها .

ووجد هتلر في هذا المخطط جراة زائدة ، ولم يقبل ترك حوض الدونيت وموارده الصناعية والمعدنية . واختار حلا جديدا يهدف الى جسلب الروس وتحطيمهم قبل ان يقوموا بهجوم الربيع . وكانت الخطة تتضمن طردهم مسسن الجيب الكبير الداخل في الجبهة الالمانية حول كورسك بين بيليجورد واوريل ، وكان على الجيش الرابع المدرع من مجموعة جيوش الجنوب التي يقودها مانستاين وهي التي كانت تسمى في الماضي مجموعة جيوش الدون ان يشكل فك الكماشة الايمن على ان يشكل الجيش التاسع من مجموعة جيوش «المركز» بقيادة كلوغ الفك الايسر . وقد اصر مانشتاين على الشروع في العمل اذا تم اقرار هسلا المخطط في بداية شهر مايو (ايار) عندما يبدأ فصل الربيع بالجفاف ، وقبل ان يتمكن الروس من جمع قواتهم . ولكن الهجوم تأخر حتى ه يوليو (تموز) . وهذا يمثال واضح على التناقض بين عاملي الزمن والامكانيات ، وتعتبر نتيجته درسسا يدلنا على ان زيادة الوسائل قد تكون اقل قعالية في بعض الحالات من تقصير المدة وخاسة عندما تكون هناك ضرورة لعامل السرعة .

ومرت الايام ، وبدأ هتلر يشك في نجاح هذا المشروع ولكنه لم يكن ليقبل بدلا منه فكرة الاستحاب الاستراتيجي ، ووافق مضطرا على فكرة العودة السبى الهجوم التي نادى بها زيتزلر الذي حل محل هالدر ، وكان متحمسا لفكرة البدء في الهجوم قبل بدء الهجوم الروسي .

وهنا أخرت القيادة الروسية هجومها حتى تسمح للهجوم الالماني بالانطلاق ، وطبق الروس على نطاق واسع طريقة الطعم التي ثبت انها مفيدة في المجسسال

التكتيكي . ولما علموا باستعدادات الالمان واستنتجوا مقاصدهم جهيزوا البروز الكبير ووضعوا حوله الالغام بعمق كبير ، وسحبوا معظم قواتهم وراء هيده الدفاعات . وهكذا فشل الهجوم الالماني في جذب الروس الى الشبكة ووقع هوئ نفسه فيها . ولم يحرز فك الكماشة الالماني الايمن الا تقدما بسيطا ولكنه استطاع اختراق الموقعين الاماميين للعدو وسحق وحدة مدرعة روسية كبيرة في هيذا القطاع . بينما صد الفك الايسر منذ البداية . وقد اخرجت هذه الجهيود الضائعة الالمان من مواقعهم الدفاعية ووضعتهم في مركز اكثر حرجا مما كانوا فيه ، وعرضتهم للصدمة الروسية المضادة القوية . وتحطمت الجبهة الالمانية شمال اوريل واصبح الموقف حرجا مؤقتا . وتلقى مانشتاين امرا بوقف هجومه وارسال بعض فرقه المدرعة لنجدة كلوغ مما اعطى الفرصة للروس لكي يخترقوا جبهته الضعيفة .

واستطاع الالمان رغم كل شيء التماسك في الوقت الملائم ووقسف المطاردة الروسية . ولكن الروس تابعوا الضغط ، واصبح مخطط عملياتهم سلسلة مسن الهجمات المتنادبة على مواضع مختلفة على ان يوقف الجهد عندما تتزايد قوى الدفاع ويقل اندفاع الهجوم ، وبحيث يفتح كل جهد الطريق للجهد الذي يليه مع بقاء جميع الجهود متقاربة في الزمان والمكان لتدعم بعضها بعضا . ودفع هسذا الممل القيادة الالمانية الى زج قواتها الاحتياطية الضعيفة في القطاعات المهاجمة دونما فاعلية .

وهذه في الحقيقة هي الطريقة المثلى التي يستطيع ان يطبقها جيش حين يملك التفوق العام في الامكانيات . وتعطي هذه الطريقة نتائج افضل عندما لا تكون المواصلات العرضانية حرة بشكل كان يسمح المهاجم باستثمار اي نجاح محلي بنقل احتياطاته من مكان الى آخر بسرعة . ان تكاليف الاختراق بالطريقية الاولى «الواسعة» اكبر من تكاليف الاختراق بالطريقة الاولى الملاء مسمع وسرعة من الثانية ، ولكن الطريقة الاولى يمكن ان تحقق نتائج كبيرة الاثر اذا كانت امكانيات المهاجم تسمح له بمتابعة هجومه .

وفي شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٤٣ وصل التقدم الروسي الى نهر الدنيبر في عدة نقاط ، وعلى جزء كبير من النهر يمتد من منعطفه الكبير حتى كييه وسحب الالمان رأس الجسر الذي حافظوا عليه في منطقة كوبان في الطهروف الغربي من القوقاز ، وسحبوا وحداتهم عبر القرم ليدعموا ، بعد فوات الاوان ، القطاع الجنوبي من جبهتهم الرئيسية بين منعطف الدنيبر والبحر الاسود . ولكن الروس اخترقوا هذه الجبهة قبل وصول النجدات الالمانية ، ووصلوا الى المجرى السغلي لنهر الدنيبر وعزلوا بذلك منطقة القرم . وفي شهر أكتوبر (تشرين اول) نجح الروس في عبور نهر الدنيبر شمالي المنعطف واندفعوا بأعداد كبيرة في نجح الروس في عبور نهر الدنيبر شمالي المنعطف واندفعوا بأعداد كبيرة في خطوط الالمان داخل البروز ، ونجح الالمان مع ذلك في تلافي الكارثة ، ولكسن موقعهم اهتز بشدة ، وهنا أصر هتلر على التمسك بالقطاع الجنوبي من بسروز

الدنييبر وذلك للاحتفاظ بالمناطق الفنية بالمنفنيز واللازمة للصناعية الحربية . ودفع الالمان ثمنا غاليا للمحافظة على موارد المنفنيز ، حيث ان على المدافع الضعيف ان يستخدم الدفاع المتحرك القادر على مقاومة مناورات المهاجم الكبيرة .

وفي بداية شهر اكتوبر (تشرين اول) احتل الروس رأسي جسرين جديديسن على نهر الدنييبر ، الاول شمالي كييف والثاني جنوبها ، واتسع رأس الجسر الاول باستمرار حتى اصبح قاعدة انطلاق عريضة لهجوم بدأ بعد شهر وأدى الى احتلال كييف ، واستغل الروس النصر بسرعة في اتجاه الغرب ، وفي حوالي اسبوع وصل الجنرال الروسي فاتوتين الى ٨٠ ميلا وراء الدنييبر ،

وحاول مانشتاين اصلاح هذا الموقف الخطير رغم عدم توافر القوات الاحتياطية للديه . فقام بانسحاب سريع ، ثم قام بهجوم مضاد على مجنبة الروس . وقاد هذا الهجوم الجنرال مانتوفل وهو شاب جريء جم النشاط ، وكان تحت تصرفه كافة المدرعات المبعثرة المتوفرة . وكانت القوات المهاجمة ضعيفة نسبيا ولكسن هجومها حقق نتائج طيبة لانه كان هجوما غير مباشر ، ولأن خطوط القسوات الروسية كانت ممتدة بشكل كبير ، وحاول مانشتاين عندئذ استغلال الفرصية والقيام بهجوم مضاد كبير بواسطة النجدات القادمة من الفرب ، ولكن عامسل الزمن أحبط خططه ، ووجد الجنرال الروسي فاتوتين في الفترة ما بين الهجومين وقتا كافيا لاستعادة توازنه . وهددت صدمة مانشتاين الروس من المجنبسة واجبرتهم على الانسحاب وإخلاء جزء كبير من الارض التي استعادوها غربسي الدنييبر ، ولكنها لم تكن خطرة كما بدت عند انطلاقها . وفي بداية ديسمبر (كانون اول) بدات القوات الالمانية تتعشر في الوحل واصبح مانشتايسن بعد ان استخدم كل القوات الاحتياطية التي جاءته من الغرب عاجزا عن صد المناورات الروسية التالية ، ورفض هتلر فكرة الانسحاب على مستوى كبير .

وفي ليلة عيد الميلاد قام الجنرال الروسي فاتوتين بهجوم من جيب كييف الكبير حيث كان محصورا ، وفي } يناير (كانون ثاني) اجتاز الحدود البولونية وتقدم حتى وصل الى نهر بوغ وهدد بذلك السكة الحديدية الرئيسية الممتدة من فارسوفيا الى اوديسا . وهنا غامر مانشتاين بهجوم مضاد جديد ولكن فاتوتين صدة ، واستفاد الروس من اصرار هتلر على التمسك بخط الدنيببر جنوبسي كييف ، وقام فاتوتين بالتعاون مع كونييف الذي يعمل على الجناح الآخر بعملية كماشة على جيب كورسون ادت الى اسر . 1 فرق المانية .

فتحت هذه الصدمة ثغرة في الجبهة الالمانية وسهلت عمليات التقدم الروسية التالية . واستخدمت الجيوش الروسية الاخرى في أوكرانيا طريقة الضربات المتناوبة . واضطر الالمان الى اخلاء لوك وروفنو كما تركوا جيب نيكوبـــول وموارد المنفنيز .

وفي } مارس (آذار) قام الجيش الاحمر بمناورة مشتركة بقيادة الماريشال جوكوف الذي حل محل فاتوتين بعد مرضه ، فقام بهجوم من شيبيتوفكا وتقدم ٣٠ ميلا خلال اليوم الاول ووصل الى سكة حديد اوديسا _ فارسوفيا بعسد

يومين . وطوقت هذه الحركة خط بوغ الدفاعي . وتقدم مالينوفسكي ووصل الى نهر بوغ في الى نيكولاييف وبين هذين الاسفينين قام كونييف بهجوم ووصل الى نهر بوغ في الا مارس (آذار) كما وصل الى نهر الدنييستر في ١٨ مارس ثم عبره في اليوم التالي . أن السرعة التي تمت بها هذه العمليات تستحق الدراسة والملاحظة لانها ادخلت شكلا جديدا لعمليات الاختراق في تاريخ الحرب . ثم تابع جوكوف تقدمه من منطقة تيرنوبول نحو مخارج جبال الكارابات .

وحتى يتمكن الالمان من صد هذا الخطر مباشرة اسرعوا باحتلال المجر ، وكان هذا اجراء ضروريا للاحتفاظ بسلسلة جبال الكارابات . وكان عليهم الاحتفاظ بهذا الحاجز لصد الاجتياح الروسي عن سهول اوربا الوسطى ، فضلا عن انهيم يعتبر نقطة ارتكاز للدفاع عن البلقان .

كانت جبال الكارابات تشكل مع جبال ترانسلفانيا الممتدة الى الجنوب خطا دفاعيا طبيعيا كبير الاهمية ، وكان الدفاع عنها يتطلب قوات قليلة جدا نظرا لان الممرات فيها محدودة وهذا ما يحقق مبدأ الاقتصاد في القوى . هذا ويبلسغ عرض المنطقة بين البحر الاسود والجبال الواقعة قرب فوكساني ١٢٠ ميلا يحتن نصفها الشرقي دلتا الدانوب وسلسلة من البحيرات اما النصف الغربي الذي يضم فجوة غالاتسى ، وعرضه ٦٠ ميلا ، فقد كان مكمن الخطر .

وفي بداية ابريل (نيسان) اظهر الالمان رغبة في الانسحاب الى هذا الخطط الخلفي . وعبرت جيوش كونييف نهر بروت ودخلت رومانيا بينما طرد الالمان في الجنوب خارج أوديسا . واستعاد الروس شبه جزيرة القرم بمناورتين متلاقيتين وتم اجتياح الجيوش الالمانية التي كانت فيها . واستطاع الالمان مع ذلك صده هجمات الروس وراء نهر بروت ومنعها من التوغل بعمق رومانيا ، فقطعوا بذلك منابع البترول الرومانية عن الروس. ولكن هذا النجاح المؤقت كان سبب انهيارهم بعد شهور قليلة لانه دفع هتلر الى ابقاء جيوشه في وضع غير مأمون لانها كانت مهددة بشكل كبير شرقي الجبال وشرقي فجوة غالاتسى .

ونجع الالمان في الشمال في عرقلة تقدم جوكوف الذي كان يحاول اختراق ممرات الكارابات في الجنوب الغربي من تيرنوبول . ولكن جهودهـــم تضاءلت وتراخت بعد ذلك .

وقام الروس في اقصى الشمال قرب البلطيق بهجوم في منتصف يناير (كانون ثاني) فحرروا لينينفراد من حصار الالمان ثم استثمروا النصر نحو الغرب، واستطاع الالمان الانسحاب بانتظام الى خط اقصر يبدأ من نارفا وينتهي بعسكو ف بسكوف بطول لا يزيد عن ١٢٠ ميلا تحتل ٩٠ منه بحيرتان كبيرتان بين بسكوف ومستنقعات البريبيت ، وكانت جبهة الالمان مستندة الى نقطتين رئيسيتين هما مدينتا فيتسبك وأورشا ، واقترب الروس منهما في نهايسة سبتمبر (ايلول) ولكن المواقع الدفاعية الالمانية اثبتت قدرتها على صد الهجمات المباشرة ومناورات التطويق وبقيت حاجزا منيعا امام الروس خلال ٩ شهور حتى يوليو (تموز)

عام ١٩٤٤ م،

وفي نهاية ابريل (نيسان) كانت الجبهة الروسية مثبتة مؤقتا ، وكان الجيش الاحمر قد استعاد مناطق واسعة من الارض وخاصة في الجنوب ولكن دون ان يتمكن من ايقاع الالمان في فخ كبير ، واستطاع الإلمان تلافي الخطر والتخلص من مناورات الكماشة التي دبرها الروس وتجنب الكارئة رغم اقترابهم منها ، ولسم يكن عدد اسرى الإلمان كبيرا بالنسبة للبقدم الروسي ، ولكن التناقص المستمر في تعداد الجيوش الإلمانية كانت له نتائج اكثر خطورة ، واظهر هتلر تهوره وعدم ادراكه لحقيقة الموقف عندما عزل مانشتاين من قيادته ، وأثبت بذلك تمسكه بالفكرة الخاطئة التي تقول ان الدفاع دون فكرة تراجع خير من المناورة الماهرة وازدادت اعباء الالمان بعد غزو القوات الانكلو _ امريكية لجنوب اوربا ، حيث اغقب احتلال صقلية استسلام ايطاليا في بداية سبتمبر (ايلول) ١٩٤٣ ، وخلق انهيار الحليف الإيطالي فراغا في الجدار الجنوبي للحصن الاوربي ، ولم يكن هذا الفراغ هاما نظرا لان ايطاليا تشكل شبه جزيرة ، ولكنه أرغم المانيا مع ذلك على وضع جزء كبير من امكانياتها لسده ، كما اضطرها الى زيادة جهودهـا لتأمين التغطية في الملقان ،

ومن النتائج الخطيرة التي اعقبت انهيار ايطاليا تعرض المانيا لهجمات جويسة كبيرة تقوم بها القاذفات الحليفة على مستوى اكبر خاصة بعد زيادة امكانيسسات طيران الحلفاء بفضل امدادات الصناعة الامريكية المتفوقة .

كان هدف الهجوم الجوي للحلفاء تدمير القوة الصناعية الالمانية ، ويمكسن اعتباره هجوما غير مباشر على مستوى الاستراتيجية العليا . لقد خرب هسندا الهجوم في الواقع توازن انتاج وسائل الحرب بصورة عامسة . ولسو كانت استراتيجية القصف الجوي قد وضعت بدقة اكبر ، واستهدفت بلبلة وعرقلة نظام التموين بدلا من تدمير مناطق واسعة كثيفة السكان ، لادت الى شل مقاومة الالمان سرعة اكبر . ولكنها استطاعت مع ذلك ورغم سوء توجيهها تحقيق الشلل الجزئي لالمانيا . وكانت عرقلة المواصلات الالمانية على المستوى العسكري عامسلا رئيسيا لانقاص امكانية الالمان الحركية بحيث اصبحسوا عاجزين عن مقاومسة تقدم الحلفاء .

ويعود الفضل في نجاح غزو الحلفاء لصقلية في شهر يوليو (تموز) الى ان شبكة الحلفاء في تونس امسكت بالالمان بشكل قوي . وترتب على انهيار الموقف في تونس ان فقدت الوحدات الايطالية في صقلية روحها المعنوية ، واهتز نظام موسوليني في ايطاليا من اساسه . وعندما توقع هتلو انهيار ايطاليسا او استسلامها خشي ارسال قوات الى الجنوب قد تضيع دون جدوى ، فرفض دعم الايطاليين وتقوية دفاع صقلية .

وكان لدى الحلفاء آنذاك قدرة كبيرة على المشاغلة ولفت النظر نظرا لقسيوة المكانياتهم البرمائية التي يمكن ان تساعدهم في عمليات انزال الجنود ، ولوجود ميدان عمل استراتيجي واسع النطاق في مناطق الاحتلال الالمانية الواسعة في

جنوب اوربا من جبال البيرينيه الى مقدونيا . وكانوا يتمتعون بميزة استراتيجية هي امكان الاختيار بين اهداف مختلفة متناوبة ، وكان تجمعهم في افريقيل الشمالية يهدد جزيرتي صقلية وسردينيا . وكان محور جهودهم الرئيسي موجها الى شاطىء ايطاليا الغربي ولكنه يستطيع ايضا تهديد المناطق الصناعية في شمال ايطاليا او القواعد الالمانية في جنوب فرنسا . واذا اضطر هذا المحور العبور من البحر الادرياتيكي وجد امامه هدفين هما شمال ايطاليا وغرب البلقان ، واذا ما توجه نحو بحر ايجه هدد في وقت واحد القواعد الالمانية في اليونان ويوغوسلافيا وبلغاربا ورومانيا .

ولقد اثبتت الوقائع والمعلومات بعد ذلك ان تطبيق الحلفاء لهذه الاستراتيجية المحورية مع عمليات الخداع والمشاغلة بلبلت الافكار في القيادة الالمانية ودفعتها الى انتظار الغزو في سردينيا او صقلية او اليونان او ايطاليا او جنوب فرنسا . وجاءت الاستطلاعات الجوية لتقول بوجود سفن للحلفاء في عدة نقاط من البحر الابيض المتوسط مما زاد مخاوف الاعداء وشكوكهم .

وانزل الحلفاء قواتهم في صقلية في ١٠ يوليو (تموز) على شاطىء واسمع طوله ٧٠ ميلا ، وكان هدف هذا الهجوم خدع العدو وإثارة شكوكه حول النقطة المهددة بصورة رئيسية ، وعرقلة المناورات المضادة في المرحلة الحرجة . وتقدم الجيش الثامن بسرعة على طول الشاطىء الشرقي ، مما أدى الى هزيمة العدو . وكانت المفاجأة كبيرة وزاد من اهميتها اعتقاد العدو بوقوع الفزو على طميرف صقلية الغربي لانه اقرب الى قواعد الحلفاء في شمال افريقيا ولوجود موانسىء متعددة في هذا القطاع من الجزيرة . ولكن القيام بالعملية في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزيرة خلق الظروف الملائمة لهجوم استراتيجي غير مباشر . وفسي أقل من اربعة أيام تقدم مونتجمري مسافة . لميلا على طول الشاطىء الشرقي للجزيرة ووجد نفسه في منتصف الطريق المؤدى الى مضيق مسينا .

وحصل الجيش الامريكي السابع بقيادة الجنرال باتون على نتائج مشابهــة عندما دعم رأس جسره على يسار قوات مونتجمري واندفع بكل ثقله فجأة نحو الغرب ثم استدار نحو الشمال في اتجاه باليرمو ، وتم تفتيت المقاومة المعادية وانهيارها بفضل مناورات الحلفاء التي كانت تهدد باليرمو ومسينا في وقتواحد. وقد ادى هذا الانهيار الى زيادة اعباء القوات الالمانية في صقلية والمؤلفة من

ثلاثة فرق . لقد كان عليها ان تصد غزوا بسبع فرق ثم ازداد عددها حتىيى الشية فرق . ومع ذلك استطاعت هذه القوات المدافعة دون دعم جوي تأخير احتلال الحلفاء لجزيرة صقلية اكثر من شهر . ثم اجتازت مضيق مسبنا تحت حماية المدافع المضادة للطائرات واستطاعت العودة الى ايطاليا .

ويمكن تفسير هذه المقاومة بعناد المقاتلين الالمان وصعوبة الاراضي ولأن تقدم الحلفاء كان مباشرا بحتا .

وبعد سقوط باليرمو وتطهير غرب صقلية اتجه جيش الجنرال باتون نحسو

الشرق ليلتقي مع هجوم مونتجمري على مسينا . واستطاع العدو استفسلل الطرف الشمالي الشرقي للجزيرة الذي يشكل مثلثا جبليا بأن استخدم طبيعة الارض الصعبة التي تزيد من قوة المدافعين ، وانسحب نحو ذروة المثلث لينقص بذلك طول جبهته ، فازدادت بذلك كثافة وسائطه الدفاعية مع كل مرحلة مسن مراحل انسحابه . هذا بينما كانت الجيوش الحليفة تصادف كثيرا من الصعوبات عندما تحاول زج امكانياتها المتفوقة في المعركة .

غزو ايطاليا:

انشا الحلفاء باحتلال صقلية رأس جسر في اوربا يسهل انطلاقهم ويسمع لهم بالقيام بضربات قرب القارة الاوربية . لقد كان لديهم حرية اختيار مكان العمل اذ كان بمقدورهم تهديد الطرف الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية مباشرة على قدرتهم على القفز في اتجاه سردينيا أو ساحل ايطاليا الغربي او طرفها الجنوبي الشرقي . وكان الهدف الاخير خارج حدود امكانيات الطيران الذي كان ينبغي أن يدعم الهجوم . ولم يكن العدو يتوقع هذا الهجوم لان عمليات الحلفاء كانت حتى ذلك الوقت محدودة بحدود امكانيات الدعم الجوي . ومخالفة هذه القاعدة تعني مفاجأة العدو ، كما أن طريق التقدم من ذلك المكان بعد انزال القوات كان مفتوحا أمام الوحدات الميكانيكية ويشكل تهديدا للبلقان وأيطاليا الوسطى في وقت واحد ، الامر الذي يضع القيادة الالمانية العليا أمام معضلة صعبة الحل . وهكذا يمكن اعتبار الطرف الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الإيطالية بمثابة «عقب أخيل» بالنسبة لالمانيا .

وقررت قيادة الحلفاء آنذاك القيام بالجهد الرئيسي ضمن حدود الدعم الجوي، ثم قررت في اللحظة الاخيرة القيام بإنزال ثانوي للجنود على الطرف الجنوبسي الشرقي . وكان الجهد الرئيسي عبارة عن عملية انزال على الشاطىء الغربي يقوم بها الجيش الثامن ، بالاضافة الى انزال اهم في سالرنو جنوبي نابولي يقوم به الجيش الخامس الانكلو ـ امريكي المشكل حديثا لهذه الغابسسة بقيادة الجنرال ماك كلارك .

وقد فشلت هذه الخطط لانها كانت مباشرة من الناحية الاستراتيجية ، ولأن المسؤولين في دول الحلفاء طالبوا باستسلام ايطاليا دون قيد او شرط ، الامسرالذي اخاف القادة الايطاليين وجعلهم يترددون مدة من الزمن . فكسب الالمان بذلك شهرا استعدوا به .

عبر الحلفاء ممر مسينا في ٩ سبتمبر (ايلول) وسبق النزول على الشاطىء الفربي لساحل ايطاليا قصف هائل بالقنابل كان عديم الجدوى لان الفرقة الالمانية الوحيدة في تلك المنطقة تحركت نحو الشمال قبل القصف بعدة ايام ، وعندما تقدمت الجيوش التي أنزلت من السفن لم تجد امامها سوى مقاومة ضعيفة ، ومع

ذلك كان تقدمها بطيئا بسبب الحذر الشديد وطبيعة الارض الوعرة ، ولم تقدم هذه العملية سوى مساعدة محدودة للعمليات الرئيسية الخاصة بانزال الجنود في سالرنو يوم ٩ سبتمبر (ايلول) . وكان اعلان استسلام ايطاليا مقررا بعد ظهـــر اليوم نفسه . ولم تؤثر هذه العملية على الوحدات الالمانية الموجودة هناك والتي قامت بهجمات مضادة جعلت موقف الحلفاء حرجا خلال ستة ايام . وكان الالمان قادرين على تحديد المواقع التي سيتم بها الانزال بناء على حدود التفطية الجوية المكنة لذا رابطوا بين سالرنو ونابولي .

وقد اظهرت تكهنات الالمان في هذا المجال كيف انهم عملوا حسابا دقيقيا لخطط الحلفاء المحتملة ، واظهرت الحوادث ان انتهاج طريق ليست فيه مفاجأة يؤدي الى نتائج محدودة . وهكذا تعرض الحلفاء بسيرهم في القطاع الذي ينتظره العدو الى خسائر فادحة في الرجال ، والى ضياع وقت ثمين حتى انهم كادوا الوقوع في كارثة لم ينجوا منها الا في آخر لحظة . واظهرت سالرنو مرة اخرى اهمية درس التاريخ الذي يقول ان من الخطر القيام بهجوم على نقطة يتوقع العدو منطقيا احتمال الهجوم عليها . وفي هذا الوقت لم يكن لدى القيادة الالمانية التي يراسها الفيلدمارشال كسيلرينغ سوى ٧ فرق للدفاع عسن جنوب ايطاليا. وأواسطها وتجريد الجيوش الايطالية الحليفة من سلاحها بسبب استسلام ايطاليا ولم يصادف انزال قوات الحلفاء الثانوي في الطرف الجنوبي الشرقي لايطاليا اية مقاومة بعكس عملية انزال القوات في سالرنو ، وهكذا امكن بسهولة احتسلال ميناءين هامين هما برانديزي وتارنتو . واصبح الطريق مفتوحا للتقدم نحو عقدة السكك الحديدية في فوجيا ، والمطارات المحيطة بها . وكانت القوات الالمانية التي تدافع حينئذ عن المنطقة بين تارنتو وفوجيا عبارة عن فرقة مظلات تعانسي اوجه نقص كثيرة .

وكانت القوات التي أنزلت مؤلفة من الفرقة البريطانية الاولى المحمولة جوا التي استخدمت في هذه المهمة مثل المشاة ، وكانت عاجزة عن استثمار النصر لانها بدون دبابات أو مدفعية أو وسائط نقل آلية تقريبا .

وبعد ١٥ يوما نزل في باري لواء مدرع ، واندفع الى الشمال دون ان يلاقي اية مقاومة واحتل فوجيا . واضطرت الوحدات الالمانية التي تدافع امام الجيش الخامس في الجبال وتحرس طريق نابولي الى الانسحاب عندما اصبح هذا الهجوم غير المباشر يهدد مؤخرة جناحها . وفي اكتوبر (تشرين اول) وبعد الانزال بثلاثة اسابيع دخل الحلفاء نابولي . ولكن الالمان تصرفوا خلال ذلك الوقت بسرعة لسم يتوقعها الحلفاء ، فعززوا مواقعهم في القسم الباقي من ايطاليا وشتتوا شمل الوحدات الايطالية وتخلصوا بذلك من معظم نتائج استسلام ايطاليا .

وتقدمت الجيوش الحليفة في أيطاليا كمكبس في اسطوالة غاز يتحرك امام ضغط متزايد باستمرار . وكانت غاية الالمان في بداية الامر عرقلة تقدم الحلفاء نحو روما وانتظارهم في الشمال بعد ذلك ، ولكنهم اضطروا فيما بعد الى ارسال نجدات نحو الجنوب لمساعدة كسيلرينغ عندما وجدوا ان الحلفاء بداوا يتعثرون في زحفهم بسبب ضيق الجبهة وصعوبة الارض .

وتوقف تقدم الجيش الخامس مدة من الزمن على خط فولتورنو وراء نابولي بر ٢٠ ميلا ، ثم توقف نهائيا على خط غاريغليانو امام كاسينو ، ولم تستطسيع الهجمات المتعاقبة في نوفمبر وديسمبر (تشرين ثاني وكانون اول) اختراق هسدا الحاجز ، وفي ذلك الوقت اصطدم الجيش الثامن المتقدم بمحاذاة المساطسسيء الشرقي بمقاومة عنيدة على نهر سانفرو ، ثم توقف بعسمد اجتياز هدا الخط ، وهكذا لم يتقدم الحلفاء خلال اربعة شهور سوى ٧٠ ميلا وراء سالرنو ، ولقد تم احتلال معظم هذه الارض في شهر سبتمبر ثم اصبح معدل التقدم بطيئا جدا ،

وتدل التجربة الطويلة على ان مثل هذا التكتيك قد ينجع احيانا ، ولكنه في اغلب الاحيان يفشل . وقد اثبت ان الهجوم المباشر على جبهة ضيقة لا يعطين نتيجة ، ولا يكفي تفوق الامكانيات الا اذا كان لدى المهاجم مجال للمناورة على جبهة عريضة نسبيا . ان عرض ايطاليا كله . . ا ميل تقريبا وتحتل معظمين سلاسل جبلية ، لذا نجحت القيادة الالمانية العليا عندما قررت زيادة قواتها في الجنوب وتشكيل دفاع كثيف نسبيا ، وشلت تقدم الحلفاء استراتيجيا عبسسر الاراضى الايطالية .

وفي بداية عام ١٩٤٤ قام الحلفاء بمناورة برمائية جديدة على الشاطىء في مؤخرة العدو وفي ٢٢ يناير (كانون ثاني) نزلت مفرزة قرب آنزيو على مسافسة ٢٥ ميلا جنوبي روما . وكان في هذه المنطقة كتيبتان المائيتان فحسب ، وكسان اي تقدم سريع داخل البلاد يمكن ان يؤدي الى احتلال المرتفعات التي تسيطر على طريق روما وتهديد روما نفسها ، ولكن هذا التقدم لم يحدث لان خطة الحلفاء كانت تقوم على اساس ان العدو سيرد مباشرة على عمليات انزال القوات ولهسذا اهتموا بتقوية راس الجسر قبل كل شيء في الوقت الذي تستفيد فيه القوى الرئيسية في الجنوب من ضعف امكانيات العدو الذي يدافع عن المنطقة ، ولكن العدو لم يتصرف بالشكل المتوقع ،

وعندما تبين انعدام المقاومة قرب آنزيو اراد الكسندر متابعة التقدم بسرعة لحو الداخل ، ولكن القائد المحلي توقف وتردد بشكل عرقل التقدم مدة اسبوع فوجد الجنرال كسيلرينغ الوقت اللازم ليدفع قواته الاحتباطية نحو هذه المنطقة في الوقت الذي اوقف فيه تقدم قوات الحلفاء الرئيسية في قطاع كاسينو ، وفي وسراير (شباط) اي بعد ان انزل الحلفاء قواتهم ب ١٣ يوما قام الالمان بهجسوم مضاد ضد راسر جسر آنزيو ، وفشل هذا الهجوم المضاد في طرد الحلفاء ولكنه ضغطهم في مكان ضيق بحيث جعلهم في شبه معسكر اعتقال كبير غير مربح ،

ثم بدأ هجوم الحلفاء في الطالبا من جديد في مايو على نطاق واسع ، وكان جزءا من مخطط كبير ويشكل عملية اولية «للمخطط الكبير» الذي يهدف السسى القيام بهجوم حاسم على المانيا ، وبعد شهر بدأ غزو فرنسا عبر بحر المانش ، كانت المرحلة الاولى من مخطط الكسندر عبارة عن هجوم جديد من طرفسي

كاسينو حيث توقفت الهجمات السابقة . ولتحسين نتائج العملية وسع الجيش الثامن نطاق جبهته ، وزحف بصورة موازية للجبهة بوحدات قطاع الادرباتيكي للقيام بهجوم على القطاع الفربي لخط غوستاف وذلك خلال هجيوم الجيش الخامس . وبدأ الهجوم في ١١ مايو (ايار) مستهدفا منافذ الجبال حيث توجد خطوط الالمان الدفاعية الحصينة التي تحمى مداخل وادى ليرى .

وحصل الهجوم على خط غوستاف وحقق بعض النجاح في عدة مواضع بين كاسينو والبحر . وتوغل الفيلق الفرنسي بقيادة الجنرال جوان بعمق لانسب استخدم الخبراء في قتال الجبال ، كما استخدم طريقا صعبا فحصل بذلك على عنصر المفاجاة . وبعد ان اخترق الحلفاء خطوط العدو بعمق ٦ اميال خلال ثلاثة ايام اضطر العدو الى ترك الدفاع عن خط غوستاف ، مما سهل عمل الجيش الثامن الذي دخل وادي ليري والتف حول كاسينو التي سقطت في يوم ١٨ مايو (ايار) .

وفي ٣٣ مايو (ايار) قامت قوات الحلفاء في آنزيو بهجوم ، منطلقة من رأس الجسر في المكان الذي ضعفت فيه قوات الالمان بعد سحب جزء منها لدعها الجنوب ، وقد وضع الحلفاء خطة مناورة بارعة للاستفادة من هذا الضعف . وفي اليوم الثالث للهجوم تحطم الدفاع الالماني امام ضغط الحلفاء . ولما تم اختراق خطوط الالمان وجد هؤلاء انهم لا يملكون قوات احتياطية تستطيع منع تقدم الحلفاء في اتجاه جبال الآبنين ، وعلى مؤخرة جيوشهم الرئيسية في الجنوب .

وفي نفس الرقت قام الجيش الثامن بهجوم آخر على المواقع الالمانية في وادي ليري . وتمكن الفيلق الكندي من اختراقها في اليوم الاول . وفي اليوم التاليّ بدأ الالمان انسحابهم من كل مكان . وازدادت سرعة انسحابهم عندميا واجهوا الخطر القادم من لنزيو ، وقطعت خطوط انسحابهم المباشرة نحو روما عدة ايام فاضطروا الى تغيير اتجاههم نحو الشمال الغربي عبر طرق جبلية صعبة تتعرض القوات المنسحبة عليها لضربات شديدة من جانب طائرات الحلفاء .

وهكذا ضاعت آخر فرصة امام الالمان لتفطية روما رغم نجاح جزء كبير مسن جيوشهم المهددة في التخلص من حصار الحلفاء . ونقل الجنرال الكسندر معظم قواته الى الجناح الايسر مقابل الجيش الالماني الآخر ، واستطاع الاستيلاء على مونت البان ذات الاهمية الاستراتيجية . ودخلت الجيوش الحليفة بعد ذلك بسرعة ضواحي روما ، واحتلت المدينة صباح يوم ٥ يونيو (حزيران) ، بعد تسعة اشهر من استسلام الحكومة الايطالية .

غزو فرنسا:

وفي اليوم التالي لسقوط روما أنزل الحلفاء قواتهم في نورماندي ، وكان هذا حدثا من أهم الاحداث في هذه الحرب ، وكان القرار الخاص يعبور القسسوات

الانكلو .. امريكية المتمركزة في انكلترة قد تأجل تنفيذه عدة مرات لسوء الاحوال الجوية . ومع ذلك بدأت العملية في ظروف جوية غير ملائمة وكانت الرياح شديدة لدرجة تعرض العملية للخطر وتدعو الى التأجيل ، ولكن الجنرال ايزنهاور واجه هذا الخطر ، وكان هذا احد عناصر المفاجأة في العملية .

تم نزول قوات الحلفاء في صبيحة يوم ٦ يونيو (حزيران) في خليج السين بين كان وشيربور . وسبقه انزال قوات كبيرة من الجو على الجناحين فيسي الليل . وتم تحضير الغزو بهجوم جوي استمر بعد ذلك بكثافة لم يسبق لهسامثيل ، وخاصة على مواصلات العدو لشل حركة قواته الاحتياطية نحسو المناطق الهامة .

ولقد حددت عدة عوامل هذا القطاع ليتم الانزال فيه ، ومع ذلك فوجسيء الالمان بالعملية وكانت معظم قواتهم الاحتياطية شرقي نهر السين ، وتعود هسده المفاجأة ولا شك الى سوء توزيع قوات الالمان ، واصرار قيادتهم على الاعتقاد بأن الحلفاء سيستخدمون اقصر الطرق عند عبور بحر المانش ، وانهم سيحاولسون الاستفادة الى اقصى درجة من التغطية الجوية ، كما فعلوا في غزو الطاليا ، ولكن الحلفاء فاجأوا الالمان بتبديل طريقتهم ، وكان هذا الخطأ في تكهنات الالمسان خطأ قاتلا .

كان هتلر قد بحث الاستنتاجات التمسي استخلصت من احتشاد الجيوش الإنكلو ما مريكية في انكلترة قبل الغزو ، فتوقع في شهر مارس (آذار) ان الحلفاء سينزلون في اقليم نورماندي ، ولم يكن ضباط اركان حربه يشاطرونه رايه ، عدا رومل المسؤول عن الساحل الشمالي . ولكن روندشتيدت القائد العمال للجبهة الغربية كان يتوقع نزول الحلفاء بين دييب وكاليه في اضيق مكان من بحر المائش . ولم تكن فكرته هذه مبنية على ميل الحلفاء المعروف لتأمين التغطيسة الجوية القصوى فحسب بل كانت تعتمد على ان هذا المحور افضل المحاور نظريا للهجوم ، لانه يوصل الى الهدف بأقرب السبل ، وهذا حساب نموذجي فسي الاستراتيجية التقليدية .

وكان لمخطط المهاجمين اهداف اخرى في الواقع غير تحاشي خطوط الالمان الدفاعيسة القوية . وكان اختيار النورماندي يعني اخسة اتجاه يهدد بصورة متناوبة مينائي الهافر وشربور ، ويضع الالمان حتى آخر لحظة في حالة شسك ويمنعهم من تحديد الهدف الحقيقي . ولما ادرك الالمان في النهاية ان شربور هي الهدف الحقيقي كان عليهم اجتياز نهر السين الذي يفصل بين وحداتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا تحريك احتياطاتهم نحو النقاط المهددة الا بعد استدارة طويلة . وتدخل طيران الحلفاء باستمرار فجعل مناورتهم بطيئة جدا . ولما وصلت النجدات الالمانية الى ميدان المعركة توجهت الى القطاعات البعيدة عن شيربور وخاصة قطاع كان ، وكانت الوحدات البريطانية في هذا القطاع تشكل خطرا في حد ذاتها ، كان ، وكانت درعا يحمى امتداد العمليات الامريكية في شبه جزيرة كوتانتان . وقد

كان لهذا التهديد المتناوب تأثير حاسم على الغزو بأكمله .

السواحل التي نزلت بها قوات الحلفاء بأسهل مما كان متوقعا ، عدا مكان نزول الجناح الامريكي الايسر شرقي مصب نهر فير ، ويعود هذا النجاح الى حسسن تنظيم حملة الحلفاء وفاعلية ما تحمله من اسلحة . ومع ذلك بقى الحد الفاصل بين النجاح والفئمل صغيرا جدا عندما جرت محاولة زيادة عمق رأس الجسر . ولم يستطع المهاجمون احتلال شبيربور . وزاد طول الجبهة من فرص نجـــاح الحلفاء وكان عاملا من عوامل النصر . وقد أدى تركيز الالمان لوسائلهم الدفاعية عند هاتين المدينتين الواقعتين على جناحيمواقعهم الى إضعاف الدفاع في المسافة " الفاضلة بينهما . واستطاع الانكليز استثمار انزال قواتهمم قرب أرومانش واندفعوا خلال هذه الثغرة الى بايو . وفي نهاية الاسبوع كان الحلفاء قد اقاموا راس جسر عرضه . } ميلا وعمقه بين ٥ و١٦ ميلا . كما آقاموا راس جسر اصغر على الشياطيء الشرقي لشبه جزيرة كوتانتان . وفي ١٢ يونيو (حزيران) احتل الامريكيون مدينة كارانتان مفتاح المنطقة كما احتلوا رأس جسر بعرض ٦٠ ميلاً . وأصبح الجنرال مونتجمري القائد العام لجيوش الغزو ألذي يعمل تحت قيادة ألجنرال الزنهاور ، قادرا على اعطاء مناوراته الهجومية أبعادا أكبر نطاقا ، وفي الاسبوع الثاني تم توسيع راس الجسر على الجناح الغربي ، وعندئذ قام الجيش الامريكي الاول بهجوم على قاعدة شبه جزيرة كوتانتان بينما استمسسر الجيش البريطاني الثاني في الضغط على كان لامتصاص معظم النجدات الالمانية وخاصة الإنكليز من الناحية الاستراتيجية هجوما غير مباشر ، وقد ساعد هذا التهديد خطط مونتجمري التي تهدف الى اختراق الجبهة في الطرف الغربي لرأس الجسر. وفي خلال الاسبوع الثالث عزل الامريكيون شربور وزحفوا في شبه الجزيرة نحو الشمال ، ودخلوا الميناء من الخلف في ٢٧ يونيو (حزيران) . ولكن رصيف المرفأ كان مدمرة وغير صالح للإستعمال مؤقتا . وفي ذلك الوقت صدت كافسة الهجمات التي قام بها الانكليز حول كان بفضل تكتيك دفاعي جيد يقوم به عدو ماهر جدا على ارض صالحة للدفاع المرن . ولكن خطر وجود الانكليز جذب انظار القيادة الالمانية ومنعها من التصرف بحرية في استخدام قواتهـــا الاحتياطية . وسارع الحلفاء بإنزال كميات كبيرة من العتاد بفضل الموانىء الصناعية ، وكسان هذا العمل مفاجأة لاعدائهم .

الروس يجتاحون بولونيا:

بدا الجيش الاحمر معركة الصيف في ٣٣ يونيو (حزيران) بعد هجوم أولسي تم على الجبهة الفنلندية . وتقدم الهجوم في روسيا البيضاء شمالي مستنقعات

بريبيت ، وكان هذا القطاع اصعب القطاعات ، ورأى الألمان ضرورة تزويده بقوات اقل من القوات المدافعة عن القطاع المكشوف بين مستنقعات بريبيت وجبسال الكارابات حيث يمكن ان يقوم الجيش الاحمر بعملياته الربيعية ، وأصيب الألمان مرة اخرى بخيبة امل نظرا لوقوع مفاجأة غير منتظرة ، واصبح موقفهم اكسسر حرجا عندما رفض هتلر الانسحاب ، ميلا وراء الجبهة ، ولو تم مثل هسسذا الانسحاب في الوقت الملائم لسقط الهجوم الروسي في الفراغ .

وعندما تم اختراق الجبهة الالمانية ازدادت سرعة تقدم الرؤس فجأة ، وسقطت فيتبيسك في اليوم الرابع نتيجة لهجومين متلاقيين قامت بهما مجموعتا جيوش باغراميان وتشرنياكو فسكي اللتان اخترقتا جبهة الجيش الالماني المدرع الثالث . وتم بذلك فتح طريق التقدم نحو الجنوب على طريق مينسك ـ موسكو وعلسى مؤخرات الجيش الالماني الرابع ، الذي اوقف صدمة الهجوم الروسي على جبهته بان انسحب حتى خط الدنييس . وفي ذلك الوقت قامت مجموعـــة جيوش روكوزو فسكي بضربة على المجنبة الثانية للجيب الالماني واخترفتها ، شمالــي مستنقعات بريبيت ، وقامت بوثبة عمقها . ٢ ميلا ، ثم قطعت مواصلات الالمان وراء مدينة مينسك وعزلت المدينة التي سقطت في ٤ يوليو (تموز) .

وادت الضربات غير المباشرة المتعددة الى انهيار الدفاع الالماني ، واخسله الروس عددا من الاسرى الالمان يفوق ما اسروه خلال هجماتهم الماضية . تسم تناقص عدد الاسرى بعد الاسبوع الاول رغم عدم تناقص معدل الزحف . ويدل هذا على مهارة الجنرالات الالمان في انقاذ وحداتهم عندما اضطر هتلر تحت ضغط الاحداث الى قبول فكرة القيام بانسحاب كبير لا مناص منه . وتدل سرعسة ومسافة الانسحاب ، والعدد الكبير من المدن الهامة التي تركها الالمان دون مقاومة على مهارة الجنرالات الروس الذين عرفوا كيف يضعفون مقاومة العدو بمجموعة من عمليات الهجوم غير المباشر .

وتدل دراسة سير العمليات كيف كانت عمليات التقدم الروسية تهدد بصورة متناوبة هده المدينة او تلك ، ثم تتركهما وتخترق الدفاع الضعيف في التغسرة الواقعة بينهما ، وتتوغل بعد ذلك بعمق على مؤخرتهما مما يؤدي الى اخلائهما . ومن الجدير بالذكر ان الزحفين الروسيين الرئيسيين أصيبا بأول فشل هام عندما حاولا التلاقي عند فارسوفيا ثم اينسشيربورغ لأن هجومهما كان مباشرا .

وفي اقل من ١٥ يوما أستطاع الجيش الاحمر طرد العدو من روسيا البيضاء واحنل حتى منتصف يوليو (تموز) اكثر من نصف بولونيا الشمالية الشرقية ، واقترب من بريست ليتوفسك وبياليستوك وحاصر فيلنا ، ثم اجتاز نهر نييمن واقترب من حدود بروسيا الشرقية ، وتقدمت الموجة الزاحفة وتجاوزت اكثر من واقترب ميل مجنبة مجموعة جيوش ليندمان التي كانت تغطي حتى ذلك الحين دول البلطيق على جبهة تمتد بين نارفا وبسكوف ووضعتها في موقف غير ملائم ،

وفي ١٤ يُوليو (تموز) أنطلق الهجوم الروسي جنوبٌ مستنقعات بريبيت على

الجبهة الواقعة بين كوفيل وتيرنوبول حيث بدا الالمان في الانسحاب . وفيي خلال ١٠ ايام وصل الروس الى مدينتي لفوف ولوبلن على بعد ١٠٠ ميل السي المجنوب الشرقي من فارسوفيا ، وسقطت حصون برزيمينسل وبريست ليتوفسك وبياليستوك خلال الاسبوع نفسه . وتجاوز التقدم الروسي على المجنبة الشمالية مدينة دفينسك ثم اتجه نحو ساحل البلطيق وراء مدينة ريفا وهدد بعزل قوات ليندمان الذي كان بطيئا في قتاله التراجعي . وفي نهاية يوليو (تموز) وصلل الروس الى خليج ريغا بينما كانت قواتهم في مركز الدائرة تدخل ضواحيي فارسوفيا .

واظهرت الحوادث ان الالمان بداوا يفيقون من الصدمة ويعملون لاستعسادة السيطرة على الموقف بعد ان جعلهم الانسحاب في مأمن من الخطر المباشر ، اي بعد ان وصلوا الى خط يتعذر على مطارديهم التقدم اليه دون الانقطاع عن موارد تموينهم . وبدأ القانون الطبيعي للامتداد الاستراتيجي الزائسد في التدخل ، واصبح من الواضح ان الالمان قادرون على احباط التقدم الروسي وان على الروس قبل ان يستأنفوا هجومهم اضاعة وقت كبير لاعادة تجهيز مواصلاتهم في الاراضي الواسعة التى استولوا عليها .

وفي بداية شهر اغسطس (آب) فتحت الهجمات الالمانية في الشمال من جديد خط التراجع امام الروس الذبن اضطروا الى اخلاء فارسوفيا . وبدا الالمسان اقوياء لدرجة مكنتهم من اخماد الثورة البولونية التي كانت قد اندلعت عندمسا اقترب الروس من العاصمة . وفي جنوب فارسوفيا نجع الروس في اقامسة راس جسر عبر نهر الفيستولا ثم اضطروا للتوقف طوال شهر اغسطس .

ثم قطعت هذه الاستراحة المؤقتة بمناورة روسية جديدة في الجنوب على الجبهة الرومانية ، ومع ابتداء هذه العملية اعلنت رومانيا في ٢٣ اغسطس (آب) أنها مستعدة لعقد الصلح ، وفتح ذلك الطريق امام تقدم روسي سريع وراء جاسي ادى الى تطويق القوات الالمانية التي اصبحت معرضة لتهديد شديد في البروز الساحلي شرقي بروت ، ثم تابع الروس تقدمهم خلف الالمان واحتلوا غالاتس وفوكساني في ٢٧ أغسطس (آب) كما احتلوا حقول النفط في بلوئيستي في ٣٠ أغسطس ودخلوا بوخارست في اليوم التالي ، وبهذا تقدمت الدبابات الروسية اغسطس ودخلوا بوخارست في اليوم التالي ، وبهذا تقدمت الدبابات الروسية عيد ٢٥٠ ميلا خلال ١٢ يوما .

ثم اتجهت الجيوش الروسية نحو الشمال والفرب والجنوب واجتازت الالب ووصلت الى المجر وحدود يوغوسلافيا بمناورة تهدف الى منع انسحاب الفسرق الالمانية الموجودة في اليونان ، ثم اندفعت نحو الجنوب واخترقت بلغاريا التسي اعلنت الحكومة السوفييتية عليها الحرب .

في ايطاليا :

لم يتبع سقوط روما انهيار القوات الالمانية بسرعة كما كان متوقعا واستطاع

كسيلرينغ انقاذ جيوشه من الوضع الرهيب الذي كانت فيه ، وقاد الانسحاب بيد ماهرة ، وحمل الحلفاء المتقدمين نحو الشمال سلسلة من ألهزائم . ومرت سبعة اسابيع قبل ان يتمكن الحلفاء من الوصول الى ضواحي بيزا وفلورانسة على بعد ١٦٠ ميلا شمالي روما . ثم مرت ٣ اسابيع قبل ان يخلي كسيلرينغ فلورانسة وينسحب الى موضعه الدفاعي ألرئيسي في الجبال على الخطر الفوطي .

وقدر الجنرال الكسندر طبيعة هذا الحاجز الهام فقام بمناورة جديدة علي الجناح ونقل مركز ثقل الجيش الثامن من جديد الى جناح الادرياتيكي ، تسم هاجم في نهاية اغسطس (آب) القطاع الساحلي في اقصى دفاع العدو قرب بيزارو واخترقه اثناء زحفه في اتجاه ريميني .

ولكن كسيلرينغ أحبط الهجوم وأغلق الباب ، وأضطر الكسندر إلى العودة الى طريقة تهدف إلى أعادة فتحه بهجمات متعاقبة ، وفتحت له هجماته فين النهاية طريقا نحو أقصى الشرق لوادي نهر بو ، ولكن المنطقة كانت مغطاة بكروم العنب ، والارض طينية تنقلب إلى ميدان من الوحل أذا سقطت الإمطار عليه العبث لا تسمح بالقيام بعمليات سريعة لاستغلال الثغرة المفتوحة ، وجاء مطريف الخريف ليخفف الضغط عن الوحدات الالمائية المنهكة المعرضة للانهيار ، وبدات مرحلة هدوء جديدة استمرت حتى الربيع .

ثم سحب الكسندر جانبا من قواته للقيام بهجوم جنوبي فرنسا في شهسسر أغسطس (آب) . وكانت هذه عملية مشاغلة لمصلحة المعركة الرئيسية الدائرة في شمال فرنسا ، ولكنها لم تقدم لها كبير مساعدة ، لان نتيجة المعركة الاساسية ظهرت قبل بدء العمليات في الجنوب بـ ١٥ يوما . وعلاوة على ذلك فانها حرمت الكسندر من الامكانيات التي تؤمن له التفوق الضروري لانهاء معركة الطاليا بشكل حاسم . ولكن هذه المساوىء انقلبت كلها الى فوائد عندما هاجم الكسندر فيسى الخريف بامكانيات ضعيفة وقام بمعارك غير حاسمة لم تستطع ارغام الالمان على التفكير في الانسحاب نحو جبال الالب في ظروف جوية ملائمة للوقوف عليي مواضع أقوى . وفي بداية عام ١٩٤٥ سحبت من كيسلرينغ ٤ فرق لارسالهــــا الى الجبهة الغربية . ومع ذلك أصر هتلر على منع أي السحاب فوري نحو جبال الالب رغم تناقص امكانيات قواته باستمراد . وفي الخريف كان الالمان في حاجة الى طائرات ومدرعات ووسائل نقل ووقود وكل ما هو ضروري للانسحاب السريع نحو جبال الالب ، فلما قام الحلفاء بالهجوم في ابريل (نيسان) استطاعوا اختراق الجبهة الالمانية الضعيفة ، والدفعوا بسرعة نحو مؤخرات العدو ، وتمركزوا هناك لسد المنافذ عليه مما أدى الى تفتت القوات الالمانية وانتشار الفوضى فيها . ولو كانوا قد انسحبوا منذ البداية ولم يفرهم ضعف هجوم الكسندر على البقاء في أماكنهم لنجوا من الكارثة . وكان هذا النصر خاتمة الجهود المستمرة التي بذلها الحلفاء في ابطاليا .

اختراق جبهة نورماندي :

شهدت ربوع نورماندي في شهر يوليو (تموز) معارك ضاربة قليلة النتائج ، كثيرة الخسائر . ولم يكن الالمان قادرين على تحمل الخسائر كالحلفاء الذيـــن تتزايد قواتهم بنجدات مستمرة . وفي ٢٣ يوليو بدأ الجيش الامريكي الذي تجمع بعد احتلال شيربور في التقدم نحو الجنوب في اتجاه قاعدة شبه جزيرة كوتانتان، وكان تقدمه بطيئًا بسبب ضيق مجال المناورة . وفي ٨ يوليو دخــــل الجيش البريطاني الثاني بقيادة الجنرال دميسي مدينة كان ثم توقف عندما حاول عبور نهر أورن بسبب سلسلة من الهجمات الجانبية ، وفي ١٨ يوليو تمت عمليسة جريئة بقوات مؤلفة من ٣ فرق مدرعة تزحف كل منها وراء الاخرى . وانطلقت من قاعدة انطلاقها في الشمال الشرقي من كان ودخلت في الثفرة الضيقة التي فتحها قصف جوي رهيب على جبهة عرضها ثلاثة أميال ، واخترقت الخطـوط الدفاعية وراء كان ، ووسعت الثفرة ولكن معدل التقدم كان بطيئا بسبب تردد القادة الصغار وعدم قيامهم بعمليات التفاف بتحاشون خلالها القرى التى يحتلها الالمان الذين اظهروا مهارة وسرعة في عمل ستارة من الدبابات والمدافع المضادة للدبابات في طريق المهاجمين . وبعد ضياع هذه الفرصة حققت بعض الهجمسات الكندية والانكليزية نجاحا بسيطا ولكنها ساعدت على جذب انتباه العدو وتثبيت افضل وحداته في قطاع كان الى ان وصلت الى القطاع سبع فرق المانية مدرعة من اصل الفرق التسلع التي يملكها الالمان .

وفي الطرف الغربي لرأس الجسر في نورماندي قدمت قوات برادلي الامريكية جبهتها من ٥ أميال الى ٨ خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من يوليو (تموز) ٠ وفي هذا الوقت نقل الجيش الثالث الامريكي بقيادة الجنرال باتون من انكلترة السي نورماندي للقيام بعملية هامة بدأت في ٢٥ يوليو بست فرق زحفت على جبهسة عرضها أربعة أميال ، وسبقها قصف جوي أشد من القصف الذي سبق العملية السابقة . وقد امتلأت الارض من جراء هذا القصف بالحفر للرجة ساعسسات المدافعين المبعثرين على أبقاف التقدم الامريكي . وفي خلال يومين تقدمت هسله الفرق خمسة أميال فقط ، ثم وسعت الثغرة وزادت سرعة التقدم في أتجساه الجنوب الغربي لشبه الجزيرة . ولقد تم الاختراق الحاسم في ٣١ يوليو (تموز)، واستطاع عمدئد الجيش البريطاني الثاني الانتقال من شرق نهر أورن الى القطاع واستطاع عمدئد الجيش البريطاني الثاني الانتقال من شرق نهر أورن الى القطاع يسحب ما يستطيع سحبه من القوات من كان لتقوية هذه المنطقسسة المهددة ، واستفل الامريكيون هذه الفرصة وفتحوا الباب في أفرانش قرب الشاطىء الغربي لشسه جزيرة شيرور .

واند فعت دبابات باتون في الثفرة متجهة نحو الجنوب ثم نحو الغرب واحتلت بسرعة القسم الاكبر من مقاطعة بروتانيا ، ثم دارت نحو الشرق وطهرت المنطقة الشمالي نهر اللوار في اتجاه مدينتي لومان وشارتر ، وأصبح عرض الجبهة ٤٠٠

ميل بعد أن كان ٧٠ ميلاً ، وأصبح حقل العمليات كبيرا لدرجة عُجز معها العدو عن مواجهة تقدم الحلفاء الذي أخذ يتجاوز مفترقات الطرق المحروسة جيسدا ويلتف حولها .

وكان هناك خطر يهدد هذا الزحف الجارف ، وهو قدرة العدو على القيسام بهجوم مضاد على نقطة الاختناق في أفرانش التي يمر منها تموين الحلفاء ، وهذا هو ما فعله الالمان بناء على اصرار هتلر ، وانطلق الهجوم المضاد في ٦ أغسطس (آب) واشتركت فيه اربع فرق مدرعة تقدمت نحو الغرب . وجاء الهجوم مباشرا جدا كصدمة على درع الوقاية الذي وضعه الامريكيون . ولما تم صد الهجسوم الالماني المضاد تدخل الطيران بسرعة وساعد على أبادته نهائياً . وأدى هذا الفشل الى نتائج وخيمة بالنسبة للالمان لانه جذب مركز ثقلهم الى الغرب في اللحظــة التي توغلت فيها المدرعات الامريكية نحو الشرق في اتجاه مؤخراتها ، واستدار المجناح الايسر الامريكي نحو الشمال متوجها الى ارجانتان بقصد القيام بمناورة كماشة بالتعاون مع الجيش الكندي الاول الذي زحف من كان باتجاه فاليز . ولم يلتق فكا الكماشة في الوقت الملائم لحصر الجيشين الالمانيين المطوقين ، ومع ذلك استسلم ٥٠ الف الماني وقتل ١٠ آلاف ومنيت الفرق المنسحية بحسائر كبيرة ، واصبحت حالة معداتها الآلية اسوا من وضع رجالها بسبب القصف الجسوي المستمر . وكان لخسائر الالمان في جيب فاليز تأثير كبير عليهم لانها حرمتهم من الامكانيات اللازمة للمناورة ، وجعلتهم عاجزين عن منع الحلفاء من متابعة التقدم نحو الشرق في اتجاه السين وما بعده .

وغدا موقف الالمان حرجا ، وتعرضت مجنباتهم للالتفاف ومؤخراتهم للتهديد عدة مرات بسبب حركة دبابات الجنرال باتون التي تعمل على جناح الحلفساء الايمن ، والتي كانت تتجاهل المقاومة التي تصادفها وتتجاوزها وتلتف حولها مما زاد من سرعة تقدمها وسمح لها بالقيام بتطويق استراتيجي دائم لمجموعة الجيوش الالمانية .

وكانت السرعة واتساع المدى مفتاحا مزدوجا فتحت به الجيوش الحليفة ابواب الفرب ، ونجحت المناورة في كل مكان فشل فيه الهجوم المباشر . وما أن تم الحصول على ميدان مناورة واسعة حتى اصبح الحلفاء قادرين على استغلال المكانياتهم الهائلة . وتدل مناورة التطويق الكبيرة ونتائجها السريعة التي ادت الى انهيار موقف الالمان العام في فرنسا الى انه لم يكن هناك داع لنزول القسوات الفرنسية الامريكية بقيادة الجنرال باتش على سواحل فرنسا الجنوبيسة يوم ١٠ اغسطس . لان الالمان كانوا قد سحبوا من الريفييرا جميع قواتهم باستثناء اربع فرق ضعيفة . وكان التقدم داخل البلاد في وادي نهر الرون يلاقي صعوبسات تموينية اكثر من الصعوبات التكتيكية . وسقطت مرسيليا في ٢٣ اغسطس (آب) كما سقطت باريس في ٢٥ اغسطس . وفي هذا الوقت كان جيش الجنسرال باتون يندفع نحو الملان في الشمال الشرقي من باريس .

وقام الجيش الثاني البريطاني بعمل هام عندما استثمر النصر وعبر نهر السين شرقي روان وأوقع في الفخ بقايا الجيش الالماني السابع الذي كان يقاوم حتى ذلك الحين غربي روان . واستطاع جانب كبير من قوات العدو الانسحاب في الوقت اللائم الى ما وراء النهر ليجد المدرعات الحليفة وقد قطعت عليه الطريق مسسن الخلف . ووصلت رؤوس قوات الجنرال ديميسي الى أميان في صبيحة يوم ٣١ اغسطس يعد أن زحفت ٧٠ ميلا في يومين وليلة ابتداء من نهر السين ، وعبرت نهر السوم وتجاوزت مدينتي آراس وليل بسرعة ووصلت الى الحدود البلجيكية عند مؤخرة الجيش الالماني الخامس عشر المتمركز على شواطىء بادوكاليه . كما وصل الجيش الامريكي الاول بقيادة هودج الى الحدود البلجيكية ، وفي أقصى الشرق كان جيش باتون يتقدم بسرعة عبر مقاطعة شمبانيا وما وراء فردان حتى بالتناقص نظرا لصعوبة التموين حتى اضطرت طلائع قواته الى النوقف لنقسص البنزين وهي في ذروة امكانياتها الاستراتيجية ، ولم تكن تبعد حينئذ عن نهر الرين بأكثر من ٨٠ ميلا . ولما تلقت كمية كافية من الوقود لمتابعة التقدم وجدت مقاومة العدو قد ازدادت . لقد أدت عملية باتون الى نتيجة حاسمة في فرنساً ولكن نقص التموين منعها من القيام بمعركة المانيا بمثل هذا الشكـــل الواسع . وتأكدت صحة قانون الامتداد الاستراتيجي عندما فرض علسيني المتقدمين فترة توقف معينة .

وفي بداية شهر سبتمبر (ايلول) ازدادت سرعة التقدم على الجناح الايسر للالمان وبدت الفرصة ملائمة لتحقيق نصر سريع ودخلت الوحدات المدرعة الانكليزية بروكسل في ٣ سبتمبر وانفرس في ٤ سبتمبر ثم دخلت هولندا ، وعسسزل مونتجمري بهذه المناورة الواسعة الوحدات الالمانية المتبقية في نورماندي وفسي بادوكاليه ٤ وهي الوحدات التي كانت تشكل القوة الاساسية للالمان في الفرب ، واحتل الجيش الامريكي الاول نامور وعبر نهر الموز .

في هذه المرحلة الحرجة سلمت قيادة الجيوش الالمانية في الجبهة الفربيسة للجنرال موديل الذي اكتسب شهرته في روسيا على «توفير القوات الاحتياطية في كل زمان ومكان» . ونجح الالمان رغم ضعفهم وخسارة نصف مليون اسير في فرنسة من اطالة الحرب ٨ شهور .

وقد ساعدهم على التماسك واستعادة قواهم صعوبات التعوين التي عاناها الحلفاء الذين اضطروا الى القيام بهجومهم في تشكيلات خفيفة ، يمكن تحطيمها بسهولة بواسطة دفاع غير منظم ، ولكنه قادر مع ذلك على عرقلة خطط الحلفاء. وترجع الصعوبات الادارية الى امتداد زحف الحلفاء من جهة والى استراتيجية الالمان الذين كانوا يتركون حاميات خلفهم تمنع استخدام المواتىء الفرنسية الهامة. لم تكن قوافل الحلفاء قبل اختراق الخطوط الالمانية تسير اكثر من ٢٠ ميلا

طائرات الحلفاء قبل شروعهم في الهجوم .

وفي منتصف شهر سبتمبر (ايلول) قام الحلفاء بمحاولة جريئة لتدمسير الدفاع الالماني العنيد ، فأنزلوا ثلاث فرق محمولة جوا وراء مجنبة العدو اليمنى في هولندا بقصد فتح الطريق امام هجوم جديد يقوم به الجيش البريطاني الثاني في منطقة حوض الربن السفلي وما وراءها . والقيت الوحدات المحمولة جوا في موجات متعاقبة فاحتلت راس جسر يشمل نقاط هامة للمواصلات تعتسسرض الطريق . وامكن المحافظة على ثلاث نقاط بينما فشلت عمليات الاستيلاء على النقطة الرابعة بسبب تردد الحلفاء وسرعة تصرف الالمان .

وادى هذا الفشل الى التضحية بالفرقة الاولى المحمولة جوا في آدنيم ولكن الالتفاف حول خطوط دفاع الرين كان هدفا استراتيجيا هاما كما أكد فائدة الجرأة في القاء وحدات محمولة جوا بعيدا وراء الجبهة وتمركزت الفرقية الاولى المحمولة جوا في مواقعها المنعزلة خلال ١٠ ايام بدلا من يومين كما كسان مقررا كحد اقصى الهمتها الدفاعية . ثم ضاعت فرصة النجاح لان الحلفاء اختاروا مناطق الانزال الاربعة متسلسلة في خط مستقيم يكشف بشكل واضح محسور هجوم الجيش الثاني .

وسهئل وضوح الهدف المعضلة امام العدو الذي استطاع تجميع كل قواتمه الاحتياطية وسحق الوحدات البريطانية المحمولة جوا قبل ان تستطيع عناصر المقدمة في الجيش الثاني الوصول اليها وتبديلها . وساعدت طبيعت الارض الهولندية وقنواتها الكثيرة الدفاع الالماني على صد الهجوم البريطاني ، وعرقلت مناورات الحلفاء وحركاتهم غير المباشرة .

معركة الرين:

بعد فشل مشروع غزو آرنيم ضاع الامل في امكان تحقيق نجاح حاسم سريع، واضطر الحلفاء الى اعادة تنظيم امكانياتهم على طول الجبهة الالمانية لاعداد هجوم كثيف . ثم تم التقدم الامريكي على اكس لاشابيل بشكل مباشر جدا ففشسل فاضطر الى التوقف .

ولم تؤد محاولات جيوش الحلفاء في سبتمبر واكتوبر (ايلول ـ تشرين اول) على بقية الجبهة الفربية الا الى نتأئج ضعيفة ، وجمع الالمان قواهم ونظمـــوا صفو فهم على طول الحدود بسرعة تفوق سرعة تنظيم الحلفاء دغم تفوق الحلفاء الكبير بالعتاد . وفي منتصف نوفمبر (تشرين ثاني) قامت جيوش الحلفاء فــي الجبهة الفربية بهجوم عام كثير التكاليف دون فائدة ، وأضعفت الجهود المتتالية وحدات الهجوم بشكل ملحوظ .

وبدت اختلافات في وجهات النظر بين الجنرالات الانكليز والامريكيين حول

المخطط الرئيسي لهذا الهجوم ، وكان الانكليز يرغبون في القيام بعملية مركزة كثيفة ، بينما يريد الامريكيون جس نبض الدفاع الالماني على جبهة عريضة جدا، وبعد فشل الهجوم انتقد البريطانيون المخطط بسبب بعثرته للجهود ، ولكسسن التحليل الدقيق يبين ان فشل المخطط يرجع الى فقدان عناصر المفاجأة فيه ، لقد كان الهجوم واسع النطاق نظرا لتوزيع المهام بين عدة جيوش ولكنه كان مركزا في قطاع كل جيش من هذه الجيوش ، وكانت محاور الهجوم منطبقة مع المحاور الني يتوقعها العدو والتي تؤدي مباشرة الى قلب المانيا ، علاوة على انها نغذت على ارض مستوية يمكن اغراقها بكل سهولة في الشتاء .

وفي منتصف ديسمبر (كانون اول) وجه الالمان ضربة قوية لجيوش الحلفاء عندما قاموا بهجوم مضاد ، واستطاعوا وقف هجوم الحلفاء دون ان يزجوا في هذه العملية بقواتهم الآلية ، وضاعت الفرصة امام الامريكيين لاختراق الجبهة ، وأصبح خطر العمليات الالمانية مؤكدا خاصة بعد ان جهزوا فرقهم ، المدرعسسة بدبابات جديدة .

ان أفضل لحظة للقيام بهجوم مضاد هي عندما يكون العدو المهاجم قد زج كل المكانياته في المعركة دون أن يصل الى هدفه . ففي هذه اللحظة تتأثر وحداته من كل عمل يزيد مدة الجهد ، وتكون قيادته عاجزة عن صد أية مناورة مضادة خاصة اذا تمت في أتجاه غير متوقع .

اختارت القيادة الالمانية الارض الملائمة للهجوم المضاد بشكل يختلف عما فكر فيه الحلفاء ، فقد اختارت منطقة الآردين المتعرجة الوعرة الكثيرة الاشجار ، ولم يكن قادة الحلفاء التقليديون يعتبرون هذه المنطقة صالحة لعمليات على مستوى كبير . وكانت تسمح بإخفاء عمليات تجميع الامكانيات الكبيرة ، كما كانت الارض العالية الجافة تسمح للدبابات بالمناورة الامر الذي اعطى الالمان الامل في النجاح وكان الخطر الاكبر يتمثل في طيران الحلفاء القوي ، لذا انطلق هجوم الالمان عندما اعلنت الارصاد الجوية عن وجود غيوم منخفضة . ومنع الضباب والمطرفي الإيام الثلاثة الاولى طيران الحلفاء من التحليق ، وجاءت التطورات كلها لصالح في الايام الثلاثة الاولى طيران الحلفاء من التحليق ، وجاءت التطورات كلها لصالح ميزات وحاولوا القيام بعمل كبير بامكانيات محدودة . وكانوا يعرفون انهم يقومون ميزات وحاولوا القيام بعمل كبير بامكانيات محدودة . وكانوا يعرفون انهم يقومون المهاجمين الخامس والسادس معظم الدبابات المجمعة من هنا وهناك .

وكان الهجوم في الآردين صعبا ، لان الارض فيه تشقها وديان عميقة وتمر فيها الطرق عبر ممرات ضيقة يسهل قطعها ومنع تقدم المدرعات فيها . وكانت القيادة الالمانية قادرة على تلافي هذه المساوىء باستخدام وحسدات من المظليين لاحتلال الممرات ، ولكنها تجاهلت هذا السلاح الخاص الذي لم تعد تعتمد عليه منذ عمليات كريت في مارس (آذار) ١٩٤١ ، ولم تستخدم في هذه العملية الا مفارز صغيرة من المظليين .

كان الهدف من الهجوم المضاد بعيد المدى ويرمى الى اختراق صغوف الحلفاء

حتى انفرس بهجوم غير مباشر ، وعزل الجيوش البريطانية عن تعوينها وعسسن الامريكيين ، ثم سحق هذه المجموعة بعد تطويقها . وكان على الجيش الخامس المدرع بقيادة مانتوفل اختراق الجبهة الامريكية في الآردين والزحف نحو الغرب ثم الانحراف نحو الشمال بعد عبور نهر الموز والوصول الى انفرس . كما كسان عليه انشاء حاجز دفاعي على المجنبة اثناء تقدمه لمنع تدخل اي جيش امريكي يأتي من الجنوب . وكان على الجيش السادس المدرع الذي يقوده احد كبار ضباط الساعقة (س.س.) واسمه سيب ديتريك القيام بالهجوم في اتجاه التسمسال الغربي على محور مائل والتقدم الى انفرس ، وانشاء سد استراتيجي على مؤخرات الجيوش الانكليزية والامريكية الموجودة في اقصى الشمال .

وقد استفاد الهجوم الالماني المضاد من عامل المفاجأة ، وقام بتقدم خطير خلال الايام الاولى ، ونشر الفوضى والرعب بين صفوف الحلفاء . وكان الخرق الذي قام به الجيش الخامس المدرع عميقا ، ثم بدات مواد الوقود في التناقص بسبب تدخل طيران الحلفاء . ولم يصل الالمان الى نهر الموز رغم اقترابهم منه في عدة نقاط . ويعود هذا الفشل الى عناد القوات الامريكية التي كانت تقاوم بعسسل تطويقها وعزلها في مناطق مختلفة في الآردين ، كما يعود الى سرعة مونتجمري في تحريك قواته الاحتياطية نحو الجنوب ليمنع العدو من عبور الموز بعسد ان تولى القيادة في الجناح الشمالي .

وفي المرحلة التالية ، عندما جمع الحلفاء قواتهم وحاولوا قطع الجيب الكبير الذي فتحه الالمان في جبهتهم قام الالمان بانسحاب بارع سمح لهم بالتخلص مسن الفخ الذي نصب لهم . ويعتبر الالمان هجومهم المضاد هذا عملية حسنة رغسم فشلها في الوصول الى اهدافها ، لانها احبطت استعدادات الحلفاء وكبدتهسم خسائر فادحة بثمن قليل جدا خلال مختلف المراحل ، باستثناء المرحلة الاخسيرة التى اوقف فيها هتلر عملية الانسحاب .

ومع ذلك كانت هذه العملية قاضية بالنسبة للالمان ، لانها أجبرتهم علسى استهلاك وسائط تفوق امكانياتهم في تلك الظروف القاسية . ولقد حرمهم هذا التبذير من القدرة على تمديد مدة المقاومة أمام أي هجوم جديد للحلفاء . وأدركت الوحدات الالمانية أنها لم تعد قادرة منذ ذلك الوقت على قلب الموقف لصالحها .

الرحلة الاخيرة:

بقيت الجبهة الروسية الاساسية منذ أغسطس (آب) حتى نهاية العام ثابتة في وسط بولونيا .

بينما انطلقت جيوش الجناح الايسر الروسي في ذلك الوقت من رومانيسا وبلغاريا في اتجاه المجر ويوغوسلافيا ، وقامت بمناورة جانبية واسعة على على مستوى الاستراتيجية العليا (مع اهداف بعيدة) عسلاوة على كونها منسساورة استراتيجية ، وأبطأ من سرعة هذه العملية متاعب الادارة المحلية وقلة المواصلات في هذه المنطقة ، وأدى توسع هذه الحركة الدائرية بشكل طبيعي الى حركة التقاء استراتيجية نحو الهدف المسترك ، وأضطر الالمان الى زيادة امتداد جيوشهم لصد هذا التقدم المتجه نحو باب بلادهم الجانبي ، الامر الذي منعهم من التحكم في الجبهتين الشرقية والفربية كما ينبغي ،

وفي منتصف يناير (كانون ثاني) قامت جيوش كونييف بهجوم كبير علي على الجبهة الالمانية جنوبي بولونيا ابتداء من رأس جسر احتلته على نهر الفيستسولا قرب سان دومير . وبعد اختراق دفاع العدو وتهديد القطاع الاوسط من الجانب تقدمت جيوش جوكوف إلى الامام منطلقة من رؤوس الجسور القريبة مسن فارسوفيا . واجتاح الهجوم خلال الاسبوع الاول كل شيء امامه ووصل رغم ظروف القتال الصعبة في الشتاء الى مدى يعادل المدى الذي وصل اليه هجوم الصيف السابق خلال نفس المدة . واصبح تقدم الروس في معظم المناطق وراء الجبهة في بولونيا الغربية سهلا ، كما اصبح الدفاع صعبا امام الالمان . وكانت طبيعة الارض ملائمة لتقدم هجوم الوحدات المدرعة الروسية وخاصة اذا استثمرت امكانيات المناورة السهلة الواسعة .

واحتفظ الزحف الروسي خلال الاسبوع الثاني بمعدل سرعته ، وازداد عدد الاسرى الالمان ، وهذا يعني ان طلائع القوات المهاجمة الروسية استطاعت التفلب على محاولات القيادة الالمانية للقيام بانسحاب عام ناجح .

واجتازت جيوش كونييف المسافات الشاسعة بين كراكوفي ولودز ، وعبرت الحدود الغربية البولونية ودخلت ني سيليزيا . وسقطت كراكوفي ولودز في ١٩ يناير (كانون ثاني) وفي ٢٣ يناير وصل كونييف الى نهر الاودر على جبهة عرضها .} ميلا ، وعبرت قواته النهر في عدة نقاط . واحتل خلال هذا التقدم السريع المناطق الصناعية الهامة في سيليزيا العليا ، وقد اثر ذلك على الانتاج الحربسي الالماني . ولكن الالمان تجمعوا بعد ذلك بقوات كبيرة وراء نهر الاودر واستطاعوا إطاء عملية توسيع راس الجسر وراء النهر .

وتقدمت جيوش روكوزوفسكي على الجناح الايمن ابتداء من نهر ناريف في الشمال الشرقي لفارسوفيا ، ووجهت ضربة قوية ضد بروسيل الشرقية ، واخترقت حدودها في طرفها الغربي ووصلت الى البلطيق في ٢٦ يناير غربسي دانريغ ، وتم عزل معظم القوات الالمانية في بروسيا الشرقية .

وفي ذلك الوقت اندفع جوكوف الذي كان في مركز الجيوش الروسية في التجاه الشمال الغربي ، وعبر الحدود في ٢٩ يناير (كانون ثاني) ، ثم تقدم في اتجاه نهر الاودر ، وكان هدفه الطبيعي برلين الواقعة على بعد ،ه ميلا من نهر الأودر ، وتزايدت المقاومة امامه ، ووصلت دباباته الى قرب نهر كوسترين في ٣١ يناير (كانون ثاني) ولكنه لم يعبره على جبهة عريضة الا بعد فترة من الوقت ، وبعد عدة محاولات للعبود .

عندما كان الروس يقاتلون على نهر الأودر قامت جيوش ايزنهاور بهجوم كبير

جديد بدأ في مطلع شهر فبراير (شباط) وحاول تطويق الجيوش الالمانية غربسي الرين ، وتدميرها قبل أن تنسحب إلى ما وراء النهر . ودفع في باديء الامسر بالجيش الاول الانكلو ـ كندى على الجناح الايسر ، فزحف مع الضفة الغربية للنهر ليأخذ من الجانب القوات الالمانية المدافعة امام الجيشين الامريكيين الاول والتاسع غربي كواونيا . ولكن الهجوم الالماني المضاد في الآردين أخر تقدم الحلفاء فلم يتابعوا تقدمهم الا بعد ذوبان الثلوج . وساعد هذا التأخير المقاومة الالمانية التي واجهت الموقف الحرج بأن فتحت سدود نهر الرور ، وأخرت الهجـــوم الامريكي الذي لم يستطع عبور هذا الحاجز المائي الا بعد حوالي ١٥ يوما ، وقد ُ صادف خلال ذلك مقاومة قوية . ولم يدخل الامريكيون كولونيا الا في ٥ مارس (آذار) وكسب الالمان بذلك الوقت اللازم لسحبوحداتهم المنهكة الى ما وراء الرين. وأتاح ضعف جناح الالمان الايسر الفرصة الملائمية للجيشين الامريكيين الاول والثالث فاخترقت ميمنة الجيش الاول خط الرين في بون ، واحتلت وحسلة امريكية جسرا سليما في ريماغن ، ولم يستغل ايزنهاور فورا هذه الثغرة غيير المتوقعة التي كان يستطيع استخدامها في نقل قواته وتعديل مخططاته للمرحلة التالية الحاسمة . وادى تهديد ريماغن الى تثبيت القوات الاحتياطية الالمانيــة الصغيرة في اماكنها . اما الجيش الامريكي الثالث فقد حصل على نجاح اكبر عندما اخترق الخطوط الالمانية في ايفيل ، واندفعت الفرقة الرابعة المدرعـــة المشكلة لرأس الحربة بكل سرعة نحو الرين في كوبلانس ، ثم وجه باتون قواته نحو الجنوب فدخلت منطقة بالاتينا وراء حوض الموزيل السفلي ، واجتاحت ضفة نهر الرين الغربية على مؤخرات القوات الالمانية الصامدة امام الجيش السابيع فعزلتها عن نهر الرين ، واخذت عددا كبيرا من الاسرى ، وأمنت لنفسها بدون مقاومة عبور الربن عندما استدارت نحو الشرق . وتم العبور في ليلة ٢٢ بين مايانس ووورمس ، ثم أعقب هذا العبور استثمار النصر بالقيام بزحف عميق في بافاريا الشمالية . وطوقت هذه الحركة كافة الجبهة الالمانية ، وحرمت العدو من امكان القيام بالسحاب عام نحو الاماكن الحصينة التي يمكن ان يجدها في الجبال الجنوبية .

وفي ليلة ٢٣ زحف مونتجمري على الرين قرب الحدود الهولندية ، وتسم عبور النهر الكبير في اربع نقاط خلال الليل ، وفي الصباح أنزلت فرقتسان محمولتان جوا وراء النهر بقصد تدمير القوات الالمانية التي كانت تقاوم لمحاولة منع توسيع رأس الجسر ، وبدأت المقاومة الالمانية تتحطم في كل مكان ، ومهد ذلك الى حدوث الانهيار العام ،

ولم تأت النهاية رغم هذه الظروف كلها الا بعد شهر . ويرجع هذا التأخير الى مشاكل التموين التي تعرض لها الحلفاء ، والتي كانت تزداد كلما تقدموا وراء نهر الرين . لاسيما وأن عمليات القصف التي قام بها طيرانهم ملأت الطرق بكتل كبيرة من الانقاض . يضاف الى هذا الظروف السياسية المعقدة التي كسيان يواجهها الحلفاء .

وتناقصت حبهة الالمان الكبرة تحت تأثير الضغط الموجه من كسل جانب ، والناجم عن مناورات تلتقي في المركز ، وكان على القوات الالمانية ان تتحمــل خسائر كبيرة لتطبق الدفاع الصلب الذي كان هتلر يصر على القيام به متناقضا تناقضا كبرا مع الطرق الهجومية المرنة البارعية التي استخدمها قبل أن تسكره النجاح الى قدرتهم العجيبة على المقاومة ، كما يعود الى شروط الحلفاء غسير المعقولة التي تتضمن المطالبة باستسلام مهين دون قيد أو شرط . ويمكن اعتبار هذه الشروط هجوما مباشرا جدا على مستوى الاستراتيجية العليا . وتدل هذه المقاومة الطويلة على قدرة الدفاع الحديث الكبيرة . وعندما كان الالمان يدافعون عن جبهة تتناسب مع امكانياتهم بشمكل معقول ، فانهم استطاعوا في كثير من الاحيان صد هجمات القوات المتفوقة على قواتهم بمعدل ٦ الى ١ أو ١٢ الى ١ احيانا . ولكن ضيق حقل العمليات هزمهم في النهاية ، ونستنتج من كل هذا ضرورة استخدام قوة الدفاع حتى خلال الهجوم . ولقد دمرت المانيا نفسهـــــا عندما ذهبت الى مكان بعيد ، ولولا ابتعادها عن قواعدها لوجد أعداؤها صعوبة اكبر في التغلب عليها . ولقد اعطى هجومها المباشر لتحقيق النصر حلا غير مباشر للحلفاء لتحقيق هذا الهدف ذاته . وأتاحت مناعيها وتوسعها الزائد الفرصـــة للحلفاء لكي بختصروا مدة الحرب .

القادويوالوات

اسس الاستراتيجية دالاستراتيجية العليا

الفصلالت اسع عشر

نظرية الاستراتيجية

يعرف كلوزفيتس الاستراتيجية في كتابه المشهور بأنها: «فن استخصدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب، اي ان الاستراتيجية تضع مخطط الحرب، وتحدد التطور المتوقع لمختلف المعارك التي تتألف منها الحرب، كما تحدد الاشتباكات التي ستقع في كل معركة».

ومن عيوب هذا التعريف انه يدخل هذه الفكرة في حقل السياسة او في اعلى مستوى لقيادة الحرب ، وهذه أمور تتعلق بمسؤولية الدولة لا بحدود عمل القادة العسكريين الذين تستخدمهم السلطة الحاكمة ليقوموا بادارة العمليسات وتنفيذها .

والعيب الآخر في هذا التعريف هو تحديده لمعنى «الاستراتيجية» فيما يتعلق باستخدام المعارك فقط ، اي تكريس كل الاعتبارات والامكانيات في الحسرب للبحث عن المعركة التي تحقق الحل الحاسم بقوة السلاح .

ولقد قدم مولتكه تعريفا اوضح وافضل للاستراتيجية اذ قال: «انها اجراء الملاءمة العملية للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد الى الهدف المطلوب».

ويحدد هذا التعريف مسؤولية القائد العام امام الدولة التي يخدمها ، وتبقى هذه المسؤولية ضمن حدود استخدام القوات المسلحة الموضوعة تحت تصرفه في

حقل المعليات المحدد لتحقيق مصالح السياسة العليا للحرب على افضل وجه على افضل وجه الفاذا وجد الوسائل التي تحت يديه غير كافية للمهمة المحددة له كان من حقد التنبيه لذلك ، فأن لم يؤخف وأيه بعين الاعتبار كان من حقه رفيض القيادة او الاستقالة ، دون أن يفرض على حكومته الوسائل التي يجب أن توضيع تحت تصرفه لان في ذلك خروجا على حدود اختصاصاته .

ومن جهة اخرى فان الحكومة هي التي تضع سياسة اللحوب ، وعليها أن تؤمن توافقها واتساقها خلال الحرب تجاه الظروف التي تظهر مخالفة لما كسان متوقعا ، ويعكنها ان تتدخل في استراتيجية معركة كيرى لا ياستيدال القائسة المسكري الذي فقدت تفتها به فحسب ، بل بتعديل الهدف المحدد فيتلام مسع ضرورات سياستها الحربية .

وليس للحكومة الحق في عرقلة عمل القائد العسكري بالتدخل في استخدام جهازه الحربي ، ولكن من والجبها تحديد طبيعة مهمته بكل دقة ووضوح . وهكذا ظليس هدف الاستراتيجية دائما مجرد القضاء على القوة العسكريسة المعادية . وتستطيع الحكومة انا وجدت ان عدوها يتمتع بتفوق عسكري عام أو محلي في مبدان من ميادين العمليات ، ان تقرر تنفيذ استراتيجية ذات هدف محدود .

ميدان من ميادين العمليات ، ان نظرر تنعيد استرابيبية دات ساما القسيدي وتستطيع الحكومة أيضا أن قصر على التريث حتى تتعدل نسبة القسيدي الصالحها يتدخل حليف جديد ، أو بنقل وسائط مأخوذة من حقل عمليات آخر ، ويمكنها تأخير الجهود المسكرية أو أيقافها فهائيا في انتظار نتيجة حاسمة لعمل اقتصادي أو بحري . كما يمكنها اعتبار تدمير القوة العسكرية عملا يغوق امكانياتها المادية أو لا يستحق الجهد الذي يبذل لاجله ، وأن الوصول إلى هدف سياستها الحربية ممكن باحتلال بعض الأراضي والاحتفاظ بها أو المساومة عليها خسسلال مغاوضات الصلح ، ولقد أثبتت الحقائق التاريخية صحة مثل هذه السياسة بعكس ما يعتقده العسكريون حتى الان ، أنها ليست سياسة ضعف كما يعتقد بعض دعاة الحرب ،

ان السبب العادي الذي يدعو الى استخدام استراتيجية ذات هدف محدود هو انتظار الانقلاب في ميزان القوى . ويتم الحصول على هذا الامر بانهاك وسائط العدو ، علما بأن وخزات الابر المتعاقبة تضعف العدو اكثر من الصدمات الكبيرة ذات النتائج غير الحاسمة . على ان يكون انهاك العدو خسلال هذه «الوخزات» اكبر من انهاك قواتنا . ويمكن الحصول على ذلك بتدمير تموين العدو باغارات او هجمات محلية تؤدي الى افناء بعض وسائطه او تكبيدها خسائر كبيرة ، ممسايد فعه الى القيام بهجمات غير مجدية ، ويجبره على اتخاذ وضع ممتد اكثر مما تتحمل قواته مع انهاك قدرته المادية والمعنوية .

ويوضح هذا التعريف مشكلة حرية القائد الذي يحدد استراتيجيته بنفسه ضمن حقل عملياته ، فاذا قررت الحكومة اتخاذ سياسة عليا على طريقة فابيوس، او ذات هدف محدود فان أعمال القائد العسكري التي تهدف الى تدمير قسدرة

العدو الحربية في نطاق حدوده الاستراتيجية يمكن ان تؤدي الى الاضرار بسياسة حكومته دون كسب فوائد تذكر . وهكذا فسياسة الحرب ذات الهدف المحدود تفرض استراتيجية محدودة الهدف . ولا يجب البحث عن الهدف الحاسم الا بعد موافقة الحكومة التي تقرر وحدها ما اذا كان الامر يستحق المخاطرة .

ويمكننا الان اعطاء تعريف مختصر للاستراتيجية بقولنا : «هي فن توزيسع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسسسة» . اذ ان الاستراتيجية لا تعتمد على حركات الجيوش فحسب ولكنها تعتمد ايضا علسى نتائج هذه الحركات . وعندما يؤدي استخدام واسطة الحرب الى معركة حقيقية فان الاستعدادات التي تتخذ لاعداد مثل هذا العمل وتنفيذه تشكل ما يسمسى «التكتيك» . ويمكن الفصل بين الاستراتيجية والتكتيك نظريا اثناء الحديث بينما بعدر ذلك في الامثلة العملية نظرا لتشابكهما وتأثير كل واحد منهما على الآخر .

الاستراتيجية العليا:

اذا كان التكتيك هو تطبيق الاستراتيجية على مستوى ادنى ، فىلاستراتيجية نفسها هي تطبيق الاستراتيجية العليا على مستوى ادنى ، ومسالاستراتيجية العليا سوى السياسة التي تقود سير الحرب ، ويمكن التفرقة بينها وبين السياسة الاساسية التي تحدد هدف الحرب، ويستخدم تعبير الاستراتيجية العليا لشرح فكرة «السياسة خلال التنفيذ» وايضاح أن دورها الحقيقي هو توجيه وتنسيق كل امكانيات البلاد أو أعضاء الحلف بغية الحصسول على الهسسدف السياسي للحرب ،

ان على الاستراتيجية العليا ان تقدر وتضاعف الامكانيات الاقتصادية والقدرة البشرية بقصد دعم الوحدات المقاتلة ، علاوة على دعم القوى المعنوية . لان اهمية تقوية ارادة الرجال وشخصيتهم تعادل اهمية الحصول على القسدرة المادية . والاستراتيجية العليا تتولى ايضا تنظيم وتوزيع الادوار والقوى بين مختلسف المرافق والصناعة . وعلينا ان ندرك علاوة على ذلك ان القدرة الحربية عامسل واحد من عوامل الاستراتيجية العليا التي يدخل في حسابها قوة الضغط المالي او السياسي او الدبلوماسي او التجاري او المعنوي ، وكلها عوامل هامة لاضعاف ارادة الخصم .

ان مدى الاستراتيجية محدود بالحرب ولكن الاستراتيجية العليا تنظر الى ما وراء الحرب ونحو السلم الذي سيعقبها . وليس عليها ان تكتفي بتحقيق التوافق بين مختلف وسائط الحرب فحسب ، انها عليها إن تنظم استخدامها بغية تلافي ما يؤذي السلم المقبل الذي يجب ان يكون ثابتا ويحقق حياة أفضل .

الاستراتيجية البحتة او العسكرية:

يمكننا الان بعد تحديد بعض المفاهيم رسم الخطَـــوط العربضة لفكــرة الاستراتيجية وعناصرها الحقيقية وقواعدها الخاصة .

يتوقف نجاح الاستراتيجية قبل كل شيء على التقدير السليم للوسيلسة والفاية وتحقيق تناسقهما . يجب أن تكون الغاية متناسبة مع كافة الامكانيات . يجب أن تكون الغاية وسيطة كطريق للوصول يجب أن تكون الامكانيات المستخدمة للوصول إلى كل غاية وسيطة كطريق للوصول الى الفاية النهائية متلائمة مع متطلبات وطبيعة هذه الغاية الوسيطة ، سواء أكانت احتلال هدف أو مشاركة في مخطط عام ، علما بأن كل زيادة ضارة كالنقص تماما،

ان المطابقة الدقيقة بين الهدف والوسيلة تحقق اقتصادا كبيرا في القوى . ولكن طبيعة وصفة الحرب غير الثابتين ، ونقص الدراسات العلمية تجعل اكبر العبقريات عاجزة عن تحقيق المطابقة المثلى . ويعتمد النجاح في النهاية على الاقتراب نسبيا من الحقيقة بالحساب والتوقع .

والحسابات في الاستراتيجية ابسط واصدق من حسابات التكتيسك ، لان العامل الاساسي المجهول في الحرب هو ارادة الانسان ، وتظهر هذه الارادة على حقيقتها امام الحواجز والمقاومات ومعظمها على المستوى التكتيكي ، وليس امام الاستراتيجية مقاومات تتغلب عليها سوى مقاومات الطبيعة ، وبهدف مخططها الى الاقلال من امكانيات المقاومة باستخدام عاملي الحركة والمفاجاة .

والحركة عمل يتعلق بحساب ظروف الزمن والمعطيات الطبوغرافية وقسدرة وسائط النقل . وتدخل المفاجأة في الحقل المعنوي ، وتتطلب حسابات اصعب من حسابات الحقل المادي ، وتتعلق بشروط مختلفة تؤثر على ارادة الخصسسم وتختلف في كل حالة من الحالات .

وتستطيع الاستراتيجية استخدام الحركة بدل المفاجأة وبالعكس ولكن كل عامل من هذين العاملين يؤثر على الآخر ، اذ تؤدي الحركة الى المفاجأة ، كما تعطى المفاجأة للحركة قوة دفع جديدة ، وتؤدي زيادة سرعة الحركة او تغييسير اتجاهها الى المفاجأة حتى لو لم تكن الحركة سرية ، ومن جهة اخرى تسهسل المفاجأة الطريق امام الحركة بعرقلة تدابير العدو المضادة ،

اما العلاقة بين الاستراتيجية والتكتيك فهي عبارة عن تشابك يصعب معه ايجاد الحدود بينهما اثناء التنفيذ . ومن الصعوبة بمكان تقدير لحظة انتهاء الحركة الاستراتيجية وابتداء الحركة التكتيكية ، اذ لا يختلف احدهما عن الآخر الا في المستوى . ويشمل التكتيك مدى المعركة ، ولا تقف الاستراتيجية على حدود هذا الحقل فحسب ، ولكنها تسعى الى اقلال المعارك اذا امكن ذلك .

هدف الاستراتيجية :

قد يعارض كل ما ذكرناه سابقا اولنك الذين يعتقدون خطأ بأن تدمير القوات

المسلحة المعادية هو الهدف الوحيد المعقول للحرب ، وأن المعركة هي هـــدق الاستراتيجية الاوحد ، وهم في الواقع متأثرون بحكمة كلوزفيتس القائلة «الدم ثمن النصر» . فحتى لو اعتبرنا معهم أن المعركة الحاسمة هي الهدف المتشود ، فأن هدف الاستراتيجية هو أعداد الظروف الملائمة للقيام بهذه المعركة لتكــون الخسائر أقل والنتائج أفضل .

وهكذا يمكن الحصول على التغوق الاستراتيجي بالوصول الى نتيجة حاسمة دون القيام بمعارك ضارية . ولقد قدم التاريخ كما راينا امثلة ادت فيها الاستراتيجية المطبقة في ظروف ملائمة الى نتائج حسنة . ولقد ذكرنا من هذه الامثلة معركة ليردا ليوليوس قيصر ، ومعركة بريستون لكرومويل ومعركة هولم لنابوليون ، وتطويق اللنبي لجيش الاتراك لنابوليون ، واحدث الامثلة هي عزل الالمان لجناح الحلفاء الايسر في بلجيكا وتطويقه بعد ان قام جودريان باختراق خطوط الحلفاء فجاة في سيدان .

وهناك حالات تم فيها تدمير القوات المسلحة المعادية بطريقة اقتصادية ، وذلك بتجريدها من سلاحها بعد استسلامها ، مما يدل على ان التدمير الذي ينادي به انصار كلوزفيتس غير ضروري للحصول على نتائج حاسمة او لبلوغ هدف الحرب. واذا لم ترغب دولة ما في احتلال دولة اخرى ، وكانت غايتها هي فقط اتخاذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على سلامتها ، فانها تستطيع الوصول الى هسده الغاية بابعاد الخطر وارغام العدو على التخلي عن مخططاته .

أن هزيمة بيليزير في مدينة صور بعد أن أطلق العنان لقواته الراغية فـــــى تحقيق نصر حاسم ، رغم أن الفرس كانوا قد تخلوا عن مشروعاتهم بشان غزوّ سوريا تعتبر مثالا وأضحا للجهود الضائعة والاخطار الاضافية التي ليس لها ممرر. كما تقدم طريقته التي صد بها غزوهم الاخير الخطير وطردهم من سورية مشهالا رائعا لكيفية الحصول على النصر والوصول الى الهدف الوطني بالاستراتيجيـة وحدها . ولقد ظهر العمل النفسي في هذه الحالة فعالا لدرجة احبرت العهدو على التخلى عن مخططه دون ان تكون هناك حاجة لبذل اي جهد مادي في معركة. ان الانتصارات المشابهة التي تتم دون اراقة دماء تعتبر شيئًا نادراً فــــى التاريخ ، ولكن ندرتها لا تقلل من قيمتها بل تزيدها . انها تسلط الاضواء على الامكانيات الكامنة في الاستراتيجية والاستراتيجية العليا ، وفي الحرب النفسية. والحكومة مسؤولة بطبيعة الحال عن الاستراتيجية العليك خلال الحرب ، وعليها اختيار الاستراتيجية التي تريدها للوصول الى التصار عسكري او من اي نوع آخر . وكما أن الوسائل العسكرية تعتبر شكلا واحدا من أشكال الوصول الى هدف الاستراتيجية العليا ، فإن المعركة هي أحدى الوسائل للوصول الــــ هدف الاستراتيجية . واذا كانت الظروف ملائمة اصبحت الوسائل العسكر بــة أسرع السبل للوصول الى النتيجة المرجوة ، ولكن من الحماقة استخدامها في الحالات الاخرى .

ولنفرض ان استراتيجيا عهد اليه بالعمل على تحقيق نصر عسكسري ، ان مسؤوليته تنحصر في محاولة الوصول الى هذا النصر في احسن الظروف للحصول على افضل النتائج ، ولن يكون هدفه الحقيقي البحث عن المعركة بل العمل على خلق وضع استراتيجي ملائم ان لم يؤد بنفسه الى النصر خلق وضعا ملائما لمعركة تأتي بعده لتنتزع هذا النصر ، ويمكننا ان نقول ان التفتيت هيو هدف الاستراتيجية ، ويترتب على ذلك تحطيم العدو بشكل اسهل خلال المعركة ، وقد يتطلب هذا التحطيم في بعض الحالات نشوب معارك واشتباكات ولكنها لا تكون ضارية ابدا .

الممل الاستراتيجي:

كيف يتم تحقيق التفتيت الستراتيجي ؟ يمكن الوصول الى هذه النتيجة في الحقل المادي او «الاداري» نتيجة حركة :

1 ـ تسبب اضطراب تشكيلة العدو وتجبره على اجراء تبديل مفاجىء فسي جبهته ، وتحطم توزيع وتنظيم قواته .

ب ـ تقسم قوات العدو .

ج _ تهدد خطوط تموينه .

د ـ تهدد الطريق او الطرقات التي يستطيع منها القيام بتراجع نحو قاعدته او الى موطنه الاصلى .

ويمكن الحصول على التفتيت بأحد هذه المؤثرات ، ولكنه يحصل غالبا نتيجة عدة عوامل . والتمييز في الحقيقة صعب ، لان حركة موجهة الى مؤخرة العدو يمكن ان تجمع كل هذه المؤثرات ، ويختلف تأثير كل واحد منها كما حدث خلال التاريخ حسب اهمية الجيوش وتعقيد تنظيمها . فاذا كانت الجيوش تعتمد في حياتها على موارد البلاد نفسها وتأخذ تموينها مسسن المصادر المحلية بالنهب او المصادرة اصبحت طرق تموينها ذات اهمية قليلة . اما اذا كانت الجيوش ارقى تنظيما ، وتعتمد على قواعد تموينها فان صغر حجم الجيش يقلل من اعتماده على طرق مواصلاته . وكلما كبر الجيش اصبح تأثير الهجمات الموجهة الى خطسوط مواصلاته اكبر واسرع .

عندما لم تكن الجيوش تعتمد على خطوط تموينها كان تأثير الاستراتيجيسة محدودا وكان التكتيك يلعب الدور الاكبر ، ومع هذا حصل بعض الاستراتيجيين الماهرين على نتائج حاسمة قبل المعركة بتهديد طريق انسحاب العسدو او توازن قواته او تموينه المحلي ،

ويتم القيام بمثل هذا النهديد ، ليكون حاسما ، على نقطة قريبة من جيش العدو من حيث الزمان والمكان وليس على مواصلاته البعيدة . لذا كان مسلن الصعب في فن الحرب القديم التفريق بين المنساورة الاستراتيجية والمنساورة

التكتيكية .

وتم التفتيت في الحقل النفسي بالتأثير على افكار القائد . ويزداد التأثير الذا ما لاحظ القائد فجاة انه في موقف غير ملائم وشعر بعجزه عن مقاومة حركة العدو . ويأتي التفتيت النفسي بصورة رئيسية عند الشعور بالسقوط في الفخ بعد قيام العدو بحركة مادية على المؤخرات . والجيش كالرجل لا يستطيع الدفاع بصورة فعالة ضد ضربة تأتيه من الخلف ، دون ان يستدير ليستخدم اسلحته ضد هذا المهاجم و«عملية الاستدارة» تجعل الجيش يفقد توازنه ، وتضعه في وضع قلق بعض الوقت . وهكذا فالمخ يكون اكثر تأثرا بكل خطر قادم مسسن وراء الظهر .

وعلى العكس ، يؤدي السير بصورة مباشرة نحو العدو الى تقوية توازنه المادي والمعنوي ، وزيادة قدرته على المقاومة . وهو يدفع جيش الخصم نحو مؤخراته وقواته الاحتياطية ومرأكز تموينه . وهذا العمل يضعف ولا شك الجبهة ولكنه يضيف قوات جديدة الى المؤخرات . ولهذا فانه من الافضل انهاك العدو بدلا من محاولة تحطيمه بصدمة مباشرة .

وتهدف حركة الالتفاف حول مجنبة العدو او نحو مؤخرته الى تحاشي كل مقاومة خلال تنفيذ الحركة وبعد انتهائها . وهذه الحركة تسلك «أقل السبل مقاومة» . وبعادلها في الحقل النفسي القيام بعمل غير متوقع او على « الخط الاقل توقعا » .

ولا يشكل السير مباشرة نحو مؤخرات العدو هجوما غير مباشر استراتيجي ، وليس فن الاستراتيجية بمثل هذه البساطة ، وقد يبدأ مثل هذا الهجوم بشكل غير مباشر بالنسبة لجبهة العدو ولكن متابعة التقدم على المؤخرات بعد ذلك بشكل مباشر قد يدفع العدو الى تعديل مواضعه ، وعندئذ يجد المهاجم ان حركته غيير المباشرة قد انقلبت الى حركة مباشرة على جبهة جديدة معكوسة .

ان من الضروري لمنع العدو من تغيير اتجاهه القيام بحركة «مشاغلسة» او اكثر قبل القيام بحركة التدمير الرئيسية ، وذلك بقصد تشتيت انتباه العسدو وحرمانه من «حرية العمل» ، على ان تتم هذه المشاغلسة في المجالين المادي والمعنوي ، فهي في المجال المادي تؤدي الى توزيع امكانياته ، او توجيهها نحو اهداف عقيمة غير مجدية بحيث يتعذر عليه التدخل بقوة والتأثير بشكل حاسم على نتيجة مناورة المهاجم ، نظرا لتوزعه بشكل كبير واشتباكه في اماكن اخرى. كما تؤدي في المجال المعنوي الى نتائج مشابهة للدعر الذي يسيطر على القيسادة المعادية وشعورها بأنها خدعت ، ويتم ذلك بخداع العدو ثم مفاجأتسه ، لان خداع العدو وابقاعه في الخطأ عبارة عن مشاغلة، اما المفاجأة فهي السبب الرئيسي للتفتيت ، وتؤدي «مشاغلة» تفكير القائد بطبيعة الحال الى مشاغلة وسائطه ، كما ان فقدان حرية العمل بأتي من فقدان حرية التفكير والتقدير .

ان التقدير الدقيق لكيفية تأثير المجال المعنوي وسيطرته على المجال المادى

يعتبر عملا غير مباشر في حد ذاته . ويذكرنا بسطحية وعدم فالسدة المحاولات التي تهدف الى اجراء تحليلات وبناء نظريات استراتيجية بشكل حسابي بحت . ان اعتبار الاستراتيجية عملية حسابية تتوقف نتائجها بصورة اكيدة على حشد الوسائط بصورة متفوقة على نقطة مختارة بدقة امر خاطىء كخطأ التفكير فسي الاستراتيجية على اساس هندسي ، اي باستخدام كلمات الالتفاف والخطوط والزوايا .

وقد ابتعدت بعض الكتب التقليدية عن الحقيقة بشكل اكبر عندمسا حاولت دراسة الحرب كما لو كانت في الاصل عملية تجميع قوات اكثر . ولقسد كتب المارشال فوش في تعريفه المشهور للاقتصاد في القوى ، بأنه فن استخدام كل الوارد في زمان ومكان محددين ، على أن يتم فيهما استخدام كل الوحسدات وتنظيم المهام بينها لتعمل مترابطة مع بعضها ، بدلا من توزيعها واعطاء مهمسة واحدة ثابتة لا تتبدل لكل وحدة منها . وعندما يتم الحصول على النتيجة يصبح هذا المبدأ عبارة عن توزيع الوحدات بشكل تستطيع معه التجمع والعمل من جديد على هدف موحد .

واذا اردنا الدقة والواقعية في التعبير قلنا ان على الجيش ان يكون متمفصلا بشكل تستطيع كل عناصره العمل والتعاون مع العناصر الاخرى لتحقيد أكبر تجميع ممكن في مكان ما ، ولا تترك للنقاط الاخرى سوى الحد الادنى الضروري من الامكانيات وذلك لتسهيل نجاح عمليات التجمع الرئيسي .

ان تجميع كافة الوسائط عمل مثالي من المتعذر تحقيقة ، كما اظهر التطبيق العملي ان «الحد الادنى الضروري» يشكل احيانا بالنسبة للمجموع جانبا يفوق «اكبر تجمع ممكن» . ويمكننا ان نقول انه كلما كانت الوسائط المستخدمة لمشاغلة العدو معقولة وناجحة كلما كانت فرصة التجمع الرئيسي في النجاح كبيرة .

ولا يكفي القيام بضغط كبير على نقطة حساسة الا أذا كأن العدو عاجزا عن تقوية هذه النقطة المعرضة للهجوم في الوقت المناسب ، او كانت النقطة ضعيفة جدا ماديا ومعنويا . وقد ازدادت ضرورة «المشاغلة» في الآونة الاخيرة بعسد ازدياد قدرة الردع التي تملكها الاسلحة الدفاعية الحديثة .

الاسس الاستراتيجية:

هناك حقيقة اعمق هي اننا في حاجة لان نضرب وان نحتمي من الضربات و وللقيام بضرب فعال يجب مفاجأة العدو قبل ان يأخذ حدره ، ولا يمكن تجميع القوى بشكل فعال الا اذا كانت قوات العدو مبعثرة ، وللحصول على هذا التبعثر علينا توسيع جبهتنا بشكل كبير ، وفي هذا تناقض واضح لان التجميع الحقيقي هنا ثمرة للتوزيع ، ومن الضروري ايجاد اهداف متناوبة عند محاولة احتسلال هدف ما ، لانه اذا عرف العدو على وجه التحقيق النقطة التي اخترتها كهسدف تمكن من أن يأخذ حذره ويخلق الوسائل المناسبة للمقاومة . أما أذا وقع الاختيار على محور جهد يهدد أهدافا متناوبة ، فأنه يمكن مشاغلة العدو وخداع أفكساره ووسائطه ، وهذه أفضل طريقة لمشاغلة العدو لانها تسمح بالمحافظة على اكثسر القوات المهجمة جاهزة للعمل على خط العمليات الحقيقي ، وتحقق أكبر تجمع ممكن في الوقت الذي تكون فيه قوات العدو مبعثرة .

ان عدم وجود اهداف متناوبة عمل يخالف طبيعة الحرب الحقيقية ، ويناقض الافكار اللامعة التي نشرها بورسيه في القرن الثامن عشر ، وكسان مما قاله : «يجب أن يكون لكل مخطط معركة عدة فروع ، على أن يكون كل فرع منها قادرا على السير بالمعركة الى النجاح ، وقد طبق نابليون بونابرت هذا الدرس من بعده وكان يبحث دائما كما يقول عن «انشاء مخطط ذي فرعين» ، ثم استفاد شيرمان بعد ،٧ سنة من هذه التجربة وخلق فكرته الجديدة التي تهدف الى «وضسم المعدو في حالة تستولي عليه فيها الحيرة» ، وكان ينادي دائما بالتلاؤم مع الظروف بغية الوصول الى النجاح .

ولنكون في حديثنا عمليين نقول: ان كل مخطط ينبغين ان يأخذ بعير الاعتبار احتمالات احباطه بواسطة العدو . وافضل وسيلة للتغلب على هيدة المشكلة هو عمل مخطط يتلاءم بسهولة مع الظروف . وللمحافظة على قيدرة التلاؤم مع الاحتفاظ بعامل المبادأة يجب استخدام خط يقود الى اهداف متناوبة لوضع العدو «على طرفي المعضلة» اي جعله في حيرة تامة ، وهذا العمل يحقق على الاقل كسب احد الاهداف (أقلها حراسة وحماية) ، كما يجعل من المكسن احتلال الهدف الثانى بعد سقوط الاول .

ان العدو يضع غالبا تنظيماته التكتيكية طبقا لطبيعة الارض ، واختيال الاهداف التكتيكية مع وضع العدو امام معضلة اصعب من العملية المشابهة لها في المجال الاستراتيجي حيث يكون العدو في هذا المجال قد اتخذ استعداداته بطبيعة الحال لحماية مراكز سككه الحديدية ومراكزه الصناعية . ويمكن الحصول على ميزة مماثلة اذا طابق المهاجم محور جهده مع شكل ومقدار المقاومة التي يصادفها مع استثمار كل ضعف يظهر من جانب العدو .

قطع خطوط الواصلات :

اذا وضع مخطط عمليات يهدف الى تهديد مواصلات العدو سواء اكان ذلك يمناورة التفاف على مجنبته او باستثمار اختراق سريع لجبهته ، برز سيوال يستحق الاهتمام وهو : ما هي افضل نقطة يمكن ان يوجه منها هذا التهديسيد لتحقيق افضل نتيجة ؟ وهل يجب ان تكون هذه النقطة على مؤخرات جيش العدو مباشرة ام الى الخلف قليلا ؟ والجواب على ذلك انه اذا تم قطع المواصلات على مباشرة ام الى الخلف قليلا ؟ والجواب على ذلك انه اذا تم قطع المواصلات على

مقربة من الجيش كان التأثير فوريا ، وأن تم قرب القاعدة كان التأثير ضخما ، ويزداد التأثير في الحالتين ضخامة وسرعة وعمقا اذا كانت العملية ضد عسدو متحرك بينما تنقص التأثيرات اذا كان العدو متمركزا في مواقعه ، ويتوقسسف اختيار اتجاه الهجوم على الوضع الاستراتيجي وظروف تعوين الجيوش المعادية ، وهذا يعني عدد خطوط تموينه وامكان اتخاذ خطوط تموين تبادلية ، وكمية المواد التي يكدسها عادة في المستودعات القريبة من الجبهة ، ويجب أن ندرس بعد فحص جميع هذه العوامل امكانيات التقدم لمختلف الاهداف المكنة ، وهذا يعني دراسة المسافة ، والحواجز الطبيعية ، والقاومة المتوقعة .

وهكذا يمكن الحصول على نجاح اكبر ونتائج اهم بقطع مواصلات العدو عند مؤخرته على عمق كبير ما أمكن ، الا أذا كانت الحواجز الطبيعية صعبة جدا ، أو كان العدو مستقلا تماما عن قواعده .

ومن الجدير بالذكر ان صدمة قريبة من مؤخرة جيش العدو تؤثر على افكار المقاتلين بينما تؤثر الصدمة البعيدة في العمق على تفكير القائد نفسه .

وعلينا ان نفهم ان قطع التموين لا يتم بتدمير الطرق فحسب بل ايضا بتهديد القطارات والقوافل او مهاجمتها . ولقد زادت امكانيات هذا النوع من العمل مع ظهور الوحدات الميكانيكية نظرا لمرونتها ومقدرتها على المناورة في مختلف الاراضي، وأكدت الحرب العالمية الثانية هذه الحقيقة .

طريقة التقدم:

كان الزحف بتشكيلات متجمعة هو قاعدة التقدم حتى نهاية القرن الثامن عشر سواء في المستوى الاستراتيجي (نحو ميدان المعركة) او في المستسوى التكتيكي (ضمن ميدان المعركة) . ثم استخدم نابليون بعد ذلك افكار بوسيسسه وانشأ نظام الفرق الجديد وادخل الحركة الاستراتيجية المتمفصلة . ولم يعسد الحيش يتحرك ككتلة واحدة بل بوحدات مستقلة . ومع ذلك بقي التقدم التكتيكي بنفذ حتى ذلك الوقت بتشكيلات متجمعة .

وفي نهاية القرن التاسع عشر تقدمت الاسلحة النادية واضطرت الجيوش الى اجراء الحركات التكتيكية بتشكيلات مبعثرة ، اي بعناصر صغيرة متباعدة بغيسة الاقلال من تأثير تعرضها لخطر هذه الاسلحة ، اما التقدم الاستراتيجي فعلسسى العكس ، اصبح متجمعا ويعود ذلك الى ظهور السكك الخديدية وكبر تعداد الكتل البشرية المشتركة في القتال .

وأصبحت العودة الى طريقة التقدم الاستراتيجي بتشكيلات متمفصلة امسرا ضروريا لتجديد فن ونتائج الاستراتيجية ، ثم تدخلت عوامل اخرى (كالطسيران والمدرعات) في توجيه التطور المقبل للزحف الاستراتيجي بتشكيسلات مبعثرة . وجاءت اخطار الهجوم الجوي ، والرغبة في خداع العدو ، وضرورة الاستفادة

ما أمكن من حركة القوات الميكانيكية لترغم الجيوش على التفكير في تحريبك الوحدات بشكل متمغصل جدا بحيث تتلاءم تشكيلات الزحف مع العمليسة العسكرية ، وبحيث لا تزيد البعثرة عن الحد المعقول الذي يسمح بالمحافظة على تماسك الوحدات . وازدادت ضرورة هذا الاجراء بعد ظهور السلاح الذري ، وجاء تقدم اللاسلكي ليحقق التوافق بين البعثرة وامكانية قيادة الوحدات .

وبدلا من الاكتفاء بالفكرة البسيطة السابقة المبنية على عملية مجمعة ينفذها جيش متجمع ، اصبح في الامكان الان اختيار حالة من الحالات التالية حسب الظروف:

١) تقدم بتشكيلات مبعثرة نحو هدف مشترك واحد .

ر المعاقبة ، (وتتطلب المعارف على المعاقبة ، (وتتطلب المعاقبة ، (وتتطلب المعاقبة ، (وتتطلب المعاقبة ، (وتتطلب المعالف المعاقبة ، (وتتطلب المعالف المعاقبة ال

الفصال لعيشرون

جوهر الاستراتيجية والتكتيك

يمكن ايجاز مبادىء الحرب في كلمة واحدة هي «التجمع» او بصورة ادق «تجمع القوة ضد الضعف» . وليكون لهذه الجملة قيمة ومعنى ، علينا أن نشرح أن تجمع القوة ضد الضعف يتعلق بتوزيع قوات العدو الناجم عن توزيع قواتنا الذي يعطي العدو فكرة عن تبعثرنا . أن تبعثرنا وتبعثره ثم تجمعنا عبارة عسسن سلسلة من العمليات التي تنجم الواحدة منها عن الاخرى . وما التجمع السليم سوى ثمرة توزيع مدروس بحكمة .

ونجد هنا مبدأ اساسيا يسمح تفهمه بتحاشي اعطاء العدو الزمن والحريسة ليجتمع ضدنا ، ولفهم هذا المبدأ الاساسي واستخدامه عمليا يمكن شرحه بثمانية مبادىء عملية ، وتنطبق على التكتيك انطباقها على الاستراتيجية الا اذا كانت تعليمات مخالفة . وهذه المبادىء هي :

ا) «طابقوا الهدف مع الامكانيات» . لان من الحماق...ة أن نرغب في أشياء لا نستطيع صنعها . وتبدأ الحكمة العسكرية عندما يستطيع المرء رؤية ما هو ممكن . تعلموا تقدير الاوضاع الحقيقية المائلة امامكم دون أن تكتفوا بمجرد الاعتقاد . يجب أن تكون لديكم ثقة كبيرة منذ بداية العمل ، وهذا ما يجعلكم تنجحون في أمور تبدو لكم مستحيلة ، شريطة أن لا تستهلكوا هذه الثقة .

- ٧) «احتفظوا دائما بالهدف ماثلا امامكم» ، مع مطابقة مخططكم على الظروف ، واعرفوا ان هناك اكثر من طريق للوصول الى الهدف ، ولكن خدوا حدركم اثناء الطريق لان كل هدف وسيط يؤثر على الهدف الاصلي . وبعد تقدير الاهداف المحتملة زنوا الامكانيات المتوفرة لديكم للوصول اليها وقارنوا فائدتها بالنسبة للهدف العام اذا ما تم الوصول اليها . وتذكروا ان الفشل في بالنسبة للهدف العام اذا ما تم الوصول اليها . وتذكروا ان الفشل في فرصة استثنائية طارئة امر سيء ولكن متابعة الجهد غير المجدي امر اسوا.
- ٣) «اختاروا الخط الاقل توقعا» وحاولوا ان تضعوا انفسكم دائما مكان العدو ٤
 وفكروا كما لو كنتم في صفوفه لتقدروا الاشياء التي لا يتوقعها .
- إ) «استثمروا خط المقاومة الاضعف» ما دام قادرا على أيصالكم الى هدف يؤدي احتلاله الى الوصول الهدف العام (ينطبق هذا الميدا في التكتيك على استخدام قواتكم الاحتياطية ، كما ينطبق في الاستراتيجية على استثمار كل نحياح تكتيكي) .
- ٥) «خذوا خط عمليات يؤدي إلى اهداف متناوبة» فتضعون عدوكم بذلك في حيرة تامة ، مما يؤمن لكم الوصول على الاقل إلى الهدف الاقل حماية . تم يمكنكم احتلال الهدف الثاني بعد سقوط الاول . وتهديد الاهداف المتناوبة يسمح باحتلال هدف واحد على الاقل بينما يؤدي تهديد هدف واحد اللي احتمال الفشل في الاستيلاء عليه ، ذلك لان مفاجأة العدو لا تدوم طويلا .
- ٣) «راعوا المرونة سواء في المخطط او التشكيلة بحيث يتلاءمان مع الظروف» ...
 ويجب ان يتوقع مخططكم المرحلة التالية ويستعد لها في حالات النجاح او
 الفشل او النجاح الجزئي الذي يقع غاليا في الحرب . كما يجب ان تكون
 مواضعكم وتشكيلاتكم قادرة على التلاؤم والتوافق ، مع استغلالها في أقصر
 مدة ممكنة .
- ٧) «لا تلقوا بكل ثقل امكانياتكم ني عمل افا كان عدوكم محترسا» . لاته يكون حينئذ مستعدا لصد عده الصدمة او تحاشيها . وتعلمنا التجربة التغريخية انه لا يمكن ان تحقق اية ضربة تتيجة بشكل فعال افا لم تشل مقارمة العدو او قدرته على تحاشي هذه الضرية ، وليس هناك قائد يقبل القيام بهجوم حقيقي على عدو متمركز قبل ان يتأكد من ابتداء هذا الشئل . وينجم هذا الشئل من فقدان النظام لدى العدو او من تحطيم معتوياته .
- ٨) «لا تجددوا الهجوم على نفس الخط او بنفس الشكل بعد ان فشل في المرة الاولى». وتقوية الامكانيات المهاجمة لا تبرر تجديد مثل هذا الهجوم لان من المحتمل ان يكون العدو قد حصل على قوى جديدة خلال هذه الفترة لا كما ان من المتوقع ارتفاع روحه المنوية بعد ان نجع في صدكم للمرة الاولى .

وتدل هذه البادىء على انه بنبغي لتحقيق النصر حل مشكلتين هامتين هما تغتيت قوات العدو ، ثم استثمار هذا العمل . ومن المتعدر عليكم ضرب العدو بشكل فعال قبل ان تمهدوا لذلك بخلق ظروف ملائمة لتحقيق هذا العمل . ولا يمكن ان تصبح الضربة حاسمة الا اذا استطعتم استثمار الغرصة الجديدة قبل ان يسترد العدو وعيه .

الفضل لواحِد والعيشرون

الهدف الوطني والهدف العسكري

يجب علينا عند دراسة كلمة «هدف» في الحرب ازالة اي غموض قد يتعلق بمعناها . وينبغي الا ننسى الفرق بين الهدف السياسي والهدف المسكسسري المختلفين عن بعضهما رغم ارتباط احدهما بالآخر . وليس الهدف المسكري سوى وسيلة لخدمة غابة سياسية ، ولكن يجب ان تتطلب السياسة هدفا عسكريسا يمكن الوصول اليه عمليا .

واستخدام كلمة «هدف» لا يحقق المعنى المطلوب تماما ، لانها تحوي في طياتها معنى مزدوجا ماديا وجغرافيا مما يؤدي الى بلبلة التفكير . ومن الافضل استعمال كلمة «غاية» عند التحدث عن الخطة السياسية الكبيرة وكلمة «هدف عسكري» عندما نتحدث عن الطريقة التي تستخدم بها القوات المسلحة لصالسح السياسة .

أن غاية الحرب هي تحقيق السلم في ظروف افضل . لذا يجب قيادة الحرب مع التفكير في السلم الذي سيعقبها . وينطبق هذا الامر على الشعوب المعتدية الراغبة في التوسع انطباقه على الشعوب المسالمة التي تقاتل للدفاع عن نفسها ، رغم اختلاف مفهوم السلم الافضل .

والتاريخ يثبت أن الحصول على نصر عسكري لا يعني الوصول إلى الغايسة

السياسية ، ولكن تفكير العسكريين الدائم في الحرب يدفعهم الى نسيان الهدف الوطني الاساسي ورؤيته من خلال الهدف العسكري فقط . لذلك كانت السياسة في الحروب الماضية تسير على ضوء الهدف العسكري الذي اعتبره الكثيرون غاية في حد ذاته ، بدلا من ان يبقى مجرد وسيلة في سبيل خدمة الغاية الاصلية .

ثم اصبحت هذه التأثيرات اكثر خطورة ، لان نسيان العلاقة الحقيقية بين الفاية والهدف العسكري ، وبين السياسة والاستراتيجية ترتب عليه تبديلل الهدف العسكري حتى غدا بسيطا جدا .

كانت القاعدة الاولى للنظرية العسكرية خلال اكثر من قرن ترى ان «تدمير الجيوش الرئيسية للعدو في ميدان المعركة» هو الهدف الحقيقي الوحيد للحرب. وكان هذا الامر بديهيا . ولو تجرأ أحد رجال الدولة وأعرب عن شكه في هده القاعدة ، واعتبرها متناقضة مع الهدف الوطني لنظر اليه كما لو كان زنديقا .

ولو اطلع القادة الكبار والاساتذة العسكريون واصحاب النظريات الحربية قبل القرن التاسع عشر على هذه القاعدة المطلقة لأصيبوا بدهشة واستغراب ، ذلك لانهم كانوا يعرفون معنى ضرورة موافقة الاهداف بشكل معقول مع السياسسة وحدود القوة .

تأثي كلوزفيتس:

رسخت هذه القاعدة رسوخا عميقا في الاذهان بتأثير كلوزفيتس بعد موته وتأثير كتابه الذي سيطر على افكار القادة البروسيين وخاصة مولتكه . وادت الانتصارات الالمانية الباهرة في عام ١٨٦٦ وعام ١٨٧٠ الى انتشار افكاره في كل الجيوش العالمية التي بدأت تقلد النظام البروسي في كثير من النواحي .

واستنتج انصار كلوزفيتس من تعليماته بعد موته اشياء تتسم بالمالغة التي يفكر معلمهم فيها مطلقا . ان عدم فهم الناس لافكار شخص ما مسألة طبيعية صادفت معظم المفكرين في مختلف المجالات . وكم اساء انصار مؤمنون غيير اذكياء لفكرة اساسية اكثر مما اساء اليها خصومها . كانت نظريسة كلوزفيتس الحربية غامضة ومعقدة بالنسبة لتفكير الرجل العسكري العادي الذي يبحث غالبا عن الاشياء اللموسة ، وقد فسر هؤلاء العسكريون معاني عباراته تفسيرا خاطئا ، ولم يفهموا منها سوى معناها السطحي .

ولقد ادخل كلوزفيتس بحثا جديدا على نظرية الحرب عندما اعطى العامل المعنوي اهمية كبرى ، وقاوم فكرة الاستراتيجية الهندسية المبنية على الحركات وهي الفكرة التي كانت شائعة حينئذ . وقد اوضح ان الفكر البشري اهم بكثير من زوايا العمليات وخطوطها . كما قدم افكارا سليمة حول تأثير الخطر والتعب، واهمية الشجاعة والقرارات الواضحة التي تتخذ بهدوء وحزم . ومع ذلك أثرت اخطاؤه بشكل عميق على سير التاريخ فيما بعد .

كان تفكير كلوزفيتس يتجه الى الناحية البرية بدرجة كبيرة منعته من فهم القدرة البحرية . وكانت افكاره محدودة اذا ما قيست بالنسبة للعصر الآلسي عندما قال : «ان التفوق العددي اصبح حاسما بشكل متزايد» . ولقد عززت هذه الفكرة الميول الرجعية للرجال الذين لا يؤمنون بامكانيات الآلة . كما أيدت فكرة التجنيد الالزامي لجمع اكبر عدد ممكن من الرجال .

ولم يأت كأوزفيتس بشيء جديد او يدعو الى الملاحظة في الافكار التكتيكية او الاستراتيجية . ولم يؤثر على فن الحرب اي تأثير ثوري مشابه للتأثييرات الناجمة في القرن الثامن عشر عن تطبيق «نظام الفرق» وفي القرن العشرين من استخدام «الحركة المدرعة» .

نظرية كلوزفيتس عن الهدف العسكري:

يقول كلوز فيتس: «ان هدف العمل الحربي هو نزع سلاح العدو ، وسنثبت ان ذلك ضروري على الاقل من الناحية النظرية ، واذا كانت غايتنا هي دفسيع العدو الى السير وفق ارادتنا ، فان علينا ان نضعه في موقف يزيد تأثيره عن التضحيات التي نطلبها منه ، ولا يجب ان تكون مساوىء موقفه مرحلية ، على الاقل في مظهرها ، وإلا قاوم العدو بدل الخضوع آملا ان يتطور الموقف لصالحه، ويجب ان تؤدى تبديلاته التي ترمي الى متابعة الحرب الى موقف اسوا» ،

«ان اسوا وضع يقع فيه المقاتل هو عندما يجد نفسه مجردا من سلاحه . فاذا اردنا اجبار العدو على الاستسلام وجب علينا تجريده من سلاحه او وضعه في موقف يهدده باحتمال تجريده منه . وهكذا فيجب ان يكون نزع سلاح العدو او هزيمته هو ... هدف فن الحرب» .

ويبالغ كلوزفيتس في افكاره ، ويبدو هذا واضحا عندما يتحدث عن المعركة الني يعتبرها وسيلة لخدمة هدف الحرب . وهو يفتتح الحديث بهذا التأكيسة المطلق «ليست هناك سوى وسيلة واحدة هي المعركة» . ويؤكد هذا بحجج كثيرة تدل على ان «فكرة المعركة هي الاساس» في جميع أشكال النشاط العسكري .

ويعلن كلوزفيتس علاوة على ذلك بأنه «يجب أن يكون حجم قواتنا العسكرية كبيرا ما دام هدفنا المنشود هو تدمير قوة العدو . وعلينا ان نعرف ان كل جهد نبذله لتدمير العدو ينعكس علينا ويؤدي الى اسوا النتائج في حالة الغشل» .

وليس هناك قارىء من مائة قارىء استطاع فهم منطقه ، ولكن كافة قرائمه استطاعوا حفظ حمل طنانة كهذه:

«ليس لدينا سوى وسيلة واحدة للحرب هي المعركة» .

«الحل الدموي للأزمة بعد الجهد المبذول لتدمير جيوش العسدو هو أبسين الحرب البكر» .

«لا يمكن الحصول على نتائج كبيرة الا بمعارك كبيرة شاملة» . «لا تحدثونا عن قادة ينتصرون دون سفك دماء» .

ان ترديد مثل هذه الجمل حرم فلسفته من الامتداد ، وجعلها شبيهسسة بالاناشيد التي تجعل الدماء تغلي والافكار تتسمم ، حتى اصبحت فلسفته فيما بعد عقيدة صالحة لتعليم العرفاء (الاومباشيسة) وليس لتثقيف الجنرالات . لان اظهار المعركة «كنشاط حقيقي» وحيسل في الحرب حجب الاضواء عسسن الاستراتيجية ، وجعل الحرب مجرد مذبحة في مجزر بشري ، ودفع القسادة للبحث عن المعركة باعتبارها اول ما يشغل اذهانهم بدلا من بذل الجهود لخلسق الظروف الملائمة للعمليات الحربية .

وقد ساهم كلوزفيتس في هبوط فن القيادة فيما بعد عندما كتب عبارته المشهورة : «يتصور الانسانيون بسهولة أن هناك طريقة بارعة لنزع سلاح العدو والسيطرة عليه دون أراقة دماء غزيرة ، وأن فن الحرب يتجه في جوهره نحو هذه الطريقة . . . وهو يخالف بذلك كسسل اساتذة فن الحرب .

ولقد اخذ رجال الحرب الميالون لسفك الدماء يرددون عبارة كلوزفيتس لكي يلتمسوا لانفسهم العدر ، ولكي يبرروا ضياع الارواح البشرية التي تزهق خلال هجمات عقيمة غير مجدية .

وزاد من خطر أفكاره اصراره الدائم على الاهمية الحاسمة للتفوق العددي . وقد ذكر في بعض كتاباته بأن المفاجأة هي «اساس كافة الخطط أذ لا يمكن بدونها تحقيق التفوق في نقطة حاسمة» . ولكن تلامذته لم يتبينوا ذلك وتأثروا بترديده الدائم لكلمة «عدد» حتى دخل في روعهم أن الكتل البشرية الكبيرة هي افضل وسيلة لبلوغ النصر .

نظرية كلوزفيتس عن الفاية:

ومن اخطر ما جاء به كلوزفيتس دعوته الى الحرب الشاملة ، ومناداته بأن الطريق الى النصر يسير مع استخدام القوة بلا حدود . وهكذا بدات نظريته بتعريف الحرب على انها استمرار السياسة بوسائل اخرى ، ثم انتهت الى هذا التناقض الذي يجعل من السياسة عبدا خاضعا للاستراتيجية غير الحكيمة .

ولقد زادت خطورة آرائه عندما قال ان «ادخال مبدأ الاعتدال في فلسفية الحرب ينطوي على حماقة ، لان الحرب عمل عنيف الى اقصى مدى العنف، .

وقد اخذ هذا القول كقاعدة لبناء الفكرة الحمقاء للحرب الشاملة الحديثة . وهذا المبدأ ينطوي على تجاهل فن السياسة الاستراتيجية الحكيمة التي تخدم الغابة السياسية .

واذا كانت الحرب استمرارا للسياسة كما يقول كلوزفيتس فمن الضروري

أجراؤها دون تناسي الفائدة التي ستاتي بعدها . وأن دولة تبدر قواتها في القتال الى درجة الانهاك تقع في أفلاس سياسي محقق . ولقد توفي كلوزفيتس بالكوليرا عام ١٨٣١ دون أن يشرح أفكاره . لذا بقيت الطريق مفتوحة أسلما «الافكار المفلوطة» التي لم يكن يتوقعها ، لان تقبل العالم لنظرية الحرب الشاملة بلا حدود ، دفع الدول إلى محاولة تدمير الحضارة البشرية خلال حربين عالميتين هائلتين .

انتشار النظرية بعد الحرب العالية الاولى:

ان سير الحرب العالمية الاولى ونتائجها يتيح من الدلائل ما يجعلنا نشك في صلاحية نظرية كلوزفيتس ، او على الاقل كما فهمها وطبقها انصاره الذين جاؤوا من بعده . وقد وقعت في اوربا معارك برية لا تحصى دون ان تؤدي الى النتيجة الحاسمة التي كانت تنتظر منها . وكان القادة المسؤولون يتسمون بالبطء في ملاءمة الهدف مع الظروف ، وفي خلق وسائل جديدة لبلوغ هذا الهدف . وبدلا من ان يدرسوا المشكلة ليجدوا الحل الملائم ، نراهم يدفعون قواتهم الى ما وراء حدود سلامتها ، ويسعون وراء تحقيق النصر الكامل عن طريق المعركة .

وعندما انهار احد الخصمين في النهاية كان أنهياره ناجما عن فراغ معدته بسبب الضغط الاقتصادي الذي قامت به القوات البحرية ، علاوة على الدم الذي سفك بغزارة . ولقد ادت الهجمات الالمانية العقيمة في عام ١٩١٨ الى ضياع الارواح وفقدان العنويات مما عجلً بانهيار المانيا ، ولقد اعطت هذه الحالسة لشعوب الحلفاء نتيجة تشبه الانتصار من الوجهة الشكلية فقط ، لان الجهود التي بذلتها للحصول على هذه النتيجة كانت منهكة على الصعيدين المادي والمعنوي لدرجة جعلت هؤلاء «المنتصرين» ظاهريا عاجزين عن تقوية مواقعهم المكتسبة . وهذا ما يدل على ان هناك شيئا غير صحيح في النظرية ، او على الاقل فسسي تطبيقها التكتيكي او الاستراتيجي او السياسي .

ويؤكد دور القوات البحرية الحاسم الذي ادى الى انهيار العدو تحت تأثـــير الضغط الاقتصادي دون وقوع اية معركة بحرية حاسمة .

ويدفعنا الى دراسة تقدم الطيران الذي اصبح قادرا على ضرب المراكسسز الاقتصادية والمعنوية المعادية دون ان يسبق ذلك بالضرورة عملية «تدمير قواتسه الرئيسية في ميدان المعركة» . ان القوات الجوية تستطيع تحقيق غاية مباشرة بوسائل غير مباشرة ٤ وذلك بالقضاء على كل مقاومة بدلا من الاكتفاء باقلالها .

وادى التقدم في مجال المحركات التي تدور بالبنزين والجرارات التي تسير على جنزير الى فتح السبيل امام الوحدات البرية الآلية التي تتمتع بقدرة كبيرة على الحركة ، وكشف امكانيات جديدة أوسع لتحقيق انهيار «جيوش العدو الرئيسية»

دون القيام بمعارك كبيرة ضارية ضدها ، والاكتفاء بقطع طرق مواصلاتها ، وتحطيم جهاز قيادتها واتصالاتها ، وشل قواها بصدمة عصبية نتيجة التوغل العميق على مؤخراتها .

ان امكانيات الحركة في القوات الجوية تسمع بالقيام بضربات على شكـــل هجوم غير مباشر ارضي ، مع تحاشي الجيوش المعادية التي تعتبر في حد ذاتها بمثابة «حاجز» .

ولقد اثرت طريقة التقدم الجديدة في الجو وعلى الارض تأثيرا عميقا على مفهوم الهدف العسكري وعلى طريقة اختيار الاهداف في حرب مقبلة . كميسا زادت من امكانيات تأثير العمل العسكري وفرص استخدامه على الاهداف المدنية الاقتصادية والنفسية . كما ضاعف «مدى» العمل العسكري على الاهسلان العسكرية ، لان من الاسهل السيطرة على قوة معادية (كجيش مثلا) بشل بعض اعضائه الحيوية بدلا من تدميره ماديا في مجموعة من المعارك الضارية . والتخلص من المقاومة بشل ارادة المقاومين اكثر اقتصادا من تدمير هذه المقاومة عمليا، ولقد فتحت القوات الجوية آفاقا جديدة امام الذين يرغبون في شل كل مقاومسة مسلحة ، كما ضمنت ضرب الاهداف المدنية في قلب بلاد العدو ، والقضاء على مقاومته . وهكذا ادت هذه القدرة الحركية المزدوجة في البر والجو الى زيادة قيمة واهمية الاستراتيجية بالنسبة للتكتيك . وأصبح القادة الكبار فسمي المستويات العليا قادرين على الحصول الان بواسطة الحركة على نتائج تفوق نتائج المعركة بصورة أوسع نطاقا مما كان يحدث في الماضي .

التطبيق العملي خلال الحرب العالمة الثانية:

عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية قامت الوحدات البرية الآلية القليلسة الحديثة التشكيل ، بكل ما طلب منها من أعمال وحصلت على نتائج حاسمسة عندما استخدمت في توجيه ضربات بعيدة المدى ضد اهداف استراتيجية .

وقد كانت ست فرق المانية مدرعة كافية لتحقيق انهيار بولونيا خلال بضعة اسابيع ، كما قررت عشر فرق مدرعة مصير المعارك في فرنسا قبل ان تتدخيل قوات المشاة الالمانية في العمل مما ادى الى انهيار كافة البلاد الفربية . وانتهى غزو الغرب في معركة لم تدم اكثر من شهر وتم الحصول على النصر بخسائير قليلة بشكل يدعو الى الاستغراب وكان «سفك الدماء» في المرحلة الاخيرة لا يكاد نذكر اذا ما نظرنا اليه بمقاييس كلوزفيتس .

وقد تم انتزاع النصر بعمليات موجهة ضد الاهداف العسكرية ، ومنفذة على شكل مناورة استراتيجية وليست تكتيكية .

ومن الصعب التفرقة بين النتائج التي تم الحصول عليها بقطع مواصللات الجيوش المعادية وتحطيم جهازها القيادي خلال التوغل العميق عن التأثير اللذي

أصاب الروح المعنوية للشعب في الصميم وهز تفكيره الوطني . وهذا التأثسير يثبت مدى فعالية العمليات التي توجه ضد الاهداف المدنية .

والسرعة التي تم بها احتلال بلاد البلقان في عام ١٩٤١ تسترعي النظر . فقد اثبتت قدرة الوسائط الحديثة واستخدامها الاستراتيجية على شل قوى العدو. وهكذا فقدت «المعركة» كل قيمها ، واصبحت كلمة «التدمير» تعبيرا غير دقيسق لتحديد الشكل الذي يتم به انتزاع النصر من العدو .

عندما بدا غزو روسيا جرب الالمان طريقة مختلفة قليلا ، وكان كثير مــن الجنرالات الالمان مستائين لان هتلر يحدد اهدافا اقتصادية اكثر منها عسكرية . لقد كان لدى هتلر ميل التفكير في ان الهدف الاقتصادي اثمن من الهدف العسكري . ولكنه خضع في ظروف معركة ١٩٤١ الحرجة لافكار أركان الحرب العامة وخاض معارك عدة لم يترتب عليها الوصول الى نصر نهائي رغم حصوله على

انتصارات كبيرة تم خلالها أبادة جبوش روسية ضخمة . ولو أنه تابع تركيسن الجهود على الاهداف الاقتصادية لحقق نتائج اكثر حسما .

كان الطران خلال سلسلة الانتصارات الالمانية السريعة يتعاون مع القسوات الآلية البرية لشل جيش العدو والشعب الذي يقف وراءه وتحطيم معنوياتهما . وكانت نتائج اعماله رهيبة ، وكانت قيمتها معادلة لقيمة عمل المدرعسات ، ولا يمكننا ابدا تفريق السلاحين عن بعضهما عند تقدير العوامل التي خلقت الشكل الحديد «الحرب الصاعقة» .

ثم كان تأثير الطيران البريطاني والامريكي بعد ذلك في تحقيق انتصار جيوش الحلفاء البرية والبحرية واضحا جدا . وأصبح غزو القارة الاوروبية ممكنا بفضل الطيران ، لانه امن سير قوات الفزو نحو النصر ، واستطاع الطيران بفضل عمله ضد الاهداف العسكرية (وخاصة المواصلات) شل قدرة الجيوش الالمانية على احباط مناورات جيوش الحلفاء ، مع ان قيادة الطيران لم تظهر تحمسا لمهاجمة هذا النوع من الاهداف بعكس حماسها المتأجج للقيام بعمليات مستقلة ضــــد الاهداف «المدنية» ، والمراكز الاقتصادية في البلاد المعادية .

وقد اطلقت اركان حرب القوات الجوية على هذا العمل اسم « القصــــف العملية تشكل جزءا من الاستراتيجية العليا . وكان من الافضـــل تسميته «القصف الصناعي» لان هذا تعبير يشمل العمل ضد المعنويات وضد الاقتصاد .

ويصعب تقدير مدى اشتراك هذا النوع من القصف في الحصول على النصر، رغم الدراسات المتعددة التي أجريت في هذا الصدد .

ولكن من المحقق تقريبا ان هذا القصف كان أقل تأثيرا من عمليات الطبيران ضد الاهداف العسكرية الاستراتيجية ، ولم يبلغ غاياته خلال كافة مراحسل الحرب ، ولم يحقق النتائج التي كانت متوقعة منه .

والشيء الواضح جدا هو النتائج السيئة التي ترتبت على هذا القصف وظهرت

بعد انتهاء الحرب ، لان التدمير كان على نظاق واسع ، ويتعلى اصلاحه بسرعة وادى الى نتائج خطرة وغير متوقعة على الصعيدين المعنوي والاجتماعي حتى لقد هدد بشكل كبير اسس الحياة المتمدينة التي تعتمد على قواعد حساسة .

وهنا يمكننا أن نلمس الاختلافات الجوهرية بين الاستراتيجية، والاستراتيجية العليا . أذ أن الاستراتيجية تبحث المساكل التي تعترض الوصيول إلى النصر العسكري بينما تبحث الاستراتيجية العليا الامور بنظرة أبعد لان غايتها كسب سلم أفضل .

والعمل الجوي ضد هدف مدنى يدخل في نطاق الاستراتيجية العليا . ومثل هذا الهدف لا يعتبر ذا قيمة كبيرة ، وان اعتباره هدفا عسكريا امر غير معقول حتى ولو أمكن البرهنة بصفة قاطعة على أنه يستطيع أن يقرر النصر في أية حرب.

تمديل جديد للنظرية:

عندما نحاول دراسة نظرية ما من جديد لتعديلها وتأمين توازنها بشكل افضل؛ فاننا نضطر الى الاستعانة بالدراسات التي تمت في هذا الصدد ، ولقد كتبت عن موضوع «الهدف» بعد الحرب العالمية الاولى مقالات متعددة ثم بدات ادرسه بشكل دقيق في كتاب «باريس او الحرب المقبلة» الذي ظهر في عام ١٩٢٥ . وهسلا الكتاب ينقد فكرة «الهدف» التقليدية التي ترمي الى «تدمير الجيوش الرئيسية المعادية في ميدان المعركة» ، وهو الهدف الذي كان القادة العسكريون يسعون للوصول اليه خلال الحرب العالمية الاولى . وقد اشرت في هذا الكتاب الى ان هذه الطريقة غير حاسمة ، رغم انها تنهك العدو ، ودافعت عن ميزات فكرة «الهدف المعنوي» وأوضحت كيف تستطيع القوات المدرعة القيام بضربة حاسمة على «عقب أخيل» في جيش العدو اي مواصلاته وأجهزة قيادته التي تشكسل جهازه العصبي . وكيف يستطيع الطيران بالتعاون مع عمل المدرعات الاستراتيجي ضرب الجهاز العصبي للشعب ومراكزه الاقتصادية المدنية الثابتة بغية الوصول الى نتائج حاسمة . ولقد اعتبرت اركان الحرب العامة آنذاك هسلا الكتاب حرجعا نيرس .

وفي عام ١٩٢٥ دافعت شخصيا عن وجهة النظر التي تؤيد الهجمات الجوية على الاهداف المدنية ،ولكني اكدت على ضرورة ان يقتصر هذا الهجوم «علسسى احداث أقل تدمير ممكن في ارض العدو ، لان عدو اليوم هو جار الغد وصديق بعد الغد» وكان رأيي حينتد «ان هجوما جويا حاسما يسبب من الخسائر العامة والاضرار التي تمرقل تقدم البلاد المغلوبة أقل بكثير مما تسببه حرب طويلة الامد الحروب ذلك الوقت» .

ولقد توصلت في خلال دراساتي بعد ذلك الى ان الهجوم الجوي على المراكز المساعية لا يستطيع تحقيق نتائج حاسمة فورا ، ولكنه يؤدي الى حرب انهاك

ذات شكل جديد يقع فيها عدد اقل من القتلى ، ولكن يحدث تدمير اكبر ممسا وقع في حرب ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ولكن عندما بدأ الاهتمام يوجه نحو هسسذا الموضوع استمرت أركان حرب القوات الجوية في اعتقادها بضرورة تحقيق النصر السريع ، وعندما اجبرتها تجارب الحرب على التفكير في الامر من جديد اقتنعت بفائدة الانهاك الصناعي اقتناعا تاما يعادل اقتناع الاركان العامة خلال الحسسرب العالمية الاولى بفكرة أنهاك القوى البشرية .

ولكن التردد في الاعتراف بمساوىء اختيار المصانع المدنية كهدف لا يعنى ضرورة العودة الى فكرة «المعركة» بمعناها القديم . فمساوىء هذا التعبير الذي تبناه كلوزفيتسن اصبحت اكيدة خلال الحرب العالمية الاولى . كما اثبتت الحرب العالمية الثانية مزايا وامكانيات العمليات غير المباشرة او الاستراتيجية ضد هدف عسكري . وقد استثمر بعض كبار القادة مثل هذه الاعمال في الماضي بشكل عسكري . وقد استثمر بعض كبار القادة مثل هذه الاعمال في الماضي بشكل جيد وفعال رغم القيود التي كانت تفرضها عليهم وسائلهم المحدودة ، أما الان فان استخدام وسائل الحرب الحديثة جعل هذا العمل اكثر فاعلية رغم زيادة قسوة المقاومة التكتيكية عند العدو ، لان تبديل اتجاه الصدمة او التهديد يجعل القسدرة الحركية الحديثة مرنة بصورة «تجرد العدو من مقاومته» .

وقد حان الوقت لصياغة نظرية الهدف والهدف الاستراتيجي والعسكري من جديد ، واني لأرجو ان تكون قد اتبثقت خلال هذه الدراسة خطوط عريضسة لنظرية معدلة تتلاءم مع الظروف الحالية ، ومع معلوماتنا . والفكرة الرئيسية هنا هي ادخال تعبير «عملية استراتيجية» بدلا من تعبير «معركة» لان هذا التعبير الاخير قديم وغير مجد ولا يلائم العصر. الحاضر . وقد تقع المعارك دائما ولكن يجب عدم اعتبارها هدفا في حد ذاتها وهنا يمكننا ان نردد استنتاجا سبق ان ثبتت صحته خلال الحرب العالمية الثانية وهو : «ليس الهدف الحقيقي هو البحث عسن المعركة ، بل البحث عن وضع استراتيجي ملائم ان لم يؤد بتقسه الى النصر خلق ظروفا ملائمة لمركة تأتي بعده وتنتزع النصر حتما» .

الفهرش

.

٥	مقدمة المعرب	
٧	تقديم الكتاب	
۲.	مقدمة المؤلف	
80	اقوال مأثورة في الحرب	
	لقسم الأول : الاستراتيجية من القرن الخامس قبل الميلاد الى القرن	n
77	الثاني عشر بعد الميلاد	
۲۸	الفصل الاول: التاريخ تجربة عملية	
41	الفصل الثاني: الحروب الاغريقية	
٤γ	الفصل الثالث : الحروب الرومانية	
77	الفصل الرابع: الحروب البيزنطية	
77	الفصل الخامس : حروب القرون الوسطى	
٨٥	الفصل السادس: القرن السابع عشر	
10	الفصل السابع: القرن الثامن عشر	
114	الفصل الثامن : الثورة الفرنسية ونابليون بونابرت	
۱۳۷	الفصل التاسع: ١٨٥٤ - ١٩١٤	
188	الفصل العاشر: استنتاجات مستنبطة من دراسة خمسة وعشرين قرنا	
104	لقسم الثاني : الاستراتيجية خلال الحرب العالية الاولى	١
	الفصل الحادي عشر: المخططات ونتائجها في ميدان العمليات الفربي	
108	عام ١٩١٤	
371	الفصل الثاني عشر: مسرح العمليات الشمالي الشرقي	
	الفصل الثالث عشر : مسرح العمليات في الجنوب الشرقي او في	
۱۷۲	البحر الابيض المتوسط	
١٨٣	الفصل الرابع عشر: الاستراتيجية في عام ١٩١٨	
117	لقسم الثالث : الاستراتيجية خلال الحرب العالية الثانية	Ì
111	الفصل الخامس عشر: استراتيجية هتار	
1.1	الفصل السادس عشر: طريق النصر الذي سار فيه هتار	
171	الفصل السبايع عشر: أفول نجم هتلو	
Λ3.1 1.44	الغصل الثامن عشر : س قوط هتلر وقد معمد ما وقد التريية وقد التريية المارية التريية المارية التريية المارية التريية المارية التريية المارية الت	
174	القسم الرابع : اسس الاستراتيجية والاستراتيجية العليا	ŀ
34)	الفصل التاسع عشر: نظرية الاستراتيجية	
Λo	الفصل المشرون: جوهر الاستراتيجية والتكتيك	
(AV	الفصل الراحد والمثرون: الهدف الوطئي والهدف المسكري	



هذا الكتاب

يعد هذا الكتاب التي يُطبع للمرة الثالثة باللغة العربية أهم الكتب التى ألفها الخبير والمحلل العسكري المشهور ليدل هارت ويتضمن الكتاب في مجموعه تحليلاً للمعارك في التاريخ ، ابتداً من الحروب اليونانية وصولاً إلى الحرب العالمية الثانية ونتائجها ، وذلك على الصعيدين العسكري والسياسي . وهو لا يكتفي بسرد الوقائع وشرح المعارك بل يتعدى ذلك إلى الستنتاج الدروس المستنقادة من هذه المعارك في حقل الاستراتيجية والاستراتيجية العليا .

وكتاب ليدل هارت هذا مكمل للعديد من المؤلفات التي كتبها سابقاً واكّد فيها على أهمية الاستراتيچية غير المباشرة ، المسماة باستراتيچية الهجوم غير المباشر باعتبارها أفضل استراتيچية لانتزاع النصر الحاسم

MADBOULI BOOMSNOP



ة ميِّدَان طلعت حَرِب الشَّاهِم ع - ت : ٥٧٥٦٤٢١ ميِّدَان طلعت حَرِب الشَّاهِم ع - ت ميَّدَان طلعت حَرِب الشَّاهِم ع